محمد المختار السوسي

المعسول

٢

المغرب

بقيـــة

الفصـل الاول

من

القسم الاول

ويتضمن تراجم هؤلاء

سيدى الحسن التاسينتى السليمانى
سيدى صالح الاوفقيرى
سيدى الحاج بلقاسم الزاوى
سيدى عبد الله باولا الزاوى
سيدى احمد بن محمد بن عبد الله الصالحى
سيدى البشير بن الطيب السليمانى
سيدى موسى بن الطيب السليمانى
سيدى الحسين بن احمد بن صالح السعيدى
السيدة (تاكدا) بنت سعيد الواكشريرية
سيدى ابراهيم بن احمد الطالبى السعيدى
سيدى احمد أبو الفدام الافقيرى
سيدى على بنصالح الاوفقيرى
سيدى الحسين بن ابراهيم الصالحى
سيدى عبدالله بن احمد الصالحى
سيدى صالح بن احمد الصالحى
سيدى احمد بن محمد التهالى
سيدى احمد ابن الشيخ الالغى
سيدى عبد الرحمن بن محمد الصالحى
سيدى محمد بن عبدالله الصالحى
سيدى عبد الحى بن عبدالله الصالحى
سيدى المدنى بنعلىبن عبد الله الصالحى

الفقيه سيدي الحسن التياسنتى

= ١٢٦٦ هـ = ٢٩-٤-١٣٥٦ =

نسبه

الحسن بن احمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

جده سيدى سليمان هو الفقيه الذى مرت بك ترجمته . وسيدى ابراهيم ابن سليمان هو عم أبيه ، وقد قرات ايضا مايتعلق به اذ نشأ فى اسرة كانت تمت الى العلم بسبب ، وينزعه اليه هذا النسب ، فلاغرو ان راينا اسرته مالت به للتعلم لعله يرد اليها ذلك المجد العلمى الذى تعرفه فى أيام من سلف منها وهو اصغر كماترى من قرينه العلامة سيدى محمد بن عبد الله بسنة ، لان ولادة العلامة فى سنة ١٢٦٥ هـ وهذا فى سنة ١٢٦٦ هـ وقد يسر الله الوقوف على وقت ولادته بعد وفاته مع كونه حريصا رحمه الله على ان لايعرف عنه ذلك طوال حياته . ولايدرك ما العلة ؟ وقد وقفت على زواج أمه بابيه مؤرخا برمضان سنة ١٢١٢ هـ وقد عطف على كاتبه الفقيه ابراهيم بن سليمان الطيفور بن محمد ابن احمد الساموكنى ، والد العلامة سيدى الحسن بن الطيفور الشهير

منشأه ومتعلمه

نشا سيدى الحسن التياسينتى والشيخ الالغى والاستاذ سيدى محمد بن عبد الله نشاة واحدة ، واسنانهم متقاربة وكلهم لدات ، ثم مازالوا جميعا على وتيرة واحدة فى كل زمان الاخذ حتى اذا حان الاياب ، وقيل قد امتلات الاوطاب تجاوروا فرادى أطلاقا ، وكل يمعن فى احراز السبق ، فكان من الاستاذ ابن عبد الله مارأيت وظهر من الشيخ الالغى ماشاهدت فلننظر الى قرينهما هذا لنرى أهو مثلهما كان مجدودا أم كان من المحدودين (١) ؟

اخذ القرءان فى مسجد القرية عن مودبين ، ولكنه انما تخرج بالاستاذ سيدى بلقاسم أفكان الايسى الذى تخرج به قريناه المتقدمان ، ثم التحق بالمدرسة التانكرتية فى رفقة العلامة ابن عبد الله، فلازم سيدى محمد بن ابراهيم الافرانى الى حوالى ١٢٩٠ هـ فانتقل من تلك المدرسة الى ادوز حيث الاستاذ سيدى محمد

١) المجدود بالجيم السعيد وبالحاء غيره

ابن العربى الادوزى ، وقد وقفت على بطاقة صغيرة بخط هذا الاستاذ كصفحة وجنة الذبابة ، ولكنه خط الاستاذ الجميل الرقيق ، كتب فيها ما ياتى بالمعنى لضياع البطاقة بين الاوراق بعد ما استوعبت ما فيها :

„قد اذنا لسيدى الحسن آلوفقاوى ان يتصل بالبيت الذى فيه ءال اماسين وكتبه محمد بن العربى فى تاريخ ٠٠٠٠٠» فوجدت رقم التاريخ قد بشره صاحب الترجمة ، ولاندرى ما الذى حمله على ذلك ولولا ذلك لاهتدينا الى الوقت الذى اتصل فيه بالمدرسة الادوزية وقد نسبه الاستاذ غلطا الى ءايت وفقا اوتعمد ذلك للمجاورة ، ثم انه واظب هناك وهو من النجباء الذين يشار اليهم ويدعى هناك بسيدى الحسن الدرقاوى ، لانه كان اعتنق هذه الطريقة الدرقاوية حين كان بالمدرسة التانكرتية ، كما اعتنقها هناك غالب الطلبة ، لما رأوه من استلذاهم سيدى محمد بن ابراهيم الذى انقاد لشيخها سيدى سعيد المعدرى ثم ان صاحب الترجمة تحول عنها الى التيجانية بعد ذلك

وفى نحو ١٢٩٥ هـ فارق المدرسة الادوزية ، وذكر العم ابراهيم انه كان لايودع أساتذته عند انتقالاته وقد زعم العم انه أتى من تلك الجهة ، ثم انقطع الى المدرسة البومروانية عند أستاذها سيدى محمد بن عبد الله بصفة معاون فى الدراسة وقلما يحضر دروس الاستاذ ، وكانه اكتفى بماأخذه عن الاشياخ الكبار وأنف من الاخذ عمن كانوا من أقرانه ، ولكنه مع ذلك يصفه بشيخه كما سترى ذلك فيما ياتى

مشارطاته

وفى سنة ١٢٩٦ هـ أوفى أواخر التى قبلها افتتح المشارطة ، فشارط سنة فى مدرسة (تانالت) من قبيلة أيت صواب ثم سنة فى المدرسة الايغشانية ثم راجع الاولى فلازمها ثماني سنوات الى سنة ١٣٠٥ هـ ثم نحو اربع سنوات فى المدرسة (التاكوشتية) من أيت صواب ، ثم ثلاث سنوات فى المدرسة الفوكارضية ثم تقلب بعد ذلك فى مدارس ومساجد شتى ، لانه لم يفارق قط المشارطة ،منها مدرسة(تازموت) سنتين ومدرسة (أيمور) سنة ومدرسة (ايكيسل) ثلاثة سنوات ومسجد (أكادير ايزرى) ومسجد (تازمورت) ومسجد (كرامة) ومسجد (أيت أمزيل) من أيت صواب ومسجد (ايزورزن) من تاسريرت ومسجد (اكرض) من تامانارت ومسجد (تاكانزا) كلها اوغالبها مر بها سنة سنة ثم لما أسن لزم داره حتى لحق بربه

نبذة من أحواله

كان رحمه الله فيما يقول الناس عنه وتمالؤوا عليه ـ ولم اخالطه أنا ـ

حولا قلبا ، فلما يستقر على حاله فاداه ذلك ـ كماترى ـ الى أن ابتدأ المشارطة في المدارس الكبار ولم يزل يتقلب فيها حتى تدلى الى المساجد مع علمه الثابت وكان لو وفق ان يدرس كما ينبغي استاذا يصلح لذلك الميدان ، ومفتيا يليق أن يخوض ميادين اقرانه من مفتي عصره ، ولكن ذلك لم يقدر له مع حرصه الشديد ، وحرقه على الارم (١) على أن يزاحم أساتذة الخ بمنكب عريض وبذله جهده في أن يكون له مقام بينهم ، فلم تلاحظه السعادة ولاوطئت له السبل ، وربما منعه من ذلك صدور بعض ماينبغي أن يرمس اليوم كمارمس صاحبه أمس على أن من سبقوه في الميدان غير معصومين وانما سترتهم اخلاقهم وديـنهم وتاديتهم لمنصب العلم حقه من السكينة والوقار وسترعيوب الناس ، فستر الله عيوبهم واكرر أنني لم أخالطه رحمه الله ، ولم أنقل هنا الاماأسمعه متواترا ويظهر لي منه أن الذي تنكبه من المحافظة على منصبه العلمي هوالذي ابرزه امام الناس بهذا المظهر ، والا فانه من النلائين للقراءان ، المواظبين على الصف وما هو الاكغالب الناس (ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها؟) وما من واحد مـنـا الا وفيه مايقال لولا ستر الله

عهدي به رحمه الله سنة ١٣٣٥ هـ حين فتك بالشيخ احمد الامازري وقـد قدمت من المدرسة التانكرتية في بعض العواشر فاستدعاني الى داره فصار يسرد علي من قصيدة قالها في قضية الامازري ولااستحضر الان كيف القصيدة ؟ ثم كنت متى قدمت الى الخ ، زمن هجرتي الطويلة يقدم الي حتى يراني وكان محافظا على ذلك بكل دقة ، وءاخر زورة زارني فيها زورته في صفر ١٣٥٦ هـ اثر نفيي هذا الى هذه القرية ، وهو نحيف مقوس لاتكاد رجلاه تحملانه من الهرم ، ثم لم يلبث أن سقط مريضا فتوفي

وكان في ءاخر عمره أكبر من بالقرية سنا ، فكان يتصدر في المجامـع وحفلات (المعاريف) التي لم يحضر فيها الاستاذ علي بن عبد الله فكان يفـتـتح الادعية التي تتلى عادة في (المعاريف) وقد كان ذلك المركز قبله للفقير سعيد اللحياني ثم ورثه عنه صاحب الترجمة ، وكان جماعة للكتب والرسائل التـي يتوصل بها باي طريق ضنينا بما تحت يده عن المطالعين ، فيما يقول الناس ثم تسلط عليه ولده عبد العزيز فبعثر من ذلك ماسبب جرحا نخلا في قلب الاستاذ الى أن أرمس حتى أنه لم يوجد له بعد وفاته من هذه الرسائل والكتب مايظن انه عنده وقد ظفرت من عنده برسائل وقصائد لاصحابها وقد خط بيده كتبا في زمن اخذه رأيتها ، وكان خطه وسطا ، وان كان لقلمه بعض عثرات وكان أول

---

١) الارم كوكع الاضراس وحرقها كضرب وهي حكها فيما بينها حتـى يسمع لها صريف اي صوت ، وذلك يقال فيما يتطاول اليه الانسان ويتلهف عليه لشدة الغيظ من أجله

امره يقصد للافتاء ولفض النوازل وقسم التركات ، ثم لم يلبث ذلكان انقطع عنه بسبب علماء ءال صالح الافذاذ الذين ماكانوا ليسابقوا فى ذلك الميدان ، ومن جاور البحار لايميل الى السواقى

وما أنت الا الشمس بين كواكب اذا ظهرت لم يبد منهن كوكب

آثـار ه

يظهر مما قرأته له أن كتابته ليست هناك وخصوصا اذا مال الى القريض فقد وقعت له على مقطعات متعددة لو كان لها معنى مستقيم لقلنا انها من مجمع الابحر ولكن لم اجدلها معنى مستقيما ، ولاوزنا متحدا ومن بين ماوقعت عليه بين أوراقه ، قصيدة خاطب بها الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ، وقد وطالها بنثر فلنسق نثرها وبعض أبياتها ، ولاأفشى سرا اذاقلت اننى قد اجتهدت كل الاجتهاد حتى جمعت من القصيدة أبياتا اتفق مصادفة أنها كانت على وزن واحد ونص ذلك :

الى درة تاج المعالى الملحوظ بعين رعاية الله تعالى ربيع الجنان ورعايـــة الاعيان قطب الدائرة ، وبدر النجوم الزاهرة ، صبح الظلام وقطب الانام ابى عبد الله جمال الدين ، سيدنا محمد بن عبد الله من سلالة الـولى الربانى ، وأستاذنا العرفانى وجدنا التيظاهارينى سيدنا عبد الله بن سعيد من تلميذكم الحسن بن أحمد ، حسن الله عاقبته واحمد ، السلام التام والرحمة والبركة عليكم وعلى جميع من تشبث بذيلكم الباذخ من الاخوان والطلبة ، والمرام الاعظم والغرض الاهم الدعاء من سيدى فى أوقات الاجابة بنيل المنى وقد قلت فى شان سيدى نثرا على صورة نظم ، امتثالا لامره ، حيث قال :

تكلف ما استطعت من القريض فان الدب من برء المريض

(الى ءاخر الابيات الستة) وقلت:

شوقى لاخوانى وشيخ مشايخ يذكى الفؤاد بشعلة لاتخمـد
جرح البكاء الجفن حتى اهتاجنى وبنا ولـوع لاعـــج وتسهد
رمت السلو فما أطقت تصبرا أودت بنا زفرات صدر تصعد

الى أن قال متغزلا ومتشكيا

ريم وبدر طالع بـل غـادة تفتر عن ثغر بحسن يشهد
ذهبت بلـبـى بضة رعبوبـة تركت فؤادى فى الهوى يتبدد
ذرت كما ذرت مهاة بالضحى فتشب فى الاحشاء نارا توقد (١)

١) المهاة : الشمس

روح المحب وصال من يهواه ان لم يلقه فالطرف منه مسهد
حرمن ملتذ السنات على شج لم يستطع اخفاء ما يتوقد
اضنى غرامكم ضلوعى كلها حتى كانى فى المقابر ملحد

الى أن قال فى مدح الاستاذ

شيخى اخى حلف الرشاد المجتبى ياخير ساكن (تحت حصن) يمجد
حزت المرام من المكارم والعلا سمة الوسامة من جبينك تشهد

هذا مااخترناه من القصيدة ويظهر أنه ألقى معاناة القريض بعد ذلك ظهريا فلم أسمع منذ نشأت أنه حاول أن يلقى فى المحافل الادبية الالغية المتواليةقصيدة بل ماكنت اعلم انه يتعاطى ذلك حتى اطلعت علىماقاله فى قضية الامازرى ثم كأنه أتلف ذلك أيضا ، وقد بحث عن ءاثاره بعده بين أوراقه فلم توجد

وهذا البيت الذى اوله (تكلف كما استطعت من القريض) .... نسبه كما ترى معستة ابيات اشارااليها الى الاستاذ ابن عبد الله ، وخاطبه بذلك كماترى وقدشاعأيضا عند الالغيين أنها له ، وأول ماسمعت البيت من الفقيه سيدى موسى بن الطيب ، ولكن استاذنا سيدى عبد الله بن محمد ابن ذلك الاستاذ ينكر أنتكون له، وقال انها قديمة ولم أدرانا حقيقة ذلك

الآخذون عنه

ان الانسان اذا تخطته السعادة ، وكان ممن قلب لهم الدهر ظهر المجن يكون كلما فتح جناحيه الى التحليق ردته الزوابع حتى يكون بها من المسفين

اذا لميكن عون من الله للفتى فاول ما يجنى عليه اجتهاده

فقد صدق ذلك فى صاحب الترجمة ، فانه ممن أخطاه الحظ فى سمعته وفى علمه، الكثيروفى ذاتيده كما اخطاه فى ميادين التهذيب والتخريج ، فانه مع كثرة دورانه فى المدارس كما رأيت ومع امضائه زهرة شبابه فى معاطاة العلوم لم يتيسر لهأنيتكون له أتباع يرفعون رايته وذلك منسوء البخت فقط ، والا فماكاندون بعض منيشارااليهم من معاصريه بالبنان وقديما قيل فقلتل بسعد والا فدع ، وقضية مالك وشيخه ربيعة الراى مشهورة ، فشهرة الانسان وطيران صيته واقبال الناس عليه وكونه ممن يوطأ عقبه ، كل ذلك من الحظوظ التى ليس للانسان فى مجاريها يد

لااستحضر الان ، ولايستحضر العم ابراهيم ممن يمكن أنينسب للاستاذ من علماء هذا العصر ، الا الفقيه سيدى على الجزولى الشهير اليوم بأملن والا الفقيه سيدى الحسن بن محمد التانضيلتى النمل ، فهما لاغير من يمكن انينسبا له لانهما قدمرا بين يديه فى حقبة من احقاب اخذهما وسترى ترجمتها انشاء

الله امامك فى مناسبةما

هذا هو الفقيه سيدى الحسن التياسينتى الكبير المسن الذى عمر تسعين سنة حتى خالطه الخرف قبل موته بقليل فقد حدث العم انه بينماهويصلى فوق المسجد السليمانى اذابه تناول تمرياكله ، وقد كانرحمه الله فى استحضار ءايات القرءان الى ايامه الاخيرة مما يتعجب منه العم ، فلايمكن أن تراد ءايـــة الاذكر أولها فى الحين ، من غير أنيقرأ من بعيد ، كما هى عادة غالـب الناس رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر لنا وله ، وقد فاظت روحه عند الاسفار يـوم الخميس التاسع والعشرين من ربيع الثانى بعد مرض أيام وقد عقب من الذكور محمداوهو حافظ لكتاب الله محترم حسن الاخلاق من رجالات القرية (ولايزال حيا الان ١٣٨٠ هـ)

رثـاؤه

قلت فيه ارتجالا بعد وفاته وقد كنت اسمع عنه ذكرا جميلا نحوى وقد ألممت بالحالة التى انا فيها الآن من النفى الى الغ من الحمراء

يرحمك الرحمن ياحسن	فانت عندى حسن بسن
كنت تحافظ على مـقتـى	تفعم من اثـنـائـك الاذن
تقول انى قد فرحت وقد	آب اخونا المصقع اللسن
سامحك الرحمن كيف ترى	بشرا بما انا بـه شجن
لكن ذلـك يـدل على	انك صفو مابه أسن (١)
لـم أك مصقعا ولا لسنا	كيف يـرى لمقول لسن ؟
بـل امـــرء زمنه خـانـه	ياويح من قد خانه الزمن
قد صرت مغبوطا لدى وقـــد	ضم على أعطـافـك الكفن
قد استرحت اليوم مما انـــا	مازلت فيه بين من سجنوا
لقيت غـفـرانا ومرحمـة	والروح والـريحان ياحسن
وجنة الرضوان من منعـم	تجم من أنعـمـه المنـن

ولم نثبت هذه القطعة الا لكونها تتعلق بهذا السيد والا لكونها صوانا لهذه الزفرة ولم تبلغ منا البلادة ـ والحمد لله ـ ان نحسب مثل هـذا من الشعـر الذى ينبغى أنيعتز به

١) آسن الماء : تغير

الفقيه سيدى صالح الافقيرى

(١٢٥٩ هـ = ١٣٢٨ هـ)

نسبه :

صالح بن احمد بن احمد بن محمد بن صالح بن ابراهيم بن على بن ابراهيم ابن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد

قرأت فيما تقدم ترجمة جده ابراهيم بن بلقاسم التاكانزى الرجل الصالح الذى تفرعت عنه فروع تأتى لبعض غصونها أن تثمر بالمعارف ، وكان صالح بن أحمد هذا أسبق آله فى ذلك

قرأ القرءان اولا فى قريته (اكرض اوفقير) عن بعض مؤدبين يجهل من حدثنى عنه اسمه ، ثم رحل فى تجويد القرآن وتتميم حفظه الى قبيلة أيت بعمران عند أستاذ مجود هناك يسمى سيدى مسعود أفلوس كان أصله من تاكانزا ثم انتقل بأسرته فحط رحله هناك ، ثم ارتحل أيضا صاحب الترجمة الى حاحة فهناك افتتح الدراسة العلمية عند بعض الاساتذة ولم نعرف من هو ثم آب الى سوس فجاور فى المدرسة المحمدية عند استاذها الشهير سيدى سعيد الشريف وهو اذذاك ومدرسته كعلم فوقه نار ، فبقى هناك ماشاء الله حتى رجع سنة ١٢٩٣ هـ فلازم داره ثم تزوج على راس القرن وقد جاور ايضا فى ادوز سنتين بين ذلك فاخذ عن ابن العربى الادوزى

صادف عند رجوعه من بنى عمه الالغيين من تمخضوا عن ذلك الفحل القرم الذى لايلز معه فى قرن سيدى محمد بن عبد الله ، فلم يمكن له ان يظهر أمامه علمه ولاأن تخفق معه رايته فى ميادين الافتاء والقضاء مع اصطدامه وسنة ١٢٩٥ هـ فشغله هم المعيشة وهم الزيت والحطب عن ان يتطاول الى المجاراة فى الميدان وكانت فيه ليونة ورضا بالموجود ورمى الرسن على كاهل القدر ، وترك السفينة تترامى بها الرياح كيف شاءت ، فاكتفى بأن تكون له صحبة مع ابناء عمه الالغيين ، فكان يفد كثيرا اليهم ويزور الصالحين والشيخ الالغى وهو مشتمل بثياب المسكنة غير حافل بادوات المعالى ، ولا بالتظاهر بمظاهر العلماء ولاباتخاذ شارتهم فى اللباس على العادة بل كان من لايعرف الحقائق ولايتجاوز القشور الى اللباب ، يظنه ممن ليس لهم نصيب من العلوم مع أنه ـ كما قال العم ـ يدا جوالة فى الفقهيات والنوازل ، والعربية وكل الفنون التى تعاطاها ولكنه اراح نفسه وأوى الى اراحة فكره فهذا يراعه ، فقلما يجول

ظاهرافى ميادين العلوم الالماما فى فتوى اوفى حكم فى القضايا الصغيرة

هذه هى حاله كما حكى العم ابراهيم حفظه الله . أقول ان الناس اصناف قديما وحديثا فكثيرا ما نرى اناسا على هذه الاوصاف لم يحملهم عليها بخل ولا جبن وانما هى جبلة خلقوا عليها، وترى اناسا آخرين أرجلهم فى الثرى وهممهم فى الثريا ، فبينما ترى بعض الناس يقول :

وقائلة لم عرتك الهمو م وامرك ممتثل فى الامم
فقلت ذرينى على حالتى فان الهموم بقدر الهمم

اذا بآخر يقول :

وقائلة مالى أراك مجانبا أمورا وفيها للتجارة مربح
فقلت لها مالى بربحك حاجة فانا اناس بالسلامة نفرح

ويقول :

خبز وماء وظل ذاك النعيم الاجل
جحدت نعمة ربى ان قلت انى مقل

على ان العاقل يعرف الصدف من الدر ، وان جلى الصدف حتى صار براقا وصدى الدر حتى استعار من لون الفحم الحالك

لئن كان فى لبس الفتى شرف له فما السيف الا غمده والعمائل

وقد شارط صاحب الترجمة حينا فى مسجد أيت الطالب يعزى فى تاجاجت وفى مسجد تارمست باد بنيران ، ولم يعرف انه شارط فى غيرهما

وممن أخذ عنه ولده الاستاذ على بن صالح الاتى ذكره ، فمن عنده تلقى البذرة الاولى من المعارف كما اقتبس منه وراثة كثيرا من احواله كما سترى

وحكى عنه ولده هذا أنه كثيرا ماينشد ، بعد ما ابتلى بالاولاد وأرغم بسببهم أن يضارب فى كل ناحية طلبا للمعاش وان يقايض فى كل سوق :

لقد كنت قبل اليوم بازا محررا اروح واغدو حيثما ظهر الصيد
ولما أراد الله محنة عبده أتاح له النزويج فامتحن العبد

ذلك هو الفقيه سيدى صالح بن أحمد الذى كان اكبر سنا من الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله ، ولكن الهمم فرقت بين مقاميهما

ولم أجد الانسان الا ابن نفسه فمن كان ارقى همة كان أكبرا
فلم يتأخر من أراد تقدما ولم يتقدم من أراد تأخرا

وقد خلف ولدين الاستاذ صالحا ، ومحمدا الذى فقد منذ ١٣٤٥ هـ ولم يدر احى أم ميت ؟

الحاج بلقاسم الزاوي الالغى

١٢٨٠ = ١٣٥٠ هـ

نسبه :

الحاج بلقاسم بن عبدالله بن بلقاسم بن محمد بن احمد بن على بن احمد بن عبدالله بن سعيد

رجل عابد يوثر عنه من الاخبار بالمغيبات والفراسات غرائب فمن قائل انه توصل بجفر فمنه يستقى الانباء التي يخبربها عن الانقلابات التى اخبر فصدق فيها ، ومن قائل انذلك من عند نفسه وأنروحه هي التى تستمد ذلك بنفسها جبلة امثاله من المحدثين ـ كما فى الحديث ـ (قد كان فيما كان قبلكم محدثون فانكان فيكم فعمر) على أنه كان يخبأ حالته هذه ممن يعرف انه لايصدق بها ، ولايقول باربابها ، وقد كانالرئيس احمد بنالحاج ابراهيم الايفشانى ممن يرسل اليه ويساله فيفضى اليه ببعض ماينطوى عليه ، وهوعلى كل حال محمول عند المنصفين على الصدق والخير وأنذلك انما يعتريه كما يعترى كل من يهتم بهمن الروحانيين الرياضيين ، وامانا فلم أعرفه ولم أكن من حاله هذه على يقين الاأننى اسمع مايقال عنه وانا أحسن به وبامثاله خيرا لان الناس أصناف وأجناس ، وحسن الظن بالناس منجاة للمستبرىء لدينه وخصوصا مثل صاحب الترجمة الذى سترى لهمايبين به أنله دينا متينا ،وحالا ثابتة ولا تكون تلك الاحوال للممخرقين الذين يقصدون التلاعب بالعقول ولا للمشعوذين الذين لهم فى ذلك حاجة فى نفس يعقوب

افتتح الحروف الهجائية على العادة المستمرة على بعض أساتذة المسجد فى قرية الزاوية ، فلازم الى ان أظلت مسغبة ١٢٩٥ هـ فالتحق بتامانارت فكان فى قرية القصبة هناك يرعى الغنم نهارا ، ويكتب لوحته ليلا ثم يستظهرها فى المرعى وراء سائمته ، وهى همة يجب ان يرتفع له بهاشان فى التاريخ ثم لمارجع الاستاذ محمد بن عبد الله من المدرسة البومروانية الى الغ وأسس المدرسة كان ممن انحاش اليه من اليتامى والارامل وغرباء الطلبة فاضافه الاستاذ الى أهله لفقده والديه معا فى تلك المسغبة ولم يكن بينهما الا اسبوع فبقى يتيما حتى سبق له من الاستاذ والدثان ثم بعدان ختم ـ١٨ـ ختمة فى القرآن وهو بعد لم يتقن حفظه لبلادة فيه ، امره الاستاذ ان يفتتح المبادىء العلمية واخذ عليه عهدا ان لايفارق الصف الاول فى الصلاة وان لايفوته الحزب الراتب فبقى على هذا

العهد طوال حياته ، وقلما يخرج عن هذه الحالة الا مضطرا ، فجود بذلك حفظ القرآن ثم بعد أن جال فى متون المبادىء وفى متون أهل المرتبة الثانية ، وقد مر بابن عاشر والرسالة ، وربع العبادات فى المختصر والالفية ، اخترمت المنون الاستاذ فانتقل مع رفيقه السيد باولا الآتى ذكره الى مدرسة (موزايت) عند الاستاذ سيدى محمد بن عمرو البعقيلى فاخذا عنه الحساب والفرائض أخذا جيدا ثم انتقلا أيضا الى مدرسة تاهالا عند الاستاذ سيدى على الاسكارى ، ثم لم يلبثا أن رجعا الى الغ فتوجه صاحب الترجمة مع الشيخ الالغى الى اداء فريضة الحج سنة ١٣٠٥ هـ ثم كر ثانيا لشكه فى الحجة الاولى حين لم يحتط بالوقوف ثانيا كما فعل الشيخ حين لم يثبت الهلال كل الثبوت فى الوقفة الاولى ، وقد ثار حول ذلك ما ثار فى الغ من الفتاوى بعد الرجوع ، وللاستبراء من هذا الريب وللاحتياط أعاد صاحب الترجمة حجته ، وذلك مايدل على تدينه ومخالطة بشاشة الايمان شغاف قلبه ، وهل يحتاط لدينه الامن كان مومنا حق الايمان ؟

ثم التحق بشيخ المريدين فى الصحراء الامام ماء العينين فاستشاره فى المجاوزة الى السودان فاشار عليه بالمكث فى الصحراء فصار يشارط عند بعض الاعراب ، ويسمى السالك يعلم اولاده أربع سنوات متوالية ، فكان يقايض فى التجارة بما نض فى يده من أجرة المشارطة فتحصل له بعد تلك السنوات الفاريال وذلك مال عظيم فى ذلك الحين ، وفى تلك البيئة ، فحينئذ قوض خيامه من الصحراء فاقبل الى مسقط رأسه بوجه مشرق ونفس مطمئنة وهو يشكر الخطوة التى خطاها الى الشيخ الصحراوى المذكور الذى وجد لاشارته بركة ، وهل يخيب ابدا من يستشير ؟ فكان شيخه الذى تبرك به لانه اتخذه شيخ طريقة

ثم استرد من أملاكه ماكان مرهونا فظهرت له حالة حسنة وعدالة مشهورة فصار هو كاتب الرسوم فى قرية الزاوية يندبه الاستاذ على بن عبد الله كبير القرية لذلك، ثم استشار الشيخ الالغى فى التزوج فامره بالتريث وفى يوم بعد سنة لاقاه الشيخ فى طريق (والكوت) فقال له ان الزوجة قد تيسرت لك فزوجه بابنة اخت من اخواته كانت تايمت من زوج قبل ، ثم لما بلغ اولاده ابان التعلم صار يشارط ليؤدى لهم ماعليه نحوهم فشارط فى مسجد (ايسيل اوزامور) وفى (أدوز) من آيت همان بمجاط وفى (اكماض اوساكا) من (آيت ايزليتن) بمجاط أيضا وفى (تيبيوت) بالغ وفى (تيزورزين) من آيت وفقا وفى مسجد (مومتول) من كرامة ، فهذه هى المساجد التى تقلب فيها مع اولاده يعلمهم

مكانته العلمية

سمعت ما أخذه من المعلوم ، وعن المدارس التى تقلب فيها ، ولكنه فى الحقيقة ضعيف النزع الافى الفرائض والحساب والتوثيق ، فان له فيها يدا حسنة واللحن كثير فى مخطوطاته ، وهو مع اقباله على المطالعة فى بعض الاحيان لايطالع

الا الكتب الصوفية والفقهية وما اليها لا (الادبية) وقد وقفت له على هذه الرسالة التى كتبها الى ولده سيدى محمد ، فلنعرضها عليك لترى منزلته فى التعبير:

«سلام الله مع الرحمة والبركة ، وبعد فلازائد الا الخير والحمد لله والشكر سوى كثرة غربتك عنا ، ولكن من يطلب العلم لايكون غريبا وطالب العلم أفضل من غيره دائما وغربته أفضل غربة

ساطلب علما او اموت ببلدة يقل بها قطر الدموع على قبرى

ولله در القائل أيضا :

العلم أفضل مايفنى الزمان به والعلم أفضل ما أوعيت من زاد

ولكن العلم لايدرك الا بالادب والتقوى ، رزقك الله الادب والتقوى ورزقك الله علم الاستعمال وأسال عن كتب القراءة لتشترى بمراكش او فاس اوالدار البيضاء ، وأرسل نحتل فى قيمتها ا نشاء الله ، سهل الله علينا وعليك وعلى جميع الاشياخ والاحباب أمر الدين والدنيا والاخرة ووسع عليك فى جميع الامور دينا ودنيا واخرى ورضانا أمامك ووراءك ان شاء الله وأيضا فان أمك وأخواتك على السلامة والعافية فلله الحمد ، والحسن يقرأ عندى والحسين مازال فى لوحته لقلة همته ، ولكن فى نيتى ان ارسله الى العلم ان شاء الله متى أخرج هذه السلكة وأوصيك ونفسى بتقوى الله العظيم ، والصلاة فى أوقاتها فى الصف الاول والسلام»

هذه هى الرسالة وفيها تفهم نواح من نفسية صاحب الترجمة التى كل همها فى تهذيب اولاده وتعليمهم ، ولايقول كما يقول الجهلة أريدهم لمعاونتى فى أمور دنياى لانه يعلم ان على من يربى ان يلحظ مستقبل ابنائه قبل ان يلحظ انتفاعه هو بهم

على ان شهرة الحاج بلقاسم فى الغ لم تكن الا بما يصدر منه فينات من التنبآت التى تصادف ، وانما ذكرنا هذه الناحية العلمية لكونها موجودة على الحقيقة كماترى ، وماكان أمثاله ليظهروا بهذه الصبابة العلمية ازاء أولئك الفطاحل ابناء عمه وماكان أحد ليقصده من أجلها ويذر البحور الزواخر

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

اخلاقه

كان رحمه الله ممن حببت اليه العبادة والانزواء عن الناس مالم يتداخل فى خصومة حول ملك من املاكه ، فانه حينئذ يهاجم ويدافع بكل مايقدر عليه حتى اشتهر فى هذا الميدان بانه صخر جاس لايلين لماضغ ثم هو فى ذلك لايحترم أحدا فى ميدان هذا الدفاع ويرى الحق فوق كل ذى وجاهة ، وقد أخبرت انـــه

ربماقاوم الاستاذ الجليل سيدى على بن عبد الله حول شيء من ذلك حتى ينظر اليه الاستاذ شزرا ، ولكن لسلامة الصدور سرعان مايلتئم مابينهما وكان الاستاذ سيدى الطاهر الافراني كثيرا مايوصى صاحب الترجمة بان لايقف امثال هذه المواقف امام الاستاذ ابن عبدالله وكان هو أيضا كثيرا مايذكر مكانة الاستاذ ولكن اذا احتدم الغضب وانتشبت البراثن ، يفلت زمام عواطفه من يده ، هذا كل ما يعرف عنه فيه مثل هذا ، واما سوى ذلك فانه في واد والناس في واد آخر، وحكى عنه انه لم يملك في داره بندقية قط مع ان المرابطين كلهم قد أولعوا بها للدفاع عن انفسهم ، وان كانوا لايجدون بها ولايغنون فالمرابطى متى فارق عكازته وسبحته أوكتابه ان كان اهل الكتاب ، فقدورط نفسه فيما لايعاونه عليه قلبه المائع بين العفاريت النفاريت من المجاطيين والبعقيليين والحربيليين الذين لايحسبون لمرابطى الغ حسابا وان تسلح بكل سلاح الدنيا فان احترموا منهم من احترموا فانما احترموا عكازته وسبحته ، اوكتابه ومكانته في الدين فما تجدى حينئذ بندقية المرابط التى لايحسبها احد من هؤلاء الا كالمغزل في يد الغزالة

خلق الله للحروب رجالا ورجالا لقصعة من ثريد

فكان هذا هو الذى رآه الحاج بلقاسم فتنكب تملك السلاح فقد اخبرت انه وقعت يوما هيعة في الغ فتسلح مغاوير المرابطين فاقبلوا يشتدون نحو الهيعة كانهم امثال القائل :

كنا اذ ما أتانا خائف فزع كان الجواب له قرع الظنابيب (١)

ولكن سرعان ماغلب الخلق على التخلق ، فجاءهم شاب واحد كما راهق من مجاط ، فصاح عليهم صيحة عنترية فاذا بهم مبع في مبع ؛ فجردهم من السلاح واحدا واحدا ثم ساق بعضهم أمامه ماسورين ، فلماذا لايشترى امثال هؤلاء بثمن البندقية مايجديهم في معاشهم نفعا فلله در صاحب الترجمة فما أعقله ، وحكى لى أيضا انه ماارتكب قط هذا البيع الذى يطلق عليه الرهن ويدل ذلك على ورعه لانه لايرتكبه الاأحد رجلين من يستهين بأمر الربا ويعده هينا وهو عند الله عظيم حتى أعلن الله بالمحاربة على مرتكبيه ، أومن اضطر اليه ولم يجد منه مناصا كالشيخ الالغى الذى اعرض عنه في اول عمره حتى اضطر اليه ، ثم احتاط في ايفاء الثمن بالدراهم نفسها ، أو بالحبوب بثمنها الحاضر فلئن صدق من حدثنى عن صاحب الترجمة أنه لايرتكب هذا البيع ، فانه حينئذ على جانب غير قليل من الورع ،ولايتورع الاالمراقبون الله في كل لحظة ، وهل يكون ورعا الامن عمر قلبه بتقوى الله عز وجل

---

١)الظنبوب اعلى الساق وذلك كناية عن تشمير الثياب عن السوق للاسراع الى الاغاثة

كان رحمه الله ذابركة فى يده ، فيقصده الناس للرقى والتمائم ، وقد كانت حالته المالية تجعله من المستورين المكفيين القانعين ، وكان الرئيس احمد ابن الحاج ابراهيم يتفقده أحيانا ، وقد أرسل اليه فى بعض المساغب ، فناوله دراهم غير قليلة فلما انقطعت المسغبة ردها الحاج بلقاسم ظانا أنها سلف فقال له احمد كلا ! ليست بسلف وانما هى اعانة خاصة منى اليك لكيلا تحتاج الى غيرى رحمه الله وجعله فى أعلى عليين ، وأنا لم اعرف هذا السيد ولكن هذه هى الاخبار التى بلغتنى عنه

وقد أعقب من الاولاد الذين اعرفهم محمدا والحسن والحسين واحمد وعليا، وسنرى من يستحق منهم الذكر لما عنده فى ميدان المعارف

سيدى عبد الله بن محمد باولا

= ١٢٨٥ هـ = ٧-٥-١٣٤٥ هـ =

نسبه :

عبد الله بن محمد بن عبدالله بن محمد بن صالح بن عبدالله بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا هو رفيق الحاج بلقاسم المتقدم وقرينه ، وقد نشآ معا فى قرية واحدة ودرسا درسا واحدا ومقياسهما فى المعلومات متقارب ، وقد رايت حال ذاك غريبا فى منزعه، وفى الذى اشتهر به بين الناس من الفراسات فى التنبآت ، وسترى حال هذا أغرب كأن هذا الشذوذ منهما هو الذى جمع بينهما - وشبه الشيء منجذب اليه-

« إن الطيور على ألافها تقع »

رأى بعض الناس مرة غرابا وحمامة متحاذيين هويا وطلوعا ، فطال تعجبه واستغرب اجتماعهما ، ثم انهما نزلا الى الارض فاذا بكل واحدمنهما اعرج ، فادرك -اذن- ما الجامع بينهما

حفظ القرآن واخذ بعض المبادىء على يد الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله الذى آواه اليه كرفيقه المتقدم لفقدان اهله ايضا فى تلك المسغبة سنة ١٢٩٥هـ فشب ونشأوتعلم ماقدر له تحت كنفه ثم بعدوفاته جال مع رفيقه فى المدارس التى ذكرناها ، ثم أوى الى قريته فحبب اليه الانقباض والعبادة ، والاعراض عن كل مايشغل، حتى انه لم يتزوج فى حياته الا أخيرا ، وكان غريب الاطوار لايابه بنفسه ولاباستجداد لباسه فلايزال عليه قميص غليظ من الصوف وخنيف (١) يزداد دائما اسودادا بما يتراكم عليه وربما يتزيا بهيأة النساء ويلتحف بملاحفهن كانه من الملامتيين الذين يذكرهم الشعرانى والنبهانى والكتانى فى كتبهم المشهورة

كان اولا يحترف بيده ، وقد استرد بعض املاكه مرهونة فيتتبع حمارة له فى أشغاله وفى أسفاره ثم اعرض عن ذلك فصار يزارع فى حقوله وهو فى داره لايخرج الا الى المسجد حيث لايفوته الصف ثم ينزج فى داره وكان له فى

١) كلمة عربية : الثوب الغليظ

الرمضانات خلوات تذكر ٠

تزوج اخيرا ولكن لم يرزق عقبا فمات عن غيروارث الا عصبته من بنـى أعمامه ، فوجدت له وصيته بثلث جائز ماله للمسجد فنفذها الاستاذ على بـن عبد الله

وأما معلوماته فقد كانت أولا لم ترسخ فيه ملكتها ، ثـم باعراضه عنها وعدم مذاكرته بها لم يبق له الامايحتاج اليه هو فى نفسه ، وشهرته فى الـنـغ ونواحيه انما كانت بهذه الاحوال الغريبة التى دام عليها من الاخبات والانابة وكثرة العبادة والعزلة التامة ، فكونت حوله هالة وقف الناس ازاءها طرائق قددا ، فمن قائل ولى من اولياء الله ، سلك سبيل التجريد فالقى هذا العالم كله وراء فاقبل على اصلاح معاده ، ومن قائل ان الجن استهواه فانس به ففر من الانس ولكن العقلاء مع الاولين ، ثم يقولون لانزكى على الله احدا فيفوضون امره لله

واشتهر أيضا بتطبب يتعاطاه ظهر فيمن يداويهم اويدلهم على دواء شفاء عاجل ، فمال اليه الناس بسبب ذلك من الغ ومن جيران الغ والناس لايميلون الا الى من ينتفعون به ولو من ناحية من النواحى

هذا ما استقيته من الافواه ، واخذته وتحصل عندى عنه ، بعد تمحيص لاننى لم اعرفه وان كان ابن قربتى ، لاننى فى صغرى ماكنت أعدو دارنا وفناءها أنا واخوتى ، لان والدنا لايريد أن نخالط غيرنا فى تلك السن ، ثم لما شدت يدى أزرتى وصرت اخا القوم واستغنى عن المسح شاربى كانت الحمراء وما وراءها مراتعى التى

عرفت هواها قبل ان أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكـنا

فانى أعرف من يخالطون الناس من قريتى، فضلا عن المنزوين كصاحب الترجمة؟

ايها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيـان
هى شامية اذا ما استقلـت وسهيل اذا استقل يمانى

ثم انه رحمه الله آخر من بقى من عقب سيدى محمد بن صالح بن عبدالله فلم يبق من آله احد بعده والبقاء لله

احمد بن محمد بن عبد الله

= ١٢٩٢ هـ = ١٣١٣ هـ =

نسبه :

احمد بن محمد بن عبدالله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبدالله ابن احمد بن عبد الله بن سعيد

شاب نجيب كان طلع فى سماوات العلوم هلالا وافترت عنه رياض المعارف زهرة ذكية، وبدا بين اترابه فى المدرسة الالغية وبين شبان الاسرة الصالحية مثال الذكاء والنبوغ بفهم لايفل حده وبذكاء متوقد لاتخبوناره ثم جاء الدهر الموكل من قديم بالتقاط الخيار المعهود عنه انه يتسلط على افلاذ اكباد الاسر فاعتبطه وهو كما استوفى عقدين فاقذى بشكله اعمامه وارمض كبد جده الحاج عبد الله الذين كانوا يتوسمون منه خلفا لوالده الاستاذ محمد بن عبدالله وينظرون اليه بين أيديهم قرة عين فياللهلكثيرمن الشبان الذين يفجعهم الموت فى انفسهم وهم فى فجر الحياة ، ويلوى بهم وبآمالهم وهم كما ابتسموا للحياة وابتسمت لهم بثغور معسولة براقة

كان اخذ القرآن عن سيدى سعيد بن عبد المومن كاخوته فى مسجد القرية ثم ألحقه اهله فى رفقة سيدى البشير بن المدنى الناصرى بالاستاذ سيدى محمد ابن الحسن الماسى ، وهو اذذاك فى مسجد قرية (اغبالو) بماسة وذلك نحو ١٣٠٧ هـ ثم اعتنق المبادىء فى المدرسة الايغشانية عند الاستاذ سيدى العربى الساموكنى فكان يشدد عليه حتى قمص يوما من عنده الى مدرسة من (ايلالن) ففرق عمه الطلبة فى البلدان يفتشون عنه الى ان أخبر به هناك ، فارسل اليه فلازم المدرسة الالغية فسرعان مانبغ وظهرت له همة وطموح فلم تمض الا سنوات قليلة حتى صار يعين عمه الاستاذ على بن عبدالله فى طائفة من المبتدئين منهم صنوه الاستاذ شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ، فقد أخبرنى انه على يده خطا الخطوة الاولى ، فحفظ متونا ويحكى عنه جدا فى ذلك حتى انه ليحكى نادرة وقعت بينهما وقد اجفل شيخنا مما يلاقيه منه ، ثم لم تكن سنة ١٣١٣ هـ حتى سقط مريضا فلحق بوالده فبكى الناس على شبابه النضر ونجابته الفذة لمارأوه فيه من فلو يظهر من شياته ومن عينيه ومن استواء عضلاته ومن شباب (١) مرحه

---

١) الشباب بالكسر وقوف الفرس على رجليه الاخيرتين ورفع يديه مرحا. واليعبوب الفرس السريع الطويل والفلوكعدووسمو الصغير من الخيل

انه سيستحيل يعبوبا لايسبق فى الميدان ولايطمع انيشق فيه لهغبار ، وقد اودع شيخنا الافرانى تلك اللوعة التى اججها فى الافئدة اذذاك فى هذهالقصيدة النونية التى ارسلها مع النثر وراءها الى عمه الاستاذ على بن عبد الله ، وهىمن افضل المراثى الطاهرية

الهوا وما طرف الخطوب بوسنان وامنا ومادب المنية بالوانى ؟
وتفرح بالامال والدهر مولـــع بتنغيض لذات وتشتيت اخوان
تنام الى الايام جهـلا بانها وان اظهرت صفو الهوى ذاتالوان
كانك ما تدرى بـأن ودادها وان راق ممزوج بخدعة خوان
فكم ذى سرور جرعته ندامة فاضحى بلا خمر بحالة نشوان
يبيت بعيش لايطـار غرابـه ويصبح من هول الرزية فى شان
وكيف أمان المرء والدهر شارع سهام ردى تزرى بصعدة مران(١)
وماهو الا عرضة يرتمى بها فان فاته سهم تلقاه سهمان
وان الفتى من لم يزل متترسا بجنة حزم لايرى غير يقظان
يعد لما ياتى به الدهر عدة من الصبر لايثنى عرى عزمه ثان
يصادم جند الحادثات بهمـة اذا قارعت ذابت لها صم صفوان
وانى وان كان التجلد عادة لنفسى معتادا له منذ ازمان
لقد هد ركن الصبر منى حادث اتى دون فرد ماله فى العلا ثان
فاودعه بطن الضريح وما رعى له قدر مجد قد سما فوق كيوان
وعفر خدا صفحة البدر دونه وذاتا تردت كل حسن واحسان
وهال ترابا يالها من رزية على جسد من وابل الفضل ريان
وغال هلال السعد عند كماله واردى-وقدكان استوى- غصنالبان
ومال على ذاك الشباب ومارثـــى واخرج ذاكالروح منسلك جثمان
فاظلم جو الفضل من حين فقده وبدل عرفان الوفـود بنكران
وصوح نبت المكرمات واجنحت رسوم العلا بعد الكمال لنقصان
وادبر انس الدهر واغبر جنحـــه واغرى بهم لايـزول واحزان
فما بالبقا من بعد احمد غبطة وما العيش الا والمنية سيان
فيا خاطرى من بعده واصل الاسى وياعين سحى وابل المدمع القانى
فقد حل فى تلك الرزية والاسى على قدر عظم الرزء هجران سلوان
وان قليلا للفتى شق قلبه على مثله لاشق صوف وكتان
فلو نحت طول العمر نوح متـمم وجاريت ورقاء على ذات افنان
لما بلغت نفسى من الوجد حقـــه فمالى لاابكى على جهد امكـــان
فلا تلحنى فيه فـان بفقده تزلزل من صرح الهدى كل اركان

١) الصعدة بالفتح: القناةالمستويةالمستقيمة، والمران كالرمان: الرماح اللدنة فى صلابة

فوا أحمدا وامن تسعر بعده من الوجد فى الاحشاء لاعج نيران
ويا احمدا يامن مضى لسبيله وما سودت عرضا له سود ادران
ويا باذلا مكنون درة عمره على الخير ما ان قط دنس بالران
حييت حياة ماتيسر مثلها لغيرك فى تطلاب علم وقرآن
وناداك من تلقاء ربك رحمة فلبيته داع لفوز ورضوان
وسرت لما قدمت تجنى ثماره هنيئا مريئا بين حور وولدان
تخلصت من اشراك دنيا همومها مواصلة ما ان بها راحة العانى
وخلفت وجدا لايريم وعبرة تسيل وقلبا لايرى غير حيران
وغبت فما فى العيش بعدك راحة ولكن غدا ذكراك روحى وريحان
فوالله ما انساك ما ناح صادح وما لاح فى جوالسماء السماكان

* * *

الا ياامام الدين يامن وجوده بديل بحمد الله فى كل مافانى
وياجبلا ما ان يميل تجلدا على نائبات الدهر للحادث الجانى
ويا من رسا فى طينة العبد عهده يزيد بعظم الرزء قوة ايمان
تعز رجاء للثواب ولا تكن جزوعا فما بالعيش متع الفان
فما فى الورى طرا مصاب بمثلما اصيبت به من كل شيب وشبان
ولكن على قدر المصيبة اجرها ومن فاته يظفر بصفقة خسران
وانت الذى تنهى عن الحزن اهله وعلمك يستهدى به كل انسان
وانت خبير بالزمان فصرفه سرور وحزن ما توالى الجديدان
ومن قبل ماقد قيل بيت مخفف على كل محرور الجوانح حران
«وما الدهر الا هكذا فاصطبر له رزية مال او تفرق خلان»
فمن بعد ذا فاغنم ثواب مصيبة بارأف أم ذات بر وتحنان
فيالك من اجرين فى ضمن محنة وكم محنة فى طى منحة ربانى
وقد هز ركن المجد بل ثل عرشه مصابك من رزءين مرين فى آن
فصبرا فما فضل اللجين سوى لما تضمن من صبر على حر نيران
وفى فقد خير الخلق افضل سلوة لكل فتى عن كل ذى النأى والوانى
فكل مصاب دونه فهو هين لدى كل ذى لب رصين وعرفان
عليه صلاة الله والغر آله واصحابه ما سار بدر بحسبان

سيدى الذى مازال فيض مدده السارى من عين معينه يمتد الجارى ، على تعدد الوارد يروى ، وواصل النسيم ابن الارج ، عن البشير ابن الفرج عن ثابت حسن خلقه يروى.من أدلى ببراحسانه دلوى،ولااعرج اكتفاء به على الغير ولاالوى. سيدى ومولاى . والممتن بعد الله بجملة الائى . شيخنا بدر الدنيا والدين. وأسوة المتقدمين.ادام الله لذلك المقام عادة بره.وبارك للامة فى ساري سره.وعلى تلك الساحة ، التى خيراتها مباحة :

سلام يناجي الانف منزهره عرف فلاسمع الا ود لو انه انف

هذا والعبد مدظمت تلك الطامة الكبرى ، واودعت من اودعته قبرا ، ممن لايطيق احد الا بتاييد الله على مثله صبرا ، قدصارممن طعن فى تلك الصدمة. وصرع فى تلك الحومة ، حتى مايدرى مايأتى ومايذر ، وصار غالب ماينطق به بعد من الهذر ، وكان يحاول ان يقول فيها فلايسعده المقال ، مما أدرك اللسان منحابس الاعتقال فعاقه عن الدب فضلا عن الارقال ، فحين انجلت بعض تلك الحرقة ، وانقشع قليلا سحاب تلك الصعقة ، تكلف مرثية تفى بأداء البعضمن دين ذلك الفوض؛ لاحملا لسيدى على العزاء، ولاتذكيراله بمافى الصبر منالجزاء، فانه هو المتولى لذلك ، والمبصر فى تلك المسالك ، بل نفثة من المصدور ؛ واطفاء لماحصل منار الحزن فى الصدور ، والمرجو من سيدى قبولها على علاتها،واغتفار زلاتها ؛ فهى جهد المقل ، ومقدور المرمل، ونسال منسيدى دوام الرعاية،والدعاء بنجحالسعاية. والصفح عن التقصير ، والنظر لعيب العبد بطرف حسير ، وكتب مقبلاتلك الراحة ، معفرا خد التذلل فى تلك الساحة ، ابنكم الضعيف الطاهر امنه الله

البشير بن الطيب السليمانى

= ١٣٠٨ هـ = ٢٧-٢-١٣٤٧هـ =

نسبه :

البشير بن الطيب بن احمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

شاب انتدب للتعلم منذ ميطت عنه التمائم ، الى ان نيطت به العمائم فحصل تحصيلا كثيرا ، وبذ كثيرا من اترابه فى ميدان المعارف بالارتواء من مختلف الفنون وهو من الرعيل الثالث الذى نشأ بالغ بعد الرعيل الثانى الذى على راس طبقته شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ، وبعد الرعيل الاول الذى على راس طبقته الاستاذ سيدى على بن عبد الله ، وجد صاحب الترجمة هو سيدى سليمان الذى قرأت ترجمته ، وهوابن عمتنا خديجة بنت أحمد، فوالدى الشيخ خاله ولذلك اعتنى به وبأخيه سيدى موسى الاتى حتى قرءافكان يعينهمابالكتب وبكل شيء

اخذ القرءان فى مسجد القرية عن سيدى محمد بن على الاكمرى ثم عن سيدى أحمدبن بلقاسم من أبناءأعمامه وهو المشهور بسيدى احمد بن بلقاسم- على عادة الناس فى نحت الاسماء ثم افتتح المبادىء على يد صنوهالفقيه سيدى موسى وهواذذاك يستتم دراسته فى المدرسة الالفية التى كان سيدى بلقاسم التاجارمونتى أستاذها الذى يدير الدروس العليا ، وينتصدر كبار الطلبة للمبتدئين كسيدى موسى هذا، وكان وقت افتتاحه للمبادىء بعد١٣٢٠هـ ثم التحق بالمدرسة الادائية عند الاستاذ شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ، فتقدم به فى الفنون وتدرب على يديه ونجب ، ولايزال معه حتى تخرج به وهو أستاذه الوحيدعلى الحقيقة ، وقدرابط فى حين آخر فى المدرسة الالفية اثناء ذلك سنة ١٣٢٧ هـ حين فارق استاذه مدرسة (اداى) ثم التحق به أيضا حين شارط سنة ١٣٢٨هـ فى المدرسة الايقشانية فلازمه فيها حتى فارقهاالاستاذ آخر زمن أخذه ، وقدكنت صاحبته هنالك نحو ثلاث سنوات فعرفت من ادراكه واخلاقه ماأجهله من اخرين اقرانه

مدارکه

كان هنالك معنا فى المدرسة نجباء من قدماء تلاميذ استاذنا صاحب الترجمة

والاستاذ ابن العم سيدى عبدالله بن ابراهيم وسيدى صالح بن أحمد ، وسيدى احمد بن مسعود التيبيوتى وسيدى مبارك بن محمد الانامرى الايغشانى الذى أخذ قبل أستاذنا عن آخرين فكانوا يمثلون النجابة التامة ، فاكبوا على الدروس العليا فكنا ونحن صغار ننظر الى مقاماتهم العليا ، نظرنا الى نجوم السماء فكنا نستحيى منهم ، وننتبذ عنهم بالعابنا الاانانجد من سيدى البشير بشاشة ومداعبة نزيهة لطيفة ، لانجدها عند آخرين فكان الينا أقرب وكنا ربما نسأله عن اعرابات فيفيدنا بملاطفة وموانسة ، وربما نجتمع اليه ، فيلقى علينا مما يمتحننا به ما لانستحيى أمامه ان توقفنا فيه لانه يعلمنا اياه بسرعة ، ذلك ماعلمناه منه اذذاك ، ومادعانا الى ان نجعله على رأس أقراننا اولئك ثم لامضت سنوات وقد شدوت كنت متى جئت الى الغ من مدرسة افران ، أجتمع معه كثيرا فيفيدني فوائد جمة ، لاأزال استحضر بعضها منها انه سالني مرة عن اعراب هذه الاية (ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربى ان يوتينى خيرا من جنتك) فنفذت في بعض الآية وكبوت دون سائرها ، فمما توقف به حمارى في العقبة (أنا أقل) فكدت أذوب خجلا لو كنت أمام غيره ولكنى بما تأصل بيننا من مؤانسة لم أزد على ان أخذت بتلابيبه ليريني ماتوقفت فيه ثم بعد تأب منه وتمنع ـ مباسطة منه ـ علمني فاحسن تعليمي

ومما لاازال أستحضر أنه سالني ـ وقد جالسته على الحجر المجعول دكة صغيرة عن يمين من خرج من زاويتنا صباح يوم قبل الشروق ـ عن الفجر ايصلى في ذلك الوقت قبل صلاة الصبح ام لا ؟ فقلت له نعم يصلى مادام الوقت متسعا لادراك ركعة من الصبح فقال حقا هذا هو المشهور ، ولكن المسألة فيها خلاف في المذهب فهناك من قال لايصلى الفجر بعد الاسفار ولوقبل صلاة الصبح وقد ذكر الزرقاني هذا الخلاف . هذا ما أستحضره كماهو مما أفادني رحمه الله ، وكانت هذه عادته متى تلاقى مع مبتدئين امثالى ولكنه يفعل ذلك بلطف ومباسطة لابعنف وعنجهية ، كما يفعله آخرون ، فقد حكى لى سيدى بلقاسم السليماني أنه كان معه يوما هو والنجيب الحسين بن أحمد بالطريق الى الغ من الاخصاص وقد توجهوا لامضاء رخصة العواشر عند أهاليهم فكان في الطريق كله يشغلهم بالمسائل ، ويحفظ أبيات نادرة يلقيها عليهم ويلزمهم باستظهارها فانشد لى مما حفظوه عنه ذلك اليوم ، قول ابن باجة الاندلسى :

أسكان نعمان الاراك تيقنوا بانكم في ربع قلبى سكان
ودوموا على حفظ الوداد فطالما بلينا بأقوام اذا استؤمنوا خانوا

ومن انشاداته ايضا :

ورب ليل شربنا الكاس صافية حمراء في وجهها تنفى التباريحا
ترى الفراش على الاكواس ساقطة كانما أبصرت فيها المصابيحا

تلك نفثات سيدى البشير ورشحات مداركه التى ترقى فيها الىدرجة عالية باتقانه للفنون ، واستحضاره للمسائل حتى كان يتنكبه المقصرون عند اجالة القداح حول بعث غامض ببحث رائض ، يعرف عنده المعلىمن المنيح لانه يتوصل بانلب ولايقنعالابه ، ان قنع غيره بالقشور

اخلاقه

رايت من ذلك انفصل ناحية منىنواحي أخلاقه التى يعامل بها من تحته ،فهى رقةوحنو وارشاد ومباسطة ولكنه معأقرانه رجل آخر لايعطى الابمقدار مايأخذ فليست نطفته مما يجلو مافى باطنها للناظرين بل كان الاحتياط هو الغالب عليه ، مع مداراة ومحاباة لاتدرى بها امعك هو ام عليك ، وذلك خلق الذيـن لايقعقع لهم بالشنان ولايواخذون على غرة ، ولكنه مع ذلك رب النكتة الـذى لايفلتها ، ولايدع فرصتها تمر من غير انيضع عليها سبابته ، مع تطاول منه الى الجولان فىميادين علماء اهل عصره ويتهيأ لذلك بتأسيس أساليب الحياة على أسس متينة، ولكن الدهر لم يساعده ويد المنون تناولته وهو كمابلغ أشده فرحمه الله رحمة واسعة ، فقد سقطت منه شجرة رأى الراؤون ثمارها تونع وقد أخبرت ان الاستاذ على بنعبد الله أرسل وراءه زفرة يوم توفى ، وقلمـا ترسل زفراته الا على نجباء الطلبة الافذاذ

تقلباتـه

فارق المدرسة الى الميدان الحيوى وكان لابدله ان يشارك فيه ، ولماكانت المشارطة هى الباب الوحيد لامثاله فى هذه البلاد الى المشاركة فى ذلك الميدان أقبل عليها ، فكان سنة ١٣٣٤ هـ والتى بعدها فى مسجد (ايغرويلولن) ثمفى مسجد (تيغرت) خمس سنين ، وقد انتشرت له شهرة علمية هناك بفض بعض النوازل وتحرير بعض الاحكام ، وكانت اخلاقه التى ذكرنا نبذة منها تؤهله لمصاقبة هذا المقام بما يليق به حتى يقول فيما حكم فيه ماظهرله منغير انيخاف ممنحكم عليهم ومخطوطاته فى تلك النوازل موجودة فى تلك الجهة ثم انتقل الى مدرسة (للاتعزى) السملالية ، وهى صالحة من احفاد سيدى وكاك توفيت سنة١٠٥٩ هـ فبعدعام فيها التحق بصنوه سيدى موسى المشارط فى مسجد (تيمولاى) السفى فتعاونا فيه ولكن نشابينهما سوء تفاهم لان لصاحب الترجمة تفوقا على أخيه الكبير وعرف التيمولائيون ذلك فيروجون انهم سيكتفون بهعن صنوه الكبير فنشأ بذلك مانشأ وكاد يخرج اثره الى الوجود لـولا ان مالـت الاقدار بسيدى البشير فارمسته بعد مرض لم يتجاوز أسبوعا فدفن هناك فـى الزاوية الدرقاوية عند قبر الرجل الصالح سيدى ابراهيم القائد،فهكذا ختمت

حياته وانطفأت جذوته ، فبقي صنوه الكبير في محله ـ مصائب قوم عند قـوم فوائد ـ

آثـار ه

انذهب سيدى البشير الثاقب الفهم النادر الذكاء السريع الاستحضار فقد ابقى بعض آثار ، تخلده فى الخالدين من بين الالغيين ، وكانيمكن له ان يجول فى الدراسة لوتيسرت له المشارطة فى المدارس التى لاتكون الـدراسة انعلمية الافيها فلوكان ذلك مقدرا لرأينا له تلاميذ ، ولكن نكتفى بآثار ما قدر له من بعض ابيات ورسائل ، سقطت الينا من حيث لانظن فاما آثاره الفقهيـة فماكنا لنتعرض لها ـ حتى لووجدناها ـ فى هذا الكتاب ، بعد ماخصصنا كتابا آخر لمثل ذلك ولكننا نضع هنا بعض ما وقعنا عليه ممايمكن قبوله من الادباء من رسائل وبعض مقطعات ندرك منها كيف قلمه

فمن ذلك رسالة كتبها الى صنوه سيدى موسى من المدرسة وهى من أولياته:

«الاديب الاريب ، والاخ النجيب نسيج وحده وفريد دهره،أخونا سيدى موسى بن الطيب، لازالت اكنافه مخضلة بكل وابل صيب ، سلام الله عليك ورحمته وبركاته

هذا فهانحن فى غاية الجد فيما نحن بصدده رزقنا الله وإياكم الظفـر بمدده ، بيد ان الحاجة قد مست الى دعائكم العميم ومنذا الذى يعين الاخ الا أخوه الحميم ؟ وأن أخباركم عنا قدانقطعت وأوصدعنها الباب ، فلارسول ولا كتاب ، وقدقيل قنع من مات بمن يجره وقيل

وللنوى لوعة تبدو فيطفئها مسك المداد وكافور القراطيس

أوأردتم ان نقتنع بما قال الشاعر :

أنا على البعاد والتفرق لنلتقى بالذكر ان لم نلتق

(انتهت الرسالة)والبيت السينى الذى ساقه هو من قطعة صدربها ابن مرج الكحل رسالة الى الاديب صفوان بن ادريس وهما معا مشهوران ، والقطعة :

يامن تبوأ فى العلياء منزلة جداه قد أسساها أى تأسيس
لم يتركا فى العلا حظاللتمس سيان هذاوهذاك ابن ادريس
وافى كتابكم فارتد لى جذلى واعتضت من فرط اشواقى بتانيس
وللنوى لوعة تبدو فيطفئهـا مسك المداد وكافور القراطيس

وكتب اليه وهى من اولياته ايضا فى الترسل

«البحر الذى لايغيضه الماتح والحبر الذى لايبلغ مدحه المادح جامع الفضائل والمحاسن ، ومظهر اسم الله الظاهر والباطـن الشهم الصادق والاخ الوامق

سيدنا وسندنا ومنبع مددنا ابوعمران سيدى موسى ابن الطيب ، لازالت اكنافه مخضلة من السلام والتحية بكل وابل صيب ، وسلام الله تعالى عليك ورحمة الله وبركاته التى لايكون لهامنتهى ، ماأجتلى الفرقدان واختفى السها

وبعد ، فان سألت فلازائد الا الخير ولله الحمد على كل خير ، غير ما بنامن نحول الجسوم بالاشتياق الى لقاء من هولهاترياق ، فالمراد من الله ثم منك ياقرة العينين أن تذكرنا بالدعاء بالعافية فى الدارين وأن تعطى لحامل الحروف الجزء الاول من التصريح ، وباب احكام الصداق من الزرقانى ، فقد مست الحاجة اليهما جدا، والشريشى لاننا وصلنا فى المقامات (الثامنةعشرة) والمختصر (أحكام الصداق) والالفية (النكرة والمعرفة) وفى التحفة (باب الضمان) ونريد أن نبتدىء الزقاقية فى قريب انشاء الله ، وخذ عمامتى منعند اخى عبد الله وأعطها للحامل ، واعذرنا فى التخلف عنزيارتكم الواجبة ، بعد قدومكم من السياحة وقد وصلنا خبركم والحمد لله على سلامتكم ويالينتا نجول كما جلتم ولكننا تمسكنابقول الشاعر

اللازمون ديارهم أشباه سكان القبور
لولا التغرب ما ارتقى در البحور الى النحور

ولكن الرضا بالقدر من هذه الفضول لابد منه ، وأعلمك باننا وكذلك شيخنا وجميع الطلبة فى سلامة وعافية ونحن فى غاية الاجتهاد والدوام على الانصبة ، نسأل الله أن يكمل لنا المقصود ، والسيد احمد بن مسعود التيبيوتى ذهب لقصد القراءة عند أخيه فى (أداى) وماأحسن ان ينشد فى حقهما قول الشاعر:

هكذا هكذا والا فلا لا طرق الجد غير طرق المزاح

وقد قصدت الينا ابيات من سيدى احمد بن محمد الساموكنى اخى سيدى العربى خسيسة المعانى ، ركيكة المبانى ولكنى اغمضت فقرظتها بقول :

يامرحبا بمن ازدهت وترنمت طربا به ورق الحمام ففنت
وبمن بمسراه البسيطة قد زهت وبنوره كل المعال تجلت
وتعطرت ارجاؤنا بعبير ما نفح النسيم لزوره اذ هبت
يا أحمد بن محمد الشهم الذى بذيوله كل البلاغة لفت
شرفتنا بنظامك اللد قد سما معنى وطيبا مثل مسك مفتت
اذ ما ظهرت فلا بلاغة تشتكى فقدا ولا تخشى سماع السبة
فالله يجزلك العطاء بمنه أبدا بامداد الرضا وتثبت
فامنن على العبد الضعيف بدعوة تفديه من كل الذنوب وزلة

وما القصد ياسيدى من كتبها ، وان لم تكن أهلا لتكتب الاان تصلح ماعثرت عليه من الخلل ، وسلم منا على الوالدين واسالهما لى الدعاء ، ولابد ان تكتب نبذة

من اخباركم واخبار الشيخ الخال رضى الله عنه وارضاه عنا والسلام»
فاجابه صنوه موسى :

«السلام والرحمة والبركة على المحب الوامق والاخ الفائق الشقيق سيدى البشير بن الطيب هدا فلازائد فى البلد ولافى السياحة الا الخير ، والوالدن لاباس عندهما وكذلك اهل الدار لاباس عندهم كافة ، وقولك فى صدر البراءة البحر مرتين ان البلاغة بعيدة من ذلك ، وقولك اعذرنا فى التخلف ، صدقت فى ذلك فانت اولى بالعذر ولكن انما يكون الامر كذلك فى بعض الاحوال لاغير ، واما ان جاء الفقيه واهل بلدك اجمعون فماوجه الجلوس ، فان كان الجلوس لزيادة شىء من حفظ او نظر فلاباس وقولك ان سيدى احمد بن مسعود ذهب الى اداى عند اخيه واستحق ان يقال فيهما كذا كذا فانظر انت أيها الاخ هذين البيتين تجد فيهما ما يشفى الغليل ويبرىء العليل وهما

اذا اعجبتك خصال امرىء فكنه تكن مثل مايعجبك
فليس على المجد والمكرما ت اذا جئتها حاجب يحجبك

وقولك ان تصلح بعضها ، فانني أرى فيهما عدم الاستقامة فى وزن بعضها فاحب منك أن تدركه بنفسك ، الا انني اريد منك تبديل هذا الشطر ، وهو (فقد اولاتخشى سماع السبة)

ونحن رجعنا من السياحة قرب حصن المنكب بقليل ، ورجعنا بخير وعلى خير والسلام»

عمدا اتيت بهذه الرسالة وجوابها ليكونا كانموذج رسائل طلبة الغ فى هذا الطور ، وهى رسالة عادية شخصية لم يقصد بها ان تكون أثرا قيما للادب ولكنها تصلح للمؤرخ

وكتب الى فى جواب رسالة بعد ان تخرج وتمكن ، وانا اذذاك فى مدرسة تانكرت:

«سيدى الذى به وحده نرجو بقاء العلم فى دار الخال ، والمجد الذى بدوت منه بوارق تدل على انه لايفيل راى صاحب هذا الخال ، من جعل بين عينيه الثريا على صغره ومن رايت من تلك الرسالة التى بعثها الى ما أتصوره عالما كبيرا فى كبره ، سيدى محمد المختار الذى أنا فى وصف مقامه اليوم وفى الغد ان شاء الله مختار ، فعليك الف الف سلام تنافح عندك ورود الكمام، بعداخفلالها برذاذ الغمام

أما بعد ، فاول ماانبهك عليه أن تتنبه لخطك فان خطك اذا كان رديئا اسرع فى حطك ؛ فقد رايت لك بعض الحروف مستقيمة ، لوتانيت عليها بتمرن لكان لخطك قيمة ،ولاتواخذنى فى هذا الانتقاد فاننى لم احمل لك فى صدرى الا كل

احترام واعتقاد ، فياطالما كررت على انانصحك ولذلك قصدت اليوم بقولى هذا ان أنصحك لان انافضحك ، ولاتقولن ايضا انخطك مثل خطى اوخطى ارقى فاننى احبلك ياابنخالى من اوج المعالى واسبابها مالاأطمع انا أن اراه افقا فقدذكروا أنمنشروطالمودة ، ومنعلاماتانالانسانانخلص لاخيه مقته ووده • أن يحب له فوق مايحبه لنفسه وان كانكل انسان طبعا لايحب الا أنيفخر جميع بنى جنسه، ولله در القائل

اذا ما أهان امرء نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

ثم ان السلهام قد توصلت به فدفعته لمن يخيطه خياطة جيدة احسن منخياطة ذلك البعمرانى الافاك الذى اعتذر بأن قرحة عطلت عن العمل يده ، فان وجدت من يخيطهناك جبتك فقدانالك اللهمنيتك وان لمتجده فارسلها لينصحها هذا النصوح ، الذى لاتعلم كفه القروح وربما تتشوف الى معنى قولى (لينصحها) وقبل ان تراجع الكلمة فى (القاموس) تميل الى رسالتى لتفضحها فاعلم انه يقال نصح الثوب ان خاطه فسرت لك ذلك وبينت لك معنى النصاحة قبل ان تتطلب ذلكمنأخيك خوف انتحاول بالتغليط افتضاحه

وبعد ، فهذا جواب رسالتك ، حبرت فيها مقالة مثل مقالتك فجعلك الله عالماكمايحبه لكمنيعرف والدك واديبا باحثا تطوق دائما بيدك خرائدك والبلد بخير وعلى خير واهلك ووالدتك ماسمعنا عن الجميع الا مايسر ، والسلام»

هذه رسالة كتبها فى عام ١٣٣٤ هـ وقد كنت ذهبت بسلهامه الى المدرسة التانكرتية للخياطة فلم يتيسر ذلك ، فكتبت اليه رسالة جمع الله بينها وبين هذه بطريق المصادفة ، فقد نسيت هذه فى محفظة لى كنت خططتها فى ورقة منها بيدى ثم تقلبت بنا احوال واحوال نسينا بها ذلك الدور ومامثلناه فيه • وفى يوم اتانى بعض الطلبة باوراق فيها رسائل فاذا برسالتى التى كتبتها الى صاحب الترجمة ، قدروى ورقها كله بزيت صارت به خضراء بل دكناء فتذكرت هذه المكاتبة التى مضى عليها نحو ربع قرن ، ثم وقعتايضاعلى تلك الورقة فى محفظتى فاجتمعت الرسالة بجوابها،بتصاريف الاقدار كما تفرقا قبلبتصاريفها وهذه هى المراسلة الوحيدة بينى وبين سيدى البشير ثم انزج فى مشارطته ولم انشب أنا أيضا ان اعملت الركاب الى رحلتى الكبرى •

ورسالتى التى كتبتها الىهذا السيد قليلة الجدوى ،ولكنه لاباس أن آتى بها لتبقى كانموذج لترسل الالغيين الابتدائى ، نصها :

«أزكى السلام على من القت اليه الانام ، يد استسلام وازكى التحايا على من لاتزال الوفود ببابه أبدا ويكرمهم ويمنحهم اجزل العطايا السيد الكريم والنبيل والطود العظيم اللبيب الاريب ، ومن هوالى كل الخلق حبيب ذى المكارم الجمة الكثيرة والفضائل التى هى كالدرر فى محاسنها المنيرة السيد البشير بن الطيب

عليه من أعطر السلام الشؤبوب الطيب

هذا ولا زائد بحمد الله الا الخير وسلامة الاحوال ، أدامها الله علينا وعليكم مدى الشهور والاحوال ، وقدكنت فيما مضى أتمنى ان أستنشق نسيم الكتب اليكم ليبرد في قلبي جمر الغضى ، فعسى ان يمن علينا بالتلاق كما منانا بالفراق ثم اعلم حضرتك السعيدة ان الطيلسان الذى أعطيته لى قد أرسلته الى سيدى جامع البعمراني هو وجبتي ، فظننت انه سيخيطهما ، ثم بعد اشهر أرسلت اليه ليرسلهما لى معظني انه قد خاطهما ، فارسلهما لى وكتب لى بانه خرج له في اصبعه قرحة كبيرة ، ولازالت به وانه تعذر له معها خياطة ، ولما رايت ذلك علمت بانه ماكل مايتمنى المرء يدركه فاضربت عن خياطة طيلسانك وعلمت ان ارساله لكم مصلحة وهاهوذا في يد الحامل، كما أعطيته لى مع (فرارا) ـ اى خيوط الخياطة ـ وجميع مافيه ونطلب منكم اصلح الدعوات وسلم مناعلى الاخ سيدى موسى والسلام»

هكذا يتبادل الالغيون رسائلهم في ضروریاتهم ، ولكنهم يتعالون مع ذلك الى التراسل الادبي بقدر الامكان واما نفثات سيدى البشير الشعرية فقليلة جدا فلم أقف منها الاعلى بيتين قالهما مع تلاميذ المدرسة البومروانية سنة ١٣٣٠هـ وقد أتموا التلخيص وهو لايقرأ معهم ولكنه حضر في أيام الاختتام فتدوولت هذه المساجلة ، فانخرط في سلكها

قال الاستاذ سيدى الطاهر الافراني :

قد لاح سر الختم عند الخاتمة فاستبشرت بالرى نفس حائمة
كانما التلخيص أم رائمة أحسن بها مرضعة وفاطمة

وقال الاستاذ سيدى احمد بن محمد اليزيدى :

اروت ببحرها النفوس العائمة اذ هي في موجب عي سالمة
فقل لمن تبدها ورا لمه او لازم الكرى وعنها حاد (مه)

وقال صاحب الترجمة

ابدت لنا خاتمة التلخيص سرا سرى بختمة التخليص
فزال رين النقص من تنقيص مايعترى البليد من تخريص

وقال الاستاذ داود الرسموكى

ابشر بها لكل عين سالمة ختامها مسك بعرف الخاتمة
فانها للمشكلات اللازمة للفكر مفتاح لند عادمة

ووقفت ايضا على قطعة للاستاذ سيدى محمد بن على يجيب بها صاحب الترجمة عن نظم لم نقف عليه وهى

أبرق بدا من نحو تلك المرابع ام التاج نحو الشام أم من مناصع
بل قد بدا نظم البشير بن طيب قلائد شعر بذكل المصاقع

قلائد در ناصع فمن اجتلى سيخلبه لألاء ابيض ناصع
فته انه القى السلاح زهير مع جرير وكفا عن دخول المعامع
ايا حائزا نظما وعلما ومفخرا فرعت لعمرى فى العلا كل فادع
سموت سموا لم يرم فوقه ارتقا فاخفضت من كانوا صدور المجامع
عليك من الرحمن الف تحية ايا خير مقوال ويا خير بارع

فهذا هو الفقيه الاديب سيدى البشير بن الطيب الخفيف الروح ، رحمهالله رحمةواسعة ، وجعلنا واياه فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، ولم يعقبذكرا فذهب باصوله وفصوله

رثاؤه

ظفرت بعد ماكتبت هذه الترجمة بسنين كثيرة باضبارة اوراق مخطوطة بيد صنوه الفقيه سيدى موسى الآتية ترجمته بعد هذه فاذا فيها ابيات مخرمشة يرثى فيها سيدى موسى اخاه هذا فخرجتها وربما نقحت بعض اشطارها ، والابيات علىكل حال الغية ، فلافرق بين موسى الالفى وبين ابن عمه محمد المختار الالفى ، فلامشاحة ـاذنـ فى التنقيح، والابيات

برحى فقد أتى النذير البشير من بعده يقتادنا ويشير ؟
علامة فهامة ان تضق من العويص فى الفنون الصدور
اخى وصنوى ثم عونى اذا حرت وقد تشابهت لى الامور
ما قال لى اف وحاشاه أن يقولها وهو الحليم الصبور
كل بنى اب وام لهم مشاكل العيش لديهم تمور
الا ذوى البشير جمعهم كباقة صفت عليها الزهور
واغربتا من بعده أنه قد كان لى خير رفيق المسير
والآن احيا بعده مفردا نظيره آن يحل القبور
يارب جلله رضاك وكن له يصر هناك خير مصير

الفقيه سيدى موسى

ابن الطيب السليمانى

٢-١٢٩٨ هـ = ١١-٢-١٣٦١ هـ =

نسبه :

موسى بن الطيب بن احمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هوابن عمتنا خديجة بنت احمد بن محمد وهو اخو سيدى البشير المتقدم واكبر منهوحفيدالفقيه سيدى سليمان بن محمد من علمائنا الاولين ، وابن اخى الفقيه سيدى الحسن التياسينتى رحمه الله ، وهو أكبر من تربه شيخنا عبد الله بن محمد المذكور فيما ياتى باسبوع

متعلمه

قرأ القرآن فى مسجد القرية على الرجل الصالح سيدى الحسين بن مبارك المجاطى وستقرأ ترجمته فى كتاب (منية المتطلعين) لانه من المتجردين فى الزاوية ، وقد كان شارط فى المسجد هذا سنتين نحو ١٣٠٤هـ ثم عن سيدى محمد بن على الاكمرى وعن سيدى احمد بن بلقاسم -بلق- السليمانى من بنى أعمامه فعلى هؤلاء الثلاثة أتقنه وعلى المذكور ثانيا جوده

ثم اتصل بالمدرسة الايغشانية عند الاستاذ سيدى العربى الساموكنى ثم صاحبه ايضا المدرسة البوزاكارنية حين انتقل اليها كماترى ذلك فى ترجمته ان شاء الله ، فعنه أخذ المتون الابتدائية على العادة ، ثم المتون التى توخذ فى الدور الثانى ومفتتح الثالث فاستتم عليه مما يوخذ فى هذين الدورين الالفية مرتين ، والرسالة والربع الاول من المختصر والمقامات والرسموكية فى الفرائض والسلالية فى الحساب وما يقرأ مع ذلك عادة ثم انتقل الى المدرسة الالفية عند الاستاذ التاجارمونتى فلازمه ، فاعاد عليه جل هذه المتون فاستتم هناك الدراسة العليا ، فجال فى المقنع والدريدية وبانت سعاد ، والسلم والهمزية ومسرودات

من البخارى فى الرمضانات على العادة كما جال ايضا فى التلخيص وما اليه من كل مايتعاطى فى المدرسة فى الدور النهائى فظهرت نجابته وتقدم للاعانة فى الطلبة المبتدئين والشادين على ماهو متعارف من أن نجباء الطلبة يتقدمون للتمرن بين يدى أساتذتهم فى آخرين ، وكان يحضر أيضا فى نجباء المدرسة فى الدروس التى يلقيها الاستاذ على بن عبد الله أحيانا ، وقد دخل بين القارضين للشعر فصار يخاطب ويخاطب ، وهكذا أمضى ـ٢٣ـ سنة بين تلقى القرآن والمعارف فاطلت عليه سنة ١٣٢٥ هـ فالتحق بالاستاذ على بوضاض الاخصاصى المشهور بانه من الفرضيين الافذاذ فلازمه ثلاثة اشهر حتى اخذ عنه ماشاء فى علم الفرائض الذى اختص باتقانه بين لداته

بعض تقلباته في الحياة

ثم ان الشيخ الوالد الذى هو خاله ، والمعتنى بأمره وتعليمه والدافع لـه كتبا كثيرة كماحكى لى اعارة يستعين بها فى الدراسة والمطالعة ، وقد أمره أن يلتحق بالمدرسة البونعمانية حيث أستاذها سيدى محمد بن مسعـود يضم الى دراسة هذه العلوم روحا اخرى وثابة ونزعة صوفية تنبع من شغاف قلبه الرقيق فاراد الوالد من ابن أخته هذا أن يلتفت الى هذه الناحية الاخرى لئلا يبقى طـوال عمره سادرا فى الغفلات كعادة جل الطلبة ، ولئلا يكون ممن استقام لسانـه بالعلم وقلبه معوج بالاثم واراد منه مع ذلك أن يظهر فى الوجود كعالم كبير ، وقد كان الاستاذ ابن مسعود بدأ بناء مدرسة ازاء ضريح والده بالمعدر ، فاهتم أن ينتقل اليها من المدرسة البونعمانية فارسل الشيخ اليه المترجم ليتولى الدراسة عنه هنالك وهاك رسالة من خط الشيخ الوالد الاستاذ ابن مسعود فى الموضوع نصها

«وعليكم السلام والرحمة والبركة ، وبعد ، فلاباس ولله الحمد ولا بدان شاء الله ان تلزم هذا العام مكانك الى ان يكمل المكان الآخر ، ولايمكن ان تفارقه بالكلية الآن واصبر على شرطك حتى تقبضه بالكلية وتدخل فى الآخر ، ولاتقل لاحد اردت الانتقال لا الآن ولا غيره ومتى اردت ان تقفل الى المعدر ، فخلف على الاقراء هذا الذى أرسلته سبطنا ، فهاهو يقرأ ان حضرت وان لم تحضر يقرىء ويأكل معك وهولائق ولاله اعلم ويصير خليفة لك فيه ان شاء الله حتى أن خرجت فى الصيف فى العام القابل ان شاء الله تقيمه فيه ، والسلام»

ذلك ماينويه الشيخ ، غير أن صاحب الترجمة الذى لاقاه الاستاذ ملاقاة اجلال واحترام عازما أن يتخلى له عن ادارة دروس خاصة فى مجلسه تنويها بقدره ، ورفعا لذكره ، واهتبالا بابن اخت شيخه وأن يدرس معه خاصة بعض دروس عليافى البيان والاصول ونحوهما ، لم يالف فى المدرسة البونعمانيـة

وحصل له ضيق نفساني ، وذلك (كماقال) من اجل ان الطلبة كلهم جعلوه في المكانة التي جعله فيهاالاستاذ ، فلايرى مؤنسا ولايلاقى مجالسا ، فحامت به عوادى الوحدة والغربة ثم انه فيليلة ليلاء حالكة الجلباب واقفة النجم كأنما شدت بامر اس من الكتان في آفاقها ، سرى منسابا من غيران يشعر به احد الى مابين قرى بني جرار فطلع في ثنية (اغيرملولن) وحيدا ينهب الارض مشيا ويطوى تلك الشعاب والانجاد نزولا وطلوعا كأنما وراءه طلاب ثار يسومونه التي بين جنبيه ، فلم يتنفس في نفس النهار حتى راح الى الخ

تفقده الاستاذ صباحا تفقد خائف أن يعروه مايزعجه الى مالايحبه شيخه فوالى البحث حتى اعوزته الطلبة ، فأرسل رسولا الى الخ يعلم الشيخ ، فجاءه الجواب بانه وصل في يومه وأمره بان يرسل ثيابه التي غادرها هناك

كان شيخنا سيدى سعيد التناني رحمه الله كثيرا مايداعب صاحب الترجمة على فعلته هذه ، ويقول له أخال انه مازعجك من بونعمان الا انك وجدت هنالك من يقوم لك بكل الشئون ولاتتعلق الابان تغسل يديك وتمدهما الى لحم كفيت طبخه ، مع انك كنت تالف في المدرسة الالغية ان تزاول طويجنتك بيدك • وأن تطل عليها فينة بعد فينة ، وانت تتذوق طعمها ، ثم لايشاركك فيها احد ان وضعتها بين يديك فتاكل وقد فتحت نافذة بيتك وبصرك يسرح في ربا الخ المتسعة ،فلا شك ان هذه اللذة التي الفتها في بوينك في المدرسة الالغية هي التي فقدتها في بونعمان ، فصبرت ماصبرت حتى اذالم يبق في قوس صبرك منزع انتفضت انتفاضة مشوق متيم ، تذكر منازل من يهوى ، فاقبل اليها سعيا فكان صاحب الترجمة يباسطه ايضا ويقول له ومن يقدر على تلك الحالة الجدية البونعمانية بعد مالف في الخ الفسيح ؟ ومن ينسى طويجنة المدرسة الالغية ؟

داواه خاله الشيخ الوالد بهذا الدواء ، ولكنه لم ينجع فيه فأراد أن يطرق به بابا آخر ، فالمومن لايياس لامحالة ، فلم يشعر يوماهو ووالدته حتى دهمهم من الشيخ التهيؤ للعرس ، فان خديجة كبرى بنات الشيخ رائحة الى الفقيه سيدى موسى بعد ثلاث •

استدعى الوالد أخاه سيدى ابراهيم وسيدى الطيب والد صاحب الترجمة وسيدى موسى نفسه ، فعقدوا النكاح أربعتهم لاغير فاصبح الناس وقد فشا الخبر وأريحت الزوجة ، ومعها من يريها الطريق الى بيتها الجديد ، من غير أن تثور جمجمة ولا أن تطرق الآذان مناكر احواش ولاأمثالها مما تتماع فيه الامور المباحة في الشرع في الاعراس انمياع الملح في الماء او كمايقول الحضريون «تزوج مسكين مسكينة وتهنات المدينة »

ثم ان الشيخ كان ينوى أن يرسله الى المدرسة التي كان فيها سيدى مبارك الميلكي المقرىء المشهور ، يدل على هذا رسالة من الشيخ الى العلامة ابن مسعود

رسالة نصها

« حضرة الصفا ، ووارث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، قرة عيننا وغاية رغبتنا تمام الوداد ومنية الفؤاد وجميع المراد ، الفقيه النبيه الاعز النزيه الولد الصالح ، والاخ الناصح ، سيدى محمد بن مسعود السملالى سلام الله ورحمته وبركاته

وبعد : فلاباس ولله الحمد سوى شوق الوالدين للاولاد ، الذى يحكى شيئا من شوق المعبود للعباد ، ونحن على ذلك الشوق المعهود الى يوم التناد ، ذلك فضل الله يوتيه من يشاء ، فكونوا على ماانتم عليه من التشمير على ساق الجد الى حضرة علام الغيوب من جد وجد ، ومن وحد سجد ، «ولله يسجد الآية» اهل الطوع المذكورون فى الآية هم أهل التوحيد بمراتبه ، كل بمقامه وقد وصلنى انكم خرجتم للسياحة فى جميع البلد ، فما احسن ذكر الله ومجالسه! وغير ذاكر الله فى الغداة والعشى لايليق ان تجالسه ، فافهموا رحمكم الله ان المقصود بالصلاة فى الغداة والعشى ، وفى كل وقت ذكر الله لاغير فكل مجلس وجدت فيه قبلك مع الله فهو الصلاة حقيقة ، فهذا صلاة العارفين بربهم فان كنت منهم فانضح البر بالبحر ، وهاسيدى موسى أردت أن أرسله الى سيدى مبارك الميلكى كما تذاكرت معه على ذلك يوم مرورنا عليه وهاهو قد تزوج من عندى فى هذه الايام فالله يسعدهما جميعا ، ويمشى معه ولدى محمد ليقرأ عليه ان شاء الله والسلام»

أصبح الفقيه سيدى موسى فى مركز آخر يغبطه فيه أقرانه الذين يحرقون الارم على ما اتيه من هذا الحظ الذى حظى به ، وقد ساقت اليه السيدة من خرثى الدار ، والفرش والاوانى وماالى ذلك مارد دار آل الطيب الى سعادة جديدة ترمض اكباد حسادهم ، وكل ذى نعمة محسود ؛ وذلك مايقول بعض الالفيين فى هذيان محموم

ماحسنت حال من اى فتى حتى ترى تستوقف البصرا
الا وحامت حولها اعين لهجة ان تتئر النظرا (١)
وللعيون دون ريب اذا ما استحسنت من رونق آثرا
تاثير ما ليس حميد العوا قيب وان من تحتها استترا

مرت شهور ، وسيدى موسى يتقلب فى نعمته ، وقد خلج مايبشر بنسمة طيبة بين الزوجين ؛ ثم قدر الله الذى مارفع شيئا الا وضعه ، أن ألم بصاحبنا خلل غريب ، طرقه أولا فى رجب ١٣٢٧ هـ فى آخر يوم من موسم الفقراء ، فاما هو وبعض الفقراء فانهم يرون أن ذلك من نوع الجذب الذى يحصل للذاكرين ؛

١) أثار نظره فى الشىء اذا ملأه فيه

وقدحكى سيدى موسى عن نفسه امورا ربانية ، يحتج بها لماذهب اليه ، واماالناس فانما ذلك عندهم خلل مزاجى عراه كما يعرو ضعفة الامزجة ، فيفعل امورا غريبة ، فيزيل لباسه ، ويزول الحياء من وجهه ؛ ويفقد شعوره ؛ وهذا ما وقع لهذا السيد ؛ فجاءت قرينته الى الدار وهى مقرب ، فبينما الشيخ الوالد مع بعض الاضياف ، فى علية بداره اذولج عليه سيدى موسى عريان ؛ بادى البشرة كلها؛ وهو ينادى ايها الشيخ قم واخرج لى زوجتى ، فقام بعض من حضر فالقى عليه ثوبه ؛ ثم جاء من حمله الى بيت ؛ ثم ذهب به الى دار حيث قيد حتى تراجع الى شعوره ، ولكن المصائب اذا بادات منكودا قلما تفارقه حتى تسقيه الكاس الى ثمالتها

رجعت السيدة الى زوجها بعد أن تعافى ، فاجهضت بولد ، ثم بعد اسبوع لحقت به ؛ وذلك فى اول سنة ١٣٢٨ هـ وكان قلب السيدة قد سحقته الصدمة التى اصيبت بها من الزوج ؛ ومازرق قلوب العذارى وأدناها الى العطب

أتقوا الله فى قلوب العذارى فالعذارى قلوبهن هبـــاء

توجه الشيخ الوالد الى سياحته الكبرى الاخيرة ، فصاحب سيدى موسى لعله يتعزى عن قرينته بما لعله يشاهده فى البلدان ، فزار اذذاك الحمراء ، فرجع بقلب ملتئم الجرح ؛ وان كان لايزال فى وسطه نفل ؛ ولكن طول الزمن وتقلب الحوادث تكفلا بمسح حزن سيدى موسى حتى يعود الى حالته المعهودة

فقلت لها ياعز كل مصيبة اذا وطنت يوما لها النفس ذلـــت

مشارطاتـه

كان صاحب الترجمة ملحوظا دائما عند خاله ؛ يرى منه نظرة صوفية، وماكان يزول عن حضرته وبين الفقراء فى آخر ايامه ، وقد اتخذه من كتابه فى الرسائل للفقراء ؛ فكان يجلس دائما مع سيدى سعيد التنانى وفى احيان يعلم اخانا الاكبر سيدى محمدا ، فقد درس معه الوردية ؛ ومتى اراد الشيخ ان يكتب رسما فلايتعداه ؛ وخصوصا فى وقت مرضه الاخير الذى صادف مجاعة ١٣٢٨ هـ فكان يعامل بالحبوب كل من جاء على ماراد ، بيعا اورهنا ؛ ولايرد احدا ؛ ولا ينظر مايشتريه من الاراضى ، فكثرت معاملاته اذذاك جدا ؛ وكان الذى تولى كل كتابتها صاحب الترجمة ، ثم لما توفى رحمه الله ؛ استقبل سيدى موسى المشارطة فافتتح بالمدرسة الوفقاوية ، فدرس فيها تلك السنة ١٣٢٩ هـ ثم فى سنة ١٣٣٠ كان فى مسجد (أداى) بأملن ؛ وبين ـ٣١ـ٣٧ـ بمسجد القرية سبع سنين متواصلة ؛ تخرج به هناك اذذاك فى القرآن الاستاذان ابو القاسم السليمانى ؛ وابراهيم بن احمد السعيدى الصالحى ؛ وآخرون وفى : ١٣٣٩ هـ كان بمسجد (ادنبرك) بايت موسى ثم فى مسجد (تيغيرت) هناك مع صنوه سيدى البشير يتعاونان سنوات ؛ ثم فى مدرسة (للاتعزى) السملالية عاما واحدا ، ثم فى

١٣٤٥هـ التحق بمسجد (تيمولاى) السفلى بافران حيث لايزال الى الان محترما مبجلا ، يصلى الجمعة ويقوم بالتلاميذ القرآنيين الذين بلغوا هناك أكثر من خمسين ، ولكنه ابتلى اليوم بكسل ؛ فالتيمولائيون يشتكون من حالته هذه ؛ وربما زاول هناك بعض تعليم المبادىء العلمية ، وفصل بعض النوازل ، مع أن فض النوازل لم يعرف له فيه مجال؛ ولاهومن رجالاته لكونه ممن لايريدون علوا فى الارض ولافسادا ، ولكون علم النوازل لم يمارسه غاية الممارسة ؛ (ثم أنه فارق (تيمولاى) فمكث فى داره)

الآخذون عنه

ان الفقيه سيدى موسى كما رأيت لم يشتغل كثيرا بالتعليم الاماكان علمه كمعين فى المدرسة الالغية حين كان يتلقى فيها ، والاماعلمه من القرآن فى بعض المساجد التى مر بها ؛ فلذلك قل من أخذوا عنه ولكن اذا أردنا أن لانزيله من حظه هناك ، وأن لانغمطه ماتيسر له من شرف ذلك الميدان ، فلابد أن نجد له بعض أناس مروا بين يديه مرورما فى المبادىء العلمية والقرآن ، وهاهم اولاء :

١) سيدى عبد الله بن ابراهيم بن أحمد فى البدايات
٢) صنو المترجم البشير بن الطيب
٣) السيد ابراهيم العنترى
٤) سيدى بلقاسم السليمانى فى القرآن
٥) سيدى ابراهيم بن أحمد
٦) صنوه سيدى الحسين بن أحمد
٧) الاخ سيدى محمد فى بدايات العلم
٨) الاخ سيدى عبد الرحمن فى القرءان
٩) الاخ سيدى ابراهيم فى القرءان
١٠) سيدى البشير بن أبى بكر الاغوديدى ، انتفع به فى بدايات العلم
١١) سيدى محمد بن عبد الله الصالحى فى القرءان
١٢) سيدى احمد بن بوهوش التاوييتى فى بدايات العلم

فهؤلاء كلهم جلسوا منه مجلس المتعلم ، ثم جرى بعضهم بعد ذلك فى مجار متسعة ، وفى علوم تمكنوا فيها أكثر من أستاذهم ، وماذلك له بضائر ؛ فبعضهم علمه القرآن وجوده كاخوتى ، الا ماكان من الاخ الاكبر فانه أخذ عنه بعض دروس علمية ، وكثيرا ما أقول له مداعبا ، انت شيخ الجماعة بين السليمانيين؛ فيجيبنى على مداعبتى بمثلها ؛ حقا لو كانوا جميعا منصفين مثلك .

مقياس معلوماته

ليس العلم بكثير من السنوات التى يقضيها الانسان فى الاخذ ولاالفهم بكثرة

الممارسة للفنون ، بل ذلك من المواهب التى لايكون لبد الانسان فى قسمة حظوظها يد ، فهذا سيدى موسى عانى وأخذ كثيرا ومارس ، ولكنه فى الحقيقة وسط فى كل ذلك فى عين العلوم التى يقول انه تخرج فيها ، ثم لما أعرض عما أخذه بعدم المباحثة والمدارسة والمثافنة والمراجعة ، صار ذلك الرقم ينحدر شيئا فشيئا كما يتقلص الزئبق فى ميزان الهواء من رقم المائة الى أن يرسى على أربعين فوق الصفر ، فمن لم يتعهد ماأخذه فهيهات أن يبقى كماكان ، مالم يكن من بعض الافذاذ الذين كانت ذاكرتهم كحجر أصم لايفلت كل ماضمه من الماء

اذا هجر العلم يوما هجر ... وزال ولم يبق منه أثر
كماء ترقرق فوق الصفا ... اذا انقطع الماء جف الحجر

أخلاقه

كان حفظه الله فى أول نشأته هادئا ساكن النأمة ، ثم لم يتأثر بالبيئة المدرسية التى كانت اذذاك مما لايسر علماء الاخلاق، ثم لما أقبل الى تأسيس الاسرة تلقى من الدهر تلك الصدمة التى كادت تأتى عليه ، بعد أن آنس من ثغر الزمان ابتسامة خلابة ؛ كان ظنها تبشيرا منه فاذابها كبروز نيوب الليث

اذا رأيت نيوب الليث بارزة ... فلا تظنن أن الليث يبتسم

وكأنه لم يطرق آذانه قول التهامى

جبلت على كدر وأنت تريدها صفوا من الاقذاء والاقذار
ومكلف الايام ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة نار

عانى اذذاك من مرضه ماعانى ، ثم لم يلبث بعد أن عوفى منه أن أجال يوما فى داره عينيه ، فتعلقت بمجلس قرينته التى دفنها أمس ، فزفر زفرة كادت تذهب بشغاف قلبه :

كفى حزنا للهائم الصب أن يرى ... منازل من يهوى معطلة قفرا

ثم لما وضع فى وسط جرحه هذا مرهم صوفى وجدبه من يد خاله ماوجده من الراحة والطمانينة ، استحال كله صوفيا بحتا، حتى اننى متى جالسته لااحسبنى جالست احد طلبة الغ ؛ فلاأشعر الابنفس خافت وهدوء وسكون ، وميل الى الخمول والانزواء ، والاكتفاء بماتيسر ؛ حتى ان من لم يعرفه، لايظن الا أنه أمى لانه مبتعد عن كل أبهة ؛ ولكن اذا فاتحه الجليس مذاكرة ؛ ومادله فيها الحبل، فانه يقع على سلامة لفظ؛ وعذوبة معنى ؛ بين مايطرق اذانه من أحاديث ممتعة، ومذاكرات حلوة ، وأبيات ينشدها بكل مناسبة ٠

وقد جالسته يوما فارسلنا الحديث أطلاقا ، فكنت اسمع انشادات، فجمعت

ماجرى على لسانه فى ذلك المجلس فكان من ذلك البيتان المشهوران للبستى

وما غربة الانسان فى شقة النوى ولكنها ـ والله ـ فى عدم الشكل
فانى غريب بين بست واهلها وان كان فيها اسرتى وبها اهلى

انشدنى فى صفر من السنة الماضية : ١٣٥٦ هـ هذين البيتين ، فوقعا منى موقعا كاننى لم احفظهما، واناحديث العهد بمفارقة اشكال من مراكش وبنزوحى الى هذا المغترب الذى اقاسى فيه ماأقاسى ، وان كانت فيه اسرتى واهلى ، ولكن ماأصدق بعض الالغيين

رأيت هذا الدهر لايرعوى عن غيه ولا لمثلى يـرق
جاف فلا يرثى لذى أدب مثلى ولا يوليه ما يستحق
ليس يبالى بالاديـب وان اخنى عليه الدهر حتى صعق
دهر سواى أريحى ودهـ ـرى مادر كز الطباع مئق (١)

ومما انشدنى ايضا يومئذ وهو بيت مشهور :

واكرم نفسى اننى ان اهنتها وحقك لم تكرم على احد بعدى

وانشدنى ايضا البيتين المعروفين :

اودعكم واودعكم جنانـى وانثر عبرة مثل الجمان
ولونعطى الخيار لما افترقنا ولكن لاخيار مـع الـزمان

وانشد ايضا وزعم انه من قطعة للاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالفى

تكلف ماستطعت من القريض فان الدب من برء المريض

وانشد ايضا البيت الشهير للمتنبى

واذا صفالك من زمانك واحد فهو المراد وأين ذاك الواحد

وانشد ايضا ، وقال كثيرا ماينشده الاستاذ سيدى العربى الساموكنى:

اذا مامضى يوم ولم اصطنع يدا ولم استفد علما فماذاك من عمرى

وانشد أيضا البيت الشهير

مامضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التى انـت فيها

هذا ماتيسر له انشاده فى تلك الجلسة بين المجاذبة للاحاديث ، ومن هذا تعرف انه وعاء موكوء على أدبيات تسربت اليه من بين المحافل الادبية ، أوحفظها بين مطالعاته

---

١) المئق الذى لايتحمل ، ومن امثالهم أناتئق وانت مئق فكيف نتفق اى انا متسرع وانت لاتتحمل وتئق ومئق بفتح فكسر

آثار الطالب تعرف من جهات ، امامن تعليمه ، فقدعرفت مماتقدم كيف صاحب الترجمة من ذلك ، ومن انشاءاته ؛ وسترى بين يديك ان شاء الله ما اخترناه مما نفثت به فكرة سيدى موسى ، ومن مخطوطاته فى النساخة ، وهذا ممـــا لصاحب الترجمة فيه آثار قيمة لنشاطه فى ذلك الميدان ، ولخطه البين الحسن؛ فقدعرفت انه نسخ (الاجوبة العباسية) فى جزءين ، وشرح (الجمل) فى جزء، وغالب (بحرق) على اللامية ، و(الامير) الشلحى ، وهو سفرضخم ؛ نسخ منه بيده سبع نسخ ؛ وهو مترجم الشيخ الوالد لربع العبادات من (مجموع الامير) المصرى ، و(البهجة) للسيوطى جزء وسط ، نسخه مرتين ؛ و (ايسر المسالك) الى الفية ابن مالك ؛ للعربى الادوزى ، سفر ضخم ، وشرح (الميراث) للرسموكى جزء وسط ؛ وشرح الادوزى على (المرشد المعين) جزء ضخم ، فهذه ستة عشر مجلدا كلها من آثار بنانه ، من غير مالانعرفه له ، وقد تذكرت ؛ ايضا كتبا شلحية فى مجلدات نسخها لنسائنا ، فهذا مايدل على صبر وتؤدة ، ومحبة فـى نشر العلم ؛ ولا اعلم مثل هذا الصبر فى احد من طلبة الخ ، حتى أن النساخة انقطعت فى هذين الرعيلين الاخيرين منهم ، ومالوا الى الراحة ، وكافيك دليلا على انهم اليوم عروا افراس الجد ورواحله ، اننى مع كسلى المعروف يتعجبون من أننى أكتب ، مع أننى لاأعد شيئا مذكورا ازاء رجال النساخة ، فهذا والدى رحمه الله كتب كل كتب الدراسة من شرح الاجرومية ، والمتون الصغار ؛ وشرح الدردير على المختصر ، والمحلى على جمع الجوامع ، فلم يترك شرحا يحتاج اليـه فـى الدراسة الانسخه بيده بقلم يتردد فى انامله من سنة ١٢٨٦ هـ الى ١٢٩٣ هـ حتى نزهة الحادى لـلافرانـى واضاءة الادموس للهـلالى ، وشرح العـروض للدماميني لم تفلت من نسخه ، وقدوقفت له فى ذلك على مابهرنى ؛ بعدان كتبت فى ترجمته مارايت ؛ وكذلك الاستاذ محمد بن عبدالله كتب كثيرا من المجلدات، وكذلك الاستاذ محمد بن بلقاسم التيييوتى ، وقد رايت مانسخه فى ترجمته فهكذا كان الآباء ، وأما الابناء اليوم فاستحيى ان انشد فيهم ما قالته اخـت عمرو بن معد يكرب فى اخيها عمرو رضى الله عنه

ودع عنك عمرا ان عمرا مسالم وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم؟

وقدذكر لى الاخ احمد رحمه الله قرب مجيئى الى الخ وقد رايت من بعض الكتب مالاينبغى أن يفرط فيه ، فقلت له هل اجد من ينسخه لى باجرة ، فقال أماهذه الخصلة فقدرمسها الالفيون اليوم ، حتى لاتجد عند فلان وفلان وفلان ـ لاناس عينهم من فقهاء الخ ـ مدادا فى دورهم ، ولابياضا مرصدا حتى للرسائل ، فمتى احتاج احدهم الى شىء فانما يذهب لدوى التلاميذ فى المكتب ، فيخرمش بهاماشاء وكنت احسب ان هذا من اغراقات الاخ التى اعرفها منه ، ولكن لم البث أن طلع

النهار ، فظهر ماوراء الاكمة ، وصدق ذلك في البعض ؛ فحياك الله ياسيدى موسى وبياك؛فقد أبقيت ببنانك ءاثارا خالدةالذكر فىالدنيا ثابتة الاجر فىالاخرة

من يعمل الخير لايعدم جوازيه لايذهب العرف بين الله والناس

وأما ءاثاره الانشائية فانله ترسلا عاديا ، لم يقع الى منه مايستحق الاعتناء بالتدوين ، ولكن شعره الذى يقرضه متى رأى الادباء الالغيين يستنون فىميدان الآداب ، فتملكه الاريحة ، فلايملك نفسه التى لميقدرالتصوف أن يتصل بها فينزعمنها هذا العرق أويذويه ، فيقول فان لايكن بين أدباء الخ مجليا، فهو على كلحال ليس بسكيت انلميكن مصليا ؛ فمنذلك مرثيته للشيخ الوالد وقد تقدمت وتقدم ماحولها مما ذكرناه هناك ، ومن اقواله أيضا ماهنأبه الاستلذ على بنعبدالله الالغى بولدله اول ربيع الثانى ١٣٢٥ هـ وقد تسابق أرباب القرائح فى الاجادة ، وتساجلوا وكل يحب أنيملا الدلو الى عقد الكرب(١):

جاء البشير فطار القلب من طرب فزال ما فيه من سقم ومن نصب
فارتحت من بعدأن قاسيتمننوب دارتعلىالقلب فىالاضلاع بالكرب
ماأومضت فىدياجى الليل بارقة الا وهيج بلانى من اذى النوب
فاليوم طار سقامى حين أذكر من بنوره يستضيء كل ذى وصب
صار الاسى فى ضلوعى دائما فاتى مايثلج الصدر بالافراح والطرب
فتلك حضرة من أنسى به فاذا فارقته فانا فى الهم والعطب
تاهت بصاحبها العلياء قائلة من لم يته فرحا فليريم بالعجب
حضرة مولاى ذى المجد الاثيلومن لظله أبدا يلجأ ذوو الكرب
فليهنا سيدنا بنعمة حملت بشارة لجميع العجم والعرب
قررتم ـبولـيـد دل طالعه ان سوف يرأب ما بالدين منريب
أنوار طلعته غطت سنا قمر فى الافق ذو حسبمنأرفع النسب
يبقيه رب الورى لرغم حاسدكم يوم يرى حاملا للعلم والادب
فاسمح لعبدك خير الناس قاطبة بدعوة فهى قصدى منك فى طلبى

وكتب الى أستاذه سيدى محمد بن مسعود البونعمانى قافية مهلهلة نصها: «سيدنا جامع الفضائل والمحاسن ، ومظهر السر الظاهر والباطن ، الذى شيد منارالطريقة ؛ وجازمن قنطرة المجاز الى الحقيقة :

قف بى على روض يحاط بـلابـلا تنفى البلابل عن فؤاد موحد
ما للفؤاد فـحـزنـه متوقد أبدا ببرق مومض مـتـوقـد

---

١) الكرب بفتحتين الحبل الصغير الذى يجعل بين الحبل الكبير وبين الدلو قال : من يساجلنى يساجل ماجدا يملا الدلو الى عقد الكرب

ابلاد نعمان سموت الى العلا وفخرت كل الكائنات بمفـرد
هنيت بالبدر التمام ونخبة ـ آلا مجاد نور المشكلات الاوحـد
وحويت أتقى العالمين بأسرهم آكرم بـه مـن فاضل متجرد
سمح وفخـم فاخـر متفضل عنا بكـل فضيلة وتمـجـد
حبر هـمـام بـارع متولـه شمس الوجود وغيظ كل مفند
عين الحقيقة والشريعة من غـــدا سر الوجود بعلمه المتوطـد
يانجل مسعود سعدت وفزت من مولاك بالنعمى ونجح المقصد
انت السميذع والهمام وواحد الا زمان عادلها وبغية مـهـتدى
أعطاك ربك والعطاء موفـــر وخصصت بالعلم الرفيع المخلد
هـذا وانـى سائـل متطفل لطفا جميلا من دعاء اهتدى
صلى الاله على النبى محمد خير الوجود مع السلام الامجد

وليدع سيدى لنا بدعاء عام لجميع احوالنا الرذيلة ، وليكن منه اصغاء لهذا النظم الشبيه بالنثر ، فيصلح منه ونحن فى بعد عن الشعر المرتضى»

فأجابه الاستاذ

الاخ الاصفى ، والسيد البر الازكى ، ابوعمران سيدى موسى بن الطيب ؛ لازالت اكنافه مخضلة من السلام والتحايا بكل وابل صيب ، ولازائـد بحمد الله سوى الخير ، وقد وافانا مرقومكم الاعز ؛ ونحن فيما تعلم من اشتغال البال بتزاحم اشغال ؛ وتصاريف الاعلال والابدال ، والحمد لله على كل حال ؛ وقد كلفنا جامد القريحة فى الجواب بما ستراه ، حقق الله تعالى لجميعنا من الخير متمناه ، بجاه النبى الاواه ، صلى الله عليه وسلم ؛ وهو هذا :

در تناسق فى نحور الخرد أم روضة تنسى نثير العسجـد
ام أحرف قد فاح نشر سطورها نفحت بها نسمات فضل أمجد
بشرى لناظم عقدها ارقاه فى أوج النجابة نور فكر مسعد
وآتته عن طوع جواهر أعربـت عن غوص ذهن ثاقب متوقد
لله انت ومن غدا لك غاذيـا بلبان آداب صفى المـورد
فليهنك الادب الرفيع على زكا طبع وسمت هدى وحسن تودد
موسى سميك مجتبى القى عليـ ـه الحب من انجاه ساعة مولد
وتوافق الاسمين عن سر لطيـ ـف للبصيرة مدرك للمهتدى
ابشر فغير بعيد ان تحتل من تلك المحبة بالمكان الاقعد
لم لا وانـك طيب مـن طيب يابن الكرام الطيبين المجد
حليت هذا العبد من انصافكم وجميل ظنكم بحلية أوحد
منن بشعر من حلاك وانثى ارجو تحققها بصدق الموعد
فتفاؤل بنظير ذلك تطفـل وتلطف فى قرع باب السيد
والله جل يحقق الآمال من افضاله عن فيض نور محمد

صلى عليه الله ما هاجت صبا صبا الى ماوى بقيع الفرقد

اذكرنا يا اخى بصالح دعائك ، لطف الله بنا اجمعين ، واعذرنا من الكتب اليكم على هذا الوجه فى ظهر رسالتكم ؛ فليس للجريض (١) سبيل الى انتحال القريض ، والشيخ رضى الله بخير ، وكذلك الفقراء ؛ ويسلمون عليكم ؛ وقد أكملوا اليوم يوم الاربعاء ـ٤ـ ربيع الثانى حصاد زرع الشيخ ، وكانهم على نية الاشتغال بحصاد الاخ سيدى محمد بن سعيد المعدرى ، ونحن قاربنا ايضا اتمام الحصاد ، وقدكان من قدر الله ، وعسى أن يكون خيرا أن أهل دارى كلهم مرضى الاصبية صغيرة ؛ وتوفى منهم بهذا المرض صبى صغير ، تقبله الله ، واذكرونا بالدعاء بعافية الدارين آمين ؛ واخونا الفقيه العارف بالله سيدى سعيد بن محمد التنانى بخير ؛ ويسلم عليكم ؛ وكذلك جميع الاخوان ممن وردوا علينا هنا لزيارة الشيخ ؛ والسلام الاتم يعود عليكم ، وكتبه اخوكم الضعيف محمد بن مسعود السملالى الطالبى كان الله له»

وكان بين صاحب الترجمة وبين شيخنا سيدى عبد الله بن محمد مخاطبات قريضية ، وهما لدتان بينهما أسبوع فى الولادة ، وصاحب الترجمة أكبر من شيخنا سنا ؛ وان كان شيخنا أكبر وأسنى وأرفع وأوسع معارف وافيح مدارك فمما رأيته لهما هاتان اللاميتان ، كتب سيدى موسى اليه يهنئه بعيد :

سلام كما فاح الهوا بغوال على من غدا فى الفضل مثل هلال
سلام محب ساقه لكتابة اليك اشتياق ضاق منه مجالى
فعيدك ميمون المحيا ببشركم فلا زلت ريان الحشا بزلال

فاجابه شيخنا وهو ينصحه ويستنهض همته :

أزهر بدالى أم عقود لئالى أم النجم فى الجوزاء وسط ليال
أم الغادة الحسنا تبدت بوجهها أم الشمس ضاءت ام بزوغ هلال
فغفران رب العرش بل ذى نظام من حوى اللفظ منه نفث سحر حلال
يحار لديه الفكر من أجل ما احتوى عليه من المعنى عديم مثال
فياصاح ايه فى العلوم فلا تزل لك الهمة العليا لنحو معال
وارقاك رب العرش أوج سعادة فتجنى بها أحلى ثمار كمال
فبالعلم فاق الفائقون فانما الـ ـجهالة أدوى كل داء عضال (٢)
ولاتال فى التحقيق علك أن ترى رويا من العرفان عذب زلال
فدونكها فاقبل عروسا تزف وابـ ـسطن لها عذرا على كل حال

---

١) حال الجريض دون القريض ، مثل قديم جرض بريقه كفرح ابتلعه بالجهد على هم وأجرضه بريقه أغصه ، قاله جوشن الكلابى حين منعه أبوه من الشعر فمرض حزنا؛ فرق له وقد اشرف؛ فقال انطق بما احببت فاجابه بذلك

٢) من باب اضافة الموصوف الى الصفة كالكعبة اليمانية ، وذلك قليل

ولايمنعنك العجز عنه فغيرنا فع ما تراه من ترقرق ءال

وكتب اليه ايضا شيخنا وقداتقن سيدى موسى جواب مسالة ساله عنها اوفصل نازلة او مثل ذلك:

قد اجابت من الجواب نجابة حققتكم من ازمن للاجابة
اسال الله ان ينير فـؤادا منكم كى يزيل عنه حجابه
كى تنالوا من العلوم منالا دونه الملك رتبة والحجابـة
وعليكم من العبيـد سـلام ام اهل النهى واهل النجابة

وكتب اليه ايضا يستدعيـه ، وفى ذلك مداعبة، وقوافى المداعبة لابد انتكون ممايغمض فيها،وذلك فى سنة ١٣٢٩ ﻫ

يااايها الخـل مـوسى وقاك ربـى الغموسى
اذا اتـــاك رسـول اقبل ولا تخش موسى
منـى علـيـك سلام يقيك من كل بوسى
وتـرتدى مـنـه عـونـا عـلى الزمـان لبوسا
فالله يعطـيـك خيرا حتى تطـيـب نفوسا

وعمدا آتى بامثال هذه المخاطبات ليكون القارىء على معرفة باقوال الالفيين فى الجد والهزل ، ومناحيهم فى ذلك ، ومقدار اختلاف مايقولون علوبلاغة حينا؛واسفاف لفظ ومعنى حيناءاخر ؛ لان على المؤرخ ان يسوق ماكان كماهو ٠

وعلى ذكر أقوال الالفيين فى الهزل احكى حكاية تمثل ذلك غاية التمثيل فى بعض قدماتى من الحمراء الى الغ حوالى ـ١٣٤٢هـ كنا مرة فى ندوة بدار الاخ الحبيب ليلا ، فى جماعة من الناشئين المتطاولين الى الادب منهم سيدى الطاهر بن على ، وسيدى محمد بن عبدالله بن محمد (نزيل تونس) والاديب سيدى محمد ابن عبدالله اوبلوش البعمرانى (القاضى بافنى اليوم) ، وهو اذذاك مجاور فى المدرسة الالفية ، وهذا العبد الكاتب ؛ وعلى رأس الندوة شيخ الادباء الجدد مولاى عبد الرحمن البوزاكارنى ، فطرقنا صاحب الترجمة، وقد انتظمنا انتظام الدرر فى سلكها ؛ وادارت عليه اريحية الادب كاسها المعشعشة ، ونحن نتنقل بغرارات الشباب التى لايحلو لى التصابى الا بها ٠

دعنى على منهج التصابى ماقام لى العذر بالشباب

فبعد ان خضنا فى بحور من الاداب ، وتموجت الانشادات من كل جانـب حتى شحذت الافكار ، وتدفقت القرائح بمعينها السلسبيل، سنح لناوالذكاء الالفى يلهبنا بسوط، ؛ والاديب البوزاكارنى يحفزنا بنكاته ان نقول قصيدة على طريق المساجلة بيننا ، فاشترط علينا رئيس الندوة ان لانتروى فى الاجادة مادام المعنى مستقيما والوزن قويما ، وان تلقى الابيات والاشطار على عواهنها، وان يكون موضوع القصيدة مدح سيدى موسى الذى حضر معنا فى وسط الجلسة،

فكان بزبدة افكارنا من الفائزين ، فابتدا البوزاكارني فتلوناه عـلى شرطـه، واحدنا يكتب ؛ فبعد قليل انتظمت هذه الابيات التى تراها من غيران‌اعلم‌مـا تكل منا من‌الابيات ، اونسيت‌ذلك

غصن المسرة يانع الثمرات ... في حضرة اربت على الحضرات
وخمائل الحسن البهيج‌تزخرفت ... فاقطف زهـور مناك بالنظرات
وتنشقن ريـح الصبا متعطرا ... وتمتعـن باطيـب النفحـات
فالريح ان هبت على أهل الهوى ... طاروا عـلى انفاسهـا العطرات
ياايها الساقى أدرها (صرفة) ... فبكل ما نشهى الزمان مـوات
ان كنت تمزج لامحالة فامزجن ... برضاب ثغـرك لا بماء فـرات
فلنسكرن بشرب كاسك سكرة ... نمـلا بها الغبـراء بالشطحات
بتهتك نعلـو السماء به فقـد ... (طاب الشراب لنا فهاك وهات)
نلنـا منانـا كلهـا بوصال مـا ... نهـواه من أنس ومن شهوات
مما القلوب تـوده من كـل ما ... تعنو لـه العليـا من السادات
ان كانت الاوقات تشرف باللقا ... فالوقت هـذا اشرف الاوقـات
لم لا وذا مـوسى الكليـم ممدح ... مـا بيننـا بعـرائس الابيـات
لم لا وقد نثرت به مدح الرضا ... موسى الرفيع الشان ذى‌العظمات
موسى وما موسى وما أدراك ما ، ... موسى‌الذى‌استغنى عن (الانعات)
موسى الفقيه الندب خير ممجد ... تسمو بـه العليا من الرتبات
موسى‌بن‌طيب الذى طابت به الا ... نحـاء طيبا فى جميـع جهـات
اذكـره ينتشر العبـير كيومنـا ... هـذا الى الآصال من بكـرات
يختال فى حلـل الكمالات التى ... ببهائها قـد فـاق كل لـدات
قـد خصه المـولى باطيب سيرة ... يغدو بها مثلا مدى السنوات
من مثله قولوا لنا من مثلـه ... فى الحـال والماضى وعند الآتى ؟
هيهات ان تلـد النساء نظـيره ... أتكون‌اخت‌الشمس فى‌الضحوات؟
علم الهدى من سار فى انواره ... ما ان يضل بغاسق الظلمات
بحر العلوم فياسعادة من لـه ... من رشفة فى البحر أو رشفات
ماسيبويه وما ابن بحر عنده، ... جرف العباب الكل بالـدفعات
قطب الولاية حازها من شيخه ... حوزا صحيح العقد فى‌الحضرات
انقال موعظة يهز بها القلـو ... ب اذا بها تنماع بالحسرات
يلج المحافل ثم يشرق وسطها ... فلتلحظوه الآن بالنـظـرات
ذياك وجه منه اسطع مشرق ... نورا فيهتك جانب السدفات
نور من القلب المنور ذاك لا ... نور التنعم لاح ب (الـزردات)
ذاك الذى لولاه ماكانـت لنا ... فكر القريض تموج ملتطمات
انا ذو وعى ولكن حيـنـما ... فزنا لـدى رياه بالنفحات،

١) شطر من بيت قديم أظنه لابن النبيه

صرنا من اللسن العجيب مصاقعا بتسابق كالخيل فى الحلبات
متفجرين بزاخر متلاطم متدفق من منبع الفكرات
لولاه ماانتعش القريض بمجلس كمكاظ ضم فطاحل اللهجات
شرقت علينا شمسه فتحولت منا الطباع لاشرف الحالات
بشرى لنا من معشر هبت لهم ريح السرور باطيب النسمات
ياسيدا يامن به وبجاهه نرجو النجاة ولات حين نجاة
لسنا وان فهنا بما فهنا به من مدح موسى كامل الرغبات
انا كثير غير أنا لم نحط بالعشر من اوصافك العطرات
رمنا مديحك كله لكن كما قد جاء فى بيت من الابيات
«الشمس أقرب أن تعد صفاتها من وصفكم بعضا من السادات»١
فعليك يا انس الجليس تحية تزرى بريا الورد والحبقات
مادمت تسمى فى الورى موسى وما موسى تحز اللفت والبصلات

هكذا جرينا ملء فروجنا اطلاقا ، ونحن ننتهب الابيات والاشطار كما تيسر تندرا، ونحن فى فرح وبهجة وانشراح؛ والسرور قدعقد علينا اطنابه؛ والمفاكهة قدغلبت على ارساننا، فتديرنا كيف تشاء ؛ ثم مدالسماط فاقبلنا ننتهب من جديد ماتزخربه الموائد ؛ من شواء حنيذ ، بخبز من سميد ، وطاجن مزعفر ؛ ودجاج محمر ؛ بعد مازوجنا اللوز المطحون بابنة النحل ، وأرينا خالص الزبدة كيف تكون الغارة الشعواء الملحاح ، ثم أقبلنا على جفا ن الكسكسو ، وقد طفحت لما تتحلب اليه الشفاه وتلتهمه من غير مضغ اللهوات ، فخبينا فيها ووضعنا ، وأترعنا من الاشربة الهنيئة المريئة ما اترعنا ، فلم نزل نوالى الكاسات من اطيب الشراب حتى ضربنا بعطن ، فوقع صدفة ان اناء من آنية الطعام أفلت من يد الخادم ، فقال احدنا

انشق من هيبات موسى حينما ابدى الجبين الآنيات الفاخرة

فقال آخر

لاتعجبوا فسميه انفلقت له لما تحمل كل فلك ماخره

وقال آخر

جعلت له أطواد ماء بعد ما الـ ـدا ماء واحدة تدفق زاخره

وقال آخر

وكذا الاناء يعود افلاقا واو ل امره شمتم وشمتم آخره

وقال آخر

ما هذه اولى مفاخر سيدى موسى ومن يحصى لدنه مفاخره؟

١) بيت محدث اذذاك لكنه جعل كأنه قديم فضمن

وقال آخر

هدى كرامات ومن ينكر فقد عبثت به ارضات جهل ناخرة

وقال آخر

اما انا فاحب حقا ان يكو ن ليوم حشر منه حظى داخره

وقال آخر

لكننى ابغى الحظوظ جميعها فى هذه الدنيا وتلك الآخرة

وقال آخر

من جاء يوم الفخر صاحبه بما قدجاء موسى اليوم أضحى فاخره

قال آخر

الله يعلم أن ذا جـد وان قلناه فى أوقات أنس ساخرة

وقال آخر

فليعلم الثقلان ان قمنـا بما نسطيع من امداح موسى الفاخرة

ثم أن الاديب البوزاكارنى قال لابدان نرمى غدا بهذا النوادر الى الاستاذ سيدى على بن عبد لله ، وكانى به وهو يثنى أيضا على عادته فى الاغضاء على هذه العصائد فيعلن بملء فيه انها من خير القصائد ، فزرناه فى اليوم الثانى، فقص عليه الاديب القصة على وجهها ؛ وألقى على مسامعه ذلك اللغو من الحديث ، فاطـرى كـل الاطراء ، وقال هكذا تكون المحافل الادبية ؛ وبمثل هذا اشتغال الطلبة ان ارادوا ان يلهوا، فياتى لهوهم فى صفة جد ، فقد اجرى الله على السنتكم من اوصاف سيدى موسى ماكان كله حقا؛ فهو نعم الرجل من جميع الجهات ، فمد وراء ذلك لسانا منه لم يعوده الا خيرا

هذا مجلس من مجالس الغ التى يجتمع فيها اللدات ، ويلقون وقار العلماء الكبار وراءهم ؛ وغالب الالفيين ليسوا بثقلاء ، ولو كان غالبهم ثقلاء لما جاورهم الادب ؛ ولمارأى منهم الاريحية التى لايسكن الا اليها ، ولم يخف عنا فى تلك الليلة نفسها ما فى كلمة (صرفة) ولاما فى لفظة (انعات) ولامافى لفظة(الزردات) وامثالها ، ولكنها مقبولة فى أمثال تلك المجالس التى بنيت على مابنيت عليه من غض الطرف ، وقبول ماكان على ماكان ، ونذر ذلك الى مجالس الجد التى يوزن فيها الكلام بميزان الذهب ؛ والنقد فيها يعطى حكمه مسمطا ؛ وياويل من زلق لسانه؛ اوالتفت لفتة الى غير الجهة التى يتوجه اليها الحق ، ولله در بعض الالفيين اذقال : وقداستثيرت منه ذكريات امثال هذه المحافل الالفية الادبية•

سقى الله هاتيك الليالى انها حجول لها الاداب فى وجهها غرر
تجاذب فيها الناشئون قوافيـا كاطراف طاقات يفوح بها الزهر
تبسم فيها الدهر عن رغد كما تبسمت الحسناء عن ثغرها العطر

فما شئت من بحث لذيذ مشعشع ومن ادبيات تروق ومن سمر
ولكنها كالحلم سرعان أن مضت فلم يبق منها اليوم فيناسوى الذكر

وبعد فقد انجربنا الحديث ـ والحديث شجون ـ الى انخرجنا الى ماذكرنا على انذلك أيضا له اتصال بصاحب الترجمة كماترى ، فان الاستاذ ابن عبدالله شهدانهذه الاوصاف صادقةعليه ، وأن المباسطين مانطقوا الا بالحق ، وأما أنا فاعلم من سيدى موسى حفظهاللهمن الدين والخلق الدمث، والانحياش الى الخير وذويهمالااعرفه عنكثير من أقرانه ، ولذلك تيمنت بترجمته ، فكانت الاولى فى هذا الكتاب كتابة وتحريرا ٠

ثم اذ، تزوج بعد اختنا بابنةعم منأعمامه، فرزق منها اولادا رباهم على الدين، وقد حكى لى الاخ أحمد رحمهالله فى هذه السنة ١٣٥٦ هـ أن بناته الابكاروأمهن ممن لايزلن عاضات على التراث السعيدى منالصلاة فى الاوقات ، وكفى بذلك صاحبالترجمة شرفا ، وله من الذكور واحد أسمه محمدقدراهق الآن حفظهالله (ثم ادرك وقد حفظ القرءان فصار منرجال القرية)

ثم ان المترجم سيدى موسى قد التحق بربه ضحوة الجمعة ـ ١١ـ٢ـ١٣٦١هـ بعدمرض لازم الفراش به نحو شهر اثر ضعف شديد لازمه منذ سنة ، رق به عظمه، وامتقع بهلونه؛ وقدعدته فى داره قبل وفاته بنحو نصف شهر ، فقال انه راى شيخه الوالد خاله فى عالم الارواح ؛ وقرأله قوله تعالى «وان كل لماجميع لدينا محضرون» فوقع فى قلبى أنه على الرحيل ، ولكننا لانزال نرجوه حتى فات من ايدينارحمهالله ، وقد كان صواما قواما ناسكا لينا ، تلاكتاب الله ؛ ما علمنا عليه منسوء ، وقد لازم المشارطة فى مسجد (تيمولاى) السفلى الى ما قبل يومه الاخير ، اللهم اجرنا فى مصابنابه ، انالله وانا اليه راجعون؛ (وفى كتاب الالغيات) (قواف بينى وبينه)

النجيب سيدى الحسين

ابن احمد بن صالح

١٣١٨ هـ = نحو ١٣٤٠ هـ =

نسبه :

الحسين بن أحمد ابن الحاج صالح بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن سعيد

كان سيدى الحاج صالح الذى ذكر فى هذه السلسلة من حفظة كتاب الله، وممن حج مرتين ، أولاهما سنة ١٢٨٥ هـ مع أمغار الحاج احمد التامانارتى الذى صار بعد قائدا ، وكان بين الاسرة السعيدية وبين الاسرة الرئيسية فى (تامانارت) اواصر مودة وشجت عروقها منذ القدم ، وقد وقف سيدى احمد ابن محمد بن سعيد مع هؤلاء التامانارتيين سنة ١٢٥٥هـ فى الفتكة التى ألمت بهم من أيدى أولاد الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم ، فكان ينفذ اليهم بالماء حين حوصروا ، فبقى أولادهم بعدهم على هذا الوداد ؛ ولذلك لما عزم أمغار احمد أيضا على الحج مع أصحاب له ، وقد ذهب سيدى الحاج صالح ليودعهم فى السويرة عزموا عليه فى المضى معهم فباع بغلته ، ولكنهم لم يرزأوه منها دانقا ، وقد كانت له حجة ثانية بعد الاولى ، وهو من وجهاء القرية السليمانية ، ومن كرمائها ومن أمليائها ، وهو ابن خديجة زوجة والده الاخيرة ، وقد كان مع والده سيدى أحمد حين انتقل الى (تامانارت) وسكن فيها ولما نشأ ولده سيدى محمد بن أحمد ولم يردان يضايقه فى الغ تركله ولامه ولمن معهما دار الغ ، وكان أحمد وجيها كريما ، فكما كانت له صحبة مع الرؤساء التامانارتيين، وكذلك كانت له مع الرؤساء التازروالتيين سيدى الهاشم وأولاده ، فقد نزل عليه سيدى الحسين ابن هاشم فى زحف له مرفيه نحو (أمانوز) وهذا كله أخذته عن العم ابراهيم ، وقدمات سيدى أحمد بن محمد هناك فى (تامانارت) ، جلس فى بستان ؛ والعملة يعملون له فيه، فسقط عليه حائط، فصلى عليه الفقيه سيدى ابراهيم التامانارتى جد استاذنا سيدى الطاهر ؛ وقد كانت بينهما صحبة تعاهدا بها على أن من مات سابقا يقف عليه الاخر حتى يدفنه ، وكانت ولادته قبل ١٢٠٠هـ ووفاته نحو ١٢٦٢هـ وعلى قبره بيت هناك ، وقد تقدم ذكر والده الصالح سيدى محمد بن

سعيد ، وقد التقينا ـ نحن اولاد الشيخ ـ مع سيدى صالح فى احمد بن محمد هذا، فانا المختار بن على بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد الخ ٠٠٠٠ فسيدى صالح عم جدنا احمد بن محمد بن أحمد ، ثم ان سيدى الحاج صالحا راجع الخ بالسكنى الى أن مات ، وولادته نحو ١٢٥٣ هـ وقد أدركته جدتنا تاكدا حين تزوجت سنة ١٢٦٠ هـ صبيا بذوابته كما قالت ، ثم كان ممن يكتب العقود فى القرية ، ولم يكن اخذ من المعارف شيئا ولذلك لايقصده الامن لم يتيسر له عالم، وكان تلاء لكتاب الله ؛ وقد وقع له فى احدى حجتيه انه رأى أحد المعلمين للقرآن فى الحجاز ، وهو يملى على تلميذ من المصحف فقال له لماذا لاتملى عليه من حفظك؟ فقال له ومن يحفظ القرآن حفظا جيدا ، حتى يقدر ان يمليه من صدره؟ فقال له أنا أحفظ كله فى صدرى ، فصار يقرأ عليه ، ولكنه يهذ القرآن هذا ؛ فانتفض الحجازى ؛ فقال له اسكت اسكت ، فانك مادمت تهذه هكذا فانك لم تحفظه بعد، وكان يحكى ذلك فى معرض الانكار على قراءة المغاربة ، ثم انه شاخ فى اخر عمره، وقد كنت أرى الشيخ الوالد يرسل اليه كثيرا ويبره، لانه عم أبيه ، ثم لما توفى الوالد بقى فى ضياع لولاولده سيدى أحمد بين أولاد له آخرين فانه قام به بعد أن بلغ به الهرم حتى انقطع عن المسجد الذى ماكانت تفوته قبل فيه صلاة، وقد صار اذا مشى لاتتمكن النعل من رجليه ، ثم توفى يوم السبت عاشر ذى القعدة سنة ١٣٣٧هـ وقد كان هو امام القافلة التى تسافر دائما من الخ واليها من المرابطين والفقير عدى اللحيانى هو المؤذن فكانت صلاة الجماعة محافظا عليها دائما فى أسفارهم ، فرحم الله تلك الهمم التى اعطت للدين وللدنيا حقهما ٠

وأما ولده سيدى أحمد بن الحاج صالح ، فانه أيضا من حفظة كتاب الله بل ممن له قبصة من العلوم قليلة اخذها من المدرسة الالغية ، فقد رأن يطالع بها ، وكان رجلا له فى الكد والنصب وراء المعيشة عجب عجاب ، لكنه غير محظوظ فى دنياه ، فكان كلما برقت له بارقة من جهة ؛ انطفات عنه نويرة من أخرى ؛ ولايكاد يفارقه دين ؛ وقد تزوج برقية بنت عمتنا خديجة بنت سيدى مبارك الاخت للاب سيدى البشير وسيدى موسى اللذين قرات ترجمتيهما ، فكان سيدى أحمد مذكارا فولد له على والحسين والحسن وابراهيم ومحمد وعبد الله ، هؤلاء من شبوا وعرفناهم وأدركناهم ، ثم ولدت له أخيرا بنته فاطمة ، فكان الاريحى صاحب النكت ؛ سيدى البشير يقول غريبة فى اخر الزمان ، سيدى أحمد ابن الحاج صالح طال عمره حتى ولدت له بنت ، ثم ان سيدى أحمد دارت به مصائب بديون تراكمت ، وحاول أن يتقدم بالسفينة كل محاولة بين الامواج والاجراف، ولكنه غلب أخيرا ؛ فانقطع فى حاجة وقد كان ولده الاستاذ سيدى محمد بن أحمد هناك عند القائد سعيد التيكزيرينى ، فشارطه فى مسجد هناك وذلك بعد ١٣٤٤هـ وهناك استقر وهدأ واشتغل بربه ، ووجد من الرحمة وفراغ الوقت ما لم يكن يحلم به فى الخ ، وقد كنت كتبت اليه اذاك رسالة اوصيه فيها

بالسكون هناك ، وان الله اراد به خيرا فهيا له ان جعله من عمار المساجد الذين هم المومنون بالله واليوم الآخر ، فكان من انصافه انه فرح بما قلت له رحمه الله، فقد كان تلاء لكتاب الله هناك ؛ وكان مع انه تيجانى ليس فيه غلو البعض منهم ، فكان اذا صل المغرب يفتتح الحزب اولا ؛ ثم يثنى باوراده ، فعاكسه اناس هناك من اصحاب الغلو فى الطريقة فقالوا له نريد الورد اولا ثم الحزب ، فلم يتبعهم، ثم حدث به مرض من سم، يتهم به هؤلاء ، ولم يزل ينزايد فيه حتى توفى هناك فى ـ١٣ـ جمادى الاولى سنة ١٣٥٦هـ وان انس لا انس اننى كنت سمعت مرة من قريتنا ماكنت لاعتاده منها فى حياة الشيخ الوالد من مجانة وامور تزرى بالمروءة ، فقلت له وانا جالس اليه امام الزاوية ماهذا الذى وقع فى القرية ومنكم وانتم اصحابها؟ فقال هل كنت قط فى ملعب احواش ؟ فقلت له لا فقال ان من عادتهم ان يكون فى وسطهم انسان يرأس حركاتهم ، فكل مافعله يفعلونه ؛ فكذلك نحن وانتم ابناء الشيخ ؛ فحين كان والدكم يرأسنا بخير وبمروءة وبالتباعد عن مواقف الخزى والشنار ، فقد كنا نحن والجيران كلهم بخير ؛ وحين جاء دوركم؛ وانتم تمشون غير مشى والدكم لا فى المروءة ولا فى الدين ولا فى التباعد عن مواقف الخزى والشنار ، فلا غرو ان نتبعكم فى مشيتكم هذه ؛ فكانه والله القمنى حجرا القاما فسكت ، ثم لم انس بعد كلامه ؛ وقد التحق به صنوه ابراهيم ابن صالح فى اول ١٣٥٧ هـ فى (اكادير ايغير) وكان يعمل هناك وسكن فيه منذ سنوات .

وسيدى أحمد ذلك هو الذى ولد لنا الاستاذين الكبيرين الآتيين سيدى محمد ابن احمد وسيدى ابراهيم بن احمد وسيدى الحسين الذى عنوناله لنذكره.

نشأ سيدى الحسين فى القرية ، فاخذ القرءان عن سيدى بلقاسم الايسى وعن سيدى محمد بن مبارك الاهريبى التاجارمونتى ، وعن خاله الفقيه سيدى موسى بن الطيب ؛ وبخاله تخرج ثم التحق فى رفقة قرينه سيدى بلقاسم بن محمد بمدرسة سيدى على بن سعيد الاخصاصية ، سنة ١٣٣٤هـ والاستاذ فيها اذذاك شيخنا سيدى عبد الله بن محمد الالغى ،فاخذا هناك متون المبادىء، ثم توفى سنة ١٣٣٦هـ انتقل مع رفيقه الى المدرسة الايغشانية ؛ وفيها الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى ، فكان صنوه الاستاذ سيدى محمد بن أحمد معين التاجارمونتى فى المبتدئين ؛ فاخذ صنوه هذا ورفيقه ، وسيدى ابراهيم (استاذ الحمراء اليوم) بالسير فى التعلم على وفق تعاليم الخ ، كما ذكرناه فيما قبل ، فهذبهما وشذبهما ومرنهما حتى تفوقا بين لداتهما ، فكان صاحب الترجمة ممن يطالع ويعيد بين طبقات المتعلمين ويتلو، وقد صلح لسانه، وقد اتم الالفية؛ ومر بالمقامات الحريرية واشرف على اتمام المختصر فى الفقه ؛ وجال فى كل الميادين التى يجول فيها من ترقوا من دراسة الدور الثانى الى الدور الثالث ، وكان له بين اهله ذكر، ثم كبا

به الدهر العثور، وتقلبت باسرته امور، وذلك حين سقوط الكارثة على والدهم؛ فتركته تحت كلكل الديون فى تململ ، فسما لعلى بن احمد أخيه أن يهاجر فى طلب ثروة، يدعم بها الاسرة ؛ فجعل بين عينيه اما أن يلقى امنيته ، او يلقى منيته ؛ فسبق فى القدر الذى لايدرك بطرق الحصى غيبه، ان ذهب معه أخوه المترجم سيدى الحسين ؛ وقد جرفته سورة حزن على فراق أخيه ، او بروق امانى يتخيلها ، ثم لم يكادا يمعنان فى الخواضر ؛ حتى سقطا معا بالمرض ؛ فلم يمهلهما الاجل، فالتحقا بالتتابع بربهما فى دار غربة، ففازا بشهادة الغربة ، ان فاتهما ان يشاهد ما تغربا من أجله ، فذهب الحسين النجيب الذى لاشك لو امتد به العمر أن يكون ابراهيم اخر، وربما تبصر منه الحمراء استاذا ثانيا؛ ولبعض الالفيين فى مثل هذا :

فكم من نفوس طلبن نفيسا ... فكانت امانيهن منايا
وكم ناظر للمزايا بما ... يزاوله فاستحالت رزايا

تاكدا بنت سعيد

١٢٤٢ هـ = ـ١٤ـ١١ـ١٣٤٠ هـ =

نسبهـــا

تكدا بنت سعيد بن محمد بن الحسن بن سعيد بن على بن بلقاسم بن عبدالله ابن سعيد ٠

هذه السيدة هى أم الوالد ، وجدة علماء كثيرين من الخ، رزقت هى فى نفسها حظوة تأتت لها بها مزايا ومفاخر تستحق بها الخلود فى التاريخ ؛ وليست هى وحدها من يستحق أن يذكر من نساء قبيلتنا التى سابقن رجالنا الى ميدان الديانة، وجاذبنهم حبال الصلاح، فهناك أمثال فاطمة بنت سعيد بن سليمان بن محمد ابن أحمد بن عبدالله بن سعيد الصالحات القانتات ، ولكن لم يشتهر عنهن وراء ذلك مايستحققن به درجة الاعتناء بأسلات اليراع ، وهل قمنا بكـل اصحاب العمائم حتى نتفرغ لذوات القناع ؟ وقد كانت فاطمة هذه ممن يوثر عنها مايوثر عن الصالحين من استجابة الدعوة ، وسمو الهمة ؛ والارشاد حتـى صارت تنتابها الايغشانيات والوفقاويات والمجاطيات بالزيارة، فتعظ وترشد ؛ وقد عمرت، لان ولادتها فى اوائل القرن الماضى ، وتوفيت سنة ١٢٩٠ هـ بعـد الفقيه ابراهيم بن سليمان بنحو ثلاثة عقود ، وقد كانت تاخذ بحجـزة زوجها أحمد بن ابراهيم بن سليمان وتعظه ؛ وقلما يتعظ بما تقول فتصبر، وقد التحق بها سنة ١٢٩٥هـ٠ وقد كنت سالت العم عمن يصلح أن يذكر من نسائنا المشهورات، فعدل كثيرات ؛ فرأيت بعدما استفصلته عما اشتهرن به من الحصافة والعفاف، والقيام بالاسرة أن آتى بواحدة أذكرها كمثال لهن، فاخترت هذه المترجمة التى كنت على يقين من أحوالها ؛ ولم تعبث بها بعد أخيلة الرواة ، ولم ينسج حولها ماكان ينسج حول من كان اتفق لها ماتفق لمماستراه ٠

اذا صدق أهل هذا العصر فى قولهم : ان مستقبل الابناء فى أيدى الامهات، فانهن المدرسة الاولى والغارسات فى الاذهان ـ وهى كما انبثقت ـ علو الهمم ، والشعور الحى ؛ فان لهذه السيدة حقا يدا طولى فيما توجهت اليه انظار بعض أولادها فنالوا ، وتساويها فى ذلك السيدة (رقية) ام العلامة على بن عبدالله ابن صالح

ابوها سعيد بن محمد من اخواننا السعيديين أبناء بلقاسم بن عبدالله بـن سعيد ، دفين تيدلى بايغشان سكنوا فى بسيط (واكشرير) بايت موسى؛ بمجاط وقد رزق سعيد بن محمد ذكورا وانانا، منهن عائشة اقترن بها الشهم الباسل سيدى عبد السلام بن محمد بن عبد الرحمن من أحفاد سيدى محمد بن ابراهيم

الشيخ، الساكنين بقصبة (تامانارت)؛ فولدت له الرئيس الطاهر بن عبدالسلام؛ وقد امتد عمر عائشة حتى توفيت اخيرا سنة ١٣٥١ هـ بعد أن عمرت نحـــو المائة ، ومنهن صفية اقترن بها بورحيم من آيت جرار الساكنين أسفل وادى افران ؛ وقد ولدت له أولادا ، توفيت بعد تعمير المائة أيضا اوائل سنة ١٣٥٦هـ وثالثتهن صاحبة الترجمة التى اقترنت بزوجها سيدى أحمد بن محمد سنـة ١٢٦٠ هـ ورسم نكاحها لايزال موجودا عند أهلها فى (واكشرير) ذكروه لى

كانت رحمة الله عليها من البدويات القويات الرابطات الجاش ، التى يؤدين واجبات ربهن ؛ ويقمن بماعليهن لاسرهن ، ذات همة نافذة ؛ وعزيمة مسنونة؛ وقد رأيت بعض ذلك فى أخبار ولدها الشيخ الوالد ، وهذه اخلاق غالب نساء بوادينا، وفاقت عليهن نساؤنا ءال عبد الله بن سعيد ، بالديانة والصون والعفاف والعض بالنواجذ على اداء فروض الدين فى الاوقات الموقوتة، وكن فى ذلك عجبا عجابا مع غيرة منهن من أن يستبد عليهن الازواج ، بل عادتهن أن يستبددن هن بكل مايلج من باب الدار ، ويقلن فى أمثالهن (أجنغ أنوال ؛ أدون نج أوال) اى دعوانا الاستبداد بالدار، ندع لكم الاستبداد بالتكلم فيما وراء ذلك ، فبذلك التأمت الاسر وانتظمت ، حتى لانسمع طلاقا ؛ ولاتعدد زوجات الا فى النادر جدا ؛ مما يقع كفلتات الطبيعة ؛ فهذه الصفات كلها فى صاحبة الترجمة ، وزادت عليهن بهمة غريبة ؛ وأنفة تظهر لك فى الحكاية الآتية

أخبرتنى فاطمة احدى اخواتي ، وهى شقيقتى الوحدة ؛ أنها ولدت مرة فربضت فى بيت نفاسها أياما ، فدخلت عليها السيدة تاكدا المترجمـة ؛ فمالـت عليـها بالتانيب والمعاتبة ، والعذل القارص اللاذع ؛ قالت ـ وهى تثرب عليها مستهزئة تبارك الله فيكن يانساء اليوم ، فقدقامت بكن الاسر ؛ وتربى بكن الرجال وعمرت بكن مخازن الديار ؛ تبارك الله تبارك الله؛ أوكلما القت واحدة منكن لحيمة من بطنها؛ ربضت فى زاوية بيت مظلم ، معتجرة بثياب ممتدة وسط فرش وثيرة؛ تبا لكن ولعصركن ؛ وتبا لمن يرجو أن يتربى على أيديكن رجال يسرون فى النادى؛ ويقفون فى وجه العادى ؛ فقدكنا ونحن فى سنكن لانبالى بأمثال هذه العوارض، ولانتصل بالارض فى زمن النفاس الا ريثما نتناول بايدينا اولادنا الجدد ، ثـم ننتفض الى اشغالنا من هذه الوعكات ، ومن التململات اللاتى تعتدنها اليوم، وتتمددن من أجلها أياما، فلاأزال استحضر اننى فى سنة كنت فى (ايسافن)ـ تعنى مرتبع الالغيين ـ فجاءنى الطلق بولدى على هذا الذى ولدكن ياأشباه النساء ، فاويت وحدى الى ناحية فى حظيرة الغنم ؛ وليست عندى هناك أية امرأة تقوم لى مقام القابلة وان كنت لااتوقف عليها لوكانت حاضرة ؛ فنفست بالولد ، فتناولته بيدى ؛ والليل مظلم ؛ وقدنام الرعاة فى عرض حظيرة الغنم؛ ولايطرق سمعى الاثغاء الشاء ، ونباح متقطع من كلاب الحراسة ؛ فانفتلت من مكانى فى الحين ؛ فأصلحت من شانى ماستطعت ؛ وقطعت سرة الصبى ؛ ولويته فى خرقة ، فاضجعته بعدما أرضعته فى قفة ملاتها تبنا ؛ ثم أظلنى السحر ، ووصل وقت قيامى لحلب الشياه

وهى عشرات فتحاملت على نفسى وقدبذلت كل مجهودى فى المصابرة ، فحلبت الشياه ثم أصبحت حذاء الرعاء، مع انبثاق الفجر ثم لم يعرف من معى هناك ان عندى ولدا جديدا الابعد يوم أو يومين ، هكذا كنا فى سنكن يابنات اليوم ؛ ثم لا نحسب انفسنا شيئا مذكورا ، وأما انتن يا نساء هـذا الجيل المتخنثات المتداعيات ، فانما هى أقوال مزخرفة ، وتبرجات فى أرجـاء الديار ، فلا دين الله أديتن ، ولا لاسركن عشتن ، ولا بحق الحياة المفروض قمتن ، فلا كنتن ولا كان من يرجوكن للاسرة ٠

هذه هى صاحبة الترجمة ؛ وقدعرفت بهذه الهمة ، وحبب اليها ان تتقطع فى ذلك المرتبع فى كل فصل ربيع ؛ لتقوم على الغنم بنفسها ؛ وربما وصل غنمها فى بعض السنين سبعمائة، والرعاء ستة ٠ ـ كما قال لى العم ـ ثم تقوم وحدها بكل ذلك حلبا ومخضا ؛ وطبخا للرعاء ؛ وقد كانت تضم اليها فى مرتبعها صغار أسرتها لتربيهم ، وقدكنت انا ـ جامع هذا الكتاب ـ بعد سنة من ولادتى ممن ذهبت بهم هذه السيدة كعادتها مع الصغار ٠ لعارض عرض دون اتمام رضاعى ـ وهو ولادة صنوى الحبيب بعدى بسنة ـ ذهبت بى الى (تافراوت ايكرا) بمجاط؛ فقامت بى بحليب الشياه اشهرا متوالية، ثم لمارددتنى فى حالة زرية من الاوساخ كادت والدتى تنكر أننى ولدها المختار لولاانها غسلتنى والبستنى احسن مـا عندها ، فتبينت اذذاك من ولدها ماكتسبه من الصحة فى ذلك المرتع

طال عمرها الى مائة أيضا ؛ كاختيها المتقدمين ، فشاهـدت مـن أحفـادها وأسباطها ماينـاهز عشرات ، بل يناهز المائتين ؛ فقد تنبه لذلك ولدها الوالد رحمه الله ؛ فشرع يوما يحسب فروعها ، فكانوا اذذاك قبل ١٣٢٨هـ اكثر من مائة وخمسين ؛ ثم لم تمت حتى كانوا أكثر مماذكرنا ؛ وقدراتهم كلهم وراوها، وسمعت من العم ابراهيم ان حفظة القرءان فقط من احفادها نحو ـ ٧٠ ـ رجلا، وأنا أحسبهم الآن أكثر من ذلك، وأما العلماء فأكثر من عشرين ، بين علامة ماهر وءاخر أدون منه، والكل ترى تراجمهم ، فى هذا الكتاب ان شاء الله٠ وقد وقع لها مثل ما يحكى عن فاطمة بنت يزيد بن معاوية ؛ أنها يمكن ان تنزع خمارها عند خلفاء كثيرين من بنى امية، عند أبيها يزيد؛ وجدها معاويـة بن أبـى سفيان ؛ وأخيها معاوية بن يزيد ؛ وزوجها عبد الملك ، وابى زوجها مروان بن الحكم ؛ وابنها يزيد بن عبد الملك ، وابناء زوجها الوليد وهشام وسليمـان ، وعنـد حفيدها الوليد بن يزيد بن عبدالملك ؛ وعندحفيدزوجها اليزيد بن الوليد بـن عبد الملك ؛ وغيرهم ، فكذلك صاحبة الترجمة مع علماء الـخ ورؤسائه ، فان الشيخ الوالد ولدها ، والاخ محمدا رئيس الخ اليوم ومثقفه وعماده ولد ولدها والاستاذان محمد بن عبد الله وصنوه على بن عبدالله صهراها على ابنتها مريم، والاستاذ عبد الله بن محمد حفيدها ، والاستاذ محمد بن على حفيدها ٠ والاستاذ المدنى زوج حفيدتها ؛ والاستاذ الطاهر بن على تزوج حفيدتها والاستاذان محمد ابن أحمد بن الحاج صالح ؛ وابراهيم أخوه ، وسيدى موسى بن الطيب وأخـوه

سيدى البشير والاستاذ ابو القاسم السليمانى ، هؤلاء كلهم احفادها؛ والاستاذ عبدالله بن ابراهيم ولدولدها وان أردت أن تزيد من غير الالفيين ، فلك أن تقول أن الاستاذ محمد بن الطاهر الافرانى زوج حفيدتها ، ثم ان الرئيس احمد الايغثانى زوج حفيدتها ، وهذا اتينابه كمثال لشرفها فى هذه الناحية ؛ والا فلوأردنا الاستقصاء من علماء احفادها وابنائها ، أوانصاف الفقهاء منهم لزدنا آخرين هم الآن فى ذاكرتنا ، ولكن انما ذكرنا المشاهير ؛ ثم اننا لم نذكرالامن ظهروا وبرزوا فى حياتها والا فقد ظهر آخرون وبرزوا بعدها ، وهم كثيرن حتى ليزيدون على ذلك العدد المذكور •

كانت رحمة الله عليها فى آخر عمرها تدور فى كل الديار ، وتقابل بالاحترامات لان لها مع كل دار ممن تقصدهم نسبا ورحما ، فكانت الدعوات الصالحة تطلب منها ؛ وقد ظهرت لها دعوات مستجابة ؛ كما حكيت عنها فراسات أو سمها كرامات ، وقد حدثتنى الوالدة ان والدى كان يقول ان امى ولية من اولياء الله ولكن لاتحدثوها بذلك ؛ وقد كانت فى اول امر ولدها الشيخ تنكر عليه وعلى كل الصوفية، حتى رات منهم براهين فرفعت من شانهم ؛ منها ماحكت لى بنفسها؛ وماعهدمنها التزيد والاختلاق ؛ أنها شاهدت بركة عجيبة من تمر عندها فى بيت؛ كان الشيخ الوالد اوصاهم ان يبيعوامنه حين ذهب الى الحج ؛ ليجمعوا من ثمنه القدر الذى تسلفه اذذاك ليحج به ، قالت فكنا نبيع حتى جمعنا الدراهم كلها؛ والتمر كماهو ؛ بل زادت لى أنها تحس بالتمر ليلاكأنه يتزايد ، وكأنها تسمع حركته بالزيادة ، هذا ماحكت لى والله اعلم

ووقع لها ايضا أنها اقامت حفلة فى دارها ؛ فاستدعت الطلبة أولا ؛ واخرت الفقراء المنقطعين عند ولدها الشيخ فى الزاوية عمدا ؛ كأنها استهانت بحالهم ، قالت ثم لما استدعيناهم ؛ دخلت بالسكرجات لاضع فيها سمنا من خابية فى قعرها بقايا ، فكنت كلما رفعت يدى تزايد السمن حتى امتلات الخابية؛ فكانت هذه الكرامة مما حملها على تحسين الظن بالفقراء ، أقول ان هذه الحكاية متواترة ؛ واشك فى سماعها منها ؛ ولست من ذلك على يقين؛ وانما الذى اتحقق أننى سمعته منها تلك التى ذكرتها أولا •

وقد اعتراها ضعف كثير فى اخر حياتها ، فكان يغشى عليها بادنى سبب؛ فتسقط بالخبر السار؛ أوبالخبر المحزن؛ وكانت لاتغب زيارة القبور؛ والتصدق على اهلها ، على ماعرف من العجائز؛ ولاتفارق الارشاد لكل من لقيته ؛ وتوثر عنهامواعظ وحكم ؛ وقد اخبر شيخنا سيدى عبدالله بن محمد أنه سمعها تقول: لايذهب بالطرف والحوائج والاشياء من ديار اولاده الى ديار بناته الا الحمقاء المافونة من الامهات •

تلك السيدة (ناكدا) رحمها الله ، فياطالما وصتنى ان ادعولها بعد موتها؛ اللهم ارحمها رحمة واسعة وبوئها فى اعلى عليين ، وبدل سياتها حسنات ؛ انك سميع مجيب •

سيدى ابراهيم بن احمد

الطالبى السليماني

= ١٢٨٢ هـ = ليلة ٢٠-٤-١٣٦٨هـ =

نسبه :

ابراهيم بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن سعيد .

ان كان لكل واحد من كبار الرعيل الاول من الالغيين وجهة هو موليها ، بذفيها اقرانه ؛ ونال فيها الشفوف عليهم ؛ فان للعم وجهة اهتم بها من بينهم تاتى له ان ينفرد بها انفرادالكواكب بالسماوات العليا ؛ فلئن كان الشيخ الوالد فى تصوف وتربيته وارشاده ، والاستاذ محمد بن عبد الله فى همته وتاسيسه وتدريسه ؛ والاستاذ على بن عبدالله فى فتاويه الرائعة ؛ وقصائده الكثيرةوترسله الفريد من بين الالغيين ، اذاكان يظل كل واحد منهم من علياء ماختص به من قمم التاريخ ، وتشير به اليه الاكف بالبنان ؛ فانلهذا العم من الرعيل الثانى من ذاكرته الواعية الغريبة مايمدله ذكرا مديدا فى حياته وبعدمماته ، وناهيك بما يقرؤه القارئون عن الالغيين هنا فى هذا الكتاب ، فانتسعة اعشار ما فيه ممايتعلق بالالغيين قاطبة ، ثم بجيرانهم من اخبار العلماء والرؤساء والوقائع والحروب والانساب ومايمت به كل واحد الى اخر بتلميذية اوأستاذية ، غالب ذلك انما استقيته كنقطة من بحره ؛ واقتبسته منه فيما بين الظهرين فى الشهور الاولى التى حللت فيها الغ من السنة الماضية ؛ مع اننى انمااتناول منه تناول الطرار الذى يتناول من جيب غافل ، لان الجو بكل اسف لم يصف لى حتى اخذ عنه كل ماارید ؛ أواستنفد ماتعيه ذاكرته العجيبة من الحوادث والاخبار .

أول من سمعت منه الثناء عليه من هذه الناحية ثناء عطرا ، هو أخى احمد المرحوم ، وقدقال انه وحده من انتهى اليه خبر الغ والالغيين ؛ وتاريخ كل مادار فيه فى المجالس العلمية والقضائية ؛ حتى انه ليعرف استحضار كل النوازل التى جرت فيها مخاصمة بين أيدى قضاة الغ . وكيف جرت ، وبأى شيء حكم فيها مع معرفة الامكنة التى ثارت هذه المحاكمات حولها . قال حتى انه ليقف أمام كل حقل من حقول قريتنا هذه وماليها ، فيملى عليك تاريخه منذ عقود . بل منذ قرن أوقرنين ؛ وذلك كله لماثر بين عينيه من الرسوم التى كان يتصفحها فى

حضرة الاستاذ سيدى على بن عبد الله قاضى الخ ، الذى مامن رسم رسم الامر بين يديه من رسوم الاسر ؛ من أجل محاسبة او محاكمة يتولى فيها الحكم ؛ فكان العم يعى كل مايرى بحافظة كانها ءالة التصوير هذامع تثبت ، وقول لاادرى فيما لايدرى ، وجعل اليقين مقام اليقين والظن مقام الظن ، هذا مدلول ماكنت أسمعه من الاخ رحمه الله ؛ ويقول هذه هى حسنة العم وحده ؛ ومنقبته التى اختص بها ، ثم يذهب الى الاستثناء من ذلك على عادته ممايجب علينا أن نلقيه ظهريا ٠ لانه يالف الانتقاد ، فلايذكر محاسن ، حتى يحرص على ذكر ما يقابلها من ناحية اخرى

حقا ان العم يعرف كيف يحدث ، وكيف يتثبت ، ومن اغرب ماعرفته انا منه فى تلك الشهور أنه اذا قال نحو كذا ، أوحدود سنة كذا ؛ فانى ان وقفت على تاريخ ذلك الذى حدده بالتقدير ، أجده كما قال ؛ اويقرب اليه بكثير ؛ وبامارات أخرى جربته بها ايقنت صدق ماقاله الاخ، وتحققت أنه ليس من المجازفين فى الثناء عليه فى هذه الناحية

تلقى القرءان عن سيدى مبارك بن أحمد من بنى عمومتنا الاعلين ، ثم عن سيدى الحسن من آيت الموذن التونينى الالغى عم الاستاذ سيدى ناصر الشهير، ثم عن سيدى اليزيد الايسى من (أكرض ايملالن) ، وقدتتابع هؤلاء فى مسجد القرية ؛ وفى ثناء ذلك كان يعرض سوره المحفوظة على جده سيدى محمد بن احمد ؛ ثم ذهب به الوالد الى (تيغمى) عند الاستاذ سيدى محمد بن بروك ،وذلك فى سنة ١٢٩٣ ﻫ حين كان الوالد يتلقى فى (أدوز)

وفى ١٢٩٦ ﻫ افتتح المبادىء العلمية على الوالد فى المدرسة (الفوكرضية) ثم صاحبه الى (البومروانية) ، ثم انقطع بعدذلك الى المدرسة (الالغية) من ١٢٩٨ﻫ الى سنة ١٣٠٦ ﻫ فانتقل الى المدرسة (الادوزية) ، فلازمها شهورا ؛ ثم رجع وقد اكتفى بماأخذه بعد أن حصل تحصيلا وسطا ؛ ولم يكن بالمتمكن فى القواعد ؛ كمايتمكن فيها الالغيون ، وان كان أشرف على كل الفنون التى أخذها ؛ وقد حصلت له فى لسانه ملكة ماعربية ؛ ونفحات أخرى من مختلف الفنون ؛ ومن كان كذلك ــ وان عند غير الالغيين يجعل فى الطبقة الاولى ــ لايكون مذكورا بين الالغيين من ناحية المعارف ؛ لانهم يرون انه لايستحق أن يسمى عالما بالنحو مثلا الامن من استحضر كل الالفية بأبياتها وأدلتها وشواهدها وقواعدها التامة على أسلات لسانه فى المحافل ، بله المتون الاخرى التى تشتمل على التصريف ؛ وقواعد الاعراب ؛ والجمل ؛ فهذا عندهم من يستحق أن يسمى نحويا ، وأما من له المحاكة فقط، حتى يستقيم لسانه بكثرة التمرين ، وان كان له بعض المام بالقواعد ؛ فهذا عندهم بمنزلة الصفر عن يسار الرقم ؛ وكذلك لايكون عندهم فقيها الامن يستحضر التحفة والزقاقية على الاقل ، ويكون ذلك منه بديهة؛ مع استحضار لغالب المسائل التى تروج من الفقهيات ، فمن أخطاه ذلك مثل

المترجم فليس عندهم ممن يوصف بانه عارف الفقه ، وكذلك لايكون عندهم استاذا في مقام الشفوف ألااذا كان لغويا مستحضرا لضبط الكلمات ، حتى لايتوقف في تسعة من عشرة مما يروج في الكتب الادبية الكبرى ، كنفح الطيب وقلائد العقيان وابن خلكان مثلا ؛ مع استقامة لسانه في القراءة لكل ماعسى أن يمر بين يديه ؛ حتى لايعثر وهو يجرى في غلوائه تلاوة في مجمع حافل ؛ والعيون اليه شواخص ؛ والآذان مرهفة ؛ فمن كبا دون هذا المدى ، فانه ممن لايوبه في أمثال هذه المحافل ، ولايمكن له فيها الا السكوت والاطراق والتنكب لئلايقطره الزحام، وقد قال لى يوما استاذى العلامة ابو زيد البوزاكارنى اننا دائما نتعجب كيف نلت مكانة بعدنا في العلوم ، مع أننا نعرف مقدار غورك فيها وانك نساء لاتستحضر ، حتى عرفنا ما وراء الاكمة، فادركنا السبب ، فان الاعمش بين العمى زرقاء اليمامة ؛ وهذه كلمة حق اعترف بها امام استاذى اعترافا، واقربها انصافا ، فلئن فاتنى التضلع في الفنون فعسى أن لايفوتنى الانصاف . لان الحق الصراح اننى لااستحضر كما يستحضر البوزاكارنى ، وأحمد اليزيدى وداود الرسموكى ومحمد بن الطاهر ؛ والمدنى بن على والطاهر ابن على ، وعبد الله بن ابراهيم ، فضلا عن اشياخهم كعبدالله بن محمد وعلى بن عبد الله والطاهر بن محمد (١)

هذه بعض اوصاف من يدعى بالفقيه وبالعالم وبالاستاذ عندنا بالغ، ولما لم تتوفر هذه المزايا كلها في صاحب الترجمة ، فهو عندهم ليس بفقيه ، ولا بعالم ولا باستاذ، ولاينادونه بذلك ، ولذلك لم تكن شهرته من هذه الناحية ولاكانت مؤسسة عليها ، فقد فارق المدرسة سنة ١٣٠٦هـ وهو على هذا الوصف الذى ذكرناه ، فاتصل باخيه الشيخ الوالد ، فتلقى منه الطريقة الدرقاوية ، فصار يسيح معه كمريد في تلك السنوات قال فاخذت منه تفسير كثير من احزاب القرءان ، مع سيدى سعيد التنانى ، وسيدى الناجم التيفرميتى وسيدى الحسن الماسى ، وسيدى سعيد بن عبد الله الايديكلى ، وءاخرين من الفقهاء الذين التحقوا بالشيخ الوالد ، ثم تزوج ءاخر سنة ١٣٠٨ هـ فانقطع عن السياحات فبقى في ملازمة حضرة الاستاذ على بن عبد الله ، فابتدأ دروسا أخرى في النوازل ، وقد تاهل لها بماكان اخذه في زمن الدراسة ، فلم يزل بفكره الثاقب وذهنه الحاد ، وهو في تتبع مايمر في حضرة الاستاذ ، حتى صار نوازليا ماهرا غاية المهارة ، متخرجا في ابواب الاحباس والشفعة والبيوعات والفرائض وقسم التركات ، وفي المسائل التي تدور كثيرا في هذه البلاد ، فاسترد بذلك ماكان ينقصه في المدرسة ، فصارت ذاكرته الواعية تضم غالب المسائل التى راجت،

---

١) ومن لم يعرف من أهل الحواضر كيف استحضار هؤلاء فعليه أن يلقى البوزاكارنى نزيل الرباط ليرى العجب العجاب فيوقن انكل ماقيل حق اليقين

فيقيس على ماحكم فيها الاستاذ نازلة مثلها تعرض من جديد ، حتى صارالاستاذ يحضره بعد ذلك عن عمد فيكل ماحدث عنده ، لانه سرعان مايجد عندهالجواب انكانت تلك المسالة تقدمت فيتلك المسالة نفسها ، أوتقدم نظيرها ، حتى كان الاستاذ يعزل له دائما حظه من أجرة النوازل المفصولة على يديه ، فعلم عنه ذلك الخاص والعام ، ولهذا الاستحضار كان ركابه لايفارق ركاب الاستلذفي كل سفر ، ولاكانت مجالس العلماء الالفية تخلو منه ، وقد اشتهر بجرأته ، وانهيلقى الحق الذى يعرفه فى وجه اى انسان ، كانماكان ، وكان والدىرحمه الله يراعيه حق المراعاة ويصبر لجرأته ، لمايعلمه منصفاء سريرته ، ولانه يراه أعز ولد عند والدتهم السيدة (تاكدا) فكثيرا ماينأول والدته طرفة من الطرف ، فيقول لها اذهبى بها الى ابراهيمك فتطير العجوزالطيبة القلب الىفلذة كبدها ابراهيمها الذى كان بمنزلة القلب من صدرها ، لانه أصغر أولادها

ولم تكن النوازل فقط هى التى استفادها فى حضرة الاستاذ ، بل استفاد أيضا مايروج فى مجلسه وفى مجلس الشيخ الوالد ، وفى مجالس العلماءالكثيرة اذذاك فىالغ وفى غيره ، فتقدم اشواطا فى معرفة الاداب والتواريخ القديمة والاحاديث، وتفسيربعض مشكل الآيات وفقه العبادات التى لاتخلو منها مجالس الزاوية بينالفقراء بين العشائين ، فقدحصل كلذلك ، فصار متى راجمنجديد يملمن ذلك ماكان تحصل لديه منه قبل ٠

وانى لاعجب منه كيف كان فرط فى زمناخذه ، حتى لم تنفعه هذه الذاكرة الغريبة ، فاننى أرى انه لوكان وجهها كما يوجهها التلميذ الذى يريدالتحصيل بالغ رتبة عالية ، وتفوقا على كل من يضمه الغ ، كان سالنى وانا ءاخذ فى المدرسة التانكرتية عن لام التوكيد التى تكون فى خبران ، فتوقفت فىالجواب ففصل لى فيها ماقاله النحويون ، ثماملى على من أبيات الالفية مايتعلق بذلك ، وفىذلك المجلسنفسه سمعته يحدث سيدى سعيدا التنانييقولكان معنا فلان فى المدرسة الادوزية ، فكان لايصلى ، فاذا قيل له فىذلك قال انما نحناليوم فى سبيل العلم ، ولندع العمل للغد، فضحكنا من قوله ماشاء الله، وكانصاحب نكات يرويها ، وتصدر منه فقد روى انه كان مرة مع الشيخ الوالد والاستاذ على بن عبد الله عند الاعصياويين الرؤساء السملاليين ، وقد ندبهم الحاج ابراهيم الايغشانى اليهم ، لعل قاتلا من الايغشانيين لاحدهم يقبلون عنه دية يؤديها ، فيسامحونه فى الدم ، وقدكان الخبر سبق الى الفقيه سيدى سعيد الاعضياوى بما جاءوا اليه ، وماكان غرضه ان تقبل الدية من القاتل ، ولاانيبرأ من الدم ، فقابلهم بعبوس ، وادخلهم فجلس ازاءهم من غيران يعتنى بهم ، قال فقام الشيخ وهو يضحك ، فتناول المقراج من وتد علق فيه ، فناوله لمن يغلفيه الماء للاناى ، والى الفراش المطوى فناوله لمن يفرشه فى ذلك البيت ، وهويقول بمباسطة لسيدى سعيد ، ياسيدى سعيد ، أين تلك المباسطات التى نالفها

منك ؟ اولا تحفظ قول الشاعر

كم رجل فى بيته يعبس وفى بيوت غيره يؤنس

فحل الشيخ العقدة بهذه المباسطة ، وكملها منه من نظيرة

وحكى ايضا ان الشيخ دخل الى القائد الحاج أحمد التامانارتى ، فرأى زرابى كثيرة معلقة ، فى الجدران في نهار مشمس ، وهم على حصير لازربية عليه ، فقال لماذا فعلتم بهذه الزرابى هكذا ؟ فقال القائد نهيئها لاضيافنا ، فقال له الشيخ بمباسطة ، وهل نحن الا اضيافكم اليوم ؟ فلماذا لم تفرشوها لنا، فتجاذبواحبل المباسطة ، حتى قال بعض أصحاب القائد ـ وهو الفقيه الشافعى السكتانى ـ حتى انت ياسيدى الشيخ تقصد دارالحاج محمد ـ ابن عم للقائد كبير القدر ـ للنزول متى جئت الى البلد ، ولاتقصد دار القائد ، فقال له الشيخ حقا اننا نقصد دار الحاج محمد ابن عم القائد ، لانه يتلقانا دون القائد خارج القرية قبل أن ندخل فى بساتين النخيل ، ويقود عنان البغلة الى داره، والحق للسابق دائما ، واما القائد فانما نزوره لله ، ولايتطلبنا حتى نلتيه ولا يتلقانا الا فى داره ، فكان كلام الشيخ جوابا مسكتا ٠

فامثال هذه المباسطات يحكيها المترجم ويتندر بها ، وقدوقع فى مثل ذلك نفسه ، وذلك أن الاستاذ سيدى محمد بن العربى الادوزى سنة ١٣٢٣هـ ، وفد الى الغ ، ومعه اخوه سيدى الهاشم وهو اعمى ، فجلسوا فى القبة التى هيأها الوالد للاضياف ، وقد سقفت بالساج ، واجريت فى سمائها الوان الاصباغ وقد فرشت بالزرابى المتخيرة ، وبالنمارق المصفوفة ، وفى جانب منها ساعات كبيرة قائمة الى الحائط ، نحو ثمانية فترن القبة بدقاتها فينة بعد فينة ، فقال سيدى محمد بن العربى مباسطا ومنكتا على الشيخ الدرقاوى المعروف برفع لواء الزهد ، هكذا قبة سيدى أبى العباس السبتى ، فهذه زرابيها وساعاتها الكبيرة ولم ينقصها الا العمى ، فقال صاحب الترجمة وقد اشار الى سيدى الهاشم ، حتى العمى وجدوا فيها ببركة وفدكم الذى فيه ذلك ـ واشار الى سيدى الهاشم ـ فمالت القبة ضحكا فكان ذلك الجواب تنكيتا ايضا ربما تاثر به المنكت الاول والبادى اظلم

ماكنت أعهد العم هذا فى أيام الوالد الا مختلفا الى قضاء مايرسله اليه، وكثيرا مايرسله لبيع شىء أو شرائه، وبعد وفاة الشيخ الوالد ، انقطع الى الاستاذ على بن عبدالله الذى يجله فاحترم مقامه ، ونفعه فى نواح عديدة فكان له كذلك هذا نجيا مخلصا، ومعينا ناصحا ناصرا ، ومن يقول له نحرى دون نحرك؟ ثم لما توفى الاستاذ سنة ١٣٤٧ هـ بقى وحده يندب حظه ، ولازم داره ولايخرج الا الى المسجد الذى لاتخطئه فيه صلاة ، فى كل الاوقات ، والاالى مواصلة الاستاذ سيدى المدنى ، فكان يقول سقطت احدى جناحى بموت الشيخ، ثم أخرى بموت الاستاذ ، وقد رزق من الحركة التامة التى يلازمها قوة يظهربها

كانه لم يبلغ سبعين، مع انه اليوم ١٣٥٧هـ فى الخامسة والسبعين

ومجمل القول فى صاحب الترجمة انه من أفذاذ الالفيين وعلمائهم بما حواه فى صدره ، ويتصرف فيه بتثبت وامعان ، وان لم يكن كالعلماء الذين يعرفون كيف يراجعون المسائل ، ويعرفون مظان المراجعة ، وقد كان ذلك فى متناوله لو شاء، ولكنه لم يهتبل بذلك ، فقدكفاه انعلمه فى صدره، وعلم غيره فى قمطره

العلم حقا ما حواه الصدر وليس علما ما حوى القمطر

فشتان مابين منعلمه فى جنانه ولسانه ، وبين من لايجيب حتى يقلب اوراقه ببنانه .

علمى معى حيثما يممت يتبعنى صدرى وعاء له لابطن صندوقى
انكنت فىالبيت كانالعلم فيهمعى اوكنت فىالسوقكان العلمفىالسوق

ومنمزاياه التىانفرد بها معرفة من يوثق به من بين كتبة عقود هذه الجهة ، وبين المزورين منهم ، فكثيرا ماسمعت منه ، وأناأكتب عنه ان فلانا ثقة فيمايكتب وفلان مزور لايعتمد على الرسوم المخطوطة بيده ، مع معرفته لخطوط الناس، وتمييزه ماكتبه فى أول حياته ، وفى ءاخرها ، وذلك منكثرة ممارسة الرسوم ممارسة طويلة ، فقد أخبرت ان بعض الناس أدلى برسم فيه التوقيع باسم سيدى محمد بن ابراهيم السلامى الشهير ، فانكره اناس من علمائنا ، وقالوا هذا ليس بخط السلامى ،فرفع الىصاحب الترجمة ، فقال بل هو خطه فى ءاخر حياته ، وقد عرايده ارتعاش ، وقال انه رأى كثيرا من ذلك ، ويعرفمع ذلكعادات البلادهذه ، ومكاييلها المختلفة واوقات رواج سككها ، والى اى وقت ينتهى كل واحدة وتبتدىء الاخرى ، ممابينه العلماء منذ ثلاثة قرون من اواسط القرن الحادى كعمر الكرسيفى ، والتادرارتى البعمرانى واليعقوبى الايلانى ومحرراتهم فى ذلك كثيرة النسخ، ولا أخال انه يستحق مرتبة القضاء فى أهالينا اليوم سواه ، لهذه المزايا التى تجمعت فيه ، فصيرته بصنعته اهلاللقضاء، والقضاء صنعة كما يقولون ، وسوى أناس ءاخرين قليلين يتفاوتون فى مراتبهم، وانكانوا ناقصين من التمرن الكثير الذى حصل لهذا السيد الجليل حفظهالله

آثار تتعلق به

وقفت على هذه الرسالة للاستاذ سيدى محمد بن مسعود المعدرى الىالمترجم فاحببت ان أسوقها

الاخ فى الله تعالى السيد الازكى الحبيب الاصيل ، النبيه النبيل ، مولانا ابو اسحق سيدى ابراهيم بن احمد الطالبى الالغى الدار ، الجعفرى النجار ، كان الله لنا ولكم، وسلام على سيادتكم العلية ، ورحمة الله تعالى وبركاته ،

ولازائد الا الخير بحمد الله تعالى ، والمرجو انتكونوا كذلك من فضل الله ، وقد بلغ مابعثت من الهدية تقبل الله وجزاكم بالحسنى ، وزيادة العرفان ، ومجاورة الذين انعم الله عليهم فى اعلى الجنان ، ءامين •

والحمد لله على اهتبال امثالكم بالضعفاء امثالنا ، ومن اجل النعم لدينا مراعاة قلوب الاخوان لنا ، واهتمامهم بحالنا عسى الله ان يشفع قلوبهم فينا، وينعشنا ويأخذ بأيدينا ، انه ولى كل خير ءامين •

وليتفضل سيدى بقبول شيء من السكر والاتاى بعثناه اليكم على يد الحامل اخينا الفقيه العارف بالله سيدى سعيد التنانى ، واعذرونا من حقوقكم، اداها الله عنا من فضله ءامين •

ونسألكم الدعاء الصالح ، بالفوز والسعى الناجح ، والسلام ـ٥ـ ربيع الثاني سنة ١٣٣٦هـ اخوكم ومجل سيادتكم الضعيف محمد بن مسعود الطالبى كان الله له ءامين ، وقد حضر الضعيف ابياتا لاباس بها بذكرها ، وهى :

سقى الله الحمى من تحت الحصن غزير الوبل من هطال مزن
هناك من الاماجد كل ندب وركن فى النوائب اى ركن
هناك احبتى يسلو فؤادى بذكراهم يجل الكرب عنى
وهم روحى وريحانى وانسى وجنة بهجتى وجلاء حزنى
فلا برحت مرابعهم رياضا بساحتها ثمار الوصل تجنى

* * *

أولاده

وله اليوم ولدان احدهما استاذنا عبد الله بن ابراهيم ، وسترى ترجمته امامك انشاء الله ، والثانى احمد الذى وفقه الله لعمارة المسجد ، حتى صار مؤذنه ، وهو اليوم القيم باسرة والده ، والواقف على الدخل والخرج ، وقد كان أبوه أمال وجهته الى التعلم ، فامره والدى ان يتركه لمزاولة الاشغال ، وكان يقول رحم الله الشيخ ، فلولا نظره الشديد ، لعدمت اليوم من احمد معيناكبيرا، وعضدا قوياستند اليه اليوم فى شيخوختى ، فلولاه لكان كاخيه عبد الله الطالب الذى لايالف مزاولة الاشغال •

وفاته

أدرك الاجل المترجم فى الوقت الذى استوفى فيه مناه من الدنيا ، من يوم احس انه غريب،فصار يودع الناس والحياة طالبا ان يسامح من قبل موته سنة ، وكذلك الهرم اذا أدرك الانسان •

ومن لايعتبط يسام ويهرم وتسلمه المنون الى انقطاع

تعزية فيه

كنت فى مراكش لما توفى هذا العم ، فكتب الى بعضهم يعزينى فيه

عزاءك فىالعم الذى ووورى القبرا وانكان مثلى لايعلمك الصبرا
فقد كان سحت سحب رحمة ربه عليه من الافذاذ فى الفكم دهرا
فهيم ذكى اريحى محنك فقد ذاق فى أطواره الحلو والمرا
له من جميع المكرمات جوانب فاعلت له ما بين أصحابه القدرا
فها هو ذا ولى فاين نظيره فيعلن ان الحق متبع جهرا
تلقى بالرضوان ما بين جنة مزخرفة اطراف فردوسها نضرا

سيدي احمد ابو الفدام

نحو ١٢٨٥ هـ = نحو ١٣٦٦ هـ =

نسبه :

سيدى احمد بن مبارك بن احمد بن محمد بن ابراهيم بن على بن ابراهيم ابن بلقاسم بن محمد بن عبدالله بن سعيد

ذكره العم ابراهيم لى يوما فكان ذلك اول ماسمعت به ، قال انه لاباس فيه فى النوازل ، وهوممن يجول فى قسم التركات ، فكان ذلك سببا ان سالت عنه ابن عمه الاستاذ على بن صالح فنفض لى ما خذه

اخذ القرءان عن سيدى الحسن بن بلقاسم التونينى عم سيدى ناصر ، ثم عن بعضهم ببعقيلة ، فهناك جود ، ثم افتتح المبادىء عند سيدى محمد بن عمرو البعيقلى ، فاخذ عنه بعضها ، ثم اتصل ايضا بسيدى عمر الاكفيبى ، فعنهما اخذ حفنة من العلوم التى عنده ، ولكنه لم يحصل تحصيلا يعتبر عند الالغيين الا فى الفرائض والحساب ، وفقه العبادت ، واما العربية فهوفيها فى ضعف شديد جداجدا ، هذا ما اخبره به عنه متعددون ، وله مسكنة وديانة ، وصنعة فى التوثيق ، يقسم بها التركات ، ويفض بها بعض نوازل قليلة فى بعض الاحيان ، وحالته حالة تقشف لايابه برفاهية ، حدثنى الاديب الكوسالى انه كان مشارطا فى قريتهم ، فجاءه مرة الى باب البيت ، وهو مفتوح قال فقلت له ادخل، فقال ان هذا يكفينى ، فجلس على الارض ، فعرضت ماحضر من الطعام، فقال قد اكتفيت ، ثم ناولته كاسا ، فقال اننى لاابالى بشرب الاتاى ، ثم رآنى اخيط كتانا ، فقال اتحسب ان اجرة الخياطة تقوم لك بالسكر ، هيهات ، فما يبقى لك وراءها الا مايكون لك كحبة الاحبولة التى يغتر بها الطائر ، فما اهلك اموال المغرب الا هذا السكر وحده ، فكم دار خلت بسببه ، هذه نظرة من نظراته ناتى بها كاثر من الآثار التى نالف ان نسوقها لمن نترجم لهم ، فهى حكمة بالغة، ولكن المغاربة اغرارفى هذه الناحية

فما العمل وقد تبين ان الذى يذهب من مالية المغرب بين السكر والاتاى والقهوة مافوق ثلاثين مليارا .

وهذا السيد من اسرة سيدى صالح المتقدم الذكر ، وقد يشارط احيانا فمما مرفيه مسجد (أيت بومريم) و (تالات غزيفن) و (كاور) وغيرها

ثم انني لاقيته يوما مصادفة في المدرسة الالفية ، فثافنته على نية ان اخذ عنه مايصلح أن يذكر عنه ، فاذا به يتعجب حين يراني اكتب عنه ، فقال ماذا تكتب الآن ؟ وهل ينبغي لنا ان نهتبل بهذه الحياة حتى نجعلها سوادا فـــي بياض؟ والحياة كلها غرور ، والدنيا كالارجوحة ، ان سرتك زمنا ساءتك ازمنا، ثم انشد

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم مـنـي ابتسام فقولي مضحك والقول مـنـك

وقد كان عليه قميص صوف اجرد ، وشملة دكناء خلقة ، وعمامة التاثها بغير اعتناء ، ثم فارقته وقدعرفت أنه رجل اخر لاتمت اخلاقه الى اخلاق الالفيين بسبب ، فقد اشرب التقشف ، والانطواء على نفسه ، وكفاه شرفا انه ليس من المغرورين ، وقد اخبرت انه تلاء لكتاب الله ، ملازم لصلاة الجماعة ، ثم بلغتني وفاته في مراكش

الاستاذ على بن صالح الاوفقيرى

= ١٣٠٧ هـ = ١٤-٨-١٣٦٤هـ =

نسبه :

على بن صالح بن أحمد بن محمد بن صالح بن ابراهيم بن على بن ابراهيم ابن ابلقاسم بن محمد بن عبدالله بن سعيد

هذا احد نجباء الرعيل الرابع من الالفيين ، واحد المحصلين غاية التحصيل فى كل الفنون التى دزسوها ، وممن لهم المشاركة فى كل العلوم التى تروج فى الغ ، وما اليها من جنوبى سوس ، وأبوه صالح تقدمت ترجمته ، وكذلك جده سيدى ابراهيم التاكانزى ، الرجل الصالح ، ومر أيضا قريبه سيدى احمد ابو الغدام ، ولكن ما جال احدهم فى العلم جولة على هذا الذى برز فى الميدان، وكان لقرية (أكرض اوفقير) غرة بيضاء ءاخر الدهر فبه تذكر منذ الآن :

وما زين الارجاء الا رجالها والا فما ترب بافضل من ترب

مشاخذه

أخذ القرآن عن والده سيدى صالح وعن الاستاذ سيدى احمد بن عبد الله التازروالتى ، فى مدرسة (الفهم) والسنوات التى جاور فيها بهذه المدرسة هى سنوات ١٣٢٢ هـ ثم رجع الى مسجد (تارمست) من قبيلة (ادبنيران) وفى المسجد اذذاك والده المذكور ، فافتتح عليه متون المبادىء ، فاخذ عنه الجرومية ومثلها ، وحفظها على يده ، كما حفظ الالفية وبعض التحفة والرسموكية فى الفرائض ، وقبل تمام السنة انتقل الى مسجد تاجارمونت ، وفيها الفقيه الحاج الحسين الازونيضى ، فاعاد عليه متون المبادىء كلها ، وافتتح عليه الالفية الى باب مالاينصرف ، وأتم عليه المرشد والرسالة ، وفى سنة ١٣٢٧ هـ القى عصاه بالمدرسة الالفية فالازمها كل الملازمة فاقبل بجد عرف عنه بين الطلبة ، وبامعان نظر جبل عليه ، حتى نال مبلغا كبيرا ، وقد كان مشاركه فى البيت هناك ابن عمنا الفقيه سيدى محمد بن احمد بن الحاج صالح ، فتعاونا على ماهما بصدده، فلم يزل ياخذ ويجتهد، وهو يدرس المتون للمبتدئين والشادين الى سنة ١٣٣٣هـ فرجع الى بلده موفورا تام المرام ، مغبوطا فى منازعه وافهامه، غير انه بكل اسف لم تلاحظه عين السعادة ، والالكان بهذه المعارف ممن تطن بشهرتهم الافاق ، وتتزين بمدارساتهم المدارس ، ولكن ابى له سوء البخت الان يزوره ما كان

لابيه مماذكرناه فى ترجمته ، مع تحصيله وشغوفه فىمختلف الفنون ، وللـه در بعض الالفيين اذقال فى مثل هذا المعنى

اذا الجد لم يلحظ فتى عند سعيه فماذا يفيد الجد والكد فىالعمل؟
فكم جاهل فى حلة يمنيـة وكم عالم دراكة ثوبه سمل

مشارطاتـه

أول ما شارط فى مسجد (تاجارمونت) سنة ١٣٣٣هـ وفى التى بعدها أرسل اليه الاستاذ سيدى على بن عبدالله ليعلم سيدى الطاهـر ، وسيـدى الحبيب ولديه القرآن ثميدرس بعض أنصبة فى المدرسة الالفية، واستاذهـا التاجارمونتى غادرها اذذاك ، الى آخر ١٣٣٧هـ فشارط فى مسجد قرية (اكرض اوفقير) سنة واحدة ، وفى أول ١٣٣٩هـ شارط فى دار الرئيس احمـد بـن ابراهيم الايغشانى ، يعلم ولده محمدا الى آخر ١٣٤٠هـ فرجع الىداره ، ثـم شارطسنتى ١٣٤١هـ١٣٤٢هـ فى مسجد (تاجارمنت) أيضا ، ثملازمداره الى ١٣٤٧هـ فشارط فى آخرها فى المدرسة الايغشانية سنتين ، وفى سنتى ـ٥١ ٥٢ـ شارط فى (تيفرميت) فى (تيبوزكن) وفى سنة ١٣٥٤هـ فى مسجد قريته وفى آخر السنة الماضية ١٣٥٦هـ كان ايضا فى مسجد فى(تيفرميت) هـكـذا دار سوء البخت فقضى على هذا الاستاذ الجليل ، فصار يتقلقل هكذا فى المساجد الصغار التىلاتليق فى عاداتنا بالمحصلين أمثاله ، حتى ليظنه الجهلة الذيـن عقولهم فى أعينهم انه ـوقد رأوه مسكينا ضعيف البزة خلقها ـ ممنليس لهم منالعلم مالهم ، ثم يعين أمثال هؤلاء على انفسهم باهمالهم مظاهرهم ، فلايبالون مالبسوا ، ولاكيف كان ، أبيض أوادكن بمايلابسه مما يتطاير عليه هنا وهناك، من النقع المثار من الغبراء ، وقديما قيل

حسن ثيابك ما استطعت فانها زين الرجال بها تعز وتكرم

وقيل أيضا :

اذا ما أهان امرء نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

ومن سنن الاسلام ان الله يحب اثر نعمته على عبده كما فى حديث

أخلاقـه

ربما تعرفمما تقدم ان كنت ممن يستنتج الاخلاق من الاحاديث ، انهما أتته المسكنة وضعف الهيئة والتردد هكذا فى ميدان المدررين فى المساجدالصغار حتى وجدت من همته عشا يصلح ان تفرخ فيه ، لان من كان عالى الهمة،لابد انيترفع ماامكن ، فكمذىسمل فقير لايملك قطميرا تجده فى همة الملوك :

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه خلق وجيب قميصه مرقوع

كنت دائما احبه لله ، واحب منه تلك النجابة ، واتمنى له معالى يستحقها، فكنت حين زرت الغ سنة ١٣٥٤ هـ خاطبته بان يصاحبنى الى الحمراء ليكونلى خير معين فى التلاميذ المبتدئين الكثيرين عندنا هناك ، فانعم لى بذلك ، ولكنلم يتيسر له ، وذلك من ضعف همته اولا ، ثممنضعف بنيته ثانيا ، حتى انه لا يقدر انيمشى المشى المعتاد لاهل البادية ، فكان هذا الضعف ايضا مما اخنى عليه ، فكان كل شمائله الدمثة ، ونجابته ولطافته ، وحسن مجالسته ، وامتاعه فىالمحادثة ، لم يرزق لامن همته ولامنطالعه ان يسمو الى المكانة التى تليق به وماصدق قولبعض الالغيين فى هذا المعنى

والمرء لا يسمو سوى ان عزم واستنهضته للمعالى الهمم
كالطير هل يطير الا اذا مد الجناحين معا واعتزم

فليعن الله الاخ عليا ، وليسدده ، وليكن له خير معين فمنه كل شىء،وان كانت العقولتخبط فيماخبطنا فيه ، وتحتج بان ذلك سير سنن الكون فليت شعرى منأودع سنن الكون ذلك النظام ، أمتابىعقولنا ان تتسع الى اكثر مما تحس به الحواس الخمس فقط (والله يعلم وانتم لاتعلمون)

آثاره

انمن آفات الالغيين ، انأهلها ماكانوا ليعتنى كل واحد منهم بما صدر عنه، لانهم بمالهم من مزاولة اشعار الشعراء المتقدمين يرون ان مايقولونه هم ليسمما يستحق الاعتناء ، وزادهم ايضا التواضع الزائف وانكار الذات ، فهذه الخلة الثانية وانكانت محمودة فى نفسها ، لكنها فىأمثال هذه المواطن مما لايقبل ، وقد غاب عنهم ان كل آثار القلم ينبغى ان تدخر على كل حال،وانلم تكن الامنظومات موزونات مقفاة معربة ، كغالب مايقال فىهذه البوادى ، لان اسفاف مايقولونه لايضير، والانسانواثرمتلازمان ، وانمايقاسالجميععلى بيئته ولاعليه انكان محيطهاادنى منالمحيط الذى نشافيه اولئك الشعراء المتفوقون فالمنظومات التى نحرص علىايداعهافى هذه التراجم نكتبها للمؤرخين الذين يهضمون كل شىء ، ومعدتهم كمعدة النعامة تهضم حتى الحديد ، وأما الادباء خصوصا ابناءاليوم ، الدلقين المتفوقين فى الفكرة وفى الاختيار ، وفى الاجادة وفى حسن التعبير ، وفى الاساليب ، فاننا اعقل منأننقصدهم بكل مانكتبه فليعرف عنا هذا ، وانااكرره فى هذا الكتاب وفى غيره فىكل مناسبة ، سواء ماسوقه فى هذاالكتاب اوفى غيره بكل مناسبة ، وانما احرص علىهذه الاثار حرص المؤرخ فقط ، ليدرى غدا ماهو مقدار الادب العربى فى هذه الناحية من المغرب، ولذلك ابكى حينما تعوزنى الآثار عن هؤلاء الادباء الالغيين ، الذين قد

يجيدون احيانا ، وهذا صاحب الترجمة وهو ممن يقولون فى كل مناسبة لم اجد له امامى الان الا قصيدتين ، اتانى هو باحداهما ، وقال لى ليس عندى سواها، والاخرى ظفرت بها فى كناش بعض المعتنين ، وقليل ماهم

قال الاديب سيدى محمد بن الحاج احمد اليزيدى يخاطب هذا الاستاذ:

قد طار من ذكر اللوى بلبالى ... لمنازل الاحباب والاطلال
قد شاقنى لمعان برق باللوى ... وتذكر الرشفات من جريال(١)
ومغازلات العين كل عشية ... مابين كثبان وبين تلال
لله ايام بطيب الوصل قد ... مرت بحسن تفنج ودلال
ومخالسات تواصل ما بيننا ... من غير ترنيق بلوح الآل (٢)
حتى اذا قلب الزمان مجنه ... وابان ذلك الوصل مثل لئال
جاء التجنب والمهاجرة التى ... تذكى بصدرى جذوة البلبال
ياقلب ان اجشاك طول تجنب ... ومرور ايام اللوى وليال
هدى منى اخرى فطب بتواصل ... فلطالما اضناك طول مطال
فتواصل الاخوان أيضا فيه ما ... فيه اذا ما انعموا بوصال
هذا الذى ارجوه عند ملمة ... نزلت فتعقل ارجلى بعقال
هذا الذى طابت به الاعصاروالا ... زمان هذا نجعتى وثمالى
بحرلدى الجدوى وبدر عند در ... س العلم فى الانداد خير رجال
غوث اذا الهيجاء شبت نارها ... والغيث ان بخل الرجال بمال
لا لاشبهه بمعن فى الندى ... هو منبع للفضل والافضال
او فى البلاغة بابن ساعدة الذى ... قد جر ذيل فصاحة وجلال
فعليه ما سجعت حمائم غرد ... وسرى الى المشتاق طيف خيال
فعلى الاحبة كلهم خير التحا ... يا ما يحن الصب للاطلال
وعلى النبى وآله وصحابه الصـ ... ـلوات تترى من اله عال

فاجابه المترجم :

امن الحمى يسرى نسيم شمال ... ام لاح من نعمان برق وصال ؟
ام هذه ورقاء فى نغماتها ... تشدو على الافنان فى الاصال
ام طاف بى طيف الخيال وهل يرى ... فى غير نوم الصب طيف خيال ؟
انى احس ببهجة جدت كما ... اغدو لدى هيفاء بنت دلال
ولحاظها ترمى قسى حواجب ... منها بما ينسى مريش نبال
ترنو الى بفاتر فى جفنه ... سحر ولكن كان سحر حلال
مستحوذ بفتوره استحواذ شعـ ... ـر جاءنا من شاعر مقوال
ماسحر بابل عند سحر بلاغة ... فيه لمستمع له اوتال ؟
بل ما قلائد جوهر ان قستها ... بنظامه المزرى بكل لآل ؟
شعر الامام اللوذعى المرتضى ... من كان فى الاداب بدر كمال

١) الجريال بالكسر الخمر ٢) الآل : السراب

قد اعلن الافـلاق منه انـه فلذاذا مـا جال وسط مجال
بل كان منفردا فـلاند لـه فى الحال والماضى والاستقبال
فاق ابن اوس برصفه والبحتر ى بوصفه وابن الحسين العالى
بل فاق فى اوصافه جمعاء قد جلت فغيره عاطف أوتال (١)
بحر الندى سيف الردى غيث الورى ليث الوغى كشافـة الاوجال
مامعن ما عمرو لدى افضالـه ودفـاعـه عـن ربعـه والآل
كل الفخار له تراث من أصو ل مجد فى فضلـهـم امثال
ياقلب لاتشك النوى هذا الوصا ل مهنئا وافى بطيب ليال
هذا الحبيب المسترداد لمثلـه هذا لعمرى تاج كـل معال
هذا الكريم ابن الكريم المجتبى من خير ما حسب وخير اثال
لازال محروس الجناب ممتعا ماكـر ابكـار عـلى الآصال
بالمصطفى المختار افضل من هدى واجل من بعثوا من الارسال
صلى عليه الله ما انست على قنن الجبال غـزالـة بغـزال
هدى التى منك القبول استمطرت واستعطفـت بالفضل والاقبال
فاليكها يا ابن الهداة فان تكن عطلت فمدحك فـوقها كـلآل
وعليك ما صدحت على ملد الغصو ن حمامة هاجت جوى الاطلال
ازكى تحية مخلص لك ما هفا نحو الحمى سحرا نسيم شمال

وولد للاديب سيدى محمد بن على وله سماه احمد ١٣٣٩ هـ فى اوائلهـا فتسابق ادباء الخ وطلبة المدرسة لتهنئته على العادة ، ووالده الاستاذ سيدى على لم يزل اذذاك قطب الآداب ، يورد ويصدر ، والاستاذ هو جد هذا المولود:

قال الاستاذ الاديب سيدى المدنى بن على قصيدة مطلعها :

تالق وهنا من حماهم فاسهدا وذكر فى تلك العهود وجددا

وقال الاديب ابوزيد شيخنا البوزكرنى قصيدة مطلعها

بدا البارق الجوى فاشتد اذ بدا غرامى فها جيش اصطبارى تبددا

وقال الاديب سيدى أحمد بن سعيد الاكمارى اخرى مطلعها

هبت فاحيت نفوسا تلفظ الرمقا وابرأت من بسهم البين قد رشقا

وقال الاديب سيدى احمد بن محمد التاجار منتى اخرى مطلعها

طلع السعد فى سماء المعالى فاضاءت انـواره كـل عالى

وقال الاديب سيدى محمد بن الحاج احمد اليزيدى اخرى مطلعها

أمن حذار النوى دمعك منسكب ام شاق قلبك برق فاعتلى اللهب

---

١) المجلى العاطف ، التالى من اسماء خيل الحلبة العشرة وهى بالترتيب المجلى المصلى المسلى التالى المرتاح العاطف الحظى المؤمل اللطيم السكيت .

وقال ابن عمه الاديب سيدى محمد بن احمد الواعظ اليزيدى اخرى مطلعها:

بشرى بنجل تجل اطيب النسم آباؤه قادة للعرب والعجم

وكان الشاعر المفلق ماء العينين بن العتيك حاضرا اذ ذاك فقال كذلك قصيدة مطلعها

هلال الدجى بالنور مرآه ينبىء وآية طيب الفرع أن طاب ضنضىء

فقال صاحب الترجمة من بينهم هذه القصيدة التى كان فيها لمدح الاستاذ على بن عبدالله نصيب وافر

طلع الصباح فنوره يتبلج وسرى النسيم فعرفه يتارج
والروض روض السعد نور نبته بشرا فاضحى نوره يتموج
والورق تسجع والغصون تمايلت طربا وجو اليوم يونق سجسج
ادر العيون وارهف الاذان واستم ـتع بروض يومه متبلج
فبنوره واريجه وزهوره وحمامه وغنائها يستبهج
فالكون يبدو اليوم وسط زهوره وجبينه بادى البشاشة ابلج
فرحا بطلعة سعد احمد من غدا بظهوره نصر الفخار يورج
طرز المعالى ابن الرضى محمد من كان بالمجد الصميم يتوج
يمتد منه المجد ذاك من امجد من ليس يدرك نسجه اذ ينسج
بدر العلا علم السيادة خير من بحياته اسنى المنى يستنتج
نور الهدى فخر الورى سم العدا بحر الجدى وعبابه التموج
شيخ الشيوخ اللوذعى اجل من لهواه يجرى بالعتاق ويهزج
مولى عوارفه ابى الحسن الذى بحضوره برحا الهموم تفرج
يا ماجدا منه الفخار تفتحت ازهاره واريجه يتوهج
يهناكم نجل سعيد انه فوق السماك بنوره يترجرج
لله مولده المبارك انه بالمجد والشرف الرفيع يتوج
هل ينجب الامجاد غير ممجد فمن الوشائج للشكير المخرج(١)
«ان المقدمتين مهما كانتا صدقا فمثلهما النتيجة تخرج»(٢)
فالله يصلحه ويعلى شانه ويديمه سبل العلا يستنهج
بالمصطفى الهادى عليه تتابعت ازكى صلاة بالرضا تتارج
والآل والاصحاب ما غنت على ملد الغصون حمامة فتهيج
ثم السلام على علاكم مابدا وجه الصباح ونوره يتبلج

---

١) الشكير ماينبت فى اصول الشجر الكبار وفراخ النخل

٢) بيت قديم هنىء به والد ابن دقيق العيد لماولدله هذا الامام، وقبل البيت:

هنيت بالبر الرؤوف ومن يكن برا رؤوفا مثل ذلك ينتج

هذا نفس سيدى على بن صالح وهذا منزعه ، ثم انه بعد هذا يفرط فيما يصدر عنه ، فياضيعة الهمم ، وياضيعة آثار لاتنكر ، سيكون لها غدا اكثر مما لها اليوم عندى من قيمة ، وفى (الالفيات) بعض اثار تجاذبتها معه • وكل من يعرف ان الشلحى يكون دون تذوقه للادب العربى عقبات كاداء ، يضمر فى نفسه اكبار كل من يقطعون تلك العقبات واحدة واحدة ، حتى يستطيعوا ان يمثلوا دور العربى المبين

متوفـــاه

كان ضعيف المنة ، يلزم بطنه انقباض شديد ، وربما بقى اياما بلااستفراغ وقد كان شارط فى مدرسة (تيركت) باملن سنتين ، ثم فى مسجد وفقاوى ، ثم زارنى فى رجب ١٣٦٢ هـ بدارنا فى الغ ، وبعد رجوعه باسابيع بلغتنى وفاته التى كانت فى ظهر الثلاثاء ، الرابع عشر من شعبان ، فالله يرحمه ويغفر لنا وله

الحسين بن ابراهيم الصالحى

ليلة ـ٣ـ٧ـ١٣١٣ هـ = ـ١٢ـ١٣٣٦ هـ =

نسبـه :

الحسين بن ابراهيم ابن الحاج عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح ابن عبد الله بن احمد بن عبدالله بن سعيد .

جده الحاج عبد الله بن صالح قرات ترجمته ، وكذلك ترجمة عمه الاستاذ على بن عبدالله ، واما ابوه ابراهيم ، فلم يرزق علما ، وقد كان له اهلا، ولكن العلم محسوب من الرزق ، كما يقولون ، وقد وقعت له غريبة فى ذلك ينبغى ان تثبت :

ذهب مرة هو وبعض الطلبة الى مجمع من مجامع القبائل ، اخاله فى بعقيلة وهو فى حلة جميلة ، وعليه طيلسان جديد من الملف ، وعليه وسامة ، تظهر أنه ممن حمل علما ، واذ عرف من حضر فى المجمع انه من آل صالح الذين شرق الخبر وغرب بانهم علماء ، مدوا اليه رسالة ليقرأها على أهل المجمع ، وقد جاءت اذ ذاك فاخذها ولم يقل شيئا ، فمدها بتثبت لمن كان معه من الطلبة ، كانه انما اراد ان يقدمه على نفسه ، أو يحتاج المقام الى اعلاء الصوت كثيرا ، وهو لا يتنازل الى ذلك فتملص بهذا اللطف من الخجل الذى يكسو غيره لو وقع فى مثل تلك الورطة ، فتمشت الحيلة على من لم يعرف الحقيقة ، ويذكر ان مثـل هذا وقع شبيـه لابن حزم، حين لم يعرف اوقات النوافل من غيرها، فخجل فاستفز مذلك الى الاقبال على العلوم ، حتى كان امام الائمة ، وقد ولد سيدى ابراهيم سنة ١٢٨٢هـ وتوفى ١٣٥١هـ ومن اولاده سيدى عمر ، وقد حفظ القرآن ، وحاول ان يخوض فى العلوم ولكنه ـ كما حكى لى ـ لم ياخذ الا المبادىء ولم يستتمها ، ولذلك لم نترجم له على حدة وهو رجل هين مسكين ، أراه فى السنة الماضية فى حالة تؤذن بطيب السريرة، وولادته فى سنة ١٣١١هـ وهو الآن حى (١)، وقد تزوج الآن بنت عمه الاستاذ على بن عبدالله ، وله معها من الاولاد اربعة ، منهم ولد يتعاطى المبـادىء كـان يجتهد تحت يد الاستاذ سيدى بلقاسم بن محمد السليمانى ويظن به ان يكون فى المستقبل ان شاء الله ممن حصلوا على هذا التراث العلمى ويسمى محمـدا (على انه لم يستتم ، وهو الآن فى البيضاء مقدم حومة) وآخر اسمه احمد انجب

١) لايزال حيا ١٣٨٠هـ

من اخيه (وستراه أمامك) ومن اولاد سيدى ابراهيم محمد وعبدالله وهما الى الآن ١٣٥٦هـ لايزالان عزبين ، وعبدالله ممن لازم المدرسة ماشاءالله حتى حصل بعض تقدم فى المعارف ، ونطلب الله ان يستمر حتى يحصل ، وحين لم يتقدم الان كثيرا اكتفينا بذكره هنا ولامعرفة لى به ، ومنهم صاحب الترجمة الذى نحن بصدد ذكره

متعلمـــا

أخذ القرآن فى مسجد القرية عن اساتذة لم استحضر اسماءهم ، ولـــم يتجاوز القرية ، ثم افتتح المبادىء فى المدرسة الالفية عند الاستاذ التاجار مونتى وقد كان هناك اذذاك خاله الاستاذ سيدى البشير بن ابى بكر الاغودیدى مرابطا بعد، فاخذ بيد ابن أخته ، ودرجه فى المبادىء على العادة وشد به وقدمه غاية التقديم، حتى عاد فى الاعراب واستحضار أدلته من الشواهد والفقهيات ومظنات المسائـل مثلا يضرب فى النجابة ، ثم صاحبه معه حين انتقل الى المدرسة الايمورية ، ثم عند الاستاذ الطاهر الافرانى ، ثم الى المدرسة الامبرائية اذ شارط فيها أعوام ١٣٣١هـ فنال به غاية قصوى، وقد طلع من الدور الثانى الى الدور الثالث الذى توخذ فيه الدروس العليا ، فاقبل به وأدبر ، وهو يجشمه بالضغط الالفى المالوف حتى قمص من عنده مرة ، فكاد يفلت من قرن خاله، لولا بعض الطلبة من اصحابه، فهو سيدى احمد السليمانى الملقب (ارعم) فانه ادركه فى الطريق ، لم يزل به نفثا فى العقد ، وختلا وفتلا فى الذروة والغارب ، حتى رده ، ثم فارق خاله تلك المدرسة فرجع هو الى المدرسة الالفية سنة ١٣٣٥هـ وقد راجع الاستاذ عمه على بن عبدالله الدراسة بنفسه ، لان الاستاذ التاجار مونتى ، غادرهـا اذذاك، فـلازم دروس الاستاذ ، وقد ارهف حده ، وجلى منصله وقد تعلم من خاله كيف الاقدام ،وكيف الكر والفر، فكان عمه لذالك به معجبا وقد رأى حقوله المزهرة، وأشجاره المثمرة وغرسه المدرك ، فكان يعجبه ان يراه يسابق فى ميدان المباحثة ، فكان يستثيره ويوجه اليه الاسئلة اثناء النصاب ، ليستنبط بها مافى قريحته التى تنج بادنى سبب ، هذا ماحكاه لى الاستاذ الطاهر بن على، وأما انا فربما عرفت وجهه ، وربما لم أعرفه ، لاننى فى مدارس ، وهو فى أخريات ، وبينما هو فى هـذه النجابـة يجرى فى غلوائه ، اذا بوباء سنة ١٣٣٦هـ قد دهم الخ ، فاجتـث نفوسا ، وأدار على كثير من النشء كؤوسا ، فكان صاحب الترجمة ممن شرب من تلك الكاس ، وغربت بذلك شمس نجابته فى الرمس فزفر عمه الاستاذ ابن عبدالله زفرة حارة اودعها هذه القصيدة التى قدمها بهذا النثر الذى ننقله عنه بواسطة :

فى ذى الحجة الحرام عام ١٣٣٦هـ عم مرض ياخذ بالراس والظهر والصدر، وتصحبه كحبة وسعال ، فمن الناس من يتخيل ويرى الجن ويخبر بالغيب ، ولاشك ان ذلك وخز الجن ، اعاذنا الله منه ، ثم ان من الناس من استحر منهـم

القتل ورزقوا الشهادة ، ومنهممن كان بخلافذلك ، وممناستحر فيهم القتل أهل زاويتنا هذه ، خصوصا حفدة والدنا الولى الصالح الحاج عبدالله ، فقد استشهدفيهم مابين كبير وصغير عشرة انفس ، منهم العالم النجيب سيدى الحسين ابنابراهيم بن الحاج عبدالله ، ومنهم احمد بنعبدالرحمن بنمحمدابن الحاج عبدالله ، وهو طفل نجيب ، حفظ الامهات وهو ابنثلاثعشرة سنة، ومنهم ابن اخيه الفقيه عبدالله بنمحمد ، واسمه احمد بنعبدالله وهو طفل صغير ياتى المكتب ، وغيرهم رحمالله الجميع ، ونفعنا ببركة ارواحهم ، وفى رثاء هؤلاء والتضرع الى الله فى رفع الوباء والوبال عن المسلمين ، قلت مانصه

خطب الم فجل الرزء والكرب ... وحل بالمسلمين الويل والحرب
جاءت بداد خيول الجن عادية ... على أناس هم الاقمار والشهب(١)
فارخصوا مهج الاطفال فاشتريت ... بحبة واستبيح اللحم والعصب
مات الحسين فمات العلم والادب ... معه وأعولت الاقلام والكتب
فتى اذاحضر الدرس استنار به ... افق الحقائق وانجابت به الريب
فتى رأى غير كسب العلم منقصة ... ويرتضيه جليسا والورى غيب
تكملت فيه أوصاف السيادة من ... علم وحلم فتاقت نحوه الرتب
قضى ، وما لقضاء الله من بدل ... والموت يعتام أقواما هم النجب
فقل لمن رام عد فضله مهلا ... فانه البحر حدث عنه لا عجب
جادت سحائب رضوان ومغفرة ... قبرا به قبر الاحسان والقرب
ومات بالوخز أحمد النجيب ومن ... فاق الاكابر طفلا والورى نوب
وما رعى فيه علياء ولا أدبا ... ولا صباحة وجه زانه الشنب
لميبلغ الحنث وهوالندب ماسمحت ... منه القريحة ان يفوته أدب
بموت نجل عبيد اللهقدبلغ السـ ... ـيل الزبى فجميع الاهل ينتحب
طفل له خلق ازرى على زهر ... فهل يصبر عنه الوعظ والخطب ؟
ثم تفاقم امر الوخز واتصلت ... به نساء وأطفال هم قضب
ومات بعد محمد بن احمد فى ... شرخ الشباب ونعم اللين الارب
كانت له همة فى الفضل عالية ... فشغله فى جميع عمره الطلب
فالموت كاس بكل الدهر دائرة ... تسقى الوريوجميعالناس قدشربوا
يارب يامن له اللطف الخفى ويا ... اسخى الكرام ومن رحماه ترتقب
امنن بلطفك وارحم عصبة عظمت ... منهم ذنوب فما فى غيرك الرغب
عنا وعاث بهم وخز الجنون فلم ... يبق لهم فى سوى احسانك الهرب
وامنن عليهم بحق المصطفى كرما ... عليه اهمى صلاة دونها السحب

هذه زفرة الاستاذ الذى يكاد يذوب اسى على صاحب الترجمة ، لماكان ينتظره منهمنعالم كبير، وأماأحمد بن عبد الرحمن، فهو نجيب حقا بمقدارسنه ووسطه، فماأتت عليه ثلاثعشرة سنة حتى استتم حفظ متون كثيرة، وتقدم

١) اغارت الخيل بداد كخدام متفرقة

فى المبادىء، وكان قرين سيدى محمد بن عبدالله ولد شيخنا نزيل تونس الذى ستقرأ ترجمته ان شاء الله فيما سياتى وعهدى باحمد هذا ، وقد رأيته رقيقا، ولكن جسمه النحيف يظهر منه بالمباحثة فهم وادب كما قاله عمه الاستاذ ، واما سيدى محمد بن احمد ابن الحاج عبدالله بن صالح ، فانه ايضا تقدم فى المبادىء وربما علا فى الدور الثانى ، وقد وصفه الاستاذ كما رأيت بالادمان على الطلب، وقد اثنى ل عليه الاستاذ سيدى الطاهر بن عل ، وذكر عنه تقدما ، يظهر به انه ممن دخل تحت شرطنا فى ابناء قبيلتنا هذه ، من ذكرنا كل من تقدم فى العلوم، ولو لم يستتم الدراسة العليا ، ولكن الاستاذ ابن العم سيدى عبدالله بن ابراهيم انكر تقدمه، وذكر انه لم يعد المبادىء ، ولهذا اسقطته، ولم أفرده بترجمة ، ولكن يكفى ل على كل حال هذا القدر حوله ، وسترى أمامك ان شاء الله صنويه سيدى صالحا ، وسيدى عبدالله ابنى احمد ، فانتظر فللانتظار حلاوة اخرى.

آثار سيدي الحسين

كاد هذا النجيب تذهب آثار قلمه كما ذهب ، وقد مضى على موته عشرون سنة وقد تغير الدهر ، وتقلبت الايام ، وتلونت الاحوال ، ودارت أهوال بعد أهوال فنسي الاعتناء بالآثار، وكاد اصحابها يتمشى النسيان حولهم فى مخاطر الذكريات من الصدور، فقد فتشت وسألت فلا ارجع عن كل مسؤول الا بخفى حنين ، حتى سقطت الى كتب لخاله ، واضبارة من الاوراق من ناحية اخرى تصفحتها ، فاذا بما اسوقه اليك، قد انساق الى من أثناء اوراقها ، فمنها هذه الرسالة التى يظهر منه انه يجيب خاله الذى كلفه الجواب عنها ، وفى هذه الرسالة نرى قلمه فى النثر، ومقوله فى القرض من الاخوانيات ، ونصها :

السيادة التى سواها الله من طينة الشرف والحسب ، وغرس دوحتها الطيبة بمعدن المجد الزاكى النسب ، سيادة شيخنا الذى تعلو فصاحة لفظه بلاغة البلغاء ، ويعنو لذلاقته المكينة النابغة فضلا عن احد الفوغاء ، مولانا الرزين، وهو للعين القرة ، وللانف العرنين والارنبة

وبعد : فالعبد انما يروم التدانى لحماك ، ولو بدعاء منك يرضيه وقاك الله وحماك، وايضا انت ياسيدى تطلب منى الجواب ، وانكفاء مثل عن المفازلة لابكار تلك القصيدة هو الصواب ، وما احسن من قال فى هذا المقام ، الذى ينبغى للعاقل ان يتنكبه لئلا يقطره فيه الزحام :

يكلفنى مولاى رجع جوابه ومالتعاطى المعجزات ومالیا

ولكن لخوفى ان اتخطى امر سيدى ، مددت وانا ارتعش للجواب يدى، فهاك فلذة من قلبى المروع ، بعد مزايلة معهدكم المخصب الجنان والمريع

مسك النوافج فاح ام روض الربا حياه غب المحل ظل سماء

فتفتحت ازهارهـا وترنـمـت اطيارها فى ايكها الغناء
طلعت على انهارها شمس الضحى فتلألأت فى الصحو بالـلألاء
ام انجم الجوزاء أرخت عـقـدها فزهت بها الخضرا على الغبراء
فتجـوب سابِدرة سماوات الـعـلا كالتاج فـوق اللمة السوداء
ام صدر غانية تنظم وسطه درر مـن البيضاء للحـمـراء
قد اقبلت بجبينها فكانـمـا طلع الشروق لمن راى بذكاء
ام شعر ارورع لوذعى نال افـ ـق المجد فوق الهمة القعساء
انا استراحة نفسه بالجد والسـ ـهـر المدام فـفـاز بالعلياء
قد اشرقت فينا غزالته بنـو ر ساطع مـن طلعة زهـراء
فاضاءت الارجاء فانجاب الغشـ ـاء عن القلوب فاشرقت بصفاء
انى وامثالى ومن كانوا لديـ ـه نفوز فـوزا بالسنا وسناء
قد خص فى اترابه بشمائل وفصاحة ونـزاهـة وعـلاء
ماشيت من ادب ومن كرم ومن همم تـحـل بقنـة الجـوزاء
فعليه من ازكى السلام حدائق من بعد مسة ديمة وطـفـاء
فسرت بها نسم الصباح فافعمت كل المعاطس ما زرى بكباء
ثم الصلاة على الرسول وآلـه وصحابه الـكـرماء والـنـجباء

وبعد ياسيدى ان كنت لاتحتاج الى (وفيات الاعيان) ،او (الاغانى) ، فارسل الى احدهما جزاك الله خيراعن الغابر والباقى والسلام

وقدوقفت فيهذه الرسالة على نسختين بيده فاخترت هذه لانها منقحة ربما بقلم غيره، ولعله نقحها بعد زمن من كتابتها اونقحها خاله اوسواه ، وما فزت بالنسخة الثانية الااخيرا ، ومن اقواله ايضا ، وقد تحرش به بعض الطلبة فى المدرسة كماقاله فى المنقول عنه ، واشك فى انهاله ، وربما تمثل بها والله اعلم:

تحرشت بى ياندل والله عالم بانى لولا الحلم باز محلـق
اتحسبنى مثل الذين رايتهـم اذا صلت فيهم جانبوك فاطرقوا
يمينا لئن عادت الى مساءة تمس جنابى او أذى منك يطرق
لصرت لـيـوم مظلـم لا ترى به سنا وبجحر جنبه بـك ضيـق
فلست بذى حلم يدوم ولا انا بفدم حصى التجريب حوليه يطرق

ومنها متغزلا بمن يهواه ، ولاباس بها فى الجملة ، وان كنت ايضا عـلى شك فى انها له :

نام الـورى كلـهـم وانـا فى سهد العشق على الجمر
قد كان لى بدر فلم يبق لـى الا الذى فى القلب عن بدرى
وجه كـان الشمس قد خلقت منه ولكن فاق بالـثـغر
ونفحة من نفس طـيـب اذكى وآرج مـن الزهـر

واعـيـن دعـج بـهـا حـور الى التتيم بـهـا تفرى
قـد كنت ذا قـلـب صحيح فـاذ رمـيـنـه آض الـى الكسر
ياليلة سعـيـدة بـات فـى حضنى الى مطـالـع الفجر
ارشف من رضابه ما الذى ينسى نظيرى اكؤس الخمـر
لاعيب فى ليلتنا غير مـا اعقب وصلها مـن الهـجـر
فعدت بعد ان مضى مدبـرا عنى ، وقـد فارقنى صبرى
يرمضنى الشوق اليه كـمـا يرمض منـهـوك عـلى القفر
فـى وسط الهجير لاظـل لا ماء سوى آل الفلا يـجـرى
فهل يطول العيش بى زمـنـا حتى يـزيـل وصله ضرى ؟

هذا ما اخترته من هذه الآثار التى وجدتها له ، بعضها فى كتب خاله ، وبعضهافى غيرها ، وكثيرمنها سوى هذه ممالايفرح الادباء بنشره ، ولذلك نكتفى بما ذكرناه

ذلك هو الحسين بن ابراهيم الذى شهد له عمه ، وكفى بها شهادة انله اليد الطولى ، والتفوق على الاقران ، والمقدرةالتامةعلى التحليق فى جواء الابحاث العليا ، وهكذا ايضا شهد عندى به كل من عرف منه مماتنة متينة فى الميادين ، فلذلك لاترى من الطلبة النجباء من الالفيين الامن يكثرالترحم عليه ، ويستدر وابل رضوان الله على مثواه ، فقد اعتبط أتم ماكان شبابا وفتوة ، كمااستدارت لحيته الكثة ، وقد استولت على غالب محياه ، وفى قامته قصر ، فكان اذاأقبل ، استنارت اسارير جبينه الوضاء فوق اسوداد لحيته السوداء ، وقدغلبت الانوار السواد لمااستمدته من أنوار المعارف ، ومن اسرسريرة البسه الله رداءها فلو عاش لكان اديب الغ وعالمها حقا ، انصح ان تلك القوافى له

رحمه الله ورقاه فى مراقى السعداء بمنه وفضله .

عبد الله بن أحمد الصالحي

نحو ١٣٢٠ هـ = ١٣٤٦ هـ

نسبه :

عبدالله بن احمد بن الحاج عبدالله بن صالح بن عبدالله بن صالح بن عبد الله بن أحمد بن عبدالله بن سعيد .

هذا ابن عم المتقدم ، ووالده سيدى احمد من أفضل رجال الخ من جميع النواحي، دينا وحزما ومروءة وضيافة ، وقد لاحظه السعد في ذات يده ، وان اخطأه في تراث آله العلمي ، فقد سمعت اخي احمد يقول انه فريد الخ في القيام على الكسب والقيام على اداء فروض دينه في المسجد ، ومافاته الصف ولويوما وراء الامام ، كما أنه مافاته قط الوقوف على اشغاله، فلايتكل لاعلى عبد ، ولاعلى اجير، وان كان له عبيد كثيرون ، وقدنال من سعة المال ماوازى به اخاه الاستاذ علي بن عبدالله الذى يدر عليه قلمه وجاهه وعلمه بدرا من الاموال ، على حين ان سيدى احمد لاباب له الا الكسب ، ولكنه مستعين بالاقتصاد والوقوف بنفسه والمشارفة بعينه على الشاذة والفاذة ، مع نية حسنة ، وقناعة بذلك عن غيره ، فاثل وبنى وشيد وملك عبيدا واماء ، وخزن اهراء فاهراء ، ومع ذلك كله ،فانه في نفسه متواضع ، عارف نفسه ، لايتجاوز قدره ، هذا ما سمعته عن الاخ رحمه الله ، وكان من عادة الاخ ان ينقب عن أحوال الناس وينتقدها ، وكان شديد الانتقاد ، غير انه ينصف ، وكثيرا ماسمعه يقول ، هذه حسنة فلان، وفيه فيما وراء ذلك كذا وكذا ، فيملي عليك ايضا غرائب، وحين يذكر سيدى احمد لم أسمع منه أن تعقب هذا الثناء بشيء ، وهو الذى واقف مرة الشيخ الوالد حول املاك للواعظ سيدى الحاج محمد بن عدى رحمه الله ، كانت مرهونة عند آل صالح، ثم تصدق بها على الزاوية فاذن للشيخ في فك رهونها ، فثار سيدى احمد امام الشيخ الوالد ، فقال له هذه الكلمة التي فرطت منه ـ وسبحان الله انما هو بشر ـ لقد تحولت ياسيدى الحاج على من جديد الى الدنيا ، وزاحمت فيها بالمناكب، فاجابه الشيخ على غرار قوله ـ وكان آية الآيات في اختيار الاجوبة اللائقة لكل مقام ـ نعم ان لك ياسيدى احمد اولادا كما ان لي اولادا ، والمجاذبة في الحق محمودة، على أن أولادهما اختلطوا بعدهما ، فقد تزوج صالح بن احمد فاطمة بنت الشيخ .

ذلك هو سيدى أحمد رحمه الله ، واخبرتني اختي زوجة ولده المذكورة انه كان قيما على اهله بالديانة ، فلايخرج الى المسجد قبل الفجر حتى يوقظ كل من

فى الدار ولابد، وكان يوثر رقيقه بالطعام الحسن ، ويقـول انهم هم الـذيـن يكسبونه بجهودهم ، فرحمة الله على تلك النفوس ، وقد ولد سنة ١٢٧٥ هـ وتوفى فى جمادى الثانية سنة ١٣٣٩هـ وهاك ماعزى به اولاده من الاستاذين سيدى على بن عبدالله الغائب اذذاك عن البلد ، وسيدى الطاهر، وهما اذذاك فى مجمع من مجامع القبائل التى تدافع اذذاك احتلال جزولة

رسالة الاول

من على بن عبد الله بن صالح الالغى الى اولاداخيه وشقيقه المرحوم بكرم الله صالح بن احمد بن عبدالله ،وجميع اخوانه واهـل داره ذكرا وانثـى كبيرا وصغيرا ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

وبعد فلاباس ولازائد على الرضا بقضاءالله وقدره، ونسال الله تبارك وتعالى ان يعظم اجرنا واجركم فى والدكم الصائر لرحمة الله ورضاه، مصاب ما امضه وما أعظمه، والاجر والثواب المرتبان على الصبر والاحتساب أجل منه واعظم ، ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، وتبلغ أجلها ، (ولابدمن يوم ترد فيه الودائع) ونحمد الله الذى اطال عمره حتى علمكم كلكم دينكم ، فما منكم احد الا قدمه حتى قرأ وحفظ ، وعلمكم احوال دنياكم بين اخوانكم وعلمكم كيف تعاملون احبابكم ، فرحمه الله وادى عنا جميع الحقوق ، وكونوا انتم فيمابينكم حلماء رفقاء ، متواصين بالحق والصبر ، يرحم كبيركم صغيركم ويوقر صغيركم كبيركم ، وكل واحد يشتغل ويتصل بما تركه عليه والده ، فصالح ابوكم اليوم يتولى امورالخارج ، ووالدة عبد الله والدة الجميع تتولى أمور الدار كلها، والخير كله فى الصبر والاشتغال بما يعنى فمن لم يشغل نفسه بالحق شغلته بالباطل، وأصل الخير كله مجالسة الصالحين الناصحين ومشاورتهم ، وعليكـم بتقوى الله ومراقبـته والصبر لاسيما فيما بينـكم ، والسلام عليكم ، اعانكم اللـه وهداكم وارشدكم آمين ، وكتب اليكم مستهل رجب الفرد عام ١٣٣٩هـ عمكم الفقير الى الله على بن عبد الله بن صالح الالغى امنه الله ٠

رسالة الثاني

الى اولاد سيدى الحاج عبدالله بن صالح الالغيين رضى الله عنهم، مـن كاتبه الضعيف الفقير الى الله ، الطاهر بن محمد التامانارتـى ، وصهره ذى المكارم الظاهرة ، والاخلاق الطاهرة ، سيدى البشير بن المدنى الناصرى ، الى أولاد شيخنا المقدس سيدى الحاج عبد الله بن صالح الالغى ، سيدى ابراهيم ابن عبدالله وأولاد اخوانه سيدى صالح بن أحمد واخوته ، والاخ الفقيه البـر الرضى سيدى عبد الله بن محمد ، واخيه سيدى عبدالرحمن ، وولدى شيخنا سيدى محمد بن على واخيه سيدى المدنى، وجميع من بهم واليهم، من أهل وحواش

السلام التام العام الطيب الكريم ، والرحمة والبركة عليكم ، تعم احوالكم المرضية ، واخلاقكم الروضية ، ومكارمكم الرضية ، بوجود مدد سيدنارسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا ولازائد على الشوق اليكم ، والنزوع لزيارة تلك التربة الطيبة ، غيرما اتصل بنا فنغص اللذات ، من وفاة ذلك السيد البركة المنور ، أخيكم سيدى أحمد بن عبدالله (وذلك رزء ماعلمت جليل) فعظم الله اجرنا واجركم فى مصابه، واعاننا واياكم على الصبر وتجرع اوصابه ، فتلقوا سادتى أمر الله بالتسليم، والقلب السليم ، فما عندالله خير وأبقى ، ولله در القائل

وعوضت اجرا من فقيد فلايكن فقيدك لاياتى واجرك ذاهب

ومثلكم والحمد لله لاينبه على ماهنالك ، فانتم الاسوة والقدوة ، واحق بقول السموأل:

وما مات من كانت بقاياه مثلنا شباب تسامى للعلا وكهول

ولاتنسونا من الدعاء ، واعذرونا حتى يتيسر القدوم بالاوبة من هذه الحركة الضرورية ان شاء الله والسلام -٣- من رجب عام ١٣٣٩ هـ

وقد خلف رحمه الله من الذكور صالحا الآتى ذكره ، وهذا السيد الذى نحن تحت عنوان ترجمته ، وهما اخوا محمد بن أحمد المذكور قبل فى ترجمة ابن عمه الحسين ، وقد مات فى حياة والده بالوباء

تلقى عبد الله بن احمد القرآن فى قريته ، ثم التحق بالمدرسة الالفية ، فاخذ عن عمه الاستاذ على بن عبدالله ، وعن كبار الطلبة الذين هناك ، وعن الاستاذ سيدى احمد اليزيدى الذى كان مشارطا فى تلك المدرسة حين يتلقى هناك هذا السيد، كماتلقى أيضا عن الاديب مولاى عبد الرحمن البوزاكارنى وهو الذى أجرى ذكره فى الرسالة التى كتبها الى الاستاذ على بن عبد الله ، وقدذكرناها أثناء ترجمة هذا الاستاذ ، وقدتقدم فى فهمه ، وخالط مختلف الفنون ، وظهرت نجابته ، وان لم تصل درجة ابن عمه الحسين المتقدم ، وناهيك بمن أثنى عليه مولاى عبدالرحمن البوزاكارنى ، وهم ان يرثيه لولا انه ترك الشعر ترك الظليم لاريكته ، والسقب لغرسه -كماقال- ، وقد سمعت أنه انقطع عن القراءة بعد موت أبيه ، فذهب عمه الاستاذ بنفسه ، فاستدعى أمه وعاتبها على تخلفه عن قراءته مع نجابته الظاهرة ، فابدى الاستاذ تاسفه الكثير عليه ، وذلك مايدل على نجابته التامة ، ولكنه ذهب من غير أن يترك آثارا ، أو تركها فجرفها ماجرف كثيرا من الاثار غيرها ، لان من عادة أصحابنا الالغيين سامحهم الله ، أن لايعتنوا الا بآثار من علامقامهم ، ولاحظتهم عين السعادة ، ونبذ ماسوى ذلك ظهريا ، فهذا وان كان يظهر لنامنه أنهم ممن يفرقون بين الفضة والقضة

فيوكئون على الاول ، وينبذون الثانية ، لكنه ماكان ينبغى انيفرط فى الآثار كيفما كانت ، فانها مادامت على اى صفة كانت ، تدل على صاحبها دلالة رسم القدم على القدم ، وانكنت حنفاء فهاأناذا اقنع منالآثار بكل ما وجد ، لانتقى منه ، ولاباس بالاقتصار على شيء قليل منتقى لامثال هؤلاء الذين ماتوا قبل ان يدركوا ، لينشط القارىء فى مطالعته ، ولكننا انفقدنا كلشيء ، فمن أىشيء ننتقى ؟ وماذا الذى نقدمه للقارىء كحجة فى زعمنا انفلانا نجيب ؟ فياله من جهل لمقادير الاشياء ، ومااقسى مايقاسيهالمغرب اجمع من هذا التفريط فى غالب ابنائه ، جبلة قائمة ، وعادة فى البوادى والحواضر قديمة دائمة ، وخلق لايزول ، وشنشنة ابوا انيتحولوا عنها ولبعض الالفيين :

لكنها كصرخة الوادى ... فاين من يصيخ فى النادى ؟
تاريخنا غاض فلا جرعة ... تنقع منه غلة الصادى
ادى به الحال الى ان عفت ... طريقه لانوق لا حادى
فلا قديم عندنا لا ولا ... مستحدث فى يومنا الغادى
فاين من كانوا جها بلدة ... من حاضر دمث ومن بادى ؟
واين ما كان لهم فى الورى ... من خبر كالورد والجادى؟ (١)
قد اقبر الكل واخبارهم ... كانهم من طسم اوعاد
مع انهم عن كثب درجوا ... من رائح امس ومن غادى
ثم نسوا فى اليوم كلهم ... وذهبوا كصرخة الوادى

توفى المترجم بعد مرض غير طويل رحمه الله

---

١) الجادى الزعفران

صالح بن احمد الصالحى

١٣-٩-١٣٠٦ هـ = ١٤-١٢-١٣٦٣ هـ

نسبه :

صالح بن أحمد بن الحاج عبدالله بن صالح بن عبدالله بن صالح بن عبدالله ابن احمد بن عبدالله بن سعيد

اخذ القرآن فى قريته عن سيدى الحسين بن بلقاسم الاموكاديرى ، وسيدى سعيد بن عبدالمومن التاوييتى ، وهو من اقران سيدى محمد بن على، وسيدى البشير بن الطيب ، ولذلك اخاله اخذ ايضا عن سيدى مولود الصوابى، ويذكر أن الاول تخرج به ، وأنه مرتحت ايدى آخرين غير هؤلاء ، ثم يسمهم، ثم اتصل بالاستاذ شيخنا سيدى عبد الله بن محمد فى المدرسة (الايغشانية) سنة ١٣٢٠هـ ثم فى سنة ١٣٢١هـ جاور فى الالغية عند الاستاذ التاجار مونتى ، والاستاذ على بن عبدالله الى سنة ١٣٢٦هـ فالتحق ايضا بشيخنا المذكور فى (أداى) وكان من بين الطبقة التى يعنى بها اذذاك ، وكانت له نجابة كان بها اذذاك من الرعيل الاول فى اقرانه ، ثم انتقل بانتقال شيخنا الى ايغشان سنة ١٣٢٨ هـ فلم يزل هناك الى سنة ١٣٣١هـ فراجع الالغية ، حيث بقى الى ان تخرج ، وزوجه ابوه بشقيقتنا فاطمة فى ليلة ١٦-٥-١٣٣٧ هـ فاقبل على ادارة شؤون الاسرة ، معينا لابيه الذى لم ينشب أن توفى ، كما ذكرنا ذلك فى ترجمة صنوه عبدالله ابن احمد ، فكان هو أكبر الاخوة ، فحمل الضغث على الابالة ، فاعطى كليته لما هو بصدده ، وقد انقطع عن المجالس العلمية ، وكان تحصيله قبل انما هو وسط، ومداركه غير فسيحة ، وقدمر على كل الفنون مرارا ، فاتم الالفية والمختصر أكثر من مرة ، ولكنه حين اعرض عن ترويج علمه ، والمجاذبة حوله ، صار ظله يتقلص شيئا فشيئا ، حتى عاد الى حالة أخرى بعد طول السنين ، وقد اعان أيضا على هذا الانزواء أنه رجل واقف عند حده ، قانع بما تيسر من جميع النواحى فمدت هذه القناعة ذيلها أيضا على هذه الجهة ، وتبا لها من قناعة زجت به فى الجهالات .

عجبا ، اننى أرى من كثير ممن تعلموا عندى بالتجربة ، أن من كان طلعة طامحا خفيف الروح ، نزاعا الى أن يسبق كل احد ، سرعان ماتاتيه النجابة فتسلمه راية التفوق ، وأما من كان يميل الى الانزواء ، فيقنع، فكثيرا ما تسرى القناعة منه الى هذه الناحية أيضا ، فاذا به سكيت الميدان ، ومنبوذ الصدور،

وحلس الحواشي في المجالس العلمية

ان أعجب فلاعجب من كل من كان أدرك وذاق العلو على الاقران ، ثم بعد ذلك ينفض يده مماحصله ، ثم يأوى الى زاوية، فيقبع فيها مع القابعين

اننى لارسل زفرة على كل من كان كذلك ، لأنهم حرموا أنفسهم ثم حرموا الامة من الانتفاع بهم ، وهذا صاحب الترجمة الذى له من أخلاقه الفاضلة ، ودينه المتين ، وصلاحه الظاهر ، ودماثة جانبه ، مالوكان مع تلك المعلومات التى حصلها فى المدرسة ، لوقع به من النفع مالايستهان به ، من طل انلم يكن وبلا

ان سيدى صالحا من خير طبقته دينا ومروءة وصلاحا ، فقد عرف بذلك عند كل أحد ، وهو ذويد ظهرت فيها للمسترقين بركة ظاهرة ، فما مست يده داء الامسه شفاء، كمايحكى لى ، ولايكاد يجلس فى داره لاستدعاء الناس اياه لذلك ، وحكوا انجده سيدى الحاج عبدالله ، كان يقول ان صالحا هو وارثى فيما عندى ، فصدقه الله فى ذلك ، هذا مع تلاوة للقرآن ، وتواضع يزاول به كل شؤونه بيده ، وقد سمعت من العم ابراهيم يقول ، ما الرجل من طلبة الالغيين اليوم الا سيدى صالح ، فانه غيركسول ولامتكبر عن مزاولة شؤونه ، هذه كلها أخلاقه ، ولوكان لم يفرط فيما كان حصله من المعارف لكان بها مع هذه المزايا رجلا آخر علما وتدريسا .

آثاره

هاك قبصة من اثاره فى أيام المدرسة ، حين كان يسابق أترابه ثم لايتخلف عن حلبتهم ، قبل أن يبدوله فيترك القلم ، ويغادر الدواة تذوب فيها ليقتها عليه حسرات .

من ذلك ماخاطب به قرينه سيدى محمد بن على فى رسالة يستزيره :

أيا من هو الغوث المهيأ عدة ... ويا من له كل الكمال بلاعد
لقدنال قلبى فى البعاد وشدة اشـ ... ـتياق مقاما لايطاق من البعد
فعطفا علينا بالوصال ورفده ... فانت أخ يولى الجميل مع الرفد

فاجابه المخاطب

سلام كما قد فاح غب الحيا العد ... نسيم ذكت انفاسه بشذا الورد
على بدر أفق المجد والعلم صالح بـ ... ـن أحمد من قد لاح فى مطلع السعد
فلازال يسعى فى افتناء شوارد الـ ... ـعلوم الى ان يرتقى ذروة المجد
فانى ساتيكم كما تبتغونه ... بنفسى بالوصل الجميل وبالرفد

وكتب اليه هذا الاديب يعاتبه على تركه لبيته بالمدرسة مع انه استلبثه

الى ان يرجع اليه :

ايا صالح ماذا فعلت الم اكن امرتك امرا قد خرجت لدفعه
امرتك بالبقيا ببيتى فخنتنى مخالفة والمرء يجنى بطبعه

فاجابه سيدى صالح

فلاتنسبنى للجناية يا اخى فكل فتى يجنى على قدر طبعه
فقصدى لدى تركى لبيتك ان ترى بانى ايضا من يسر بربعه
(نزعت الى التخفيف عنك وانت قد نويت سوى والكل يجزى بنزعه)

والبيت الثالث من اقوال بعض الالفيين ، أجاز به بيتى سيدى صالح.

حل الوفد الافرانى مرة بالغ ، فتسابق ادباؤه فى الترحيب به على العادة فقال هو من بينهم

اهلا بمن قد شرفوا حصن العلا واتخذوه وطنا ونزلا
وطولوا بناءه تفضلا وبالقوافى حسنه تبجلا
فصار ملكا لهم بلا ولا يضفون فيه انعما بين الملا
فعلمهم عم القرى والجبلا فدافعوا عن كل سوسنا البلا
فاوقدوا مصباحه والفتلا اضفوا علينا بالوصال الحللا
وكثرونا مددا لنقبلا ازكى السلام دائما مكللا
عليكم او كسحاب هطلا

فاجابه رئيس الوفد شيخنا سيدى الطاهر الذى كان دائما بصدد الاجابة فى كل وفادة لاى قطعة قيلت فى الترحيب به وبمن معه :

هذا نظام رق معنى وحلا ذوقا وراق مجتنى ومجتلى
ابداه فكر صالح لما اعتلى بالهمة القعساء آفاق العلا
فكر سقاه نهلا وعللا غيث الحجا لما انهمى وانهملا
لازال يرقى فى المكارم الى ان يغتدى فى الفضل بدرا أكملا
مكتسبا من العلوم خللا ومدركا منها مدى ما املا

وخاطبه ايضا فى بعض وفاداته :

ايا طالعا على الاحبة كالنجم ويافائقا فى الدين والرشد والعلم
ورافع رايات الهداية والتقى ومسدى احسان مع البسط والحلم
لقد حزت خصل السبق فى كل مفخر وضنت فؤاد المجد من وصمة الثلم
لقد نشات لى من وصالك هزة كما اهتزت الامواج من وسط اليم
عليك مدى الازمان شيخى تحية معطرة الربا لدى كل ذى شم

ولم نقف على جوابها

وقال يخاطبه ويرحب به بين أدباء الخ فى احدى الوفادات

اهلا بمن سادوا ونالوا رفعة عند الاله فذكرهم يدنى الارب
اهلا بمن خضع الانام لفضلهم فى العصر فارتفعوا بالسنة الادب
فبعلمكم رفع الحجاب عن الحجا وبطبكم تشفى القلوب من الوصب
فملكتم منا القلوب جميعـــها وسكنتم بالطـوع فيها والغـلـب
كم من ذوى خطل هديتم بالهدى وأبنتم لهم السبيل وما وجب
ما الفخر الا بالتواصل معكم وهو المنى لعبيدكم وهو الطلب
فبحق شيخكم التجانى الرضا الا تفضلتم بما ينسى التعب
وهو الدعاء المستجاب لديكم ما نيل من أيديكم كل الرغب

فأجابه الاستاذ شيخنا سيدى الطاهر الافرانى :

يا صالح يابدر أفلاك الادب يـا من دعا صعب المعالى فانتدب
وافت خريدتك التى قلدتهـــا عقد الكلام الحر لا عقد الذهب
دلت على باع وذهن قانص بيد القريحة كـل معنى مقتضب
فاحرص ولا تخلد الى أرض الونى فالعلم آفته الفتور عن الطلب
لازالت الشوس الصعاب من العلا تاتى اليك اذا دنوت بلا تعب

وله ايضا مقطعة لامية يخاطبه بها مطلعها

قد لاح وافد منزل السعد الـذى عرفت منازله ورفعـة فضله

ومطلع جواب الاستاذ :

يا صالح يا من اقر بفضله من لم يغط الغمط صفحة نبله

وقال أيضا وقد زاره صاحباه سيدى عبدالله بن مسعود التيـيـوتى والاديب سيدى محمد بن الحسين البعمرانى بوكرع

اهلا بمن بخطاهم فرح البشر وتحفلت بثناء نحـوهم الفكر
بشرتنى بوصالهم يا مخبرى فلا نتعش قلبا كما انتعش البصر

وله بيت مفرد

المرء لابد لـــه من الـوفا لا سيما ان كان مع اهل الصفا

وذيله بعض الالغيين

من لم يكن يفى لاهل وده فقربه من الورى كبعده
وانما المرء الـوفـاء فانظرا اين يرى قدرك ما بين الورى

وقال ايضا

وكل رزء اذا لاقيته جلل الا معاندة المحبوب بالمحن
تذوق ويلا عظيما ان يزر وطنا وانت فيه ولم يعج الى الوطن

ولسيدى صالح ابيات ومقطعات يخاطب بها اقرانه اذذاك موجودة فى (جوف الفرى) وقد وقفت على مقطعة اجاب بها شيخنا محمد بن الطاهر عن مقطعة له مطلعها :

ابرق لاح كالثغر البسيم ام الريحان فاح مع النسيم

الى آخرها

وهناك مقطعات اخرى خاطبه بها ، هو وقريناه سيدى محمد بن على ، وسيدى عبدالله بن مسعود التيييوتى ، وكذلكمقطعات أخرىلشيخنا الاستاذ سيدى الطاهر ، مطلع احداها

ما روضة صافحتها الريح غب ندا وغرد الطير فى أفنانها وشدا

ومطلع الاخرى :

حسان العلا يهوى اللبيب عناقها ولكن ما اغلى واسنى صداقها

وقد رايت مقطعات اخرى لهذا الاستاذ يجيبه فيها عن مخاطباته غير هذه فلانكثرن بسوق ذلك هنا ، ولنكتف بهذا القدر خوف التطويل الممل

هذا هو سيدى صالح بن احمد الذى افتر عنه الدهر حينا، وبشر عنه بمستقبل طافح بشرا ، ثملم يلبث ان أعرض عن كل ذلك ، وكان امرالله قدرا مقدورا ، ولبعض الالفيين :

ومن لم يذاكر بالعلوم فانها ستنسى وان كانت كبحر غطمطم
فمن لم يواصل سقى روضته ذوت الى ان يصير الزهر ضمن المهشم

هذه زفرات تخرج من صدرى بغير شعور لغيرتى على العلم واهله ، وانكانت حكمة الله التى أومن بهافى كل مافعل ، ظاهرة الآثار فى كل مايجول فيهعقل الانسان ٠

وله مع اختنا اولاد ذكورا واناثا ، فاما الذكور فمحمد المولود فى رمضان سنة ١٣٤١هـ واحمد المولود اواسط رجب ١٣٥٣هـ وابراهيم المولود نحو١٣٦١هـ (وقد كبر الجميع فكانوا رجالا اليوم ١٣٨٠هـ) واما البنات فثلاث : عائشة ماتت بكرا ، ثمفاطمة ، اقترن الاستاذ الطاهر بن على بها ، ثمماتت ايضا ، ثماختها بتول وهىالحية منهن الآنولهاولد، ثمانالمترجمكان فى (أداى) ، فى ذى القعدة ١٣٦٣ فالم به مرض شديد ، حمل به الىالغ فى ذى الحجة ، فاصبح فيه يوم العيد الاكبر ، وبعده بثلاثة أيام توفى على حالة حسنة يغبط عليها وذلك فى الخميس ـ١٤ـ من ذى الحجة ١٣٦٣ رحمه الله وغفر لنا وله ٠

سيدى احمد بن محمد التهالى

١٣٢٢ هـ = ١٧-١١-١٣٦٥ هـ

نسبه

أحمد بن محمد بن عبد الله بن احمد بن أحمد بن عبدالله بن سليمان ابن‌عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن سعيد

أخذ القرآن عن سيدى ابراهيم الفقير ، وعن سيدى ابراهيم البعقيليين، وعن سيدى محمد بن محمد السملالى اخى سيدى عبدالله فقيه سملالةاليوم ، وسيدى محمد هذا شارط اليوم ١٣٥٧هـ فى (تازيمامت) ، فبهؤلاء حفظ القرآن وتخرج ، ثمافتتح فى المدرسة السعيدية الاخصاصية ١٣٣٤هـ عند شيخنا سيدى عبدالله بن‌محمد ، ثمانقطع الى المدرسة الالفية ، فتدرب بسيدى على بن صالح الاوفقيرى ، وقد كان اذذاك يلقى دروسا فى المدرسة بعد خروج الاستاذ التاجارمونتى ، ثمأخذ عن الاستاذ سيدى أحمد بن‌محمد اليزيدى ، وسيدى المدنى ، ووالده الاستاذ الكبير عميد المدرسة، فمر على كل الفنون وحصل تحصيلا لاباس‌به ، ولازم داره من هذه السنة الى ١٣٤٥هـ ثم التحق بخاله الفقيه سيدى الحسن التياسينتى فى مسجد (أكرض) بتامانارت ، ثم بالمدرسة الايمورية ،وبها اذذاك سيدى احمد بن صالح الافرانى ، كان يتعاطى هناك بعض الدروس،فاخذ عنه أيضا ، وفى سنة ١٣٤٩هـ شارط فى تلك المدرسة الاستاذ سيدى الطاهر بن على ، واحسبه اخذ عنه قليلا اذذاك

ثم شارط فى مسجد (ايت‌اوحامو) بتاجارمونت ، سنتين ، ثمفى مسجد (تاكنزا) اربعا ، وقد غادره فى شعبان ، ١٣٥٦هـ ثمفى رمضان سافر الى حاحة فشارط عند سيدى عمر امغار فى (أيت‌أمر) فى قرية (تيكزيرين) ، ككاتب عنده ، وقد أخبرت انه قال للاستاذ سيدى محمد بن أحمد كاتب أخيه القائد سعيد بمركز (تمنار) ، انكم ياآل سوس عندكم علم كثير ، وقد اعجبنى هذا الاستاذ الذى شارطته من كل جهة ، الاأنكم لاتعتنون بتجويد الخط ، ونحن الحاحيين عندنا الخط ولا علم عندنا ، وهى والله كلمة حق لاغبار عليهاومن‌شك فليجعل عينه فى وجه هذه الصفحة التى خرمشتها بهذا الذى اسميه خطا ، وليس من الخط فى‌شىء ، وقد قال فى ذلك بعض الالفيين : بيتين ناتى بهما وان كانا ركيكين ، فيلتحق الخط الركيك بالقريض الركيك

الخط حلى العالم النحرير فبه دعامة علمه المشهور
من فاته خط ابن مقلة فليسل منه ابن مقلة عينه بفزيـر

واصحاب الخط الجميل من الالفيين ، الاستاذان : سيدى محمد بن عبدالله، وصنوه على ، وشيخنا عبدالله بنمحمد ، والاستاذ سيدى عبدالله بن ابراهيم، والاخ سيدى محمد ، والاخ سيدى عبدالله ، وأما سواهم فخطوطهم الى الرداءة اقرب ، وان كانت متفاوتة فى الرداءة •

* * *

ولم أقف لصاحب الترجمة على ما يستحق الاثبات مع انه من النجباء ،وقد أدركه أجله بعد مرض فى السابع عشر من ذى القعدة عام ١٣٦٥ هـ فعاش خاملا ومات خاملا •

الاخ احمد ابن الشيخ الوالد

١٥ـ٩ـ١٣١٥ هـ = ٩ـ٥ـ١٣٥٦ هـ =

نسبه :

احمد بن علي بن احمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد ابن عبدالله بن سعيد .

آه ايها الاخ الصديق آه ، فبين عيني كان التراب أمس يهال عليك وانا اتثر اليك ببصر حاد ، غمرته الدموع المترقرقة بين الجفون ، وانت ممتد في تلك الحفرة الطويلة بلاحركة كنت أعتادها منك ، ثم لم أزل واقفا وانا اتبع شخصك بعيني وهو يغيب شيئا فشيئا ، حتى غابت آخر لمعة بيضاء من كفنك ، وقد سويت الاحجار ، وأقبل العملة يجرفون التراب بالمساحي عليها

زفرت زفرة يعلم الله ما أحس به أثناءها من الالم الممض ، تتاكل به جوانحي ويذوب به فؤادي ، ثم قلت أأفترق أنا وأخي المؤنس الوحيد بالغ افتراقا أبديا؟ أهكذا يولي وجهه لتلك الحياة الاخرى ، وأبقى أنا في هذه الحياة كالحديدة المحماة بين السندان والمطرقة ، ؟ فمن ذا الذي يمسح عن صدري همومه ؟ أومن ذا الذي يراعيني ويراعي غربتي هذه ، ويحول ما استطاع بيني وبين أن اقضي بنكد هذا الاغتراب أسى وأسفا ؟

قد كنت لي صديقا قبل ان تكون لي أخا ، ومتى كانت الاخوة ، أو كانت لها حلاوة ، اذا تخطتها الصداقة بين الاخوين ؟ تربينا معا ، ونبتنا معا كما تنبت الشعبتان من وشيجة واحدة ، فتصاحبنا دائما مصاحبة من لاتختلف أنظارهما، ولايجد الخلاف اليهما من سبيل ، فكنا في فجر حياتنا متصلين دائما في دارنا، وفي المكاتب التي ناخذ منها القرآن ، ثم في بعض المدارس العلمية ، ثم حاول الدهر أن يضرب ما بيننا ضرباته ، ولكنه لم يجد الى قلوبنا ما وجده الى جسومنا، فهذا ربع قرن منذ ١٣٣٠ هـ وقد توجهت الى وجهة وتوجهت يا أخي الى وجهة أخرى ، ولكننا كلما التقينا امتزجنا امتزاج الماء بالراح ، والارواح بالاشباح فتفضي الى بذات نفسك ، وافضي اليك بما في دخيلتي ، فكنا نتكاشف دائما بيننا ونحن كبار ، كما كنا نتناجي ونحن صبية أغرار ، فما تكاد خطرة تلم بنفوسنا ، حتى تتلقفها السنتنا ، فتصل من قلب احدنا الى قلب اخر ، وكل من يرانا لايحسب الا اننا معا على غرار واحد نشاطا ومرحا وأريحية

كنت تزورني ياأخي بالحمراء ، فكنت تغمرني بنكاتك ، واحاديثك الحلوة، واضحوكاتك المعسولة ، فكنت تستولى على رسنى ، فتديرنى كيف تشاء ، ثم لاتفارقنى حتى احس بأننى افارق شعبة من شعب قلبى ، ثم لا استرجعها الا يوم ترجعك لى ايضا الايام ، ثم لماقلب لى الدهر ظهر المجن ، وبدا له ان يرجلنى بعدان اركبنى تحملت معى من كارثتى ماالله اعلم به ، ولكنك مع ذلك حريص على ان تظهرلى باستهانة ماوقع ، لعلك تجد بذلك منفذا لتسليتى ، ومدخلا تدخل الى منه بانس وبهجة ، فصرت تثر على دائما باحاديثك ، وبوقائعك وبصفحات حياتك ، ثرة الماء الثجاج ، من منبع عين تتدفق من سفح جبل عال

آه ما أنس لاأنس تلك العشايا التى يرى الناس فى الغ شخصينا متلازين فى مهبطنا الى البستان ، اومطلعنا منه ، وانا اتلقى منك ياأخى دروسا قيمة عن الهياة الاجتماعية الالفية ، فتنير لى طريقا لهجت بالسير فيها منذ وصلت الى الغ، ثم رأيتنى اريح بالقلم ماكنت تظل الغداة على بلسانك فى ذكره ، فكنت ترى ذلك ، فلايعجبك نسقه ، لانه اخلاط امشاج فقلت لى فى عشية فى اول ربيع الاول، ان كنت لابد كاتبا فضع لنا تاريخا الفيا منظما يكون حظنا من علمك ، الذى نرى كل المغرب يبكى عليك اليوم بسببه ، فاننا اولى من ينتفع من ورائك بعلمك ، ان كان وراء علمك انتفاع. لعله يكون لالغ كتاب خاص كالكتاب المعروف عن (تيمكيدشت)

كنت ياأخي بتلك القولة سببا لهذا التاريخ الذى انتفع به الالفيون حقا، وسيتضاعف ـ ان شاء الله ـ انتفاعهم به بتطاول الازمنة ، وتقلب الاعصار . يوم يدرك قراء (المعسول) ان مافيه يكاد ينمحى من الوجود لولاه .

آه عليك ياأخى ، من ذا الذى يحترمنى بعدك ذلك الاحترام الكبير؟ فيقدمنى الى كل شرف ، ويتجافى لى عن صدر كل مجلس ، ويعطر ذكرى دائما بثنائه العطر ، فقد عدمتك اليوم ، وعدمت من كان يقوم لى بماكنت تقوم لى به ، ومتى عدم الانسان من يعرف له قدرا ـ وان لم يكن له قدر ـ فانه يكاد يعدم الحياة.

رحمك الله يارفيق شبيبتى ، ومؤنس غربتى ، ففى هذا اليوم من هذا الشهر حقا ابتدأت الغربة الالفية الحقيقية ، لامن اربعة اشهر كماكنت أتوهم قبل مغترا ، مع أننى وجدت منك من يجبر الصدع على قدر جهده ، ويفثاعنى بموانسته الاحزان ، ويدراعنى انقضاض الرزايا بوساوسها المرمضة ويفتح لى أبواب جيبه ، ومغاليق بشاشته ، بعد ان اصبحت فى الغ نائيا ، صفر الكف ، منفردا فى جو مكفهر ، تساورنى فيه من الهموم والاشجان رقش فى أنيابها السم الناقع (١) .

---

١) قال النابغة الذبيانى

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم ناقع

اليوم تركتني وحيدا ، لاصديق اليه مشتكي حزني ، ولاانيس اليه لوكنت اجدل في الغ منتهى جدلي ، فهاانذا منهذه الليلة اتلقى من صدمات الغربة ، ومن شاـبيب الهموم مايرخي على عزاليه ، ويصب على شاـبيبه ، فاتململفوق فراشي حتى اتمنى اليوم انلوتيسر لي التوسد على الجانب الايمن ، كما تتوسد فيحفرتك تلك أمس ٠

هاانذا ياأخي تستريح من وعثاء الحياة الاولى ، وتعرض عماكنت ايضا تشتكي منه دائما بدورك ، فقد انتقلت الى جوار رب كريم ، ففادرت المختار المسكين الغريب، المرزوء في نكبات وانكاد،وغربة وضيق يترنح ترنحالمبطوح بينايدي الجلاوزة الاشداء ، وهم يختلفون عليه بالاسواط ، اربعةاربعة ، فليت شعري متى يفرج الله عن اخيك مماهو فيه ، فيراجع نعماء الحياة بين احباب هم مني بمنزلة السويداء من القلب ، في بلد عهدت منه ماعهـدت ، او انسى الحمراء ؟ اني اذن لبليد الطبع ، جامد العاطفة :

بلد صحبت به الشبيبة والصبا ولبست ثوب العمر وهو جديد
فاذا تمثل في الضمير رايتـه وعليه أغصان الشباب تميد

متقلبه إبان التعلم

كان رحمه الله ممن صلد زنده في المعلومات ، وممن كبا جواده في اول الميدان ، حتى ان القرءان الذى حصله في مبدا عمره ، طار عنـه استحضاره ككثيرمنا بعد انأتقناه جميعا تجويدا ، وكذلك جاور في المدارس ما جـاور ، ولكن همته فاترة في الاخذ ، فاصبح ممن لايعد في الزائرين للمدارس مـن اهالينا ، وقد ذكرناه لرياسته التي أدركها في عصر القبائل يوم تتموج دفاعا عن جزولة في نحر الاحتلال ، ولماادركه ثانيا بعد الاحتلال من كونه رديف اخينا الاكبر يوم ابتليا رسميا برياسة قبيلتنا آلعبدالله بنسعيد، ولكنه مع عدم وري زنده فيما اخذه ، نلم بذلك لنعرف حياته كماهي ، فانه ـوالحق يقالـ اولى بالذكر منكثير من اولئك الادباء والفقهاء المذكورين الذين لو تخطاهم ذلك الوصف ، لاصبحوا نكرة لاتتعرف ، ففالبهم خال من مميزات غير ماذكرناهلهم يستحقون بها ان يطلعوا في سموات التاريخ ، ولكن مع ذلك كفاهم الادبوالعلم شرفا ، فان منأوتي ادبا اوعلما فقد اوتي وساما يكفيه زينة في مصاف التاريخ، وان كان خاملا ، واما صاحب الترجمة فله مزايا عظيمة سترى منها نبذة فـي الذى امامك

افتتح حروف الهجاء عند الوالدة رقية بنت محمد بن العربـي أستاذة الدار ، حتى اتم عندها حزب (سبح) ، وفي سنة ١٣٢٠ ﻫ أرسله الوالد الى جده سيدى عبد الله بن القاضيفي(تافراوت) من قبيلة أملن ، وفيآخر ١٣٢١ﻫ

اوائل التى تليها التحق بالاستاذ سيدى ابراهيم بن الحاج الرسموكى بمسجد (بوكورة) برسموكة ، وفى سنة ١٣٢٤هـ رده الوالد الى الزاوية مع هذاالاستاذ الذى لميلبثأنذهب فاتى الوالد بسيدى عبدالله الاكمارى ، فكنا اذذاك منتظمين فى القراءة عليه ، وكنت مع هؤلاء الاخوة بعد انأخذت عن الوالدة نحوحزبين ، وشيئاقليلا عن سيدى بلقاسم البوزياوى فلازمناجميعا الاكمارى الىسنة ١٣٢٦هـ فارسل الوالد صاحب الترجمة الى قرية (المحجوب) برسموكة وقدشارط فيهاسيدى ابراهيم بنالحاج المتقدم وفى أول ١٣٢٧هـ ارسلنى الوالد معه الى (العركوب) عند شيخنا سيدى عيسى الاكمارى ، فبقينا هناك الىربيع الثانى ، فردنى الى الزاوية عند سيدى عبد الله الاكمارى ، فارسله هو الى (افريان) بهشتوكة عند سيدى ابراهيم بن الحاج ، ثمالحقنى به فى أواسط تلك السنة ١٣٢٧ هـ فبقينا هناك الى رمضان ـ ١٣٢٨ هـ ـ فمربنا والدنا فاتى بنا الى الزاوية، عند سيدى احمد السكتانى ، فلم ينشب الوالد انمات ، وفى أواخر ١٣٢٩هـ اتصلنا معا بالمدرسة الايفشانية ، ولكنه هوفى اواسط ١٣٣٠هـ أو فى اوائلها انتقل الى بونعمان ، فافترقنا منذ ذلك الحين، ثمالتحقت أيضا به ببونعمان سنة ١٣٣١هـ شهورا ثمانزلت رحلى فى (افران) فلازمهو (بونعمان)سادرالاهيا ، وغرارةالصباتفعلافعالها ، والفقراء متوافرون والتعظيم والاحترام والاجلال تنهال عليه منهم انهيالا

يغادر التعلم إلى مكافحة الاستعمار

فىسنة ١٣٣٣ هـ اوفى التى بعدها ، غادر المدرسة البونعمانية ، لان ابن دحان حينئذ مد يديه الى كل من كان من قبائل الجبال يلقيهم فى السجون، فخيف عليه فانتقل الى الخ ، فكان ذلك آخر عهده بالمدرسة ، ثم جال جولة مع الفقراء سياحة ، على عادة اولاد المشايخ الذين يظنون ان التظاهر باحوال آبائهم يكفيهم ، وقد كان يمكن ان يتهذب باصحاب الشيخ اذذاك ، ولكنه لم يخلقللتصوف ، فلم يلبث ان انتشب فىمجامع القبائل المجاهدة اذذاك ، فكان اولا يصاحب كبكبة من آيت على المجاطيين ، فكان معهم على فرس فى (وجان) يوم وقعة حيدة ، ثمفى (آيت بعمران) يوم الفتك بحيدة ويوم الاصطدام بالحملة الجنرالية ، كان متوجها اليها ، وقد تاخر فصادفه الخبر فى الطريق كما سيرويه هو بنفسه ، ويوم انكف الاخ الاكبر عنمجامع القبائل كماذكرناه فى ترجمته لازمها هو ، فبرز بروزا كبيرا حتى كان يحسب له حساب بعدان صار اولا يقبل فى ذلك ويدبرفقط ، وكان شانه اولا فى ذلك ضئيلا ، ثم لم يزل يخب ويضع حتى صارله شان بين رؤساء القبائل، وصار له اعوان ٠فكان يورد ويصدر ، ومتجهه غير متجه القائد المدنى ، بل يتجه الى وجهة آيت على المجاطيين ، وبعض البعمرانيين ، احدى كفتى تلك القبائل اذذاك ٠

كثيرا ما يحدثني بتفاصيل عما كان لاقاه في ذلك وماشاهده ، وكنت اذذاك مهتما ان اجمع في ذلك مذكرات ، فابتدأتها في جزء خاص من كتاب (من أفواه الرجال)، ولكني اشتغلت في مبدا حياته باستطرادات كثيرة ، وكنت احسب ان الحبل يمتد لي حتى استشف كل ماعنده ، ولكن جاء الدهر معاكسا ، فلم نشعر حتى مرض سبعة أيام ، فاذا به من المرموسين ، وهذه عقبى الـتـراخي دائما ، فلاسق الآن بعض ما استحضره مما يحدث به اجمالا لا تفصيلا، لان ذلك لو اراده الله لاحياه حتى نكتبه عنه بتثبت ، كما يحتاجه التفصيل بالتتابع.

قال لم احضر صبيحة الفتك بجيدة في نفس الوقت . لاننا بتنا في بعيد، فاسرعنا حين سمعنا البارود ، وهزيم الرصاص ، فوجدنا الـقـائد المدنـي واقفا بعيدا من المعركة ، لان من عادته أن يكون من نظارة الحرب ، لامن ارباب الطعن والضرب ، ففي الحين اقبل الناس على جمع الغنائم ، فشاهدنا ما شاهدنا من الاثاث والبهائم والفساطيط والسلاح ، والناس من عزبز ، فكم رجل كان سالبا اذا به عاد مسلوبا ، والمتلاحقون المتاخرون ينقضون على الاولين ،فينتهبون ماكانوا غنموه قبلهم ، قال ، واما انا ومن معي الذين نفرح بالسلامة من المرابطين الذين يحتجون بان ذلك حرام ، حين لايجدون اليه ـ لضعفهم ـ من سبيل ، فاننا وقفنا في ناحية حتى انفض الجمع ، وكان ماكان ، وكان يوم الفتـك بالقائـد جيدة صبيحة ـ١٣ـ٣ـ١٣٣٥هـ في محل يسمى (ادواوسار) بالحصن الاحمر ـ اكادير زكاغن ـ ، وقد كان قبل ذلك الحين نحو سنة ١٣٣٤هـ فدزحف زحفا هائلا وصل به قبيلة الاخصاص ، فصالحه هنالك مبارك ابوالطعام الرخاوي، وقد حارب اذذاك في (وجان) ولكنه لم يغن شيئا ، وفي ٣ـ٣ـ١٣٣٥هـ دخل تزنيت ايضا ، فزحف فلاقى ماقدر له ، ووجدت بخط بعضهم أن الذي انتهـب مـن البغال والجمال فوق ـ٧٠٠ ومن الخيل ٤٨٠ـ واما الاثاث فلم يدرك عدده، وهو كثير جدا ، لانه ساق امامه كل رؤساء قبائل راس الوادي ، وهشتوكة، والازغاريين ، ولم ينج من اثاث الجميع شيء، وكثير منهم ترجلوا في تلك الشعبة من وادي (ايكالفن) فنجوا بارواحهم ، وقدمات منهم من مات ، ولم تقف الهزيمة الا في تزنيت عشية ، هذا ماصار الى عن الواقعة باختصار عن لسان المترجم

وحدث ايضا عن يوم الاصطدام بالحملة الجنرالية ، قال كان اخي محمد ذهب قبلي ، فبقيت انا في البلد ، وفي يوم قلنا ان الزاد ربما يتوقفون عليه، فذهبت مع ابن عمتنا سيدي محمد بن بلقاسم ، والد الاستاذ سيدي بلقاسم ، والناس كلهم انحشروا الى تلك الجهة، حتى اننا لم نلتق باحد من الخ الى مدرسة(ايت رخا) حيث بتنا ، فهناك صرنا نسمع ان الواقعة قد وقعت ، فصار النساء يتحدثن بانهن يسمعن المدافع بكثرة من الصباح بكرة ، قال وكانت هذه الحملة حملة هائلة، قد حشدت فيها الحكومة اكثر من عشرين الفا من الجنود المنظمة ، وفيها كثير من القواد الكبار ، كالحاج التهامي الكلاوي والحاج حماد بن جيدة ، والحاج الطيب

الكنتافى ، وقواد حاحة كلهم ، وقواد راس الـوادى ، والخليفة ابـو السلام المتوكى ، فجاء اولئك كلهم بنظام ، لم يشاهد الناس مثله ، قلت وقـد صحح بعضهم انعدد الجند المنظم ـ٢١ـالفا ، ومعهم ـ٣٦ـ مدفعا كبيرا ، ممايمكن أنيجر ، والمترايوزات الكبار اكثر من عشرات والبغال ٧٠٠ والجمال ٥٠٠٠ ويدفع لهذا الجند المنظم كل يوم ثلاثون ثورا ، وقد احتل هذا الجيش تزنيت يوم الجمعة ـ٢٢ـ٥ـ١٣٣٥هـ فبقى هناك أسبوعا ، ثـم نظم القواد فى جهات ازغار، فالحاحيون فى قرية (الارجام) ، وهى مسورة قبل ذلك الحين حصينة، وفيهم القائد الحاحى المسمى السيد الملقب اكيدر، الرجل الذى يذكـر بخير، ثم وقعت الحرب فى (وجان) صبيحة يوم السبت ـ١ـجمادى الثانية ، فوقع ماوقع هناك بوجان ، حيث هلك من مجاط خاصة نحو ـ٨٠ـقتيلا ، ونحوذلك من الجرحى ، ووقع مثل ذلك فى الولتيتيين ثم هرب هؤلاء عن وجان ، فاحتلته جيوش الحكومة، ويقال انه هلك من الجيش الحكومى ـ٤٣٣ـقتيلا ، واطلق الجيش الزاحف ذلك النهار نحو ـ٢٠٠٠ـقنبرة ، ومكث هناك المحتلون سبعة ايام ، ثم آبوا الى تزنيت فى يوم ـ١٥ـ٦ـ١٣٣٥هـ بعد انباتـت محلتـهم ازاء (تالعنت) وذلك بعدما صالحهم الرئيس الولتيتى الشيخ احمد الامازرىعن الولتيتيين ، فكان ذلك سبب اهلاكه فتكاعن قريب منهذا الوقت ، وفى هذا الحين وصل الحاج التهامى الكلاوى، فبادا المخابرة مع منبالاخصاص ومجاط وآيت بعمران يقول لهم ان الحكومةلاغرض لها الااسترجاع تلك المدافع التى بقيت عندكم يوم قتل حيدة ، والحكومة ترى بقاءها عندكم غضاضة لاترضى بها فتلاقى الحاج التهامى مع بعض الناس فافضى اليه بهذا ، فقال له اذهبواوتشاوروا بينكم ، فالاولى أن تقدموا هذه المدافع ، فيرجع الجيش وتـرجع السيوفالى اغمادها والا فانتم تعلمون قبل غيركم انكم لاتقدرون على مدافعة ماآتى اليكم، فواعدوه اسبوعا لينظروا فى ذلك ، فابى غالب الناس ، ورأى امغار سعـيد البعمرانى وبعض القليلين أن ذلك هو اولى، وانهذه المدافع لاتفيد شيئا، لانه لاحد يعلم كيف يرمى بها ، ولكن قولهم لم يسمع ، فانتظر رؤساء الجيش بتزنيت ماانتظروا ، حتى اذالم يرفع اليهم جواب ، قاموا للزحف ، وقد امر السيد أبوالسلام الخليفة المتوكى انينزل بمخرم (ميرغت) ليكونهناكردينة ولم يومر بمباشرة اىحرب ، فكان معسكره كانه سوقيوم السلم، يتبايـع المرخاويون فيه ويشترون ، وكذلك الاخصاص ، فما لاقى كيدا ولاحربا ، ولالوقى منه اذى .

زحفت المحلة من (تزنيت) فنزلت يوم الثلاثاء ـ١٩ـ٦ـ١٣٣٥ هـ ببونعمان وفى اثناء الليل تسللقت الجيوش الجبال ، فنووشت بحرب من نواحيها ،ولكن سرعانماانهزم المناوشون ، وقد اصلتهم نيران المدافع نارا لاتطاق ، فسقط من المنهزمين امام (تيزى) ـ١٨ـ ومن الخيل ـ٢١ـ وسقط ايضا مـن الجـيش

الزاحف قتلى ، يقال ان عددهم ـ١١٥ـ وقد حمل ذلك النهار الساحليون حملة شعواء ، لكنها حصدت بالقنابر والرصاص ، فنزل الجيش عشية ذلك اليوم بقرية (اوتفوس) ثم بكرت فى (ايسك) ازاء مشهد سيدى ابى ابراهيم الشهير، فاجفل جميع الناس أمامها ، حتى بقيت المحلة لايقابلها وجها لوجه فى تلك الايام احد ، فاشتغلت بجر تلك المدافع من بيرالقيت فيها ، حفرلها من بعيد، حتى امكن جرها من الاعماق ، ثم فى يوم الثلاثاء ـ٢٤ـ من الشهر ، قامت المحلة تنسحب بنظام ، وقد استدارت عن يسارها ، وقد بكرت عند السحر ، والناس متفرقون فى القرى بياتا ، فطارت طلقتا البارود مثنى من الحرس الذين يحرسون الناس دون العدو فاهرع الناس مسرعين لمدافعته ، فكان يوم حرب عبوس قمطرير ، ظهرت فيه بسالة الحاضرين من الصحراويين وبعض البعمرانيين من تلك الجهة ، كما ظهرت أيضا شجاعة رجالات الجيش الحكومى من المسلمين المدجنين الذين فيها ، فقدبدت ذلك النهار من الحاج التهامى الكلاوى شجاعة نادرة ، وسمعت أنه سقط تحته فرسان وانه خاض الحرب فى الصفوف الاولى حتى كاد يقع فى يد المجاهدين ، وهذه بسالة منه قديمة، شهدله بها قرناء القائد الناجم والسيدادريس منو الباشا فيما كلن يحدثنى به عنه ، مما تجد بعضه فى كتاب (حول مائدة الغداء)

هذا والجيش الحكومى ليس مقصوده الاالانسحاب الى وراء ، بعدان ادى المامورية التى يزعم أنها وضعت على عاتقه من الاتصال بالمدافع ، فصار ينسحب بنظام ، والقبليون يرون انه انهزم منهم ، فيفرون على مصادمته ، ولكنهم سرعان ما يحصدون بالرصاص الذى كان كما حكى لى من حضر كالمطر المنهمر، ولم يبق وراء الجيش المنسحب جريح ولاميت ، على العادة المعروفة فى الحرب النظامية ، فمازال هذا الانسحاب مستمرا حتى نزلت الفيالق من الثنية التى تشرف على مشهد سيدى بوعبدلى ، وزعم بعضهم ممن اعتنى بتقييد ماكان اذذاك، أن عدد القنابر التى قذفتها المدافع ذلك النهار ـ٦٠٠٠ـ وان القتلى من القبائل ـ٩٥ـ والخيل ـ٨٢ـ ومن الجيش الحكومى ـ٢٨٥ـ قتيلا ، ومن الخيل ٧٠ هذا مازعم ، ولاادرى من أين يتوصل بالاخبار المدققة عمن مات من الجيش الحكومى ، مع أن ذلك عادة ممايحيط به التكتم ، وهذه ليلة الاربعاء وقد نزل الجيش أيضا فى (بونعمان) وفى الخميس نزل بتالعينت عشر ليالى ، فرجعت أيضا المخابرة على أيدى القواد الحاج التهامى ، والخليفة ابى السلام المتوكى، وامثالهما فطابت نفوس البعمرانيين والاخصاصيين والمجاطيين اذذاك للمصالحة بعدان عركوا تلك العركة الشديدة الوطاة ، وقدادرك العقلاء منهم أن الحكومة لو أرادت الاستيلاء يومذاك على تلك الجهة كلها لسهل عليها الامر بعد أن طلعت الى أعالى البلاد ، ولكن الحكومة اذذاك فى الحرب الكبرى ، وهى تريد أن تحافظ على مابينها وبين اسبانيا التى ترى ان تلك الجهة هى نصيبها فى الجنوب

المغربى ، على أن فرنسا حقيقة ليس من خطتها اذذاك الاستيلاء التام على الاطلس الصغير ، لانها لاتدرى ماعسى أن تلاقى من هؤلاء المجاهدين الذين صمدوا أمامها منذ سنين ، والحرب الكبرى اذذاك قائمة ففيها وحدها همها الكبير ، فلاتبالى بهذه الزاوية التى لاتعد شيئا مذكورا ، وفى استطاعتها أن ترجىء امرهـا الى وقت يليق

قال الاخ فبعد أن تشاور رؤساء القبائل ، انتدب للاقاة الحاج التهامى ومن معه ، القائد المدنى والقائد مبارك ، وعلى الايشلحينى ، والرئيس احمـد ابن الحاج ابراهيم الايفشانى ، وأمغار سيدى الحاج سعيد البعمرانى ، وآخر معه من البعمرانيين ، أظن ان هؤلاء من عينهم لى الاخ رحمه الله ، فتلاقوا مع الحاج التهامى ، وانفصل الامر على ان يبقى كل واحد فى مكانه وفى حدوده ، الحكومة فيما تحتله ، والجبليون فى ترابهم ، وان لايتعدى أحد على أحد فى أرضه وان يسير البيع والشراء كما كانا قبل ، فاعلنت الهدنة (١) بذلك ، فتم الامر فصار هذا الجيش الكثير الذى ملأ أرض بنى جرارة حتى نزل بتزنيت ، فبقى فيها ثلاثـه أيام ثم أقلع يوم الجمعة ، فتوجه الى الحوز ، وذلك فى اليوم العاشر من رجب ١٣٣٥ وقد كان الاخ يوما آخر وصف لى يوم (وجان) هذا الذى مر فى هذه الحملة الكبيرة، فقال ان الناس كانوا كلهم قد ملأوا الاطراف فى التخوم على الحدود حينما سمعوا بهذا الزحف ، فكانت مجاط وانامعهم فى (ايفيرملولن) ، حين نزل الجيش بتزنيت ، ولايدرى احد اين متوجهه ، والولتيتبون كلهم بوجان ففى صبيحة صبحوا بالزحف ، فسمعنا القنابر فتجارينا كلنا الى (وجـــان)، فتلقتنا رسل من هناك يستحثوننا فوصلنا وفينا كثير من الطلبة والـعلـماء كسيدى على بن عبد الله ، وسيدى الطاهر ، وسيدى ابراهيم بن صالـــح التازروالتى مع تلاميذ له ، وكل علماء ولتيتة ، كسيدى المحفوظ الادوزى ، قال فبقينا جميعا وراء الثنية التى تطل على (وجان) لان بعض مجاط السابقين رأوا حين انحدروا فيها من القنابر عليهم وبلا منهمرا ، ومذبحة هائلة، فقد تركوا حتى توسطوا الثنية ، فارسلت اليهم القنابر تترى ، فسقط كثير منهم، وكان هؤلاء قد سبقونا ، فبقينا نحن وراء الثنية ، لانصيب ولانصاب الى أن دخل الليل ، وقد ظهر ممن بوجان من الجبليين صبر غريـب ، فانهم ربضوا الـى الارض ، وكانت المدافع توالى قنابرها حتى تظن ان الطريق قد مهدت ، فيزحف فيلق من الجند ، فيتركهم الجبليون حتى يقربوا منهم فيحصدونهم حصدا ، ثم ترجع عمليات القنابر ، وهكذا الى أن مضى النهار ، فانسحب الجيش الحكومى حتى ابتعد عن وجان ، لئلا يبيت ان قرب منه ٠

---

١) فى ترجمة القائد المدنى الاخصاصى تفاصيل عن هذا وهى فى (القسم الخامس) كما ذكر ذلك أيضا فى ترجمة الاستاذ سيدى محمد المانوزى فـى (القسم الثانى)

جن الليل فذهب بعضنا الى (وجان) فدخلها واحسبه ذكر من بين هـؤلاء الداخلين ليلا الاستاذين على بن عبدالله وشيخنا الطاهر ، فوجدوا من بها عازمين على مغادرته ، لئلا يلاقوا ثاني يوم مالاقوه اولا ، فهكذا خرج كل من بوجان حتى لاانيس فيه ولاديار مع طلوع الفجر ، وفى تلك الليلة خرج الشيخ النعمة الى (أيتورخا) وقد كان نزل هناك بدار القائد موسى منذ ـ١٤ـ١٢ـ١٣٣٠هـ حين اجلاه التزنيتيون عن (تزنيت) قال وقد كان الكنتافي قريب المنزل من وجان ربيئة للجيش الحكومى ، فوصله الخبر ليلا باخلاء وجـان ، فجاء عند السحر ونزل هوومن معه فى بعض الديار ، وكذلك القائد عياد الجرارى ممن معه ، فارسل الكنتافى الى الرئيس الاعلى يخبره بماوقع ، فكانت هذه المزية مماأهله الى ان يكون باشا تزنيت اربع سنوات وربما رشح لذلك قبل ، وعلى يده ايضا كماأظن تم ماتم على يدالشيخ احمد الامازرى كما تقدم ، وهذه بعض التفاصيـل التى تتعلق بهذه الحملة المشهورة عندنا بالجنرالية ، لان رئيسها الاعلى هو (الجنرال لاموط) ، وليس بقائد من القواد كما يعتاد الناس قبل من الجيوش، ولذلك اضافوا اليه هذه الحملة ، وقد استعنت فى تفاصيلها زيادة على ما اخذته عن الاخ بماسقط الى من مخطوطين لبعض المعتنين ، وقد ذكر احدهما انه كتب ذلك فى ـ٢٩ـ رجب من تلك السنة ، فهو يخط مابين عينيه ، ولكنه يتجاوز المعقول احيانا ، ولذلك قلما اعتمد من الارقام على مايقول الا اذا وافق الاستاذ الرفاكي فيما يذكره عن هذه الحملة فى مقدمة كتابه (روضة الافنان) وقـد مزجت كل ذلك مع ماأخبر به الاخ ، فامكن ان نلقى ضوءاماعلى ذلك الزحف الذى هوالاول من نوعه، وفى مقدمة كتاب (طاقة من ريحان) تفاصيل ايضا عن هذه الحملة

وكان صاحب الترجمة رحمه الله نسخة صحيحة مصححة من كل ماوقع فى الدور القبلى فى هذه النواحى أيام المدافعة عن جزولة ، وكان استحضاره فى ذلك غريبا ، ثم لم يزل فى تلك المجامع الى انمضت سنة ١٣٤٠هـ ، فتاتى له ما علابه كعبه ، وكان لكلمته شأن ،وذلك انه كان يختلف كثيرا الى الرؤساء (أيت اومرى) الزكريين وربما يقضى عندهم شهورا متوالية ، وكان التييوتى منذ أيام القائد حيدة من كبار أنصاره ، وممن ينضوون تحت ابطه ، ويحتلون القبائل باسمه ، فامتدت يده الى كثير من تلك القبائل الجبلية التى بجانبه ، فيمهدها للحكومة ويجعلها مجبى للاتاوات التى يواليها لمصالحه الخاصة ، والحكومة اذذاك لاتزال ترى ان الوقت لم يصل بعد لكبح هؤلاء القواد عن المغارم ومنعهم مما يالفونه من عهدهم القديم من نهب مافى ايدى الناس ، فكان التييوتى يجمع من ذلك ويوعى ، وحين كان الزكريون يجاورونه والكنسوسيون ،صار ينصب لهم الحبـال حتى يستميلهم اليه ، ويكفهم عن الانـدماج فى القبائل الجنوبية ، المناصرة للهيبة ومن اليه ، القائمة بالحق الواجب فى الدفاع عـن تلك الناحية ، ثم تاتى له ذلك فى الكنسوسيين ورأى ان يلاين الزكريين ، فصارت

قبيلة امغار عابد الزكرى هناك هى الحدالفاصل لنفوذ نظر الحكومة، وللقبائل الجنوبية ، ثمصاهره التيسيوتى ، فامنكل واحد منهما من صاحبه ، ولكن الزكرى لمينفض يده منهذه الجهة الجنوبية بعد ٠ وكان اصحابه كثيرا ما يردون على (كردوس) مركز الهيبة ومن معه ، وقد استنجد عابد مرة بهذه القبائل فى مشاكسة بينه وبين بعض جيرانه ، فذهب اليه الاخ احمد باصحابه المجاطيين ، ثموصل الى دارهمرة مربيه ربه خلف الهيبة ، مع كل القبائلالتى معه ، وفيهمالقائد المدنى وامثاله ، وقدحكى لى بعضهم انهذا القائد قال اذذاك لمربيهربه ، انطاب خاطرك فاننا سنفتك بهذا الانسان ـ يعنى عابدا الزكرى الذى تلقاهم بالفرح وانزلهم فى داره واكرمهم ـ فتبقى انت على كل امواله فابى مربيه ربه من الغدر بكل شمم ـ وذلك هو شنشنة امثاله ـ فمن هنا يعرف القارىء من هو القائد المدنى سامحه الله ، ومن هو مربيهربه واهله ، رحمهم الله واحيا ذكرهم

ثمتوترت العلائق بين حمو بن بلقاسم رئيس قبيلة اداوكنسوس ، وبين التيسيوتى وقد اجلاه هذا عن داره

التجأ حمو واصحابه رؤساء ايتعبلا الى احمدبن الحاج ابراهيم الايغشانى الالغى ، ليتوسط لهم عند القائد المدنى ليزحف الى تلك الجهة فيفتك بالزكرى الذىله مع صهره التيسيوتى يد ، وقد أنعم بمال كثير انتم هذا الامرورجعالى داره ، وقدكانتيدالحاج حمادباشا (تارودانت) اذذاك تجول سرا معالكنسوسى ضد التيسيوتى الذى يحسده علىمركزه عند الحكومة ، فانمى الحاج حمادسرا الى صاحبه القائد المدنى أن ياخذ بيد الكنسوسى حتى يرجع الى دارهرغمانف التيسيوتى ففمن انتم ذلك ٠٠٠ ٣٠ ريال فيما قال الاخ احمد ، وانالزكرى صهرالتيسيوتى هو الذى يجب انيفتك بهأولا تمهيدا لقضاء الغرض فيه وفى كل من يخالطونه

جال القائد المدنى كجولاته المعروفة ، واستنهض منامثال شيخنا سيدى الطاهر ، والاستاذ على بن عبدالله وآخرين ممن يمتعضون للدين ، ويدعون الىنصره ويستثيرهمالجهاد والكفاحضد الاحتلال، فخرجمربيهربه من (كردوس) فالتأم الناس كلهم فى (أيت على) بمجاط ، فاعلنوا أنهم لابد مناصرون لهذا المسلم الملتجىء اليهم (حمو بن بلقاسم) ، فكان الرؤساء من البعمرانيين وغيرهم حاضرين فقال الكل ان الزكرى فىهذه المرة لابدان سيلقى منا درسا يكون عبرة لغيره ٠ قال الاخ فحضرتذلك النهاد ، والقائدالمدنى وأذنابهيشيرون الى، ويتناجون باننى ما جئت الاادافع عن الزكرى ، لمايعرفون بينى وبينه من الصلة ، وأناموقن انفىالزكرى روح الاسلام ، وانه انمايدارى التيسيوتى، واعرف ايضا أنمقصود هؤلاء انما هو احتواش امواله فقط ، ولكونهميعرفون مابينى وبينه صاروا يتناجون بمايقولونه سرا ، ولكونهم يعرفون أن أتباعى

كثيرون ، وانكلمتى مسموعة خصوصا عندبعض المجاطيين والبعمرانيين خافوا انتفتر العزائم بسببى ، وانأحمل أصحابى المجاطيين على ترك ماعزم عليه الناس ، وانا فى الحقيقة أعرف مايقال سرا ، وادرك ان الزكريين يقدرون أن يدافعوا عن انفسهم ، ثملايسعنى الاانأجارى الناس ، ثمكنتكلماخطرتبين المجمع اوتكلمت معأحد ترتعد فرائص المدنى وأمثاله لئلا افسد عليهم أمرهم المبرم ، فادركت حينئذ مقدار مالهم فى أنفسهم من نجدة وقوة ، ورباطة جاش حين يرهب مثلعندهم ، ومانا الامرابطى لااخلق ولاافرى ، ولكنهم لماسروا ماسروا ، وطمعواباطنا فيما طمعوا فيه من الاموال التى سيتوصلون بها انتم الامر ، وقدعلموا أن ذلك لايخفى عنى ، خافوا أنأفشى ذلك للناس ، فيفسد أمامهم كل شىء ، فتذهب تلك الدمعات التى يلقيها وعاظهم فى المجمع على الاسلام وذويه هباء منثورا ، والمريب دائما يكاد يقول خذونى ، ويحسبلكل لفتة أونجوى ألف حساب ، وقد دخلت صبيحة ذلك النهار الى مجلس مربيه ربه وهو فى دهليزداربات‌فيها ، فوجدت القائد المدنى ، وهواذذاك مورد الامور كلها ومصدرها ، وما مربيه‌ربه وجميع الناس الااصداء لكلامه ، الاماكان من بعض مجاط وبعض البعمرانيين الذين اصاحبهم ، فنحن جميعا جبهة متراصة أمامه ، ينظر الينا دائما نظر الشزر ، على حين انفلانا وفلانا من العلماءيظلان فى بصبصة أمامه‌دائما ، قال فحين دخلت على مربيه‌ربه، وسلمت عليه‌ثمسلمت على القائد التفت الى القائد ، فقال ياسيدى أحمد ، مالك أبيت ان تشتغل بما كان والدك رحمه الله يشتغل به ، فقد صرت أنت تزج نفسك فى الذى لايليق بأمثالك ، أومثلك هو الذى يذب عن الزكرى الذى يخالف المسلمين ، ويتعدى عليهم ؟ فقلت له وقد أتم ما اراد أن يقوله اننى حقيقة لااشتغل بما يشتغل به والدى ، بلأقبلت على اموراخرى ماكان يعرفها ، ولكنك مثل فى هذا ، فهل كان والدك ترك لك القيادة وما انت فيه اليوم مماتزج‌فيه نفسك، وترفع‌به رأسك ؟ وأما الزكرى فانتم الظالمون له ، وماتتطلبونها منه انماهى خطةخسف، ألميات اليكم اصحابه منذ أسابيع ؟ فكنت أنت ممن جالسهم وتحدث معهم ، والمثافن لهم فيماتريد ، وأماانا فلم أحضر ، وليس لىفى ذلككله الا السعى فى أن يكونوا دائما تحت ظل هذا الشريف ـ واشرت الىمربيه‌ربه ـ وأنابنفسى لاياتى بى الى مثل هذا المجمع الا تطلب رضاه ، واغتنام دعواته لاغير ، فلاتطلب ماينطلبه الآخرون ، فما وصلت هذا حتى رفع الشريف يده فختم الكلام بالدعاء ، فقمت فتلقانى القائد الناجم خارجا فقبلمابين عينى ، وقال لله درك فقد عرفت كيف تجيب ، ولقد وضعت الشفرة على محزها

ثمسار الناس جميعا وانا بينهم ، ونحن المجاطيين والبعمرانيين الذين نشترك الرأى فيما بيننا ، زهاء ثلاثمائة فارس ، يمشون كلهم ورائى عمدا، نكاية بالقائد المدنى ، فكنا نتعمد المرور به بسرعة الخيل ، فنثيرمن الغبار

مانغبر به في وجه الموكب الذى يسير فيه ، ثمانني اوعزتسرا الى الزكريين بكل شيء ، فقلت لهم دافعوا عن أنفسكم بكل ماقدرتم عليه ، فان هذا الذى تسمعونه انما هو سحابة صيف عن قليل تنقشع ، فنزلنا باتيتعبلا فخابرت أصحابى الزكريين ، فعلمت انهم تهياوا للدفاع ، وقدانجدهم التيبيوتى ، والحاج حمادباذن الحكومة ، وولد للحاج حماد هو القائد الاعلى ، فحين علمت ماهناك استرحت ، وانكنت لاأحب انأرى عند الزكريين اعانة من الحكومة، ففى يوم قامت الحرب ، فلم يصابوا بشروى نقير ، وفياليوم الثانى كذلك، وقد أرسلوا من الرصاص مافتك بكثير من الزاحفين ، وكان منأغرب ماوقعان معنا اعرابيا من آل ماء العينين ، كانه خليفة على فيلقنا ، فماسمع الطلقات الاولى حتى شمرللهروب ، فأخذت بعنان فرسه ، وأنا اعظه واندد عليه ان يهرب فى حومة الجهاد ، حتى بقى رغم أنفه ، فحين رجع الناس ، ذهبالاعرابى الىمربيه ربه ، فقال له لقد كذب الناس عن فلان ، فانه من احسن المسلمين فقدوقف اليومووقوف الباسلين الذى لايقدر احد انيقفه ، هكذا قال الاعرابى، وما وقفت أنا وقوف الباسلين ولاباشرت حربا ، وماقال ذلك الاليغطى عماصدر منه ، فصار به ضحكة .

ثم ان الناس فى اليوم الثانى يهربون الى بلادهم منغيراذناحد فرأىالقائد المدنى أمره المبرم منتكثا ، وخاف انيبقى حتى يفتضح أمره كل الافتضاح ، فتراسل أيضا مع الحاج حماد الذى كلفته الحكومة انيحضر بنفسه ازاء هذه الحرب، وقدأدركت أنه هو السبب فى اثارتها ، وأنهذه القبائل ماتحركتالا بايعازه اليها ، فكنت ليلة فى جماعة نائمين فى دار ، فجاء الفقيه سيدىالطاهر لياخذ رأى بعض منمعنا فى الموافقة على الصلح الذى يجرى فيه المدنى مع الحاج حماد ، وقد كان المدنى وصاه ان لااشعر أنابما يدورفجاء من ايقظبعض الناس من بيننا خفية بطرفاصابع الارجل ، وبالتناجى فى الآذان ، ثم التقى المدنى والحاج حماد فى مكان معين ليلا ملاقاة سرية، والتيبيوتى حاضر، والقائد المدنى لايعرفه ، وقدكان صدرمنه يوما فىالمجمع أنقال ، انمنقتل التيبيوتى واتانى برأسه ، فله ثلاثة آلاف ريال ، ثمصار ينعته للناس ، ولكنه حينصادفه لم يعرفه ، حتى قال للحاج حماد اريد الاختلاءمعك منفردين ، فقال له اولم تعرفهذا ، فقال له لا فقالانه التيبيوتى ، ولاسرىدونه ، فسقط فيدالمدنى لان كلام الحاج حماد اليوم ـ حينزعم انهلايخفى عن التيبيوتى شيئا ـ ، يخالف كلامه السرى بينهما حين اوعزبالزحف لارغام التيبيوتى الذى هو عدوه الالد فسكت القائد المدنى فتم الصلح ، واشترط القائد المدنى اداء ثمن الخيلالتى ماتت ، فضمن الحاج حماد ذلك ، فهكذا اختتمت هذه الحملة التى ذهب فيها رؤساء القبائل مجتمعين ، ثمساروا يتسللون لواذا ، حتى لميبق الاقليل ، ولا قصدللجميع الا الدراهم اولا ، فحين احسوا من الزكرى بالمدافعة نكصوا على

اعقابهم ، والقائد المدنى هو الذى سيتوصل سرا بما سيتوصل به من عند الكنسوسى الذى سيرجع الى داره ، وقد قبل الحاج حماد رجوعه ، نكاية بالتيبيوتى ، فكان لما فعله منقبوله دفع الغرامة المتقدمة لرجوع الكنسوسى أثر سيء عند الحكومة ، قالالاخ ثماننى ذهبت الى مربيهربه ، وقدوصلنى ما قالهذلك الاعرابى فقلت له ان الناس يتفرقون ، وانا عنداذنك ، فقال اننى راض عنك ، فمتى ظهرلك أن تذهب فاذهب ، فانفض الناس ، فركبتعلى بغلتى فاصبحت عند أصحابى الزكريين ، وقدرفعوا الرؤوس ، وتم التآمهم مع الكتلة التى تحت يد الحكومة ، بقلة عقل القائد المدنى ، وسياسته الجائرة التى تدور كلها علىدرهم ينتفع به ، ولايبالى بالمصلحة العامة ، ولولاه لبقى الزكرى فى صفوف المسلمين، قال وهذا الزحف مثل كل الزحوف التى تقعاذذاك،ظاهرها شيء وباطنها اشياء ، فقد رأيت ماأعلن ظاهرا فى هذه الحملة ، وما هوالمقصود سرا ، وقد رجع القائد المدنى بآلاف من الريالات من هذا الزحف ، وأما الايمان فلايمان الاأقوالا مزخرفة ، لاتمت الى الواقع بشيء (هذامازعمه الاخ ، وله رايه الخاص) لان للشيعة الاخرى ان تقول ايضا ما يضاد كل ماقاله على خطمستقيم، ولااخفى عن القارىء اننى ماكنت ارضى لاخى هذا ذلك الموقف ، ولعللهعذرا

قال ثم نزلت اثر هذا مع الزكريين الى التيبيوتى ليشكروه على مناصرته لهم وليجددوا مابينهم ، فلم اشعر حتى لاقيت هناك الباشا الحاج حماد بنحيدة وكنت لااعرفه الا سماعا ، وكنت احسبه عظيما فى نفسه ، كماهو عظيم فى سمعته التى ورثها عن أبيه ، وكنت أظنه عاقلا رزينا يزن القولة اذا أراد أن يتكلم بها ، فاذا به يراع خفيف كريشة فى مهب الرياح، لايقرقرارها ، قدمنى اليه التيبيوتى فقال اننى كنت أسمع بهؤلاء وبدارهم وبزاويتهم ، ثماكان الاأندار بينى وبينه مفتتح الحديث ، حتى عرفت خفة الرجل ، وأنه كجناح بعوضة ، يسهل على جليسه أنيديره كيف يشاء ، فمددت له شبكة منالثناء عليه ، ومن الشهرة التى يتمتع بها فى الجنوب كله ، ثمقلت له ماأسس الهدنة التى تأسست منذ ايام الاهيبتك التى ارتعدت منها الفرائص ، حين سمعوا بحضورك بنفسك الى المعركة ، فماكاد يسمع ذلك حتى اهتزاهتزاز القصبة اللينة الطويلة بينمختلف الرياح ، فقال وكله بشر وحبور وفرحزائد، حتى كأنه يهوى الى الطيران منكثرة حركته ، لمااستخفه من الفرية التى أردت أن أملك بها قياده ، هل تقدر أنتقول هذا أمام المراقب بتارودانت ؟ فقلتله نعم ، ولكنى اتكلم بلفظة نعم كأنما أجيل حول لسانى جمرة محرقة ، لانىوقعت فى أحبولةكنت نصبتها له اذا به يريد أنأكون أناهو المحبول بها لينتفع بى، وبمقالتى هناك ، ولكننى وجدتنى فى وسط حفرة يصعب على أن أتملص منها الآن يريد الله ، فاقترح على جميع الوفد الزكرى أنيصحبه فى الحين الى تارودانت ، ولابد ، فنزلنا من مجلسنا لنذهب معه ، فحاذانى التيبيوتى ونحن

نهبط في الدرج من علية فقال اياك انتقول الكلمة التى ذكرتها آنفا امام المراقب فتندم ، وذلك أن الحكومة صرحت بالاستنكار للحاج‌حماد ، لما وصل الى مسامعها مابذله من تلك الغرامة ، فانكرهوان يكون‌لذلك اصل ، وانه ما اقام الهدنة الابمقدرته وحنكته السياسية ، فحين سمع ما سمع منك ، ووجد فيه مايؤيدكلامه ، أراد أن‌يدلى به‌لعله ينفعه ، والتيبيوتى الذى يبلغ عنه الى الحكومة كل شيء ، لايريد أن‌أمثل‌أناذلك الدور الذى يفتضح‌فيه هو ايضابدوره ثم لايصدق بعد اليوم مايبلغه الى الحكومة عنه ، قال فركبنا نحن‌الوفد على سيارة ، وركب الحاج‌حماد على‌اخرى امامنا ، فوصلنا الوادى وفيه ماء كثير، لم‌نقدر ان نخوضه بسيارتنا ذلك النهار ، وقدكان الحاج حماد تمكن ان‌يجتاز بسيارته فراح الى تارودانت ، وفي اليوم الثاني وصلنا فوجدناه يسأل عنا كل لحظة فقابلنا باعتناء زائد ، ولاشغل له الا التحدث معى ، وأناأعرف‌له‌بما اعرفه‌ومالااعرف ، وازرف في الحديث ، وقلبى فى التوجه الى الله ان‌يصوننى عن الموقف الذى يهيئنى‌له ، فقدر الله الذى يغيث اصحاب الضيق دائما ان‌غاب المراقب غيبة ستستمر اياما ، فانهضت اصحابى فى الحين على ان يودعنا، فرجعنا من‌عنده باكرام زائد جدا من‌كسا واموال ، وقدقال الزكريون اننا ماشاهدنا منه‌قط امثال هذه المقابلة ، ومثل‌هذا الاعتناء الباهر ، وقد كنت طويت عنهم ماانا عارفه ، فصرت اضحك منهم وانااقول ممازحا ، ان‌كل ذلك ببركتى ، فيقولون حقا ، وهم يحسبون بركة كونى من المرابطين ، وانا اقصد ماأقصد .

ثم بعد حقبة رجعت ايضا الى تارودانت ، فخفت أن‌يرانى بعض اصحابه فيذكرنى له ، ويعاتبنى على ترك زيارته ، فاستأذنت عليه ، فوجدت عنده‌محمد ندبوهوش صاحب القائد المدنى ، ورسوله الشهير الى الدوائر المخزنية دائما وقدمدله من عند القائد المدنى صرة اخال أن فيها عنبرا ، وبعض كسا من السودان، ثم بعد خروجه ولج‌المراقب فى تارودانت فاذابه‌اعرفه قبل‌ويعرفنى فجعل يسألنى عن أخبار تلك القبائل ، وأنا أقول له‌ماأعرف ، والحاج حماد جالس‌يسمع ثم‌قال‌لى ماعندك‌عن القائد المدنى ؟ فقلت له‌اننى‌الآن لاجديد عندى عنه ،ثم قلت‌ان‌خبره الجديد ربما يوجد عند الباشا سيدى الحاج حماد صديقه الذى يكاتبه دائما ـ كلمة جرت من‌غيرشعور على لسانى ، ولاأقصدبها الا استعظام مقام الحاج‌حماد ، وانه كبيرمعتن‌عارف‌بكل‌شيء ـ فجدحه المراقب بنظرشزر ، فالتفت الى الحاج حماد ، فقال أأناصديق القائد المدنى ، ومن يكاتبه دائما ؟ فقلت له نعم ، وقد رايت غبرة تكسو وجهه مفاجأة ، وقدشعرت بماألم‌به من الكلمة الاولى ، ولكن لايمكن لى الا الاسترسال فى حديثى فسكت المراقب مليا ثم‌غيرموضوع الحديث سويعة ، ثم‌قام مودعا ، فخرج معه الحاج حماد ليشيعه فابتدر الى انسان من تيبيوت من حاشية الحاج حماد ، ولكنه‌في الحقيقة عين عليه للتيبيوتى ، فقال لى بكل بشاشة ، قد والله رميت الباشا

بقنبرة عظيمة ان تفرقعت لاتبقى منه ولاتذر ، فبعد هنيهة سمعنا أنـاوذلـك التيبيوتى الحاج حماد مال الى شيوخ من الجبل عنده فى الدار بالخصام والصياح والصراخ العالى ، فامر بهم الى السجن ، وهو يتلظى غضبا ، فقال لى التيبيوتى هؤلاء المساكين ماأجرموا ولافعلوا ماينكلون به ، وانما أصابتهم شرارة من النار التى تركتها فى صدر هذا الانسان تتلظى ، قال فادركت أن قعودى بعد هناك مما لايسر فانسللت من داره مبتدرا ، فخرجت فى الحين من (تارودانت)

من أخلاقه

تلك بعض أحوال الاخ رحمه الله ، ونبذة صغيرة جدا تبين للقارىء نفسيته وكيف هو ، ولايحسبن القارىء اننى ازخرف عنه، بل كان الحديث من لسانه اطرى واندى واكثر زخرفة ورونقا وبهجة مما بقلمى ، وكانت احاديثـه اذا نشط للمحادثة ، كسلك من اسلاك التليفون تحسبه منقطعا عند كل خشبة ، ولنكه لايلبث ان يدفع بك الى بقية أعجب وآنق ، والذى يعجبنى من حديثه انه يتحرى فيه الصدق ، ويقول بكل شجاعة ماصدر منه ، وان كانت نقيصة فى نفس الامر، وقد رايت كيف أنه يملىء امثال التيبيوتى، والحاج حماد وامثالهما أحيانا مع أنهم من اركان الاحتلال ، ومن الاعداء الالداء للمجاهـديـن اذذاك ثم كان دليلا لفرقة من جيش الاحتلال فى جزولة ، غير أنه تاب من ذلك ، وتراجع فى الايام التى تلى هذه ، وذلك ان حاله أخيرا احسن فى كل ناحية ، فصار يشمئز مما تقدم له ، بعد ان نفض منه يده وتاب منه، بل صار كأنه يحيا حياة أخرى ، وانما يندفع الى التحدث عما مضى له ، فيزجى الوقت بتذكره ، ثم لاعليه أن يذكر كل مايحيط به

وقد كان رحمه الله ممن أسعده الحظ ، فجعل البركة فى ذات يده مـع قلته ، فما كان يتوقف على أحد فى السلف ولافى غيره ، وذلك بالقناعة ، خصوصا ترب وفاته ، فقد شاهدت منه عجبا ، وقد مر فى ترجمة الاخ سيدى محمد ان هذا كان أيضا ممن يتجر فى السكر الذى تنفذه الحكومة لمن شاءت قبل الاحتلال ـ وذلك مما أثار حول المترجم ايضا ماأثار بين قبائل تلك الجهة التى تنضوى تحت ضبن آل الهيبة ـ فأعانه ذلك بعض اعانة على ضنك الفقره، ولكونه يستعين بذلك فى معاشه غبطه أناس كما حسده آخرون ، ولووجد الفريقان ماوجد لما نبسوا بكلمة فى جانبه

وكان محببا اليه أن يتعرف لكل أحد كيفما كان ، وان يبحث عن الاخبار وعن فلان من هو ، وما وقع له ، فقلما يتلقى بانسان الا واتصل به من هذه الناحية ويوعى مايسمعه فى ذاكرته القوية الاستحضار ، ولاأزال اعض على كفى ندما، حين فرطت ولم أكتب عنه الاحاديث التى أسمعها منه كثيرا ، وقد قال لى يوما، كنت بمراكش فتلاقيت مع القائد العربى الضارضورى فسرعان ما التحم ما

بيننا ، حين تعرفت اليه ، فذكر ان الشيخ الوالد هو الذى وقف حتى راجعوا دراهم مرة بعدجلاء كانوا فيه ، ثمحكى عنهذا القائد مالو جمعلكان جـزءا ، وكذلك عمن حدثه عن القائد حيدة باخبار غريبة لاتعرف عندكل الناس ،وكذلك القائد الحاج محمد الاغبالويى الماسى فانه لاقاه مرة ، فاستقى منه اخبارا عن حياته الطويلة ، وكذلك القائد محمد بن ابراهيم التيييوتى ، فانه كان يعرف عنه كثيرا ، وقدحكى له عن نفسه وأهله مالوجمع لكان أيضا جزءا، وكذلـك الجشتيميون ، وكذلك ءال الحاجءبلا اوبيهى الحاحى ، والحاصل انه كانغريبا فى هذه الناحية ، وكثيرا ما يقولل : اننى أعجب منك كيف امكنك أنتحصل مايزعمالناس أنه عندك من المعلومات ، مع ضعف ذاكرتك ، هذا الضعفالمتناهى فاقول لهانالمعلومات الضعيفة التى عندى لاتحتاج الىذاكرة ، ولوكان اخوك ذاذاكرة لكان حقا عالما كما ينبغى أنيكون العلماء ، ولكنه قانع بالقسمة،وهل يدركالعلمالابلسان سؤول ، وقلب عقول كما قال ابن عباس ٠ ؟ وغالب مالم اذكره هنا ذكرته فى جزء من (افواه الرجال)

وقد كان شغف تعرفه بكل احد هو الذى عقد التعرف بينه وبينمراقبين عسكريين فىمركز (ايغرم) فحين سمع انالحكومة قدعزمت علىاحتلال هذه الناحية ، طلب منأحدهم هناك أن لاتمس الطيارةالخ بقنابرها فكان ذلك سبب أن تخطته ، معان كثيرا من القبائل قدكان لها نصيب منها ، ثمكانهذا التعرفالىرجال الحكومة هو الذى يسرله أنكان رديفالاخ فى رياسةالمرابطين ولكن ذلك لم يعره التفاتا ، بل أقبل على ربه منذ الاحتلال اقبالا غريبا جدا حتىقلت له قبل وفاته بنحو ـ١٢ـ يوما اننى لوكنت أخبرت بمارايته منك من الرجوع الى الله ، لما صدقتبه ، وقد حداه الى هذا الانزواء مرض كان يعتريه قديمامن صغره ، حتى انه زاول عمل العشبة سنة ١٣٢٨ه ونحنصغار نقرأ فى (افريان) بهشتوكة ، وقد اعتراه أيضا مرض شديد سنة ١٣٣٦ ه ثمراجعه بعد الاربعين ، وهواذذاكفى (تادلة) عند الشيخ سيدى ابراهيم بن البصير ، ثم أبل منه بعدان لاقى منه شدة ، ثمعاوده أيضا سنة ١٣٥٣ ه بعد سنة الاحتلال ، فكان هذا المرض شغله الشاغل ، فصار يختلف الى الاطبـاء فى (اكادير) ماشاء الله ، وقد صرحوا له أنداءه عياء ، لكونه مرض الطحـال وقدغادره ذلك المرض ضيق العطن ، حرجالنفس ، لايحتمل قلبه أدنى ثقل فكأن وعكات هذا المرض العضال هى التى ردت وجهته الى ربه، وله بعض ذلك منذ ١٣٣١ه من صحبته سيدى سعيد التانانى حين يماسبه ويصابحه فىوسط الدار ، بعد انأقترن بشقيقته ، فكان يؤدى صلواته ، ولايفرط فيها أولا ، ولايخرجها عن الوقت غالبا ، ثمبعدذلك حافظ ايضا على الاوقات محافظةتامة، وعلى هذه الحالة وجدته اخيرا ، وله أوراد يذكرها ، ولكنه لايزال فىأولذلك العهد يهبمع كلريح ، ويجرى مع كل حلبة ، ويتطلع من كل ثنية ، حتى اذا

اراد الله بهان يجتبيه وان يختاره لما عنده ، ويفضل عليه من بركة من درج بين ظهرانيهم من أهل التقوى ، مال به اثناء هذا المرض المذكور ، فاقبل على ربه بالكلية ، وكره بطبعه كل ماسوى ذلك ، ففتح عليه فتحا غريبا فى ذوق التوحيد قل مايوتى نظيره الا الاخصاء الاصفياء

صفاء عقيدته

جالسته يوما قبل وفاته ونحن نشرب الاتاى فى يوم شديد الحرارة فى دهليز مدخل داره ، وقدنشط واسترد بعض قوة من صحته ، فتناول كناشا فيه قصائد مختلفة من القصائد التى ينشدها المسمعون من الفقراء فى حلقات أذكارهم ، وفيها بين قصائد نبوية غلو شديد فى الاستغاثة ، مما لايقبله الموحدون ، فالتفت الى وقال عجبا ، أويجوزطلب اى شىء فى الغيب من غير الله أيا كان ؟ فقلت له وقصدى أن أسبر غوره من هذه الناحية ، وماذا يتراءى لك أنت فى ذلك ؟ فقال ان الذى يتراءى لى أن مثل ذلك لايجوز البتة ، وهل يملك غير الله مايطلبه أجنبى منه ؟ وهب المستغاث به هو النبى صلى الله عليه وسلم ، فهو لايتعدى مقام العبودية ، ولا اخال ان الصحابة كانوا يطلبون منه ما يطلبه أمثال من يقولون هذه القصائد ، فالذى يظهر لى ان العبودية لله معناها الاخلاص اليه فى الطلب حتى لايطلب من غيره الااذا كان هناك ما يجعله الله فى يد العبد من الامور الدنيوية والاعانة فيها ، اوالارشاد والتعليم فى الامور الاخرى ، وأما أن يتطلب من العبد أمر غيبى لايملكه ولايملك لنفسه أن يتناوله متى شاء فبعيد أن يجوز ولكن أنا انما أقول بحسب ماادرك ، فماذا تقول انت ياعالمنا؟ يقول ذلك وهو يضحك ، فقلت له (الله اكبر) الآن علمت ان الله أرادك لخير ، حيث أراك من افراد الله وحده بالتصريف المطلق ، ومن تخصيصه بقضاء الحاجات ماضل عنه كثير ممن وقعوا فى الافراط والغلو فى جانب الانبياء والاولياء ،حتى أطروهم من حيث لايشعرون على حين انهم يظنون انهم لهم بذلك معظمون ،ثم فاتحته فى شرح ماعندى من ذلك ، وجرى على لسانى الفرق بين التوسل بجاه انسان الى الله ، مع مافيه من الاختلاف بين العلماء فشرلسانى بمالعزالدين بن عبدالسلام ، والسبكى وابن تيمية ، وابن عبدالهادى والشوكانى وغيرهم مما استحضر ، وبين الاستغاثة بمخلوق ، التى لايحوم حولها المخلص فى عبوديته لله ، العارف مالله ومالله لعبد ، فأسهبت فى ذلك حين وجدته منصتا لما أقول، يحسن الاستماع ، ونحن منحدرون الى البستان الذى فى شمالى الزاوية وطالعون ، فمرت لنا عشية طيبة فى هذا الدرس المتشعب ، ابين له ماعندى فى الموضوع ، فوافق منه ذلك ماكان الله أراه اياه تفضلا منه ومنة ، وكثيرا مايقول : ان الفقراء الصادقين لاشياخهم سرعان مايستولى عليهم الغلو والاطراء من حيث لايشعرون ، وربما أداهم ذلك الى اعاجيب ، وحين رآنى مولعا بجمع

اخبار الوالد من الافواه ، كان يقول لى عليك بفلان ، ولاتثق بفلان ، وانفلانا صادقغير انه ذوغلوغيرمحدود ، فكنت اقول له انك ازاء هؤلاء الفقراء ، لتمثل دور يحيابنمعين ازاء الرواة للحديث ، حتى صرت اناديه باسم يحيا بنمعيـن، فسألنى عنه من هو ، فشرحت له ما أعرفه عنه ، وهكذا كانت تمضى ساعاتنا غالبا ، وأنا أنتفع بنظراته التى تستشف ماوراء الطوايا استشفافا غريبا ، وذلك منكثرة ماأكتسبه من التجارب فى مخالطة مختلف الطبقات فى تلك الجهة ، على أنله احيانا فى ذلك الانتقاد مجاوزة للحد ، ولذلك لا اعتمد كـل الاعتماد علىانتقاده رجلا حتى أجربه بنفسى ، ان توقفت علىذلك ، وأماأحاديثه هو ، فاذا كان يحكى عنشىء فانه يتحين الصواب ، ويتحرى الحـق ، ويكثر قوله لاادرى ، وأظن ، واشك والغالب على ظنى ، الى مثل هذه الكلمات ، مما يجعلالمستمع مرغما يعترف له بالتثبت ويلقى على الانسان احيانا فى وجهه حقيقة يعرفها ، ولو كانت مرة ، علىانه انخرج لسانه عن التحدث المنضبط، وجرى مع صاحبه سيدى الطاهر بنعلى فى التكلم حول الناس ، فلاتسل عن حملات وتجريحات واقبالوادبار ، وأتذكر أننى عاتبته مرة على هذه الخلة، فقال اطلب الله لى أن يباعدها عنى ، فقد قال لىمرة رجل صالح : اننىوزنت كل أعمالك فوجدتها بخير الاماكان منلسانك فانه كالسنانفى الطعن ٠

صراحته وصدقه وكيف يصف الناس

قد نفعنى الله باحاديثه المنضبطة التى كان لايتكلم معى الا بها ، لانهيعرف أنورائى قلما يتلقف كل ماسمعه مسمعى ، فعرفت بواسطتها عنكثير من أسر الخ ورجالاتها ماكنت أجهله ، وقد كان ينصف غاية الانصاف أصحاب الفضائل فيشيد بفضيلة كل وبمزيته التى اختص بها، وقدأثنى على أناس فى (الخ)ثناء عطرا ، وأضفى عليهم مناقب خالدة ، مع أننى أعرف أنبعض هؤلاء لو سئلوا عنه ، لما أقروا لهبمزية ، ولما أشادوا له بمنقبة (وكل اناء بالذى فيه ينضح)

جالسته مرة فى البستان عشية ، ومعه مجاطى فقيرممنكانوا سابقـا يخوضون مع الخائضين فى (الخ) فقال لهانالحق فى القضية الفلانية مع بنى فلان وأماأنتم فقد تعديتم ماكانلكم ، وترامیتم على ماليس لكم ظلما وعدوانا، فاطلق فى ذلك لسانه حتى كاد يغضب ، مع أن الناس كلهم لو سئلوا عـما يعرفون عنه فىهذه القضية لما قالوا الاعكس ماصرح به هو ، ولكن الحقهو المشيد عنده ، وان كان ضده كثيرمنالناس ٠ جبلة طبع عليها (لاتبديل لخلق الله) ٠

وقال مرة ان أهل هذه البلاد لهم حقيقة الانحياش الى الديانة ، والقيام

بواجباتها ، وعيبهم الوحيد ـوكفاهم عيباـ انهم قساة (١) القلوب ، فقلماتجد من بينهم من يرق لمسكين اويشفق عليه ، أويرأف به ، اذا عضه الدهر بنابه، ويكفيك منهم أنهم يقابلون المسكين الضعيف الذى بلغ به الاملاق الى مبلغ شديد فيعيرونه في وجهه بكل وقاحة بحالته هذه على حين أنه يحتاج كل الاحتياج الى أدنى كلمة تضمد جراح فؤاده ، انلم تكن لقمة تسد ثلمة من بطنه ، ولكن قساوة قلوبهم ماتركتهم يرشحون ، وكان هو يمد يده بما تيسر ، ولكن يحاول أن يخفي ذلك ماامكن ، وقد أخبرني صاحبه سيدى الطاهر بهذا عنه وأخبرني آخرون بذلك بعد وفاته ، وكان يقول هيهات قد انطوى سماط الضيافة بالغ، بعد الاستاذ سيدى على بن عبد الله الاماكان من ولده سيدى المدني وحده ، فهو يقوم بما قدر عليه من ذلك ، غير ملوم على مالم يقدر عليه ، ويقول في صنوه الاستاذ سيدى الطاهر كاد يكون امجد الصالحين وأجلهم واعلمهم لو تيسر له ان يجول ، وأن يستتم دراسته ، ويقول في الرئيس احمد بن ابراهيم الايغشاني مارايت في هذه الجهات من يعرف أن يجالس غيره مثله ، فلايمد رجله ولايعلى صوته في وجهه ، ولا يجبهه بما يجرح عاطفته ، وكثيرا ماأراه فاحسبه ممن جالوا وخالطوا المتهذبين من أهل الحضر ، وكان يقول : ان اللطف والمروءة ونبذ التظاهر بالجشع وبالتكالب على الطمع انفرد بها الاستاذ سيدى الطاهر بن محمد الافراني فلايمارى من معه ولايشاريه ولايجادله ولايعاتبه ، ولايعرف عنه مايعرف عن أمثاله مع اصحابهم وخدمهم ، وكان يقول : لو اعرض عما يتوصل به وراء القضايا اوترك المغالاة على الاقل ، لكان كالثوب النقي لاتجد منه نقطة تخالف لون الثوب ، فكنت أقول له ان مايتوصل به هو وغيره ، يجعلون له مستندا ، وقد تكلم الناس في ذلك ، وليس في المرتبة التي تظنها فيقول ولكن أمثال سيدى الطاهر العظيم في اعين الناس بعلمه ودينه ومروءته لواعرض عن ذلك ترفعا ، لكان له مقام آخر أعظم ، فقلت له ينبغي لك أن تعذر الناس ، وان تحمل اعمال أمثال سيدى الطاهر على محامل حسنة فنتجاج حول ذلك حينا ، وهكذا يذكر لكل واحد ماله من الخصال المحمودة، ولاجرم أنه يعرف أضداد هذه المناقب عن هؤلاء وامثالهم ، كمايعرف هذه ولكنه لم تشغله السيئات حتى ينسى الحسنات ، ومجمل مانختم به ماذكرناه عن صاحب الترجمة أن له ذاكرة غريبة ، كعدسة المصور ، لاينمحي ماارتسم فيها بمرور السنوات ، مع شغفه بوزن ذلك كله بميزانه الخاص ، فكثيرا ما نظل ونبيت، وهو يسرد على مماشاهده أوسمعه مما لوجمع كله لكان مذكرات قيمة، فقد ابتدأت تقييد بعض ذلك عنه فيما يتعلق ببعض النواحي، ومقصودى أن أجمع أطراف ماأسمعه عنه ، ثم بعدأن كتبت عنه ماكتبت في كتاب (من أفواه

---

١) كان سيدى أحمد الفقيه الركني يصف الالغيين أيضا بذلك وصفا شاملا حتى من أرى انهم في (الخ)

الرجال) عن اوليات حياته ، شغلني عنه جمع مواد هذا التاريخ الذى هوايضا من اشاراته ، وتلك نبذةمن احواله رحمه الله، وأناموجز وان كان يتراءى للقارىء أنني مسهب، وما قصدى الان اظهره مااستطعت كماكان ، فلااخفي ناقصة، ولاأموه بمكرمة .

مرضه الذي قضى به نحبه والصلاة عليه واقباره

غادرت فيه تلك الادواء التى مرت به ضعفا كثيرا فى مفاصله ، وضيقافى شهوته ، حتى لايقدر أن يتناول الا اشياء مخصوصة ، مما طهى له فى داره طهوا خاصا ، فلا يتناول من غيره لقمة الا أضرت به ، وقد تأثر مزاجه حتى لايقبل اكل الحلويات ، مع أنه يشتهيها ، وكانت البحة ميزان صحته ، فمتى صح زالت ، ومتى المت به علم ان الداء يدب اليه من جديد ، وكثيرا مايلم به مرضه اذا أصابه غم مزعج ، وهم موثر ، أوسمع مالايريد ، فكان يحافظ على صحته بالتباعدعما يؤثر فيها ، فكثيرا ماقام عن مجلس ابتدىء فيه حديث خاف من التاثر بما فيه

وفى عشية السبت ـ٣ـمن جمادى الاولى ١٣٥٦هـ لبى دعوة الرئيس على ابن أحمد الايغشانى ، هو والاخ الاكبر سيدى محمد ، والفقيه سيدى الحسن العفياني التزنيتى ، صهر أخينا هذا ، فحمل بين يديه ووراءه فلذتى كبده الصبيين الطيبين الحسن وعبدالسلام ، ليزيرهما اخوالهما هؤلاء الايغشانيين لان زوجته هى خديجة بنت الرئيس الحاج ابراهيم الشهير ، وفى الصباح رجع الاخ سيدى محمد وصهره ، وبقى هوهناك معتذرا بحرارة الشمس الى العشى، فراح فلاقيته عند ضريح الوالد بين العشائين ، وقد خطرت فيه البحة ، والفتوريدب الى أعضائه ، فبتنا الليل ، ومانظن الا ان ذلك بعض مايلم به دائما ثم يزول فى الحين ويتعافى منه عن قرب ، وفى الصباح ودعنا الفقيه المذكور الى تزنيت ، ذهب به الاخ ليوصله بسيارته ، فذهبت الى صاحب الترجمة فى داره، فوجدته مستندا ، فقال اني تقايأت دما عبيطا كثيرا ، وكذلك خرج الدم مع الفضلة ، ثم توالى عليه ذلك ، وقد انكف عن الطعام ، والعطش مستول عليه ، فيتطلب الشرب فى كل وقت ولكنه لايزداد بالشرب الا ظما ، وكل ماشربه يقيئه فى الحين ممزوجا بالدم العبيط ، فبقى كذلك الى يوم الاربعاء ، وقدانهكه مافيه، واستنزف دمه ، حتى لم يطق بعدان يقف على رجليه ، فتلقينا ما يصادمنا من أجله بالاحتساب عندالله ، ثم جاء أخوزوجه عبد المومن الايغشانى ، فصار هو وأحمد بن محمد بن بلقاسم السليماني يمرضانه ، فلازماه ليل نهار ، وقاسيا من ذلك ماجعلهما فى عيني من صبر الرجال ، ثم اصبح يوم الجمعة ، وقداستولى عليه الاغماء ، فثارت زوجته ، وظنت أن الواقعة قد وقعت ، ثم تنبه ، وفى يوم السبت كنت عنده ، فصادفته فى بعض راحة ، فبقيت معه فى تكلم ساعة طويلة،

والقيت اليهماوصلنى منأخبار سارة (١)، وصلتنى فى الحمراء هى التى اغاثنى الله بها حتى تماسكت كبدى ، ولم تنفطر من الصدمة هذه ، فخرجت وانامسرور بهذه الراحة التى شهدتها منه ، وانكنت أنا والاخ الاكبر ، نتكلم مفردين ، فاستبعدنا نجاته مما وقع فيه هذه المرة ، بامارات وقفنا عليها ، وفى صباح يوم الاحد، جاء الى عبدالمومن ، فقال انه القى اليوم دما متجمداكثيراجدا، فاسرعت اليه ، فوجدته فى حالة أخرى ، غيرانصبابة من التمييز لاتزال معه، فصرفت منحضر ، فطلبت منه أنيبين ديونه ، وان يوصى ، فان فى الوصية على كل حال خيرا ، فدلنى على بعض أمور تتعلق بشؤونه الخاصة ، وذلك عند التاسعةصباحا ، فرجعت الىمحلى وقدتركت الاخ الاكبر ، وسيدى المحفوظ الايفشانى ، وبعد ساعة ، جاء من اخبرنى ان المتوقع واقع ، وأنه قضى نحبه، وذلك فى العاشرةونصف ، فذهبت مغذا مسرعا فوجدت الاخ الاكبر لايحبس دموعه ازاءه ، وقد غلب على حاله ، معأنه الطود المشهود فى التجلد ، فصرت اصبره ، وأنا احبس ما اجد ، وطرفى يجول فى جسد اخى العزيز المسجى أمامى جثة هامدة ، كأنه لم يتحرك قط فيما مضى ، وقد كان قالىل منذ يوم ،ان الذى الاقيه وأقاسيه افضل عليه ملاقاة الموت ، ومن العجب انهكان يكثر ذكر الموت ، منذشهور ، حتى اننى كنت كتبت فى ذلك الكتاب الذى قيدتفيه عنه ماقيدت ، انهيكثرالكلام حول الموت حتى ان العاقل ليدرك من ذلك قرب اجله

كتبت ذلك قبل موته بشهور ، وقبل موته باثنى عشر يوما ، صاريسرد على قصيدة شلحية ، ونحن طالعون من البستان عشية ، وفيها ذكر مايلاقيه الانسان فى حالة الاحتضار ، وكان الرجل يتهيأ لماصار اليه اليوم منحيث لايشعر ، وقد حافظ فىمرضه على صلاته وورده الى عشية السبت ، وقدصلى المغرب ، وذكرورده ، فغلب بعدذلك بمااسترسل عليه من الفواق الشديد الى أناسلم الروح ٠

جاء الاستاذ سيدى المدنى ، وطلبة المدرسة الالفية ، والاستاذ سيدى أحمد البزيدى ، وطلبة المدرسة الوفقاوية ، فاجتمعوا عند الظهر ، وقد غسله العم بلقاسم ، ومؤذن الزاوية سيدى محمد بن بلعيد الثانانى الذى كان غسل الشيخ الوالد قبل ، فتقدم الاستاذ سيدى عبدالله بن محمد فصلى عليه ، فحمل الىقبره الذى حفر عند رجل الوالد ، فوقفت على شفير القبر حتى القيت على الاخالعزيزالنظرة الاخيرة فقلت له الى الملتقى فى الجنة ان شاء الله

ذلك احد التسعة من الذكور الذين خلفهم الوالد ، وهاهوذا الموت قدافتتح بهذا ، فليت شعرى من يثنى به منا ، فيارب أنت وحدك المامول فى كلتاالحالتين

١)رسالة جاءتنى عن الاجتماع الواقع فى دار الباشا الكلاوى ، وقد تقررفيه أنأرجع الى محلى بمراكش ، وهى بارقة لم تتم

اللهم لامانع لما اعطيت ، ولامعطى لما منعت ، اللهم عليك تكلاننا وحدك فى هذه الدار ، وفى تلك الدار ، اللهم أحينا ماكانت الحياة خيرالنا ، وأمتنا ماكان الموت خيرا لنا ، مومنين غير مفتونين ، بحقك ياذا الجلال والاكرام ، ياحى ياقيوم ، ونستودعك الشهادة الى ان توفقنا عليها يوم نتوقف عليهابفضلك

واعقب رحمه الله ثلاثة أولاد صغار، الحسن وعبدالسلام ، وعبد الوهاب انبتهم الله نباتا حسنا ، ثم أن ادباء الغ جزاهم الله خيرا ، قد رثوه بمراث كثيرة ، قد استوعبناها كلها فى الكتاب الذى نجز قبل هذا ، وهو الجزء الاول من كتاب (الالغيات) فلانحتاج الى اعادتها هنا ، فنكتفى بمطالعها .

قال الاستاذ سيدى المدنى بن على عميد المدرسة الالغية :

هوى النجم نجمالسعد منافق المجد فانفسنا طرا تذوب من الوجد

وقال صنوه سيدى الطاهر بن على استاذ المدرسة الايغشانية

هوالدهرفاصبر للذى صنعالدهر وان فتكت بنا حوادثه النكر

وقال اخوهما سيدى محمد بن على ، والقاهافى وقت الدفن ، وهوصنوالمتقدمين:

متى تتعظ ان لم تعظك منية تمن بسيفها المحدد منية

وقال أخوهما سيدى الحسن بن على ، وهو ايضا من السابقين فى حلبته الى كل مجد يؤثل :

فؤادى حزين ودمعى يسيل لفقد حبيب كريم اصيل

وقال الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم ابن عمنا لحا :

هل الدهر الا هكذا ليس يرعوى يبيد ويفنى دائما كل ذى فخر

وقال الفقيه سيدى موسى بن الطيب السليمانى ابن عمنا :

فصبرا يابنى الاخوال صبرا لوقع الدهر حين أتى النذير

وقال الاستاذ سيدى بلقاسم السليمانى ابن عمنا

ألم بنا خطب شجانى باحزان وقوض فى الاحشاء اطناب سلوانى

وقال الاديب سيدى أحمد بن زكريا البعمرانى ، من نجباء المدرسة الالغية

خطب ألم فاضنانى وانحلنى ومر بين اذاقنى فاذهلنى

وقال الاديب سيدى أحمد بن الحسن البنائى الايغشانى

قضى نحبه السيد المرتضى كذا المجد نحبا قضى وانقضى

هكذا قال الادباء الالغيون ، ولم اقل أنا قافية واحدة ، وقد وجه الى تانيب غير قليل من بعضهم ، فقلت لهم ان ماأجده من الاسى الشديد على الاخ رحمه الله ليست عندى معه شاعرية تقدر أن تصور عشر معشاره ، ولكن انفاته منى الشعر وخياله ، فليكونن منى له نثر ممتد ، تجلى فيه الحقائق الناصعة ، لم لاادرى بعدأن كتبت هذه الترجمة التى أعلم ـ فيما بينى وبين نفسى انها دون

مقامه ـ هل وفيت بما وعدت به اولايزال على ذلك دينا ، ولكننى بذلت الجهد، مع تحرى الحقائق ، فما على باذل الجهد من ملام ، ولايكلف الله نفسا الاوسعها اسكننا واياه الله فى الفردوس ، وغفر لنا جميعا بفضله ومنه ٠

حكم من مقيداته

كان الاخ احمد رحمه الله مولعا بتقييد مايعجبه فى كنانيش صغار، وقفنا عليها فى خزانته ، وهى مابين طبية وحكم وابيات ، فلنختر من الابيات التى وقعناعليها فى ذلك ، ليدل ذلك على نفسيته ، وعلى انه وان حرم الطلب والتعلم الحسن، لم يحرم حب الاستفادة ، وكثير من المتعلمين لاتجد فيهم ذلك الاعتناء فمن ذلك :

لا تمزحن مع الصديق فربما جلب العداوة فى الصديق مزاح

ومن ذلك :

لعمرك مايدرى الفتى كيف يتقى اذا هو لم يجعل له الله واقيا

ومن ذلك :

افكر يوما كان فيه فراقكم اذا بدموع العين تجرى على الخد
فوالله ما فارقتكم بارادتى ولكن حكم الله يجرى على العبد

ومن ذلك :

اذا ضاق صدر المرء عن كتم سره فصدر الذى يستودع السر اضيق

ومن ذلك :

اذا شئت ان تحيا سعيدا مسلما فميز ودبر ما تقول وتفعل

ومن ذلك

لاتزدر باناس قبل خبرتهم فانظر الى الفعل لاتنظر الى الجسد

ومن ذلك :

لاتحقرن ضعيفا فى تقلبه ان البعوضة تدمى مقلة الاسد
وللشرارة قل حين تبصرها وربما اضرمت نارا على بلد

ومن ذلك :

لاتسلكن طريقا لست تعرفه حتى يكون دليل يعرف السبلا
لاتخرجن كلاما لاتدبره حتى تشاور فيه الراى والعقلا
لاتصحبن اناسا لاتجربهم فالوغد ليس يبالى كل ما فعلا

ومن ذلك

يمر الصباح ويأتى المساء وما بين هذين يجرى القضاء

هذا ما انتقيناه من ذلك ، وفيه ابيات اخرى مشهورة لانطيل بها، ولاريب ان اعتناء مثله بمثل هذا مما يدل على تشوف الى المعالى من هذه الناحية الاخرى، فرحمه الله رحمة واسعة ٠

ثم اننى اكتب الآن بعد عشرين سنة أن اولاده قد ادركوا كلهم تحت صيانة أعمامهم ، فاما عبد السلام ، فقد نال الشهادة العالمية ، فصار مدرسا فى (معهد) تارودانت ، واما الحسن فانه بعد أن توقف فى الشهادة الثانوية، قد نجح فى مباراة التعليم الرسمى، فهاهو ذاأستاذ فى احدى المدارس الابتدائية وسنترجم لهما ، لانهما على شرطنا، وسيجد هما القارئ ان شاء الله فى هذا الجزء نفسه فى (الفصل الثانى) ، وأما عبد الوهاب أصغرهم ، فانه الآن العامر لدارهم فى الخ ، شاب لبق، قدعادخلقه الآن متزنا ، ويعرف مايأتى وما يذر ، وهومكب على عمله ، ولم يرزق استتمام تعليمه ، وقد تزوج وولد له ولد ، أعانه الله على حياةالخ الشاقة ، واعطاه صبر ايوب ، وتدبير النملة لرزقه

عبد الرحمن بن محمد الصالحى

١٢٩٩ هـ = ٢٧-١٠-١٣٥٩ هـ

نسبه :

عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبدالله بن سعيد

صاحب صنوه الاتى سيدى عبد الله بن محمد استاذنا الكبير فى ما خذه فكان معه فى المكتب فى مسجد الزاوية ، عند سيدى سعيد بن عبد المومن ، ثم فى (تاويبت) كما ستراه فى الترجمة الآتية لاخيه ، ثم فى الاخصاص عند سيدى محمد بن الحسن الماسى ، ثم افتتحا المبادىء معا فى المدرسة الالغية ، فالمدرسة الايفشانية ، ثم لما شدوا تقدم الاستاذ سيدى عبد الله الى الامام ، وتاخر عنه صنوه هذا ، ومازال الاستاذ فى الترقى الى ان كان من بين من جلوا فى الميدان ، وصنوه هذا مازال يفرط فى تتمة ماخذه ، حتى كان لايعد من العلماء الالغيين ، وان كان اذا اجتمع مع العلماء فى محافلهم الحافلة اذذاك من خير من يستمع ، فيعرف كل مايجولون فيه ، ولكن ليس له من المقدرة مايدخل به فى ميدان المباحثة معهم ، فهو فى درجة العم ابراهيم فى هذه الناحية وان كان للعم عليه شفوف فى النواحى التى رايتها فى ترجمته

ذلك غير انه اخلاقا ومحافظة على دينه ، واقامة ذلك فى اهله خير قيام ، فقد حدثنى جيرانه بما اغبطه عليه ، واتمنى ان لو كنت فى سعادته ، وفى حفظه لاوقات ربه ، فانه فى رمضان يجمع اليه اهله فيفسر لهم الحديث ، وهم مستديرون به ، وفى الليل يصطفون وراءه للتراويح ، وقل من يفعل هذا من اهالينا اليوم باهله ، بل لاأعلم من يفعل ذلك على هذه الكيفية ، هذا الى مسكنة ومعرفة لقدر نفسه ، ولكنه مع ذلك طلعة يلتقط الانباء حتى سمعت من قال انه اول من يسبق اليه كل خبر جديد بالغ ، ثم منه ينتشر ، هكذا حدثت ، فدل ذلك على نباهة وحصافة ، لانه لايعطى هذه المكانة الاحياء النفوس ، والنفس اذا كانت حية تتطلع دائما للجديد فيعيش صاحبها حياة انسانية عامة ، وهل يحيا من ليست له نفس طلعة ؟ وكان يلقب (مرحبا) لانه اول مايسمع منه كلما لاقى ضيفا ، وان كان ثوى ابى الحسن الاستاذ الكبير هو محل اضيافه ايضا غالبا

وليس له اليوم من الاولاد الاالبنات ، وهو الذى مات له ذلك البنى النجيب الذى حفظ القران والمتون ، ونجب فيما دون ثلاث عشرة سنة ، وقد ذكره الاستاذ

علي بن عبدالله في قصيدته البائية التي رثى بها من انقرضوا في وبا، ١٣٣٦هـ وقد تقدمت في ترجمة سيدى الحسين بن ابراهيم ابن الحاج عبدالله بن صالح

وعهدى بصاحب الترجمة يقوم على رؤوس العلماء اذا كانوا في دارنا عند الوالد وأناصغير ، وكان الوالد يستخدمه في ذلك ، لانه ابن أخته ، ولانه أصغر القوم ، وله الى الان كمية كبيرة من المشاركة حفظه الله ووفقه للخير ، (ثم انه توفي بعد مرض قرب عصر الاربعاء ـ ٢٧ ـ ١٠ ـ ١٣٥٩ هـ ثم تلته بعد أيام قرينته ، ولم يذرا الا ثلاث بنات رحمهما الله)

ومن أكبر ماينبغي أن يخلد للمترجم سعة اخلاقه ، وتعاليه عن المخاصمات فلم يعهدمنه أنه خاصم ، ومن عرف بيئتنا في الخ ، يعرف أنها مزية له وحده لايشاركه فيها .

وبمناسبة ترجمته هذه أحكي مستطرفة ، فقد كان المترجم في ركب فيه سيدى صالح بن احمد ، وأستاذنا سيدى عبدالله بن محمد ، وغيرهما ، وقد جاءوا من سملالة الى الخ ، في السنة الماضية ١٣٥٦هـ وقد عزوا في الفقيه سيدى سعيد الاعضياوى ، فجرى ذكر هذا التاريخ الذى ابتدأت فيه اذذاك وقد شاعت أخباره عند الاغيين ، فقال قائل لسيدى عبد الرحمان تهيأ أنت ايضا ليترجم لك فلان، يعني القائل لذلك الاستهانة بصاحب الترجمة ، كأنه خال من جميع المزايا التي تعتبر فيمن يسلكون في سلك رجال التاريخ ، اويعني القائل ـ والله أعلم ـ الاستهانة بتاليف هذا الكتاب الذى نؤدى به واجبنا نحو الاغيين ، وايا كان فهذا سيدى عبد الرحمن بن محمد قد ترجم له ، ولوكنت جالسته كثيرا ، وقيدت عنه من منشداته التي يحفظها كثيرا ، أوقيدت من الاخبار التي يوعيها في صدره ـ كما قيدت عن آخرين ربما كانوا دونه بكثير ـ لطالت ترجمته ، ولكن ماقدر له هوهذا ، وهذا قلمي يؤدى الواجب نحوه كصلة للرحم ، لانه ابن عمتنا مريم التي توفيت بعده بكثير ، وقدكنت رثيتها بهذه القطعة يوم اقبرت في ذى الحجة ١٣٦٢ هـ فقد كتبت الى اخي المترجم شيخنا عبد الله بن محمد والى صنوه الاديب محمد بن علي :

سبق القضاء بما يكون فكانا ... ماذا تفيد وان تذب احزانا ؟
حال الزمان كذاك ليس بحائل ... عما تعود كائنا ماكانا
خطب جسيم طم الخ جميعه ... لم يبق لاقمما ولا غيطانا
هذا الزمان وتلك غاى حياته ... كم آذنت بخطوبها ايذانا
أوما ترى استهلالة المولود في ... فجر الحياة اما كفت عنوانا ؟
من ذا يسر بذى الحياة وانها ... مثل السراب بقيعة لمعانا ؟
تبدى السرور لكي تفر اذابها ... تلقى عليك من الاسى الوانا
ان الحياة هي الخيال بعينه ... لاكان مغرور بها لاكانا

من دان للدنيا وزور حياتها ... أيخاله لسوى الفقاقع دانا ؟
كم من مليك عز فى سلطانه ... أمسى ولا عـز ولا سلطانا
او عالم يسقى الورى ببيانه ... كاسا سقاه حمامـــه كيسانا
البس من الوان الدمقس ومس كما ... يرضى الهوى واسحب به الاردانا
فمدى حياتك أن تجلل يوم ما ... يحدوك أهلك للثرى اكفانـا

* * *

اواه انا فى الجنائز خشع ... حتى تبل الادمـع الاجـفـانا
لـكـننا ان نرتجـع أهواءنا ... سرعان ماننسى الاسى سرعانا
عجبا لها من انفس صماء لا ... تندى كان قد خلقت صوانا

* * *

شيخى الامام أبا محمد الذى ... قد كان فى مقل العلا انسانا
ومن الذى بعلومه وفـهـومه ... حلى الزمان فزين الازمـانـا
ومن الذى من علمه أقرانـه ... قبسوا فبذوا فى العلا أقرانا
الله يعظم أجر سيدنا الهما ... م فمملىء باجوره الميزانـا
قضت المصونة نحبها عن حالة ... حلت بها الابصار والآذانـا
فتراثها من بـعـدها احدوثة ... قد عطرت باريجها الجيرانا
تسعون عاما قضيت أيامـهـا ... فى متجر أمنت به خسرانا
فالله يرحمها ويغمر فضلـه ... مـا بين جنبى رمسها غفرانا
فهو الكريم وهل يخيب نزيل من ... يغدو الجدا من كفه هتانا ؟
وليهنها فى قبرها ان خلفت ... شمسا وبدرا زينا الاكوانـا
شيخى الامام وصنوه من يجتنى ... منه القريض قصائدا أفنانـا
داما لنا قطبين للآداب مـا ... قالا بيانا منسيا سحـبـانا
فعليهما مـنى سلام طـيـب ... كالزهر يصبح بالندى ريانا

محمد بن عبد الله بن محمد الصالحي

ليلة ١٧-١٢-١٣٢٣ هـ = سحر ١٣-٨-١٣٧١ هـ

نسبه :

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن صالح بن عبدالله بن صالح ابن عبدالله بن أحمد بن عبد الله بن سعيد .

هذا أحد نجباء النشء الاخير من الالفيين ، وقد رأيته ممن يجوب في طرقهم الادبية من بعض حكايات تقدمت لنا ، أخذ القرءان بقريته ، ثم لازم والده فهذبه وشذبه في المبادىء حتى ظهرت نجابته غاية ، وقد أخذ عن أبيه في المدارس التي يشارط فيها أعوام ١٣٤٠ هـ ، ثم كان ماشاء الله في المدرسة التانكرتية ، عند شيخنا الطاهر وابنه سيدي محمد ، ثم اتصل بالاستاذ سيدي محمد بن أحمد ابن الحاج صالح في دار القائد سعيد التيكزيريني بآيت أمرمن حاحة عند اخوتنا هناك ، فاخذ وازداد ، وفي سنة ١٣٤٨ هـ أوفي السنة التي بعدها كان معنا بمراكش ، فكنت أرى له نجابة تؤهل منه للمستقبل أن يكون ابن أبيه ، ولكنه لم يتيسر له ذلك ، فالتحق ببعض اناس هناك، كخادم أو معلم، ثم راجع أهله ماشاء الله ، ثم ذهب أيضا مغاضبا لبعض اهله ، وقلما يصبر الشباب حتى تمخض الاوطاب . وقد كان حينا في آيت صواب عند سيدي الحاج الحبيب ـ فيما سمعت ـ

ومن آثاره رسالة وقفت عليها ، كتبها لبعض الالفيين ، بعد أن عول على أن يكيل تراب الارض بالقدم ، وأن يجول في أرض الله الواسعة ، وهي هذه مكتوبة بالنثر المرسل ، ويأليت الالفيين الادباء تنبهوا لمحاسن النثر المرسل أيضا ، فيكفوا من غلوائهم في السجع الثقيل : وهذا ماكتب ـ ملخصا ـ

لا عن قلى فارقت موطننا الالفى ولكن من يحيا فلا بد من ملغ

لقد جازيتمونا آل الغ بضد ما نؤمل منكم ، فخالفتم الضابط المعهود الذي فيه أن الجزاء من جنس العمل ، ولكن ذلك كله من أمور النساء ومتابعتهن ، وقد ذكرتني هذه الواقعة أخرى ، والشيء بالشيء يذكر ، وذلك أن أعرابيا له حليلة خاصمته، فتوجه الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فصار يذكر وقاحة زوجته، وما يلاقيه من لسانها ، فانشده ابياتا منها :

«وهن شر غالب لمن غلب»

فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يكرر هذا الشطر ، وتلك لعمرى حكمة بالغة ، والآن اننا ما اسفنا على مافعلتم بناوللهالحمد ، ولمنترك عندكم مـــا يستميل بعض عقولنا سوى شقيقة صغيرة ، ولكن علم الله اننا لم نقدرعلى أن ننفعهابشيء ، فلو قدرنا ما فتحت عليها عين هناك ، فان لم يعجبكم الاانتميتوها فاميتوها أيها الالغيون ، واما نحن فنشكر الله على أنه هو الواعد برزق الانسان حيثماكان الخ تلك الرسالة التى اودعها كل مايجيش به من الغضب والحنق على أهله بالخ ، ولم أعرف كيف وقع له ٠ ولالمنكتبها ، ولكن الغالب أنه كتبها لبعض اقرانه منأهله ، وانما اختصرنا منها لاننا لاغرض لناالافى عرضانموذج منتثره ، لنسوقه كاثر ٠ وقد وجدنا من هذا القدر مانكتفى به ، وأيضا اننى رايت فى آخرها بعض مالااحب أن ينشر ، ويجب أن يطوى ، وماعودنا أقلامنا الا نشر الحسنات فقط

ثم انه اليوم يذكر لنا فى الحواضر وراء المغرب ،ولاندرى ماالله به فاعل ووالده شيخنا يدعوله بخير ، وقد قال امامى اننى رضيت عنه اينما كان فيه، فهنيئا له برضا والده ، وقدكان أبوه يتمنى لورجع ، لانه ولده على كل حال وقدعلمت بعدما كتبت ماتقدم أنه كان فى (عنابة) بالجزائر ماشاء الله، ثـم تقلبت به الاحوال وضرورات الحياة ، الى ان استقر فى (تونس) سنين ، وقد لاقيته هناك سنة ١٣٦٧هـ ثملمينشب ان اعتراه السلال ، فعاقه عنأىعمل ، حتى لميجد الا أن يلتحق بأهله ، فكان ثانيا بين أيديهم فى الخ ، وهناك لحقه أجلهفى داره رحمه الله ، وقدكان فكرهترقى فى الحواضر ، ولكن جاء الاجل الذى لايحترم لافكرا ولاجمودا ، وقدكان لهخط اشبه شيء بخط والده الجميل، وفهمثاقب ،وعقل راجح، وادراك لمحاسن هذا العصر ، فكان بذلك من نجباء الابناء المعتبطين فى ريق شبابهم ، رحمه الله

ومما يتعلق به انه كتب من (تونس) اومن (الجزائر) رسالة قال فيها مانصه ٠٠٠٠٠٠ هذا فاننى الآن اقدر انأصرح بان ماكنا فيه ، ولانطيرالا بقوادمه وخوافيه ، ليس من العلم الا كخيال يخطر ببال ، أوكاحلام تلم فىالمنام، والا فاين منهذا التفكير ماكان يستولى علينا ونحن فى البوادى ؟ واين مانحن فيه فى مدارسنا هناك ، مما نجده الآن فى الحواضر ، فى كل النوادى ؟ هيـهـات فالحق ابلج ، والباطل لجلج ،ومنلم يكن اكمه ولاذاعمى وعمه ، فانه يفرق بين الحالين ، كلما أجال العينين ، فالحمد لله الذى هدانا لهذا ، ومـاكنالنهتدى لولا أن هدانا الله

النجيب سيدى عبد الحى

ابن عبد الله الصالحي

١٣-٦-١٣٥٢ هـ = ليلة ١٩-٧-١٣٧٤ هـ

نسبه :

عبد الحى بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن سعيد

هذا من نجباء الابناء الالفيين • حفظ القرءان ثم درس على والده الاستاذ الكبير كل الفنون فى المدرسة الايفشانية • حتى شدا وكاد يتفوق • وقد سمعت مرارا بنجابته وبما يوثر عن نباهته ، ولاريب أن الشبل ابن الاسد ، وأنه ابن ذلك العلامة الكبير والعرق نزاع ، قال زهير

وهل ينبت الخطى الا وشيجه ويغرس الا فى منابته النخل

وقال بشار :

وليس الجود منتحلا ولكن على أعراقها تجرى الجياد

وفى اوائل ١٣٧٦هـ بلغنا أنه كان اختلى فى بيت من بيوت المدرسة الايفشانية ، وأدخل معه مجمرا من الفحم موقدا ، فوجد صاحبنا ميتا فى الغد ولاريب أن ذلك بسبب ذلك الجمر ، فذهب مبكيا على نجابته، فما كان الا كزهرة ذوت اثر ماتفتحت ، وثمرة نخلة يبست بمجرد ما تلقحت ، رحمه الله وغفر له

تأبينه

ومن خط أديب الخ سيدى محمد بن على مايلى

(فى اليوم التاسع عشر من رجب الفرد عام ١٣٧٤ هـ توفى عبد الحى السيد البر الحافظ الفطن ، قائد السيادة والمجادة بالرسن ، نجل شيخنا وأخينا البركة ، ميمون السكون والحركة ، العالم العلامة ، اللابس من اردية الفخار أبدع لامة ، سيدى عبدالله ابن الشيخ الاكبر عمنا سيدى محمد بن عبدالله رحمه الله ، وبارك فى خلفه ، ءامين ، وهذا السيد المتوفى كان يقرأ عند أبيه بمدرسة (غشانة) ، ملازما لدروسه ، مشتغلا بما يعنيه ، معجبا بسرد كتب الادب ، حتى كاد يقضى منها الارب ، فعاقه الحمام ، دون التمام ، فلله الامر من قبل ومن بعد ، فانا لله وانا اليه راجعون ، وذلك أنه يسرد كتاب (الكافى

في علم القوافي) فوجده الطلبة في الصباح صائرا الى رحمة الله فعظم الله اجرنا في مصابه ، بجاهالنبي وأصحابه صلى الله عليه وسلم فرثاه اخونا الاديب ، منلهفي العلوم أوفر نصيب ، سيدى الطاهر بن على معزيا لوالده واخويه بابيات حسان ، ذكر فيها بعض ماثره الجمة ، ونص الابيات

رمتنا صروف الدهر بالحادثالنكر ... مصيبة عبد الحى ذالكم البر
اذاب مصابه العظيم حشاشتى ... واودع فى الاحشا احر من الجمر
بكتك حمامة الاراك بشجوها ... بدمع يحاكى القطر من شدةالهمر
كذاك دفاتر العلوم باسرها ... بكته كاعوال المحابر والجهر
فان كان عبد الحى خلى مكانه ... فقداعقب الشوق الاليم مدىالدهر
نجيب رأى غير العلوم بطالة ... فأدركها بلا حياء ولاقسر
حسبنا له عشرين عاما وكلها ... قضاها من المجد المؤثل والفخر
فصبرا بنى عبد الاله وكلنا ... بنوه ، فكل العالمين الى القبر
فلازال فى رحمى من الله ذى العلا ... الى ان يحل الخلد فى حلل خضر
بجاه اجل الرسل سيد خلقه ... عليه صلاة الله تترى الى الحشر

كتبها العبد الضعيف عمه محمد بن على ختم الله لنا بالايمان والاسلام ءامين بجاه النبى الامين فى ٢٦ يوما من الشهر المذكور ، ثمانشأ الكاتب شبه تعزية له عملا بقول القائل :

انا نعزيك لا أنا على ثقة ... من البقاء ولكن سنة الدين
فلا المعزى بباق بعد ميته ... ولا المعزى وان عاشا الى حين

ولله در القائل

خير من العباس اجرك بعده ... والله خير منك للعباس

ونص الابيات المذكورة

أمن بعد ما أودى الهمام الذىسما ... علاء وهمة ومجدا على السما
اريد طوال العمر أبغى مسرة ... وأستنشق الزهر المطير تنسما
وكيف وعبد الحى سيف مهند ... فاغمده كف المنون مثلما
وليد أخى عبد الاله وشيخنا ... ومن كان احرى بالعلوم وأعلما
ولست المصاب مفردا بل جميعنا ... مصاب برزء ما أحر واضرما
فمن بعده للدرس والحفظ انه ... عقول فان يسئل أجاب مصمما
لقد طمحت عين الكمال لرشده ... ولكن اصابته فصار مرخما
الا هكذا الدهر الخئون فان اتى ... بشىء يقر العين اتبع صيلما (١)

١) الصيلم الداهية

الا تستحي ياموت لما خلسته ... يتيمة سمط كان عقدا منظما
خلست خلا لا كالنسيم اذا سرى ... حياء عفافا فى شباب تكرما
وقد قيل تعتام الكرام وتصطفى ... عقيلة نذل كان قد ما مدمما (١)
فلله ما اودعتنا من كثابـــة ... بغير وداع اذ رحلت مكرما
نايت عن الدنيا الدنية مدبرا ... فاعطيت فى الجنات مأوى وانعما
رضينا بما قد قدر الله انه ... سياجرنا عن فادح الوقع اعظما
فصبرا أخى صبرا جميلا فانما ... دواء المصاب الصبر مهما تحتما
فنرجو له الرحمى من الله منة ... بجاه النبى صلى عليه وسلما

هذا مانفث به الخاطر الكليل من المصدور العليل فى تابيـن هذا السيد الكريم رحمه الله ءامين)

١) من بيت قديم

العلامة المدنى بن على الصالحى

= ١٣١٢ هـ = ١٧-٦-١٣٦٥ هـ =

نسبه :

المدنى بن على بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن احمد بن عبدالله بن سعيد

هذا هو الثالث من عمد المدرسة الالفية ، بعد والده العلامة سيدى على بن عبدالله ، وعمه مؤسس المدرسة سيدى محمد بن عبدالله ، وقد رأيت من الرجلين مارأيت ، علوهمة ، وسعة معارف ، وشغوف مقام بين كل من يعرفون لهما ماخصهما الله به ، وهذا ثالثهما توصل بذلك التراث المنفس بعد والده المرحوم ، فحاول بكل مااستطاع أن يواصل الجهود التى يحتاج اليها من يريد القيام بذلك الصالح العام ، وان كان الوقت قد تغير فى عصره عما كان عليه الحال فى عصر أسلافه ، فقد تبدلت الهمم ، وفترت العزائم وتغيرت النيات وصارت تلك النظرة العليا التى كان ينظر بها الى العالم الدينى أمس ، نظرة أخرى لاتحفز الى الشجاعة ، ولاتعين على الاقدام ، فقد جاء احتلال هذه الجهات بعد ١٣٥١هـ بداهية دهياء نزلت على هامات رؤساء المدارس العربية الدينية، وعلى حملة مشاعل الارشاد الى المعارف ، اثر ماأعلن أن جزولة داخلة فى حكم الاعراف ، وأنها خارجة عن نطاق الشريعة الاسلامية ، فبينما كان امس علماء الدين والفقهاء ، ينظر اليهم باكبار واجلال واحترام ، اذا بهم اليوم يضطهدون وينبذون ، ويتنكبون كما تتنكب الجربى ، فمال ذلك الاحترام التقليدى المتسلسل فى عصور جزولة ازاء علماء الدين ، وقادة الارشاد ، وناشرى علوم الاسلام ، الى سفلة رعاع همج يقدمون للادلاء بآرائهم التى ليست بنبع ولاغرب، فى مسائل وقضايا كانت دائما من اختصاصات الفقهاء والقضاة والمفتين ، فيالها من ضربة وقعت على نخاع العلم العربى فى هذا العصر فى جزولة، أيستفتى الرعاة الاجلاف، الاميون الذين مازاولوا قط علما، ولاجالسوا علماء ، ولا عرفوا قانونا ، ولاتلقوا اى درس فى مشاكل النوازل ، وقضايا الخصومات، ثم يوخذ برأيهم ويسجل ، ليتكون منه غدا قانون على رغم الانوف يرجع اليه ؟ فمتى كان يالله الناس فى جزولة عرف يتحاكم اليه الناس، او يتخذ قانونا ؟ أم يظنون أن ماراوه فى بعض نواح مغربية ساد عليها الجهل من قديم ، يوجد مثله فى بلاد تسلسل فيها القانون الاسلامى ، حتى مازجت الشريعة المحمدية دماء شرايين

سكانه ، فهذا التاريخ هو خيرشاهد لماكانت عليه جزولة من الانصياع الى الدين والىقانونه الذى لايمكن أن تجد ازاءه من يخطر فى باله أى عرف اخر يحاول أنيجعله أساسا لفض النوازل ، وحسم المخاصمات (١) ، فلئن عاش الاستاذان سيدى محمد بن عبدالله ، وأخوه سيدى على بن عبدالله فى زمن سادفيه قانون الاسلام ، وخفقت فيه راية العلم العربى ، وكان فيه المغرب مغرباحرا عربيا مسلما ، فامكن لهما بما يتمتعان به تحت تلك الراية انيقوما بما قاما به فى المدرسة ، فكيف يمكن للمترجم سيدى المدنى ان يؤدى المهمة كما أدياها فىالوقت الذى تبدلت فيه الاحوال ، وتنكر فيه لامثاله من حملة العلم العربى ، ولكنهمع كل ماكانيلاقيه هو وامثاله فىهذه الفترة ، باذل كل جهودهفى القيام بالمهمة على قدر الامكان ، ومن بذل جهده حق البذل فانه لايلام فى التقصير ، ان وقع منه بعض تقصير

متعلم للقرآن

سترى فى ترجمة أخيه سيدى محمد بن على الاديب ، وفى ترجمة اخويه الآخرين سيدى الطاهر ، وسيدى الحسن ، كيف كان والدهم الاستاذ معنيا بتربيتهم غاية العناية ، ويتمنى لو كان كل منخرج من صلبه كبش الكتيبة، وبحرا زاخرا بالمعارف ، وعلما خفاقا فى الاخلاق الفاضلة ، وفذا من افذاذعلماء الخ ، وكثيرا ما يتلون لهم بحسب ماتقضيه الاحوال فتارة يصول صولة الاسد المشبل ، حتى ترتعد فرائصهم ، وترتجف من الصدور قلوبهم ، وتصتك فرقا مفاصلركبهم ، وتارة يكون لهم اليين من الحرير ويسرى الى ثنايا عواطفهمبما هو ارق من نسمات الاسحار ، الجارة ذيولها على حدائق الازهار

فقسا ليزد جروا ومن يك راحما فليقس احيانا على من يرحم

وهو فى كل ذلك لايعدومقتضيات الاحوال ، فيلبس لكل حالة لبوسها ، ويكون كالنطاسى الذى يقابل الحار بالبارد ، والبارد بالحار ، نصحا منه لافلاذ كبده، وسنا لغرارهم ، وصقلا لصفائحهم ، وشحذا لهممهم ، واثارة لعزائمهم ، فبهذه الهمة تاتى له ان نرى اولاده أربعة علماء أدباء مشاركين، مامنهم الازينةالمجالس وصدر المحافل ، وطراز المعارف ، وقطب المباحث ، ونزهة المطمئن ، وعقلة المستوفر ، وكعبة الادب ، فمن رآهم وقد حلقوا على كتاب أدبى ، يتناقشون ويتباحثون ، رأى كيف ينجب الاولاد ، وتتكون حلبة فى ميدان رفعت كلهامن ثدىواحد ، ودرجت من حجر واحد

نعم الاله على العباد كثيرة واجلهن نجابة الاولاد

نشا المترجم كما نشا اخوانه فىالمكتب القرآنى ، فقد استظهره على يد

١)ليرجع القارىء الى اوائل كتاب (سوس العالمة)

اساتذة منهم الاستاذ سيدى احمد اخساى فى مسجد القرية ، وعـن الاستاذ سيدى ابراهيم بن الحاج القاسمى البعقيلى ، من أسيف أودرار (وادى الجبل) وعن الاستاذ سيدى محمد بن محمد الانامرى من أنامر نيت الطالب السملالى، كما شارك اقرانه من اهله فى آخرين ذكرناهم فى تراجمهم،فى (الفصل الثانى) فى هذا (القسم) نفسه ان شاء الله

فى مناغاة المعارف

افتتح أولا فى المدرسة الالفية التى يدرس فيها ابو القاسم بن مسعود التاجارمونتى ، وقد يلم بها والده بالقاء بعض‌الدروس ، ثم نقله والـــده الى المدرسة الايمورية عند الاستاذ سيدى احمد بن صالح التانكرتى الافرانـى، فلازمه سنين ، حتى استشف الفنون المتداولة الى ثمالتها ، وقد اعتنى به الاستاذ، فحفظ عنده كل‌مايعنون بحفظه ، من‌متون النحو واللغة والفقه والادب‌والفرائض والحساب والسير والحديث والتفسير ، ويطالع معه كتب الادب والتواريخ التى تروج عندهم ، ثم‌لم‌يفارق الاستاذ تلك المدرسة حتى نال تلميذه هذا شفوفـا عظيما ، وكان فى كل وقت ورد فيه الى (الخ) فى العواشر المعتادة ياخذ مـــن مجلس والده الذى يطفح دائما بالبحوث ، ومن عاداتهم ان الطلبة فى امثال هذه المجالس يعطون كتابا من كتب الادب لتلاميذهم فيتـلـون فيه امامهم ، فيناقشون التالى فيما يتلو فى التصريف والاعراب وضبط الكلمات اللغوية ، ويمتد المجلس مادام الجلوس ، وكثيرا مايستمر ساعات ، مـن‌الصبـاح الى الزوال ، أومن‌المغرب الى‌أن يبهار الليل ، عادة الفوها لايحول بينهم وبينها الا عارض جديد يدهم ، لايجدون منه مناصا ، وبامثال هذه المجالس ينبغ‌ابناؤهم نبوغا لايطمعون فى مثله‌لواقتصروا على الدروس المدرسية وحدها ، فليتامـل القارىء كيف البيئة العلمية الالفية التى يقرأ ويسمع عنهـا كثيرا فـى هـذا الكتاب ، وفى اخوانه من كتب اخرى

حدثنى المترجم أن أباه كان دائما يواخذه مثل هذه المواخذات بـالاسئلة ، ياخذ بعضها برقاب بعض ، قال وماكان لى‌أن أتملص من انشوطاتهما لـولاان الشيخ ـيعنى‌والدىـ كان كلما دخل فى العشايا على عادته من الالمام بمجلس الفقيه كل عشية يسرحنى من قبضة من يسائلنى ، ويقول له ان الولد ماجاء من المدرسة فى‌العواشر الا ليستريح ، قال ولكن لايكاد المجلس ينعقد ثانيـا حتى ترجع المباحثات والاسئلة وحل الالغاز والاحاجى جذعة ، كما تكون‌دائما، وقد وعده والده يوما ان حفظ كتاب (مثلث‌قويدر) أن يعطيه حمل سكر ، فكاد يحفظه ، وهذا الكتاب مطبوع فى ارجوزة مربعة

هكذا دام المترجم على الاخذ ، حتى نبغ نبوغا يشهد له به كل من يعرفون

مقدرته ، ويسبرون غوره ، وقد سمعت اخاه الاستاذ سيدى الطاهر بن على، يثنى على هذه الناحية منه غاية الثناء ، ويقول لم ارقط مثل درسه المحكم الذى يرى منه التلاميذ ما لايرون من غيره ، فانه حسن البحث ، دقيق الفهم ، ممتع الصدر حسن المجالسة ، يحسن التكلم كما يحسن الاستماع

بهذا يعلم أن الذين انتفع بهم ، هم هؤلاء الثلاثة ، والده الذى يلزه كلما لاقاه بالمباحثات ، والاستاذ التاجارمونتى ، ومهذبه الخاص سيدى أحمد بن صالح الافرانى

يشارط في مدرسة بالاخصاص

تتبع كما رأيت حتى صار محصلا غاية التحصيل ، وكان مثلا يضرب فى النبوغ ، استحضارا وفهما واقتدارا ، فكان والده يهتم أن يدير شؤون المدرسة اثر ما غادرها الاستاذ التاجارمونتى ، ولكن غرارة الشباب ، وعدم ادراك الاولاد المغزى الذى يرمى اليه الآباء ، حالا دون ذلك ، فاضطر والده أن يشارط اليزيدى العلامة الكبير ، سيدى أحمد فى المدرسة الالفية ،وأن يرسل ولده المترجم الى مدرسة سيدى على بن سعيد ، لعله يدرك كيف ينتخل الانسان آراءه ، وكيف توكل الكتف فى هذه الدنيا التى لاترحم احدا ، فتصدر هناك، وحلق عليه تلاميذ أفرغ وسعه فى تعليمهم ، فكانت هذه الدراسة باكورة اعماله فى هذا الميدان وذلك حوالى ١٣٤٠هـ

ومن اللطائف الادبية ما وقع فى هذا الحين ، وذلك أن مابين المترجم وبين شيخنا البوزاكارنى غير متصل ، كعادة الاقران ، والمعاصرة تمنع المناصرة، ولم يكن سيدى المدنى محظوظا بين أمثال ابى زيد البوزاكارنى ، وأحمد اليزيدى ، فلم يزل مابينه وبينهم غير عامر ، وقد كان شيخنا البوزاكارنى مرابطا فى الخ واحد اوتاد مجلس الاستاذ سيدى على بن عبد الله ، فكان التراشق بين المتعاصرين لاينقطع ، ففى يوم أراد الاستاذ أن يبعث المترجم الى مدرسته بالاخصاص ، فتداول مع من حضر من المسافرين الى الاخصاص أين يبيتون ذلك النهار ، فقيل يبيتون عند الفقيه سيدى احمد الرخاوى ، وقيل بل يبيتون عند فلان ، وهو جاهل أمى جاف جلف ، فقال شيخنا البوزاكارنى ، الاولى أن يبيتوا عند هذا الاخير ، ثم انشد والاستاذ على بن عبد الله يسمع كما يسمع كل من حضر وهو يقصد ذم صاحبه المترجم :

ارسل الى الوغد وغدا ان بليت به ان الطيور على اشباهها تقع

فلم يزد الاستاذ سيدى على بن عبد الله أن اغضى وسكت على مضض ، لان للملموز المترجم عنده مكانة ، فكان الموقف أحد مواقف حلمه واغضائه رحمه الله، ولم يكن ليخفى عنه مابين الرجلين ، وقد كان شيخنا يحكى هذا فى معرض حلم

الاستاذ وتجرعه مرارة مايسمعه من الكلام الجافى احيانا

بعد رجوعه من الاخصاص

بقى هناك مابقى، وقلب والده الحنون الذى هو كقلوب كل الاباء،يترجى من ولده هذا العلامة أن يؤوب بعقلية كالتى تعهد من الاسلاف ، تدعمها المروءة ، ويقومهاالتثبت ، ويحوطها المشى بالهوينى فى جميع الامور ، ولكن صاحبناالذى نشافى عز الجاه ورفاهية المال ، واحترام العلم ، لما يدرك كل مايراد منه ، حتى أنه بعد مارجع من الاخصاص ، وقع بينه وبين والده مايقع دائما بين مختلفى الافكار ، ومتوزعى النزعات ، ولكن الاستاذ ساير واغضى ، وهو ينشد بلسان حاله ماقاله الاول :

فان يك عامر قد قال جهلا فان مطية الجهل الشباب

ولم ينشب الجرح أن اندمل بسرعة من غير أن يترك حتى يكون نغلا

يتزوج

زالت تلك النفرة التى ما سببها الا مايلفقه القتاتون النمامون بين اكرم والد وابر ولد ، وكل نفرة تسبب عن أمثال ذلك فسرعان ماتزول ، لان الباطل لايطول الافى الوقت الذى يغفل فيه الحق عنه ، ومأثورة والده عليه الالكونه يريد أن يتزوج ويرتكز ليعمر المقام الذى لابد له منه ، بعد أن يتقيد بقيد الرجولة ، وان يتحصن بحصن المروءة ، ولكن الاقدار لاتغالب ، فلم يتزوج الابعد وفاة والده بسنوات ، وذلك فى سنة ١٣٥١ هـ والابعد ان اوصى والده بالمدرسة له ، فكان ذلك علامة رضاعنه كل الرضا

تزوج كريمة من كرائم احدى عماته ، وهى بنت السيد محمد بن الحاج ابراهيم الايغشانى ، فقام عرس عظيم لانظير له ، وقد زف السيدة نحو ثلاثمائة من الايغشانيين ، يقودهم الشاب على بن احمد الذى هو اذذاك فرهدكما ابتدأ يظهر تحت نظر والده فى الميدان ، فظهرت منه وممن معه مما يملونه كشروط على عادة الذين يجلون عروسا الى زوجها- أعمال لاتليق ولاتوافق مكانة الاستاذ المتزوج ، ولامكانة آله آل على بن عبدالله اجمعين ، ولكن ذهب الرجال ، فجاء أمثال هذا الشاب الغر على بن احمد الذى لايمكن ان يقدر الناس قدرهم

اذا غاب ملاح السفينة وارتمت بها الريح يوما ضيعتها الضفادع

والده يستخلفه في المدرسة

احتضر والده سنة ١٣٤٧ هـ فاحاط به ابناؤه ، كالنجوم تحيط بطفاوة البدر فى علياء السماء ليلة الصحو ، فكان مما اوصى به الحاضرين ان يسلموا

مقاويد المدرسة لسيدى المدنى فانه أحق بها واهلها ، لمكانته فى التحصيل ، ولما يرجى من القيام بها، لانه كريم سمح جواد (فليتق الله سائله) وهكـذا وضع مجد الغ العلمى فى يد سيدى المدنى كامانة يحافظ على كنزها حتى يسلمها مصونة كما تسلمها الى من يرثها من بعد ، والله خير الوارثين

فى القيام بالمدرسة

كانت هالة مجد الاستاذ سيدى على بن عبد الله ، متسعة غايـة الاتساع ، وشهرته فى كل تلك النواحى طنانة ، سواء فى ميدان المعارف ، اوفى ميدان الرياسة ، والناس فى ذلك الوقت لايزالون ملتفين حول آل الهيبة يدافعـون عن كيانهم ، ويذودون عن سرحهم وعن دينهم ، وعن شرفهم وعن وطنهم العزيز وقدكان للاستاذ فى كل ذلك من المقاومة وتصدر المعارك ماهو كالشمس فـى رابعة النهار، ومايوم حليمة بسر، فلما استاثر الله به سنة ١٣٤٧ هـ وخلفه المترجم فى مركزه صار يظهر بمظهر والده فى المجامع ، وفى منتديات الرؤساء وفى مجالات الجيوش المدافعة ، حتى وقعت الواقعة التى ليست لها دافعة اواخر ١٣٥٢هـ ، فاحتلت جزولة ، واستسلم كل من فيها ، وأنزل الله اللطف بالناس، فلم يرمن المحتلين اى عنت ولاعناء ولامغرم ولااسرولانهب ، فاذاك برز أناس، واختبأ أناس ، وظهر رجال ، وقبع رجال ،وكان ممن قبع فى عقر بيته ، والتزم خويصة نفسه كل من ينتمى الى علم اومرتبة ما، فأوى كل الى شغله الخاص، فكان المترجم احدأمثاله، فسكن فى مدرسته يزجى الايام بتعليم من ياوون اليه فكانت الدراسة وان سارت حنفاء فى غير جدغير منقطعة بالكلية ، فاشتغل بها اشتغالا ما ، وذلك بعد ما حاول ان يكون له حبل متصل بمسيرى الشؤون فى مركز (تافراوت) وبعد ما سافر الى (الرباط) بظهائر الاحترامات التى توارثتها قبيلتنا منذ الجد الاعلى ، فاستطاع أن يرجع بظهير بطابع ملك العصر ، مفخرة العلويين سيدى محمد بن يوسف ، يريد بذلك أن يملأ مركز الرياسة فـى القبيلة ، ولكن سبقه بذلك عكاشة ، كمانه لم يجد فى مركز تافراوت بـابـا مفتوحا ، وباطلما طرقه واستوصل حبله ، ولكن الحبل وان لم ينقطع لم يات له اتصاله بفائدة

ما بينى وبينه

وعلى هذا وجدت أنا المترجم لما نفيت الى (الغ) مفتتح ١٣٥٦هـ بعد ثلاث سنين ، اثر احتلال تلك الناحية ، فكنت اواصله بالمراسلة بنثر اوشعر ، مما يجده القارىء فى كتاب (الالغيات) وقد كنت احس بلاذع فى نفسى كلما سمعت بان كرمه الجارف قد يتركه احيانا بلا ممضوغ فاقول اهكذا يعيش العلماء فى هذا البلد الذى خوى فيه نجم العلم، وخر سقفه على عرشه ، ولم ينقصم تواصل ما

بيني وبينه، حتى ودعت الخ ١٣٦٤هـ فبينماأنا فيمراكشاواسط السنةبعدهااذا بالاستاذ نعي الينا ، فقلت هذه صحيفة اخرى الغية طويت من جديد ، وهذه قسيالرزايا لاتبقي سهامها ولاتذر ، فياحسرتا على مجد الغ العلمي ، لقداتتــه الحوادث الماحقة من كل ناحية

ان كان عندك يازمان بقية مما تهين به الكرام فهاتها

فلولا الرجاء اذذاك من اخويه سيدى الطاهر وسيدى الحسن ، لقلت انالمدرسة اقلت شمسها ، وصوح نبتها، ولكن ـوالحمدللهـ للبيت رب يحميه ، فـقـد اتصلت حلقات السلسلة واتبع الخلف اثر السلـف ، فقام سيدى الطاهر وسيدى الحسن في المدرسة احسن قيام ، فهاهي ذى الدراسة متتابعة الحلقات علىقدرالامكان، وهاهم اولاء التلاميذ يردون عطاشا خماصا ، ويصدرون بطانا قدرووا حتىضربوا بعطن ، ولولميثن على همم هاذين الاستاذين مثن ، لاثنت عليهما أعمالهما ، وهل يفصح عن الانسان الا أعماله ؟

فالنفح افضل من يثنى على الزهر ان لامسته ذيول الظل فيالسحر

ناحية من أخلاقه

رحمك الله ياأخي أحمد ، فقد أكثرت عليه يوما واكثرعلي ، ونحنمنحدرون في عشية الى بستاننا الشمالي ، فقال لي تعالأرك حسنات كل واحد ممناعرفهم وتعرفهم منالاغبين ، فقلت له على شرط أن تترك انتقادك الآن، وأن تعدنيعلى أنتنصف ، فقال هاأنذا أنصف ، ثمصاريسرد علي منهم الى ان وصل الىصاحب الترجمة ،فقال انه احسن الناس مجالسة ، وافضلهم استماعا ، فقد كنتأراه في محافل المذاكرة والمباحثة ، ملازما للتؤدة والوقار ، فلا يجادل ولايصاول بالبحث ، يقبل ويرد بالادب ، كان دائما يعجبني بذلك ، فليس كفلان وفلان اللذين اذاكانا فيمثل تلك المحافل يثاور احدهما صاحبه ، كانـهـما ديـكان يتنافشان ، فقلت اولماطلب منك ترك الانتقاد ؟ فانني لااحـبان اسمع اى انتقاد منك فيابناء العلم الذين هم شعارى ودثارى ، اشيد بحسناتهم واتغافل عن سيئاتهم

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

ثمقال ومنخلق سيدى المدنى أيضا الكرم ، فانه اليوم من لم يزل يتصف بهذه الخلة التى نفض منها الالغيون ايديهم ، فلايمكن أن يبصر ضيفا فيروغ عنه ، أويتجهم فيوجهه، اويجيف بابه أمامه ، فهذاماقال الاخرحمهالله اذذاك، ثمأعاده مرات اخرى ، وزاد أن الجهة التى يوتى منها سيدى المدنى هـى عدم اقتداره أنيملك سره، اويهدىءأعصابه ، فيقول فيكلمجلس أومع منيلقاه ما في صدره ، فلايقدرعلى الكتمان ، فلوكان يزملسانه عن الناس ، ويتـظـاهر بما يتظاهر به الناس من الاغضاء وعدم الصراحة ، لما وجدفيه أحد مايقولولو

قيم فى مدرسته، وزم لسانه واغضى عن كل شيء ، لزاد الى فضل العلم الذى عنده مايجعل كل الناس يثنون عليه كل الثناء بكل المحامد التى هو أهل لها، وسمعت الاستاذ سيدى الطاهر بن على صنوه يقول : ان سيدى المدنى دراسته أفضل دراسة، فانه يستفرغ فيها وسعه ، وتظهر سعة أخلاقه فى التقرير ، حتى أنه فريد بين أقرانه فى الدراسة ، ولو كان له مراعاة لملأ مركزه كما ملأه أبوه قبله لمالأ من سعة معارف ، وحسن ادراك

هذا ماسمعته من هذين السيدين ، وذلك مايدل على مقام كريم أوتيه الاستاذ ، وفاز به من بين أترابه ، فالتؤدة فى المباحثة والكرم ، والتقرير البليغ الذى يفيض عليه من سعة أخلاقه ، هذه الثلاثة هى التى تتفرع عنها شمائل الرجال ، وتتأصل عليها مناقب الكبار الذين يفرعون غيرهم ويتسلقون بها قمم المعالى فى التاريخ ، كما أن الاغضاء عن عيوب الناس هو الباب الوحيد الى اجلال الناس ، وأعرف أنا منه أيضا كثرة المودة وحسن المخالقة ، وهذا الخلق وان كان متفرعا على ماتقدم ، لكننى ذكرته على حدة لادلى بما عرفته منه أيضا بنفسى مع أننى لا اخالطه فى هذا الدور الذى تصديت فيه لدرس رجالنا ، ولذلك عولت فى ذلك على غيرى ، وان كان كرمه أشهر من نار على علم ، سمعت كثيرين يصفونه به، فقد حفظه الله من الكزازة وأيده لعمارة المدرسة فى عصر لابد له فيه من الصبر الكثير ، ان أراد أن لايضيع التراث من يده ، وان لاينعق البوم فى بيوت المدرسة فى عهده

آثاره

صاحب الترجمة من الادباء المكثرين الذين يقولون فى كل مناسبة دائما فكان له بذلك سيل طافح من القصائد والمقطعات ، ونحن نختار مما بين أيدينا مايروق الافكار ويعجب القارئين ، ولواعجاباما

من ذلك قصيدة رفعها الى سلطان العصر سيدى محمد بن يوسف ، وقد وفد على حضرته اثر احتلال تلك الناحية ، فاجفل فيمن اجفلوا ، لعدم ثقتهم بالامان اذذاك ، وان كان ماظنوه اظهرت الايام أنه غيرموجود ، وقد وفد ـ١٢ـ ذى الحجة عام ـ١٣٥٢ هـ ليجدد ظهائر المرابطين طامعا ان يجد عضدا ليتمكن من الهدوء ليعمر مدرسته ، فتم له الامان ، فراجع مدرسته

أيا ملكا اربت علاه على العد	بما نال من ارث السيادة والمجد
ليهنك ملك طبق الارض صيته	وذكر كما النسرين والاس والورد
ليهنك تاج حزته عن جدارة	على رغم أنف الحاسدين ذوى الحقد
ليهنك نصر قد جنته يد القنا	فقد فتحت سوس على اليمن والسعد
فصادف هذا النصر غيث فاعلنت	تباشير خلق الله بالشكر والحمد

فاخصبت الافاق مـن بعد قحطها فولت جيوش الجدب مفلولة الحد
فياأيها المولى المجيد ومن له علو على هام المعالى بلا جهد
نحوتك ابغى من علاك تمام ما وشته يراع جدك الجوهر الفرد
فتكتب تحريرا لاخواننا على ظهائرهم لازلت تهدى الى الرشد
فنشكر نعماكم ونثنى عليكم باسدائكم للعبد ما جل عن عد
فلازلت محروس الجناب ممتعا بملك جدودك الغطارفة الاسد
ولازلت فى عز السعادة مالكا زمام العلا والدهر من جملة الجند
بجاه رسول الله جدك من غـــدا سنا دينه الوهاج نورا لمستهد

مر فى ترجمة الاستاذ على بن عبد الله والد صاحب الترجمة الاشارة الى ان هناك بعض مقطعات ، خاطب بها الاستاذ الحاج احـمـد أضارضور ـالاصمـ الابراهيمى ، يستنهضه الى الفتك بالايشتيين الذين غصبوا أموال الالغييـن ظلما وعدوانا ، ثم فى ليلة أصبح الاستاذ شيخنا سيدى الطاهر ، وعلى لسانه هذا الشطر :

اقرت (اشت) عيون الشامتين بها

فالقى الشطر الى من حضر عنده ، فانتدب صاحب الترجمة ، فذيله بما ضربه فالا لاولئك المناكيد ، دعا الله تعالى ان يجتاحهم ، فبعد عقد من السنين جاءت الضربة القاضية على الكل من يد (أيت خباش) بعد ان كانوا شواظا من نار ونحاس على الناس ، فسقط منهم من سقط على راسى الرئيسين احمد وعـلـ ابنى خليل ، فانجدلا فى معمعة ثارا اليها بغتة ، وربما نتعرض لتفصيل ذلك ان شاء الله فى محل ءاخر فى هذا الكتاب ، او فى ءاخر بمناسبة

قال صاحب الترجمة فى تذييله

اقرت اشت عيون الشامتين بها (١) وحل فيها على الاعداء ما ارتقبـوا
وصيرتها يد الابطال أيدى سبا وحكمت فيهم الهندية القضب
واستسلمت للقنا رقابهم ففـدت اجسادهم نهبة فالوحش ينتهب
ياأهل اشت وللاقدار دورتها لازال للحتف فى ارجائكم خبب
انى تحلون حلت فوقكم نقم فيها قلوبكم تلظـى وتلتهـب
هذى منى حققت من قول من فخرت به المراتب وازدانت به الرتب
صدر الافاضل شمس الدين من خضعت له الاماجد وانقادت له الشهب
رب الخصال اللواتى من مصابحها يزهو القريض ومنها تشرق الخطب
حسب الكواكب لو من بعضها حسبت يوما فينظمها فى سلكه الحسب
فالله يبقى سنا أنواره علما ياوى اليه الالى نور الهدى طلبوا
يارب بالمصطفى والآل من نزلت فى حقهم آية التطهير فانتخبوا
والصحب اسد الشرى يوم الوغى لهم من كل من حاربوا المسلوب والسلب

١) يظهر أن الاولى ان يقال قداقذت (اشت) عيون الشامتين بها ، تأمل

وبالشهيدين سبطيه اللذين هما ... فاقا الورى نسبا ما فوقه نسب
وبخلائف أمجاد ذوى كرم ... ترضى سيوفهم اذا هم غضبوا
حقق لنا قول ذاك الشيخ عن عجل ... بنسف اشت ومن لجورها انتسبوا
وزلزلنهم فلا يبقى لهم أبدا ... ذكر ففى مثلهم يستحسن الحرب
عتوا فعاثوا وجاروا فى تحكمهم ... اذ يحسبون لهم فى القهر ماحسبوا
قدحاربوا الله فعل الكافرين بـه ... وعادة الله فى الاعداء ترتقب
فلاعدا البؤس والاقواء منزلهم ... والمحل والفقر والطاعون والغضب
يارب أنت معين اللاجئين الـى ... اكنافك الشم زعزع من هم غضبوا
وانصر عصابة من طاحت منازلهم ... ظلما ولا زلل منهم ولا ريب
بحق خير الورى المختار من مضر ... وصحبه الغر ما خانوه مذصحبوا

لله در سيدى المدنى ، فقد بانت غضبته من القصيدة ، وألقت عليها وسامة مانعرفه من الشعر العالى ، وكثيرا ماأقول ، ان الالغيين لـو خاضوا فـى غير الاخوانيات فانهم ستتجلى مقدرتهم غاية التجلى ، وفى آخر القصيدة نحو بيتين للبعض قبل اختتامها

وقد صدرت منى قصيدة حول آل (اشت) لاباس أن أسوقها هنا ، لاننى ألممت فيها باخلاقهم ، وبماالفوه من الغصب والفتك وهتك الحرمات ، ونصها:

تلك ضياع يالها من ضياع ... كم طاف فى أكنافها من ضياع
استاسدت ضباع سكانهـا ... فاحتوشت ما للاسود الضباع
كم كبد معروفة بالـتـقـى ... قد كويت من عندهم بالتياع
فما لهم فـى العدل شنترة ... لكن لهم فى ظلمهم ألف باع (١)
يغبن كـل مشتر بـيـنـهـم ... والغبن راس المال عند الرعاع
أملاكـهـم أملاكـهـم دائما ... وان فتى بالبت والقطع باع
فالحبس فيما يزعمون له الـ ... ـمجال فى كل رباع رباع
مخبؤ من تحت آباطهـم ... زورا وداعى الزور فيهم يطاع
ليس بمذكور لـدى بيـعهـم ... كيما يغر عـنـدهم ذوابتياع
حتى اذا ما وجـدوا فرصة ... سانحة للضيم ذات اتساع
أدلوا بـــه افكا ومخرقة ... على ضعيف مـالـه مستطاع
يدلون بالزور بكف وفى الا ... خرى سيوف الرغم ذات شعاع
كذلك الباطل ليس لـه ... وقـع بغـير عضد وذراع
كذا بنو (اشت) ومن ملكوا ... بين ديار (اشت) اى متـاع
معرضون دائـمـا عندهـم ... للنهب والفتك وكـل ضياع
أمن لهم فتك ببعضهـم ... بعضا فعال ضاريات السباع

١) الشنترة بضمتين مابين السبابةوالابهام

يحترمون بينهم عالما ... أوصالحا هيهات تاتى الطباع ؟
فليحترس كل غريب فما ... لقلبه هناك الا انصداع
والنهب والفتك فكم طعنة ... يغمرها دم كثير شعاع (١)
وكم دفين ردموا قبره ... ليس بمكفون ولو بالرقاع
وكم غريب معه صرة ... ليس له من بعد ذكر يذاع
زائرهم ميت ومن سلموا ... من عندهم ءابوا بكل ارتياع
لكنهم كيلوا بايدى بنى ... خباش ذاك العام صاعا بصاع
ان الحديد ليس يفلحه ... الا الحديد ان يجد الصراع
فليعرف التاريخ (اشت) وما ... هم صانعوه بين تلك الضياع
فيدهم خرقاء لكنها ... فى حوك ظلم الغرباء صناع
افضل ممن يشترى بينهم ... ربعا جديدا بين تلك الرباع
من طلقت همته ارضهم ... طلاق بت ليس فيها ارتجاع
ياارض (اشت) لا رجعت الى ... ارضك ما كان بظهرى النخاع
هذا وداع شاعر معلن ... حقا وان لم تستحقى الوداع

وقد كان للقائد الحاج احمد انضارضورى التاغاچيچتى مكانة فى قبيلة اد ابراهيم ، ويستطيعون قبل الاحتلال أنيتوصلوا بقوتهم للحكم على الناس،فكتب اليه الاستاذ والد المترجم سيدىعلى بن عبدالله ، هذه القصيدة يستغيث به وهل للضعيف اذذاك سوى الاستغاثة بالاقوياء ؟ والناس حينئذ من عزبز

اقول لمن احيا الفتوة والندى ... ويردى العدا والمبغضين وقد بغوا
عليك بابناء اليهود فانهم ... اذا حقروا لانوا وان عظموا طغوا
وان سستهم باللطف زادوا تجبرا ... وانعركوا انقادوا وانتركوا عصوا
وارجو من الرحمان كسر صفاتهم ... على يدك البيضا فعن غيرها قسوا
وكم قد حرثتالخير فيهم ولم يروا ... سوى أن يجازونى بسوء فقداسوا
ولاتتركن فيهم كبيرا يريد ان ... يكون لهم شيخا ولا ولدة نشوا
فكلهم افعى لافعى وان هم ... صغار وما انكا الصغار اذا عتوا
فجعجع بهم وانهض اليهم ولاتبل ... بشوكتهم فالله يجزى من اعتدوا
فانا نجيش بالدعا وتضرع ... يعين لعل الله يهلك من عتوا
فلاترافن ان كنت تعرف فعلهم ... من الشر فى اهل الصلاح وما اتوا
فبادرهم بالسيف قبل انتباههم ... فهم بين ناب الليث والظفر قدغفوا
ولاتعف عن شنعائهم وسفاههم ... فعن مثلها اجدادك الغر ماعفوا
وانى عن جود المهيمن ضامن ... لفضلك ان ياتوك بعد وقد صغوا
عليك سلام من اخ لك ود ان ... يراك شكيمات العداة اذا نزوا

---

١) شعاع بالفتح متفرق

ثم كتب اليه أيضا فى هذا الموضوع ، وقد استبطأ اغاثته :

الم يان للاعداء ان يتمزقوا ... وان ينتهوا عما اذا عوا من الظلم؟
الم يان للقوم الا راذل ان تصيـ ... ـب جمعهم بالشت عاقبة الضيم؟
الم يان ان يظهر الله أرضه ... باهلاك اجلاف عداة ذوى الظلم ؟
الم يان تدمير البغاة وحيفهم ... بصب عذاب الله من عارض الغيم؟
الم‌يان للقرم الهزبر محبنا الا ... صم يريهم ضربة البطل المصمى؟
فقم نحوهم وانزل صباحا بساحهم ... فساء صباح المنذرين اولى الجرم؟

وقد ذيلها بعض الالغيين لما قرأها فاستفزت شعوره ، والاسى يبعث الاسى، والالغيون ذات واحدة ، ماسيهم واحدة ، وأفراحهم واحدة ،

لماكنت‌تجلو السيف ان لم‌تزل به ... رؤوس ذوى‌عيث‌كطلس لدى‌البهم؟
لامثالها كنا نعدك دائمـا ... شجاعايذود الخسف عن‌حرم‌القوم
وكنت كما قد كان حسباننا لها ... فهل خائب حسباننا منك‌فى‌اليوم؟
الى (اشت) حيث الظلم‌ان‌كنت‌فاعلا ... ولا تعتذر فعل الفتى الصائل‌الشهم
والا فلا فرق يرى بين حاسر ... وشاك ازاء المعتدين ذوى الغشـم
فان كنت ذا سمع فهذا نداؤنا ... والا فدون الريب أنت من الصم
فقد جاء فيك الوصف وصفا محققا ... وجاء المسمى فى الحقيقة كالاسم

وقد اجاب القصيدة عن لسان المخاطب الحاج احمد اضارضور ، علامةاكرار سيدى محمد بن احمد الرفاكى بقصيدة على ذلك الروى اخترنا منها مايانى:

الى سيد حاز الكمال بديته ... وشتت أقيال الجهالة بالعلم
أبى حسن أطال للناس عمره ... اله الورى مع السلامة فى الختم
سلام حفى لايريم وان نأى ... خديما لآل العلم بالصدق والعزم
اجابك للمطلوب قومى وعترتى ... وان بقرت بطنى (١) وفتله‌لحمى
فطب أيها الشيخ السرى فانـنـى ... أعالج قدر الطوق بالجد والحزم
وان لم أكن أهلا لذاك فعترتى ... بحمد الاله قامعون لـذى الضيـم
فبشراك بشرى‌عن‌قريب ترى‌المنى ... ويهتك صون الظالم الفاتك الغشم
قبلناك ياشيخ الجماعة فلتكن ... هنيئا من الامر المهول من الدهم
لقد علم الاقوام أن حليفنا ... عزيز فكيف بالعليم أخى الفـهـم
فقد ما نذود الضائمين عن الحمى ... ويعلم‌ما قلنا لدى العرب والعجم
لقد علمت سعدى بذاك فاننى ... أحدث بالنعمى فزال بها لومى
فيارب لاتخب رجائى فاننى ... بجدى وحدى واحتزامى وبالقضم
بامرك اقبالى بنفسى واخوتى ... ومالى وعرضى بالـذمـاء وبالجسم
فثق أيها الشيخ المربى بقولتى ... ولا تعدنها من خيالات ذى النوم

١) البطن مذكر لامؤنث غالبا

الى ان قال

شكوت على بحر الطويل فعاقنى ... على ساحل لولاك غائلة انعوم
فحاكيت لا كالنسج ضرب بطوبة ... يقولون خير من هروب على شتم

وقال بعض الالغيين أيضا فى هذا الموضوع

قالوا عدت اشت ظلما فى النهار على ... (الغ) فقلت رويدا فى غد سنرى
عما قليل ستعلى الغ هامتها ... عزا ويبصر (اشت) الذل من نظرا
فالغ (الغ) وان تذهب بساتنه ... و (اشت) ان ذهبت أملاكه حقرا
هم حفروا لبنى الغ البئار فهل ... يهوى لاعماقها الا الذى حفرا ؟

رجع إلى آثار المترجم

كان ورد كاتب آل كردوس محمد بن عبدالعزيز الصحراوى الى الغ ـ ١٧ ـ رجب عام : ١٣٤٦ هـ فتلقى ترحيبا به على العادة الالغية بقصائد عديدة ، من بينها قول هذا الاستاذ

شيخ العلا وامام العلم والادب ... ومن له بمحياه سنا الشهب
من نبتت بين اهل الفضل نبعته ... فطاب محتده فى العجم والعرب
ومن تقلد للعلياء عزمته ... فراضها فغدت منه على كثب
اهلا بمقدمك الاسنى به انكشفت ... عن القلوب دياجى الهم والنصب
نفسى فداء مبشر بطلعة من ... اخلاقه كابتسام الكاس عن حبب
اما البلاغة والاعجاز ان كتبت ... أقلامه فهما من أعجب العجب
تنسى فصاحته قس بن ساعدة ... يوم عكاظ اذا ماستن فى الخطب
والفتح ان مد طرسا فى أناملـه ... فصار ينسج منها حلة الادب
وابن عطية ان ينشىء الرسائل أو ... يزج القريض وقد اشفى على العطب
الى خصال غدت الطف من زهر ... فى روضة أنف باثر منسكب
هذا ومن رام أن يحصى ما تركم ... فانما كان فى كد وفى تعب
فانتم الانف والاذناب غيركم ... هل يدرك الانف يوما عقدة الذنب؟
فدى عجالة ذى عى وذى حصر ... اغضوا عن النقد فيها يابنى الحسب
من فكرة مالها فى الشعر من خبب ... فكيف تغدو من السباقة النجب ؟
منى عليك سلام طيب ارج ... يامن له هالة فيحاء من أدب

وقال يهنىء اخاه الاديب سيدى محمد بن على بولده احمد الذى استاثر الله به صغيرا ، وهو احد القائلين فى هذا الولد اذذاك على العادة الالغية :

تالق وهنا من حماهم واسهدا ... وذكرنى تلك العهود وجددا
بريق سرى من نحو نجد ولمع ... فانعش ما أذوى النوى فتبددا

فبت بليل ارمدى بطول ما ... اقاسى من الوجد المبرح قد بدا
وأصغى الى سجع الحمام لعلها ... اذا سجعت تسلى فؤادا مسهدا
ولكننى ما ان ازيد بسجعها ... سوى مضض اقسى وأنكا وانكدا
لك الله من صب رمته يد النوى ... بسهم غدا بالذكريات مسهدا
فاضحى لقى لم يبق فيه تجلد ... سوى زفرات تستطير تصعدا
وقلب كطير قد أحس باجدل ... اقض بهزة مشارفة الردى
فياليت أحبابى وفوا لى بزورة ... ومدوا باشفاق بوصلهم اليدا
لاسعد منهم مثل ماسعد الورى ... بطلعة نجل قاد سعدا فاسعدا
فبينا أنا ما بين باك ووالله ... أريغ سلوا معوزا أو تجلدا
اذا بتباشير السعود تواردت ... تهنىء بالنجل المبارك احمدا
فابسم ما بين الدموع كأنما ... همى القطرحين الشمس اسبلت الردا
فتغمر انوار السرور جوانحى ... بطلعة هذا البدر انور من بدا
فجاء التسلى بالجديد وطالما ... ينسى نديم بالذى قد تجددا
وليد تبدى بالمفاخر والعلا ... فيجمع ما قد كان منها مبددا
فيغمر آفاق البسيطة ذكره ... فيغدو سريعا متهم الصيت منجدا
تولى اله العرش حفظ مقامه ... وسوى له أوج المراتب مقعدا
وأبقاه بدار نيرا متكاملا ... واسس أوج المجد منه ووطدا

* * *

فياسيدا اربت ماثر فضله ... على العد اذ حاز العلا فتفردا
ليهنك نجل قد اتيحت له العلا ... وريضت له شوس المعالى مؤيدا
فلازال مامونا مصونا بجاه من ... هدى فاهتدت منه القلوب وأرشدا
عليه من الرحمن ازكى تحية ... تدوم دوام الدهر ليس لها مدى

وهذه القصيدة كنت وقفت عليها قبل اليوم ، فكنت أحاول تخميسها ، فوضعت بعض أشطارها ، وبعض أبيات تامة ، ولكن لم يتم ذلك ، واليوم أدخلت فيها ماأعجبنى من ذلك الذى قلته ، ولما بينى وبين صاحب الترجمة من الصحبة الاكيدة ، أردت اليوم أن يمتزج قولانا هكذا حفظ الله لالغ وللأدب آثاره

وذهب مرة صاحب الترجمة الى زيارة الاستاذ شيخنا سيدى الطاهر فكتب ابوه الى شيخنا سيدى محمد بن الطاهر مع رفقائه هذه الرسالة:

«الاخوان الصدور ، ومن على فلك افهامهم دراري الافق العلمي تدور ، قطب الدائرة ، سيدى محمد بن الطاهر بن محمد بن ابراهيم ، وفلان وفلان والجميع بابى مروان ، اصلحكم الله وأصلح بكم، وهداكم الى الطريق المستقيم وجعلنا واياكم من حزبه السليم ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فالاحوال لله الحمد بخير ، ويرد عليكم الولد الابر محمد المدنى ، وقد

أقدره على المشي شوقه وتوقانه ، وانكانضعيفا ، واستشعر بوصولكم سعدا جديدا وقدرا منيفا، وهو بحمد الله كما قيل :

طرفك فى الفضل بعيد المدى طرفك للمجد شديد الطموح

فاقدروا قدره ، وأكرموه بدعاء ينور ويشرح صدره ، فما جزاء منيحب الاانيحب ، والسلام عليكم ورحمة الله ، كتب اليكم الضعيفالراجى كرم مولاه اللطيف ، على بن عبدالله بن صالح الالفى امنه الله»

ثملما رجع الوفد كتب معه شيخنا الاكبر سيدى الطاهر بنمحمد مايلى :

مولاى اوفدت ـفضلاـشبلكالمدنى على فقير غريب نازح الوطن
فجدد الانس مذوافى وانعش مـا اذوى النوى فتبدى مورق الفنن
ورد ماعصفت ايدى الحوادث مـن نشاط فكر طواه الهم مذ زمن
لله منه ذكاء يستطير سنـا ويرتمى فطنا ناهيك من فطن
وهمة لاتنى او تبتنى شرفـا عزمنا لا ويستولى على القنن
وشيمة كنسيم الروض غب حيا وصدق عزم وجد واضح السنن
والله ان النجيب السيد المدنى يحفظه الله لا وان ولابدنى
سجية تلك منه غير محدثـة لكنه قد حواها عن سناء سنى
مولاى دم للعلا تعلى معالمها وللمكـارم توليها وللمـنـن
قرير عين بما خولت من نعم تجنى جناها بلا من ولا ثمن
فانت للدين والدنيا اعز حمى انلم تكن سيدى قطب العلافمن ؟

وعلى سيدى تحية ينصع طيبها ،وينهل صيبها ، من عبد ذاب شوقا ، وضاق بالنوىطوقا ، حنين للتملى منذلك الملجا الاوضا الذى سيقت اليه ركائبالامال سوقا، أدامالله امتداد ظله ، وانفساح فضله ، وكلاءة اهله

(الى ءاخرالرسالة التى نشرت فى ترجمة سيدى ابى القاسم التاجارمونتى فى (الفصل الاول) فى (القسم الرابع)

وفى هذه الوفدة خاطب محمد بن الطاهر المترجم بهذه القصيدة :

بدر الكمال ببرج السعد قد بانا فزال عن افق العلياء مارانـا
بطلعة الشبل شبل المكرماتومن بوصله جـادت الايـام احسانـا
نتيجة الفضل برهان المكارم مفهـ ـوم السيادة روض الفضل ريانا
نجل المشايخ من تبدى نجابته مخايل السبق لاحت فيه عنوانـا
ذاك الفتى المدنى من علا رتبـا فى المجد من دونها كيوان قد كانا
اهلا به نيرا جلى بطلعتـه دجا الهموم بقلب عنه ما بانا
فالله يمنحه فى العلم مرتبة عنها تقاصر عمرو وابن كيسانـا
وفى البيان مقاما لايقوم به عند الفخار البديع وابن خاقانا
ويجعل السر سر الجد فيه وفى اخوته الغر معروفا وعرفانا

بالمصطفى المجتبى صلى عليه كما جرى نسيم الصبافى الروض أردانا
وآله الغر والصحب الكرام ومن كانوا لنصر الهدى والدين أعوانا

هذا ماوقفت عليه مما خاطب به أدباء المدرسة البومروانية المترجم فى وفدته هذه، ولايمكن ـ على ماهى عليه العادة ـ الآن الاديب شيخنا البوزاكارنى والاديب سيدى أحمد بن محمد اليزيدى ، والاديب سيدى داود الرسموكى ، والاديب سيدى محمد بن العسرى التملى ، والاديب سيدى محمد بن على أخا المترجم ، خاطبوه ايضا ولكن لم أتوصل من ذلك الى الان بشىء ، على أن هذا الذى صار الى انما دخل يدى عرضا، لاننا الى الآن لم نجد(١) حرية فى ان نتصل بكل ما نريد لنتمكن من الاستقصاء كما ينبغى أن يكون عليه البحث المستقصى ، لاسيما فى الادبيات التى هى شعار الالفيين ، ومن اليهم أينما حلو اوأين ساروا (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود)

كان المترجم تقع بينه وبين شيخنا الافرانى المذكور مراسلة، بعد تولى شؤون المدرسة ، وكان قطب رحى أهله ، وتحمل ماتحمل ، فكان يبث الشكوى اليه كلما دهمه أمر ما ، ومن ذلك هذه الرسالة التى كتبها اليه يوما وقد لاقى من مركز (تافراوت) ، حيث أقيم فيه اقامة جبرية أياما ، وذلك بعض ما كان يصيبه اذذاك من ضيق وعنت وحرج صدر ، وقد رأى أن ماكان يتمتع به اهله الصالحيون قبله من امتداد اليد ، ووطء العقب ، وطروق الوفود ليل نهار، يتضاءل شيئا فشيئا ، فكتب اليه شيخنا الافرانى يسليه ويدله على أن ملاك الامر مسايرة الوقت ، ومخالقة المجتمع ، اتباعا لحديث (المخالقة نصف العقل) ولحديث (خالق الناس بخلق حسن) الى غيرهما من الكلام النبوى الذى يكثر فى هذا المقام

الرسالة

ازكى السلام على بدر الدجى المدنى سلام دانى الفؤاد نازح الوطن
اشكو النوى وأود لو أطير على جناح شوق لو أن الدهر اسعدنى

ورحمة الله وبركاته ، على من شملته الحضرة ، ورعته النظرة من اخوة وطلبة، وحواش وذوى المحبة ، حفظ الله الجميع

هذا وقد وصلت الرسالة ، والبلاغة المسالة ، من الفكرة السلسالة ، وما شكاه سيدنا من تخلف العبد عن زيارة سدته ، فبشؤم ذنبه ، ونرجو ان يكون الخير فى الحال ، فاختيار العبد فى اختيار مولاه له، فان كان لابد من التدبير، فليدبر أن لايدبر ، وأرجو أن يساعد القدر، فنغنم الزورة بعد العيد، صحبة الولد النجيب حفيدكم المدنى بن محمد ، فقد عزمت ان أزيره اخواله ، ليتبرك بصلة رحمه ، وبنظرة جدته ان شاء الله، وماذكرت من لزوم الولد المتربى بنعمتكم

١) كتب هذا فى المنفى يوم المنع من ملاقاة اى انسان

«احمد» لذلك المحل المبارك فى العواشر ، ليتدارك مافاته، فقدكتبت اليه بذلك وان كان هو طلب خلافه ، ليطمئن قلبه ، فجزاك الله من شيخ ناصح ، ومرشد صالح ، جار على سنن السلف من آل صالح ، ونرجو أن يكون الله قد جمع لك ماتلهف عليه من قال

يالهف نفسى على شيئين لو جمعا عندى لكنت اذن من أسعد البشر
كفاف عيش يقينى ذل مسالة وخدمة العلم حتى ينقضى عمرى

فاشكر النعمة ، وارض بالقسمة ، وانشد بملء فيك على رغم معاديك ومصافيك

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللجهال مال

(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) ولاتنس حظ الفقير المسكين من زكاة دعائك ، لاسيما عند الاضرحة المقدسة ان شاء الله ، والسلام ، وليساير الاخ الدهر وأهله ، ليسلم عرضه ودينه ، فالله يكلأه بجاه النبى الشفيع

وورد المترجم على الامير احمد الهيبة يوما بكردوس للزيارة، فقابله بانشاد هذين البيتين :

لو علمنا مجيئكم لفرشنا مهج القلب مع سواد العيون
وجعلنا من الجفون طريقا ليكون المرور بين الجفون

ومن انشاءات سيدى المدنى ما أجاب به شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ابن عمه عن قطعة

أيها السيد الامام عبيد الله انسان عين كل بيان
قرة العين ذروة المجد مغنى للعلا والعلوم فخر الاوان

وهى أكثر من هذا ، وقصائد المترجم ومقطعاته كثيرة ، وربما نتعرض لذكر بعضها عند كل مناسبة ان شاء الله ، ولنكتف الآن بهذا القدر ، وهناك رسائل وقصائد سبق لى أن كتبت ماوجدته لدى منها ، فى (الجزء) الذى نجز قبل هذا ، من (الالفيات) فيكتفى بذلك (ثم كتبت فى الجزءين الثانى والثالث بعده ماكان بيننا أيضا، وهما تمام الالفيات)

وهذه بطاقة أرسلها الى ، وقد أبت من الغ زائرا ، وتطلبت منه أن يوافينى بما عنده من قصائد أهله ، وتواريخ وقائعهم

«حليمنا الارضى ، العلامة المرتضى ، مغنى الفضل والافضال ، ومركز السيادة والكمال ، والداركة الفهامة ، اللابس من أردية العلم الدرع واللامة ، أبو عبد الله سيدى محمد المختار ، بمحروسة مراكش ، أيد الله مجدكم ، ووطد فخركم وسعدكم ، وسلامه الاتم يغادى ويراوح حضرتكم

هذا وقدبلغني انتظارك لتلك التواريخ والوفيات ، واننى لم‌اهمل ، ولكن اخونا الطاهر أخذ من الناسخ النسخة التى كتبها لى مع ماكتبه‌له ، وقال انه سيرسل اليك الجميع ، فان فعل فذاك ، والا فارسل لننسخ أخرى ، واما القصائد التى أكدت عليها ، فسننسخ منها ماتيسر ، فلانهمل ، لان‌من حرص على اكتساب المعالى وجبت اعانته

كل عز ان لم يوطد بعلم فالى الذل ذات يوم يصير

وقد حفظت لوالدى أبياتا يخاطب بها من يحضه على ترك نعاس الصباح‌وهى

السر فى الصباح من نامه مامولـه بنومـه فـاتـه
انفاسه نـفـائس للحـجـا ياويح مـن ضيع اوقاتـه
العلم قوت الروح هل ممكن يحيا الذى فارق اقواته ؟

وقد اخبرت أنك فى انتظارى لدى الرحيل ، فلم يتيسر الوداع ، كتب فى سرار جمادى الاولى ١٣٥٤

ادبيات بيني وبينه وأنا في الحمراء

كنت كتبت اليه نحو ١٣٤٠ هـ رسالتين على نمط الترسل القديم ، فامـا احداهما فتحققت اننى أرسلتها اليه من مراكش ، وفيها القصيدة الجيميـة، ولكنه اخبرنى بعدم توصله بها اذذاك ، وهذا من الغرائب ، واما الثانية فقد وجدت عندى منهانسخة ، ولاادرى هل أرسلتها اليه ثم لم‌تصل اليـه أيضا أولم أرسلها ؟ فاما الرسالة الاولى فهى مكتوبة فى كناشة لاتزال بين‌الاوراق التى بالحمراء ، ويالليتنى كنت ازاءها هناك ، واما الثانية فهاهى ذى‌فى‌محفظة بين الاوراق التى تغربت مثل عن‌ذلك المقام السعيد ، فآه آه آه على فراقنا لذلك المقام‌السعيد فلننشرها فانها كنموذج من ترسلى فى اعوام ١٣٣٠ هـ حين كنت لاازال مكبا على (نفح‌الطيب) و (قلائدالعقيان) و (المطمح) و (ريحانـة الالباء) و (ديوان‌الصبابة) و (خزانة الادب) لابن حجة الحموى وهى

سلام من النسرين أذكى وأعرف الى من عرفت القلب منه ويعرف
سلام أخ قد فارق الاخوة الالى فؤادى أراه بعدهم يتقصـف
بنى الغ هـل ذاك النسيم معرف كعهدى به أو هوفى اليوم اعرف؟
وهل‌زهرات الروض يسطع طيبها صباحامتى يغدى‌الى‌الروض تقطف؟
كما قدغدت اذنحن فى ضمن اخوة اجلاء كل نحو خدنه يعطـف

الفقيه الكبير سيدى المدنى ، الذى له على كل أقرانه مقام سنى ، من لايساجله عمروبن‌عثمان فى النحويات ، ولايجاريه عمرو بن بحر فى الادبيات ، مـن

اذا أرعف القلم بالنقس (١)رأيت كيف ينتظم الجوهر فى الطرس، فما ابن بسام اذا سجع ، وما الفتح اذا ملأ أكواب النثر وأترع ، الناس كلهم له من الخدم ،منذ بايعه على الولاء القلم ، الفقيه اللوذعى ، والفصيح الذى اذا تكلم سحبان أمام كلامه فهو كله حصر وعى، علامة العلماء ، وقدوة الشعراء ، من اذا جال فـــى النظام ، فضح اباتمام ، واذا جال فى الحكم والمعانى بالشفتين ، استحيا من الوقوف امامه ابن الحسين ، وقال مالى بمباراة هذا من يدين ، وان لمـح بيانه فى القريض البحترى ، نفض يديه من انتحال الشعر ، وقال اننى من هذا الفن برى

أما بعد ، فياسيدى اننى فارقتكم كالمفارقة التى قال فيها ابن عنين اذخرج من دمشق باكى العينين

فارقتها لاعن رضا وهجرتها لا عن قلى ورحلت لامتخيرا

وبودى أن لاأفارق أيها الادباء مجالسكم الحافلة ، لكى استفيد دائما من كل نوع من العلوم مسائله ، ولكننى لست بمختار ، وان سميت بالمختار ، فما اقصر تلك الايام التى قضيتها عندكم نتهادى بالادب ، ونترشف الفوائد ، فكأنما نترشف ابنة العنب ، فهاأناذا وحدى الآن هنا فى هذه المدرسة اليوسفية التى لايملاها الا طلبة من الاعراب ، وليس منهم من يعرف ولو كلمة من الاداب،فقد كادت فكرتى بعدكم تصدى ، حين لم يجد لسانى من يذاكره فى الادب سواء قصد تهامة او نجدا • وان كانواكلهم أفاضل • محصلين للعلوم الاخرى حتى برزوا فى المحافل

أصبحت فيمن لهم دين بلاأدب ومن لهم أدب عار من الدين

أصبحت فيهم غريب الشكل منفردا كبيت حسان فى ديوان سحنون

وقد خطر لى ان ارجع الى سوس تماما ، واقول لهؤلاء الاعراب سلاما سلامـا فادع الله لى ياأخى بالتيسير ، فالله هو الذى يسر كل عسير ، وسلم على كل من معكم ، كل واحد باسمه ورسمه ، وقل له ذلك عنى ، وحيه مواجهة وسمه

هذه هى الرسالة التى أقف ازاءها ، كما يقف كل قارىء مفكر ، وانعجب كيف كنت فى هذا المقام فى الترسل ، ثم استطعت أن انفلت من احبولته ، وأن أمشى مستويا، فالحمد لله الذى هدانا لهذا ، وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، والذى ذكر فى الرسالة من العزم على الانقطاع الى سوس كانت فكرة خطرت لى نحو ١٣٤٠ هـ وكنت نويت ان القى رحلى عند الاستاذ سيدى المحفوظ الادوزى ولكن وقف أمامى شيخى سيدى سعيد التنانى رحمه الله ، كما سترى الالمام بذلك فى ترجمته ان شاء الله ، قائلا لاهالله ، لاتعود بعدالى تلك المـدارس ،

---

١) النقس بكسر فسكون المداد

فترتطم ثانيا فى اخلاقها ، بعد مافرحنا حين تملصت من نطاقها ، فهذه فاس بل مصر انلم تعجبك الحمراء ، ثمذكر الحديث «اللهم اتم لاصحاب هجرتهم، ولاتردهم على أعقابهم»

وهذه الرسالة الغية حقا ، الغية المنزع ، الغية المبنى ، الغية التركيب، وقد كتبت من الغى الى الغى ، ممن يشتاق اذذاك الى الغ ، ويهيم بالغ ، ثم هاهى ذى اليوم تبعث فى الغ فى تاريخ الغ (واهل وزان يفعلون فى وزانهم ما شاءوا) كماهو المثل السائر فى الحواضر ، فلم اذكر انى قراتها قط، ونحن فى الحمراء ، اذنحن فى الحمراء على السبع الطباق

آمنت بالدهر وتصريفه ... وانه يلعب بالمرء
آليت اغتر بعيد بما ... اسمعه منه وبالمرنى

(ثم اننى توصلت بعد كتب ماتقدم بتلك الرسالة المتقدمة ، فرايت ان اثبتها ازاء اختها ، لانها الغية ايضا ، ذوقا وصناعة ونسجا ، فوجب انتكون على ماهى عليه فى تاريخ الغ ، والاضاعت ، ونصها :

عصر بتيجان البهاء متوج ... عصر باعلام الوصال مدبج
عصر نضير به الصداقة بيننا ... ونفوسنا فى جوها تتارج
ونجول فى روض الوصال وما له ... الا التصافى سوسن وبنفسج
تومى الى بدر المزار يد المنى ... فيبين عن كثب له متبلج
قد مد الغ لنا ظلال سعادة ... ما مدها لابى عبادة منبج (١)
ويد لنا سعد به نلنا الذى ... قد ناله اوس به والخزرج (٢)
والكاس دائرة بكف معذر ... للعين فى وجناته متفرج
تذر العقول طوائرا لاسيما ... لما غدت بجنى المباسم تمزج
فكانها وحبابها متنظما ... ملك لدى ايوانه متتوج
وكان ردف مديرها متهايلا ... فى بردتيه غطمطم يتموج
وكان قامته على بان الحمى ... قد قاسها مستنبط مستخرج
وكان شعر عذاره من خده ... طرد الى حرف الصحيفة تخرج
وكان جوهر ثغره متناسقا ... شعر الذى هو للبيان نموذج
السيد المدنى آدب من له ... شغل بتوشية القريض وملهج
من فكره ياتى بنظم وشيه ... اعلى من الوشى اليمان وابهج
ابدت قصائد للعقول صوائدا ... كالروض يعجب والنوافح تارج

---

١) وهو البحترى وله فى منبج ابيات
٢) فيه الاستخدام بين السعد المعروف وبين سعد بن عبادة الخزرجى وسعد ابن معاذ الاوسى ولذلك فى الادب القديم حلاوة

من كل معنى كالنسائم رقة نفحاتها حاجات من يستارج
أو كل لفظ كالحديقة بهجة رضيت به آمال من يستبهج
طرف الفصاحة والبلاغة ملجم ببيانه الطامى البحار ومسرج
فاذا أفاض بديهة من قوله فالوائل أمامه متلجلج
أو اذا وشى قرطاسه ببراعه فابن العميد على حياء يدرج

* * *

ياسادتي عذرا وان قصرت فى قول فانى فى الفهاهة مدرج
من كان فى بحر التغرب راسبا مثل فدون مناه باب مرتج
تتسابق العبرات فى خدى وفى كبدى أوارئاره تتاجج
تتناهب الجلاس جوهر مدمعى أو للجواهر فى المدامع مخرج ؟
والله أسال أن يكون بفضله من سجن هذا الاغتراب المخرج

صاحبنا السنى ، سيدى المدني ، المتفرع عن قوم ، جلوا عن سوم، سادوا بالسعد لا بالجهد ، وبالبخت لابالتخت ، وبالعزة لا بالبزة ، وبالشرف لا بالترف ، وبالكظم ، لابالعظم ، وبصفاء السريرة ، لابكثرة العشيرة؛ وبالتخشع؛ لا بالترفع ؛ وبالاحكام ، لا بلبس اللام ، وبالاقلام ، لابضرب الهام ، وبالدفاتر لا بالسيف الباتر ؛ وبالفصاحة ، لا بالوقاحة ، وبالقول الفصل ، لابجرد الاصل وبالجد ، لا بالجد ، وبالحسب ، لابالنسب ، انتسقوا فى المعالى ؛ كاللآلى ؛ وعبقوا من المراتب العوالى ؛ كالغوالى ، واقتعدوا صهوات العلوم ، برقائق الفهوم ، فشيدوا قصورها ، وشادوا دورها ، وأطلعوا بدورها ، وحلوا نحورها وأزخروا بحورها ، وشرحوا صدورها ، وأناروا عصورها ، بابحاث رقيقة لم تترك مقالا لقائل ، ولاسؤالا لسائل

ابنى على أن ما اوتيتم عجز اليراع لدى عن تبيينه
حتى عجبت وحق لى من حمق من فى عده اجتهدوا وفى تدوينه
أولستم كنز العلوم ؟ ومن يفز بكم تقر عيونه من حينه
أولستم اديتم لنزيلكم فرض الجدا فى الحين مع مسنونه؟
فبقيتم ابنى العلا فسنوكم انست لنا نجدا وذكر سنينه

هذا وأنهى الى الحضرة المدنية ان الاشواق فى الافئدة ، وفى الجوانح المحجوبة مشبوبة متقدة ، بتذكر مامر من العيش المخضر ، وما مضى من الوصل الرضى المفتر ، اذنتهادى فى ساحات الصفو، ونتهادى كؤوس اللهو

سران فى خاطر الظلماء يكتمنا حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

يوم انشرح بنا صدر اللوى ، وغيض العدا من تساقينا الهوى ، فياله من زمان به تؤرخ المسرات، ومن عصر أيامه فى وجنات أعمارنا شامات

سيدى ، ليت شعرى كيف ذلك الاخاء المتأكد فيماقبل ، وروض الوداد

الذى صاب فيه من مصافاتنا الوبل ، احى فيرجى ، ام ميت فيسجى ؟ اواذبل زهره التغير بالناى اذاطالما غيرالناى المحبين، واغاض بحره التنائى ، وقلما يبقى على فيضه مع البين وداد المتنائين ، لكنك ان تغيرت ولاأظنك ، ففيرى خدنك، أوعفت رسوم صفائك ، فقد حدت عن سنن وفائك ، وعلى كل حال،فتغير ودى أنا من المحال ، بل يتزايد على كر الجديدين ويتجدد، ويتطاول باعه ويتمدد ، وغدا يظهر الصادقون من المتصادقين ، والذائقون طعم، الوداد من المتذائقين

سيدى ماأطول هذا البين الجائر ، والارواح بالاشواق قد بلغت الحناجر، فكم مرة جزمنا على رفع حجابه المنصوب بين المحب والمحبوب ، فيابى الله الا ماراد ، من عكس المراد ، قرب الله لناكل المنى ، وأنال كل متمن ماتمنى؟

انتهت الرسالة التى كتبها مختار ذلك العصر ، المولع اذذاك بكتاب (الفتح القسى) وامثاله من الكتب المسجعة ، على ان الادب أدب كيفما كان لونه

أخبار أخرى عن المترجم

اقترن صاحب الترجمة بعدوفاة والده سنة ١٣٥١ هـ فولد له ولد سماه أحمد فى ـ١٣ـ ذى الحجة ١٣٥٤ هـ فرفعت اليه على العادة قصائد كثيرة فى تهنئته بالرائد الميمون، فمن بين من هناه الشاعر الفحل محمد سالم الشنقيطى ثم الالغى ، وسيدى عبد الله بن محمد شيخنا ، فاجابهما بقطعة اولها :

اتى فاطبانى مزدر بازاهر بروض وسيم غب سح مواطر

ونختم هذه الترجمة بجواب له ، حول لفظة ذات بمعنى الحقيقة ما جمعها؟ وما أصلها؟ وهو جواب عن سؤال رفعه اليه شيخنا سيدى عبدالله بن محمد ابن عمه

الا أيها المولى الامام ومن له علو على هام المعالى بلا نكر
آتى من جنابكم سؤال تجوبه بلاغة نظم كالقلادة من در
تسائل عن أصل لذات وجمعها مرادفة للنفس فى كل ما يجرى
ألا فاعلمن والعلم خير ذخيرة وأفضل ما يحدو الرجال الى البر
بأن الذى اعطاه نص محقق عليم بسر العلم فى الورد والصدر
جواز لجمعها بجمع مؤنث سليم من التكسير فى السر والجهر
وتعويض تائها عن اللام اذ غدت بحذف لها شبه النظائر فى الذكر
فلام لها واو وعين لها كذا على حمل وزنها اذا كنت ذا خبر
وقد قيل معناها كمعنى حقيقة ونفس لدى أهل اللغى صاحبى الخبر
ولكن اذا اطلاقهم فى اصطلاحهم فروعى والمعروف عكسه فلتدر
فمنى على مغناك ازكى تحية يفوق شذاها ماتفتح من زهر

هذا وسلام كاللطيمة ، اوكالديمة ، ينتاب جناب الشيخ الاصعد ، والصدر الاوحد ، أبي‌محمد سيدى عبد الله بن محمد

وبعد ، فالظاهر من ذات بالمعنى المسؤول عنه ، انها معتلة العين واللام‌بالواو، وان‌التاء فيها عوض عن‌اللام كامثالها ، على‌أن‌بعضهم قال انها بالمعنى المذكور، لاتستعمل لغة ، انما هي ذات بمعنى صاحبة ، ولعل ذلك هو السبب في عدم ذكر القاموس لها ، والمحشي ، وهذا الذى اجبنابه ذكره الموضح مع المصرح، صدر باب النسب ، حين قال وقول العامة ، وقول الاصوليين خليفتي وذاتي لحن من‌وجهين ، فليراجع ، واخيرا أقول ما المسؤول باعلم من السائل والسلام»

اتيت بهذا النظم الذى فى هذا الجواب على مافيه تغليبا للاستفادة والقراء الذين لايرتاحون للفوائد أمثال هذه ، نطلب منهم ان‌يتخطوا هذه الصفحة ، فنبقى مع حضراتهم فى مسالمة ، لايواخذوننا ولانواخذهم ، والحامل لى على سوق هذه الفائدة اننى تذكرت اننى فى نحو ١٣٥٣ هـ كنت فى الجديدة مع‌الاساتذة المراكشيين ، سيدى عبدالجليل بن القزيز ، وسيدى محمد بن عثمان‌السفيوى وسيدى أحمد بن الفاضل ، فاستدعانا الفقيه سيدى ادريس مقدم الطريقة التيجانية ، فتغدينا عنده ، وقد حضر معنا الفقيهان ، سيدى الخطاب ، والسيد الريفى ، فجرت المذاكرة فى هذه الكلمة واصلها، فتوقفنا فيها جميعا ،فراجعنا القاموس ومحشيه ، فاعوزنا مانتطلب ، فبقينا فى حيرة، واليوم وجدت‌الالفيين قد اهتدوا الى كلام الموضح والمصرح ، فى حين اننا‌اذذاك لم يستحضر واحدمنا اذذاك مكان‌مراجعة الكلمة ، فهل يتقبل علماء مراكش الجدد ، وعلماء الجديدة الفائدة هذه من‌أيدى الالفيين الكرام ؟

كان المترجم منذ صغره مناط رجاء والديه ، الاستاذ على بن عبدالله ، والسيدة نفيسة بنت الشيخ‌سيدى المدنى الناصرى ، وقدحرصا منذ أن‌دب‌بين يديهما أن‌لايفلتا دعوة كل من‌يرجى منه استجابة الدعوة من أهل الخير ، فقد حدثتنى اختى فاطمة عن‌أمه السيدة نفيسة أن زوجها الاستاذ دخل عليها يوما، وامرها أن تنظف الولد ، وتلبسه أحسن لباسه ، فأخرجه الى الشيخ الالفى وهو فى ثوى الدار ، قالت فنويت أن‌يدعوله الشيخ أن‌يكون قطب عصره،ليرث من‌ارث جده‌الشيخ المدنى ، الاان‌أباه لمارجع به ، قال‌ان‌الشيخ‌دعاله ان‌يكون عالما كبيرا ، فمضى ما مضى، فاذا بالولد استحال عالما يخوض فى فنون العلوم ، فكان ذلك نصيبه وحده ، وقدأصيب باحدى عينيه ، وهولايزال شابا فرهدا ، وكذلك‌صحته ، يلم‌بها ضعف ، ولم يكتسب صحة الالفيين ، ولذلك لم يعمر تعميراهله ، فمات دون الشيخوخة

الآخذون عنه

من الآخذين عن والده من اخذوا ايضا عن ولده هذا مترجمنا اليوم، وقد كتب الى بعض المطلعين قائمتهم ، وغالبهم لا أعرفهم ، وسادرج القائمة كما جاءتني ، وعند تراجمهم في (القسم الرابع) ان شاء الله ساتحرى فيهم جهدى فلا اذكر الا من ادرك انه على شرط الكتاب

الالغيون

١) سيدى الطاهر بن على اخو المترجم
٢) سيدى الحسن بن على اخوه ايضا
٣) سيدى عبد الله أخوهم
٤) سيدى احمد بن محمد التهالى
٥) سيدى محمد بن عبد الله الزاوى
٦) سيدى محمد بن عمر الصالحى
٧) سيدى احمد بن عمر أخوه
٨) سيدى محمد بن ناصر الزاوى
٩) سيدى محمد بن الحاج بلقاسم
١٠) سيدى الحسين بن الحاج الزاوى
١١) سيدى محمد بن أحمد السليمانى
١٢) سيدى ابراهيم بن الحسن السليمانى
١٣) سيدى احمد بن محمد السليمانى

التاكپانزيون

١٤) سيدى الحاج الحسين بن صالح
١٥) سيدى صالح بن مبارك
١٦) سيدى ابراهيم بن أحمد

الايغشانيون

١٧) سيدى احمد بن الحسن البنانى
١٨) سيدى محمد بن الحسن اخوه

الوَفقَاويون

١٩) سيدى عبد الله بن احمد الكليزى
٢٠) سيدى مبارك بن احمد
٢١) سيدى على بن عبد الله المستلاتى
٢٢) سيدى صالح بن احمد

السملاليون

٢٣) سيدى محمد بن سعيد الاعضياوى
٢٤) سيدى محمد بن محمد الوليلى
٢٥) سيدى عبد الله الوليلى
٢٦) سيدى محمد الدروش الزيمامى
٢٧) سيدى المحفوظ الزيمامى
٢٨) سيدى محمد بن احمد الوجيى

الكَبرسيفيون

٢٩) سيدى الحاج بلقاسم بن عبد الله
٣٠) سيدى احمد بن عبد الله
٣١) سيدى شعيب بن اسمعيل
٣٢) سيدى احمد بن الحسن
٣٣) سيدى عمر بن عبدالله
٣٤) سيدى محمد بن عبدالله الاسكاورى

اليزيديون الايسيون

٣٥) سيدى احمد بن المكى
٣٦) سيدى محمد أخوه
٣٧) سيدى عبد الله اخوهما
٣٨) سيدى عبدالرحمن بن محمد
٣٩) سيدى عبد الله بن محمد

التملِيون

٤٠) سيدى ابراهيم بن محمد الايفالتى

السامانارتيون ومن إليهم

٤١) سيدى محمد بن الحسن الايموكاديرى
٤٢) سيدى ابراهيم بن الحسن أخوه
٤٣) سيدى محمد بن عبدالله الاموكديرى
٤٤) سيدى الهاشم بن الحسين من هناك
٤٥) سيدى الحسن بن المدنى من هناك
٤٦) سيدى عبدالله بن محمد الساموكنى
٤٧) سيدى محمد بن ابراهيم الساموكنى
٤٨) سيدى محمد بن احمد الساموكنى

المجاطيون

٤٩) سيدى المحفوظ بن محمد الابفرى
٥٠) سيدى المدنى بن احمد ابن أخيه
٥١) سيدى بوبكر بن يحيا التاجارمنتى
٥٢) سيدى محمد بن محمد بلانهمو

الافرانيون

٥٣) سيدى المهدى بن البشير الناصرى
٥٤) سيدى بلغير بن محمد الامسراوى
٥٥) سيدى سعيد الاساكى
٥٦) سيدى احمد بن الطاهر
٥٧) سيدى الحسن التاعرابتى
٥٨) سيدى احمد بن محمد اخوه

الباعمرانيون والساحليون ومن إليهم

٥٩) سيدى احمد بن زكريا التادرارتى
٦٠) سيدى محمد بن زكريا أخوه
٦١) سيدى محمد بن مبارك الايكسلى خالهما
٦٢) سيدى على بن ابراهيم الاخصاصى العلوى
٦٣) سيدى محمد بن محمد البيشوارينى الساحلى
٦٤) سيدى احمد بن محمد أخوه

الجراريون

٦٥) سيدى انطاهر بن الحبيب السكرادى
٦٦) سيدى عمر بن محمد السكرادى

التزنتيون

٦٧) سيدى محمد بن الحسن التزنيتى الساموكنى

البَعقيليون

٦٨) سيدى الطاهر بن العربى الادوزى
٦٩) سيدى احمد بن سعيد الاكمارى
٧٠) سيدى محمد أخوه
٧١) سيدى عبد الله بن احمد الاكمارى
٧٢) سيدى محمد بن ابراهيم الاكمارى
٧٣) سيدى ابراهيم بن الطيب الاكمارى
٧٤) سيدى محمد بن خالد الافلاوكنسى
٧٥) سيدى ابراهيم اخوه

الرَّسْمُوكِيون

٧٦) سيدى احمد بن محمد الرسموكى

الغرباء عن سوس

٧٧) سيدى احمد بن محمد الجبلى

وفاته ومراثيه

فى يوم من الايام دهم على نعى الاستاذ وأنا فى الحمراء ، كما استقررت فيها ، ولم يطل عهدى بمساجلته ، يوم فصلت عن الغ باهلى ، حوالى مفتتح ١٣٦٥هـ فقد كنت قلت للالغيين حين اودعهم قطعة مطلعها :

وداعا بنى الغ الكرام وداعا وان طار قلبى بالوداع شعاعا

فاجابنى رحمه‌الله برسالة ، توجد مع تمام هذه القطعة فى مختتم الجزء الثالث من كتاب (الالغيات)

وصلنى نعيه فلاتسل عن‌وقع ذلك منى ، ولم‌أبك‌منه الارجل المعارف

وقطب المدرسة ، ومضياف الخ ، فلولا انالرجاء فى اخوانه كان كبيرا ، لانشقت المرارة عليه أسفا ، ثم توصلت من أخيهلابيه ، سيدىمحمد بن على بهذهالمرثية:

بانوا وما ودعوا فخلفوا كمدا شوى وانحل منا القلب والجسدا
رحيلهم أسكن الاسقام فى كبدى منلى باطفاء حزن جمره وقدا
ياعجبا كيف ينسون أخا حرق لم ينس قط عهودهم وان طردا
فكيف عيش الفتى غضا اذا فقدت أترابه وهو يبغى عيشه رغدا
كيف الحياة وهذا السيد المدنى نجل على قضى ووجهه فقدا
من لى به من فقيه أيد ندس أمام منقدهدى فى الدين اورشدا
من لى به من أديب مصقع حذق يفرى فرى كمى لابس زردا
من لى به من أديب مفلق خضر مخلف ايعاده واف بما وعدا
من لى به من محقق اذا ذكرت أبحاث قوم فبحثه غدا السندا
منشب يقرى الى دب بمدرسة يروى الالى صدروا عنها ومن وردا
فان بدت أزمة وبددت زمرا فهو على الدرس مقرنا وقد صمدا
فياله من كريم داره قصدت شرقا وغربا فلا يجفو بها احدا
بنى على فصبرا ان ذاعمم فى كل خلق وان طفى وان حشدا
فالله يرحمه فضلا وينهلـه بمقعد الصدق مأواه مع الشهدا
بجاه اشرف خلق الله كلهم صلى عليه صلاة فاتت العددا

وقال شيخنا سيدى عبدالله بن محمد الالغى

ياعين جودى بدمع مطرد كالقرى
منسجم كانسجام تهطال جود الولى
لفقد مولى الموالى خدن الصفاء الولى
من بذ فى المجد سبقا الاريحى الابى
قائد شوس المعالى السيد الالمعى
امامنا ابن امام المدنى بن على
من ذا يقوم مقاما قد قام بالمدنى
ومن لمجلس درس ومن لذاك الندى
لقد قضى الدرس لما قضى وحق العلى
تركتنى يا ابن عمى (لحا) بقلب شجى
عليك منى سلام يذكو بعرف شذى
فيابنى الغ صبرا لرزء فد جلى
ونسئل الله عفوا له بلطف خفى
وان يكون شهيدا من حزب ءال النبى
عليه أزكى سلام مطرد كالقرى

وقال ايضا

لقد اصبنا بموت السيد المدني ... فذ المعالى ابى النفس غير دنـى
لئن مضى ما مضت من بعده جـدة ... تفتت القلب والاحشاء من حزن
يعتادنى كل حين طيفه فجفا ... جفنى القريح لذيذ النوم والوسن
قد كنت جارى بيت بيت لا احد ... ارعى لحق الجوار منك بالحسن
حفظت عهدى فما نالتن قارصة ... منك ولا بادرات الغيظ والاحن
وانت جار ابى دؤاد لى كرمـا ... بل ابن شور لما اسديت من منـن
ماانس لاانس منك كل صالحـة ... كيف وانت سمير الروح لم تشن
ان العلا ايم والدرس ذويتم ... ياخير بعل ويا خير اب ففنى
تسلبت واحدت كل غانيـــة ... من المكارم مذ ادرجت فى كفن
عفت مدارس علم منك واندرست ... اعلا مها طامسات ايها المدنى
ان مت حسا فما معنى تموت ولـ ... ـكن خلقك الفذ يحيى غابرالزمن
لكن يخفف بعض الحزن اخوتك الا ... علون مـن طاهر والسيد الحسن
قدست من عالم علت مراتبه ... ومن بليغ فصيح من ذوى اللسن
فالموت لا ملجأ منه لكل أخى ... نفس وان عاش ماقد شاودى بدن
والموت لم ينج منه ذو الحياة وان ... نال من العز مانال ابن ذى يـزن
والموت فرض فلا مقر منه فكن ... معد زاد التقى فى السر والعلن
انهى اليك سلاما طيبا ارجا ... وكنت فى منزه من جنة العدن (١)

وقال الاديب سيدى الحسن بن على فى ذلك :

من للمجادة بعد السيد المدنى ... من للمكارم من للعلم والوطن
من للارامل ان عرتهم نـوب ... بعد فقيد العلا والروح والبدن
أودى فقامت بمن اودى قيامتنـا ... وانهل سحب الاسى والغم والحزن
واظلم الجو مذ غابت مشارقه ... تنحو رحيم الورى فى النعش والكفن
بان فبان جميل الصبر يتبعـه ... وغاض ماء المنى فى السر والعلن
بان فخلف اكبادا محـرقـة ... فمن يعاتبنى فالوقر فى الاذن
خلف افئدة حوت على كمد ... من اخوة فقدوا عونا على الزمـــن
جلت مئاثره لكن مصيبـتـه ... تمنعنى عد مايحويه من منن

وقال الاستاذ الاديب سيدى احمد بن الحسن البنائى

الدهر ذو عجب اما ترى فرحا ... يوما من الدهر كم يبديه من حزن
اليس من عجب يوما ترى احدا ... فى غبطة وغدا تراه فى كفن
قد كان ممن اجاب اذن خالقه ... على هدى قائد العلياء بالرسن
مات الكمال ومات البحث واندرس الـ ... ـتدريس حقا لفقد سيدى المدنى
هو المحقق لايدع مسألـــة ... الا ووضحها توضيح ذى لسن

---

١) يعنى جنة عدن بفتح فسكون

هو فتى كامل علامة فـطـن ... وهو المحلى بخير خلق حسن
يهش للضيف وقت ما أتاه كما ... بفعله القطب شيخنا ابو الحسن
عليهما رحمات الله ما سجعت ... ورق الحمام على لدن من الغصـن
فمن لبث العلوم اليـوم يعلـن تر ... حيب الضيوف ومن ومن ومن ومن
ياعين سحى لفقد سيدى المدنـى ... وافرغى قانئا من دمعك الهتن
بواه اللـه ءامـيـن بجثته ... وهو الغفور الرحيم الرب ذو المنن
صبرا بنى المجدان الموت مسلك من ... يحيا فسيان مرفوع الورى ودنى
أين النبى ءادم واين سيدنا ... نوح وتبعهم وايـن ذويـزن
ان الالى قد قضوا سننهم ابدا ... بث العلوم فنعم خير ما سنـن
الحمد لله فيكم الكفاية والـ ... ـدهر يساعدكم فى السر والعلن

ثم قلت اناشبه مرثيه وهاكها

أتفقد الغ خير أفذاذها أيضا ... فأى دموع لاتفيض له فيضا ؟
مصاب بالغ صوحت بسمومه ... اجل نظرات هل تحس به روضا؟
أفى كل يوم يفعل الموت فعله ... فنبقى حيارى لاسماء ولا ارضا ؟
أيزخر جهل الجاهلين وقد غدت ... تغيض بحور من فطاحلنا غيضا ؟
فما الغ الا علمه فاذا أنطـوى ... فقد انطوت منه صحيفته البيضا
بنو صالح هم لب الغ وركنه ... فان صالحى رض فالمجد قد رضا
هم المجد كل المجد فيه فهل ترى ... لغيرهم فى مجد الغ ولـو بعضا ؟
فهذا عميد العلم منهم مضى فهل ... لنا فى سواهم من يرى علمه غضا؟
مضى المدنى الفذ فليبكه الندى ... وكل الذى أدى له النفل والفرضا
فهل بعده من أهله من عشيرة ... تعض على ماكان من ارثها عضا ؟

قولة ابن الحبيب فيه

قال فى ترجمة والده على بن عبدالله انله اولادا اجلاء فقهاء مذكورين «أكبرهم المولى الاجل ، الفقيه الاكمل ، سيدى المدنى بن على ، اخذ عن ابيه المذكور ، وعن أعيان بلده، واستولى على كرسى أبيه فى التدريس ، بلاضرر ولا تعبيس ، وقد وفد مرة على القائد عياد الجرارى ، وعنده وقع التعارف بيننا، فوجدته طيب الاخلاق ، حسن الادب ، حافظا لغريب اللغة وغوامضها، فنه الادب واللغة والعربية ، حفاظ لقصائد اهل العصر ونوادرهم ، لايمل مجلسه، وهو الى الآن لزم بلده ، وعمارة مدرسته بانواع الانصبة ، ولم يقصر جهده فى نشر العلم وتلقينه لطالبه ، عادة والده المقدس بكرم الله مع باقى اخوته ليلا ونهارا

(شنشنة أعرفها من أخزم)

توفى رحمه الله فى جمادى الثانية ، عام خمسة وستين وثلاثمائة والـف ، ببلده ، رحمه الله ورضى عنه «امين»

اقول انه ليس باكبر اخوته كما توهمه هذا المؤرخ ، بل ان محمد بن على الاديب الكبير أسن منه ، كما سترى ذلك ، فى ترجمته قريبا ان شاء الله

نجز (الفصل الاول) من (القسم الاول)

ويليه إن شاء الله (الفصل الثاني)

وهو تمـام هذا الجزء

بعون الله

الفصل الثانى

من

القسم الاول

ويتضمن ذكر الاحياء من ١٣٧٥ هـ

وهاك اسماء من فى (الفصل)

سيدى عبد الله بن محمد الصالحى
سيدى محمد بن على الصالحى
سيدى الطاهر بن على الصالحى
سيدى الحسن بن على الصالحى
سيدى صالح بن عبد الله الصالحى
سيدى أحمد بن عمر الصالحى
سيدى محمد بن ناصر الزاوى
سيدى محمد بن الحاج بلقاسم الزاوى
سيدى محمد بن عبدالله المدعو الشيخ موح الزاوى
سيدى محمد الخليفة ابن الشيخ الالغى السعيدى
سيدى عبد الله ابن الشيخ الالغى السعيدى
سيدى عبد الرحمن ابن الشيخ الالغى السعيدى
سيدى ابراهيم ابن الشيخ الالغى السعيدى
سيدى الحسن بن احمد ابن الشيخ الالغى الاستاذ
سيدى عبدالسلام بن احمد ابن الشيخ الالغى الاستاذ
سيدى محمد بن احمد بن صالح السعيدى القاضى
سيدى ابراهيم بن احمد بن صالح السعيدى الاستاذ
سيدى عبدالله بن ابراهيم السعيدى الاستاذ
سيدى بلقاسم بن محمد السليمانى الاستاذ
سيدى محمد بن احمد بن ابراهيم السعيدى
سيدى محمد بن احمد السليمانى الاستاذ
سيدى ابراهيم بن الحسن السليمانى الاستاذ
سيدى عبد الله بن مسعود التيبيوتى الاستاذ
سيدى أحمد بن مسعود التيبيوتى الاستاذ
سيدى عبد الحميد ابن الشيخ الالغى الرئيس
سيدى عبد الله بن اليزيد التاهالى الرئيس

شيخنا الاستاذ عبد الله بن محمد

-٢- صفر - ١٢٩٨ هـ = حـــى

نسبـه :

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن صالح بن عبدالله بن صالح بن احـمـد ابن عبدالله بن سعيد

اذا قال ابن انطمحان من الشعراء القدماء فى قومه هذه الابيات الخالدة

وانى من القوم الذين هم هم ... اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما راح كوكب ... بدا كوكب تاوى اليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههـم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
ومازال منهم حيث كانوا مسود ... تسير المنايا حيث سارت كتائبه

فانى فى هذه السلالة الصالحية التى ارتشفت اول رشفة من العلوم عـــلى شيخنا هذا الذى هو منها اليوم بمنزلة الهامة من الرأس ، أقول هذه الابيات ، وان لم تكن مثل تلك ، فانى يدرك الظالع شاو الضليع ؟

بنو صالح بنو المعالى وفضلهم ... باحراز مجد العلم والادب الغض
كنوزهم جمعاء بين علومهـم ... فظلوا عليها بالنواجد فى العض
تراهم كأن كانوا من العلم فى السما ... وغيرهم من ءال الغ على الارض
شبابهم فى العلم والشيب مثل ما ... تفتح أصناف الزهور من الروض
فمن تلق منهم تلق فكرا ومبحثـا ... وذهنا سريعا مثل أجدل منقض
اذا مامضى منهم همام تمخضوا ... عن ءاخر مرهوب الظبا صارم منضى
فيقبل والتدريس يخفق بنده ... ويدبر فى ميدانه بالذى يرضى
فهم سيف الغ المشرفى وذكره ... فشهر فى طول البلاد وفى العرض
فما الغ لولا علمهم غير مجهـل ... متى شام منه الطرف يسرع الى الغمض
ولكنه روض أريض وجنـة ... بها كل ما تشهاه من زهر غض
من ءاثار ما يسقونه من قرائح ... تثج بأمواج الترسل والقرض
«فما زيـن الارجـاء الا رجـالها» ... والا فما أرض باشرف من أرض(١)

---

١) اصل البيت
فمازين الارجاء الا رجـالها ... والا فما ترب باشرف من ترب

تلك هى الاسرة الصالحية المباركة ، التى هى فى العلوم كسلسلة منذهب كلما مضتحلقة تتبعها حلقة أخرى على غرارها ، فقد شاهدنا من الاستاذ الكبير والد شيخنا هذا فحلا لايقدع انفه ، ويعبوبا لايشق غباره، ورأينا من الاستاذ الاديب على بن عبدالله عم صاحبنا هذا ، كذلك سباق غايات ،وصاحب ءايات، ثمجاء الدور الثالث بشيخنا هذا ، فكان خير نتيجة لتلك المقدمات ، ممخوض الوطب ،مصفى الراح ، مسدد السهم ، مجلو النصل ، كأنما خلق للمعالى كما اقترحت ، ولابحاث المعارف كما شاءت ، فنشأ كما ينشأالخيزران فىروض خضل وارف الظلال ، متدفق المذانب ، قد اخذمن كل مايتقوم بهقوام المدن ، فتراه من عهداتصاله بالعلوم متى تناول البحث أمامه مسالة عويصة، كما قال ابن الوردى :

أنا كالخيزور صعب كسره وهو لين كيفما شئت انفتل

ينصت بكلتا أذنيه المرهفتين الى من يجيبه عنبحثه ، ثميراده بلاطفة ، وهو بين هذا وذاك، لايسلم لمباحثه ، حتى يدرك مايقوله غاية ادراك، وحتىيشاهده بعينيه،عيانا، وكل ذلكمنه خلق لاتخلق ، وهولايرهباثارة مبحثبين يدى من كانوا اسن منه، فلايمنعه صغره فىريق شبابه انيقابل عمه الاستاذوخاله الشيخ الوالد ، بمرادة فيمالميظهر له أنهالحق ، ثملاينقاد الااذا استبان الحقيقة ناصعة، وقد كان ادرك ماادرك منأيام والده ، فلاحظ منه والده بتفرسه منذذلك الحينهذا الاقدام، فقال كلمته المأثورة : «ان ولدى هذا لجسور»، فبين هذه المباحث درج، وبين هؤلاء الفحول شب، وفى هذه الاخلاق الوثابة والنفس الطموح ، نشأ مقداما لايهاب فى الحق احدا ، ولايحنى هامته الااذاحناها لمن يعرفه حقا،فلاخير فىطرف لم يك قماصا ، ولافى باز لايكون منقضا، ثممازالت به عناية الله حتى تكشف عن عالم خريت فىكلالفنون التىدرسها ، وشاعر خنذيذ فى الطريقة التى يسلكها الالفيون ، وفى الموضوعات التىيطرقونها ، والانسان لايطلب منه أن يخرج عن نطاق بيئته علما ونظرا وتفكيرا

مبتـــــدأ

ان فى اليتم لنعما ادخرها الله لليتامى وحدهم، وزواها عنكل مندرج بين احضان والديه مدللا مرفها ، وفى مقدمة هذه النعم تكون الاعتماد علىالنفس فىالانسان، حتى انك انجلست بينك وبين نفسك ، فامررت بين عينيك من نشأوا فىهذه الحالة ، ومن نشأوا بين احضان الوالدين، لتعاين عشرات من الاولين ناجحين فى المعترك الحيوى ، ثملاتجد فى الشق الآخر الا وحدانا هم الذين صافحهمالنجاح ، وتخطاهم مايلازم غالبا من نشأوا ابناء الاحضان، من سفالة الهمم والاخلاد الى الارض

كفله عمه الاستاذ ، وجده الرجل الصالح الحاج عبدالله ، فهما اللذان مالا به الى العلم ، ورجوا منه ومن اخوانه أن يكونوا خير خلف لابيهم .

أخذ القرءان عن الاستاذ سيدى سعيد بن عبد المومن التاويبتى فى مسجدهم فى القرية الزاوية ، ثم فى مسجد تويبت اخيرا ، وربما اخذ ايضا هناك عن الاستاذ سيدى الحسن بن عبد الله السملالى فى بعض الفترات التى ينتاب فيها سيدى سعيدا بعض الموانع، فعليهما جود ، ووافق اتقانه عام ١٣٠٩ هـ ثم الحقه أولياؤه بشيخ الجماعة سيدى محمد بن الحسن فى مدرسة (سيدى هـ واوالحسن) بالاخصاص ، فبقى هناك حتى أتقن عليه بعض حروف غير قراءة ورش ، وقد كان يتلو القرءان أحيانا على آخرين فينة بعد فينة .

فى مناغاة العلوم

فى مفتتح عام ١٣١٣ هـ افتتح بالمدرسة الالغية ، وكان صنوه الذى يكبره سيدى أحمد المتقدم الذكر ياخذه بالحفظ وباتقان ما ياخذ ، وبعد شهور التحق بالاستاذ سيدى العربى الساموكنى فى المدرسة (الايغشانية) فعليه درس المتون الابتدائية بجد ، وكان الاستاذ يعركه تلك العركات المعلومة عن اساتذتنا الالغيين ، فبدا لصاحب الترجمة يوما ، وقد جاشت نفسه الابية، فحمل بعض متاعه على كاهله ، فانسل فلحق بمدرسة (تافراوت) بامل عند الاستاذ سيدى عبد الله بن القاضى ، فحين بلغ الخبر أهله ، توجه اليه العم سيدى ابراهيم ، فما زال يفتل له فى الذروة والغارب حتى أتى به ، وقد وعده تعمية عليه ، انه لا يقرب بعد اليوم الاستاذ الساموكنى ، قال صاحب الترجمة ، فركبنا البغلة وفى بالى أننا متوجهون الى الخ ، ولم اكن أعرف الطريق ولا وجهات تلك الناحية ، فلم اشعر الا ونحن أمام باب المدرسة فسقط فى يدى ، ولكن ما عسى أن أصنع ، فهكذا رددت الى هذا الاستاذ ايضا وقد وعد أن لا يمسنى بعد ، ولكنه سرعان ما نقض الوعد فعادت هيف الى أديانها (١)

ثم فى أواسط ١٣١٤ هـ انتقل الى المدرسة الالغية ، بعد أن سافر الاستاذ الساموكنى والاستاذ شيخنا سيدى الطاهر الى فاس ، سفرتهما المشهورة ، وقد انفرد الاستاذ التاجارمونتى اذذاك بالمدرسة الالغية ، فلازمه شيخنا فكان الاستاذ سيدى محمد ابن الحاج الافرانى ممن يعتنى به أيضا فى المتون الابتدائية .

---

١) هو مثل ويروى أيضا هكذا ذهبت هيف لاديانها وهيف ريح حارة تيبس النبات وتعطش الحيوان وتنشف المياه أى عادت الريح لما هو مألوف منها يضرب لمن رجع الى عادة منه قبيحة

وفى عام ١٣١٥ هـ ، انتقل الى المدرسة (التانكرتية) التى فيها اذذاك الاستاذ سيدى الطاهر بن‌محمد حفظه الله ، فاقبل على المجاهدة والمواظبة والاكباب، وقد تملص‌من قبضات الالغيين الشديدة التى لايسلم منها حتى عند الاستاذ التاجارمونتى ، فكان ذلك من‌اسباب انتقاله ، والاستاذ الافرانى الهين اللين ممن طلق عادة الالغيين هذه ، وقد وقفت على رسالة للاستاذ سيدى على بن‌عبد الله ارسلها مع المترجم حين ارسله اول يوم للتلقى من الاستاذ الافرانى، فاحببنا سوقها هنا ونصها

«العلق الخطير ، وروض من الادب مطير ، وهمام لاكتساب المفاخر ، سيدى الطاهر بن‌محمد بن‌ابراهيم الافرانى ، لازال مصون الجناب ، وخير باب‌لمن بالهمة الصادقة اليه اناب، وسلام عليه ورحمة الله وبركاته ، وبعد فلاباس لله الحمد، فلاتنس حق الاخوة من الادعية المرضية ، فى الاوقات المرعية، ثم‌ان الاخ عبدالله‌شاقت همته لاكتساب المعالى ، ونيل المقام العالى ، واورد وارداالاهى سوام همته من‌عين العناية نهلا وعللا ، فراى كل جليل دون اكتساب العلوم‌جللا (ومايقال لفضل‌ذابكم) ثم‌انه لم يران يعنو هاديه (١)لهادسواك ولاأن يعتمد فى بلوغ امله على غيرك بعد رب سواه وسواك ، ولقد أعطى القوس باريها، واسكن الدار بانيها ، وعليه فتطول ايها الاخ بغرس الصنيعة فى أزكى ترب ، وضع التجافى عن‌الاخلاد الى الراحة موضع القرب ، فالله سبحانه يبقيك‌اخذابزمام الفخر ، ناهضا باعباء البر «امين «امين»

وقد وجدت على ظهر هذه الرسالة بخط شيخنا سيدى الطاهر مانصه

«قرة العين ومنية النفس ، ونجى الروح ومنتهى‌الانس ، سيدى ابومحمد عبدالله ابن شيخنا المقدس بكرم الله‌الالفى ، أدام‌الله‌ارتقاءه، واطال فى‌معارج السيادة بقاءه، وسلام عليه سلام‌مشوق اليه، ورحمة الله وبركاته، هذا

فطر بجناح الشوق نحو متيم لقاؤك دون الناس غاية مرماه

يقوم بنفسه فيتزوج

فى‌عام ١٣١٨هـ ، رجع الى البلد ريان ، وقداحس انه‌اكتفى من‌الاخذ، فتزوج فى ذى‌الحجة من‌السنة، فاستقل‌بنفسه ، وأدارشؤونه بيده، وقدكان‌ممن خلقه الله ليكون رئيسا لامرؤوسا ، وءامرا لامامورا ، كماتكون عليه جبلة بعض أباة الضيم، وسبب انعزاله عن «اله بعض أمور وقعت بينه وبين بعض «اله الكبار، ممالايسلم بين الناشئين المتطلعين الى امتلاك‌الحرية فى شئونهم، وبين الكبار الذين استمرؤوا الاخذ بازمتهم ، فتفرقت الاسرة بذلك، فاغنى الله‌كلامن‌سعته

١) الهادى العنق

في اولى مشارطاته

ان كل من احب ان يستقل بنفسه، وان يدير أسرته بيده، وعول ان لا يكون كلا على الناس، فليبتدر بهمته وعزيمه الى ان يدعم ذلك بكسب يجعل يده هي العليا دائما ، ونفسه باقية بانفتها واستنكافها ، فمن لا كسب له لا مال له، وان انفته تذهب ادراج الرياح

في عام ١٣٢٠هـ ، شارط وهو ابن اثنين وعشرين ربيعا في المدرسة الايفشانية المرة الاولى، فاقبل على التدريس والتهذيب ، وقد انضوى اليه تلاميذ مبتدئون وغيرهم، ومالت اليه النوازل في تلك الجهة، قال ولكني لما جربت نفسي، وجدتني لا ازال محتاجا الى بعض ريشات تستطيع الخوافي والقوادم من جناحي التحليق فلذلك طلق المشارطة حين تمت تلك السنة، فاقبل على الاخذ أيضا

ياخذ عن الاستاذ ايكيك

كان الاستاذ سيدى محمد بن على ايكيك مشهورا اذذاك بانه فرضي عالي الكعب ولما كان علم الفرائض وما يحتاج اليه من الحساب ، من الامور التي لا يزال شيخنا يجب أن يتضلع منها، وكان ايكيك اذذاك مشارطا في مدرسة بايلالن، التحق به فلازمه ماشاء الله حتى أتقن هذا العلم اتقانا، وحصله اصولا وفروعا ، فقوض خيامه من تلك المدرسة ، معلنا لاستاذها شكره العطر

يراجع الاستاذ سيدي الطاهر الافراني

كانت السنة التي التحق فيها بايكيك الحادية والعشرين ، ثم حط رحله في المدرسة (التانكرتية) يستتم من معارف الاستاذ ، ويستشف ثمالة الكاس التي لا يزال متطلعا اليها، فقال كنا اذذاك تلاميذ قليلين في المدرسة، وأنا قد شب أوارى وتفتحت كمام ذهني ، ولكن قلما أجد من يتعاو نمعي، فكانت الدروس تترى فينة ، وفينة تمنعه الموانع، فاكببت متكلا على الله الى مختتم عام ١٣٢٤هـ فاذذاك راجعت المشارطة، وافرغت في التدريس غاية جهدى ليصفى الراووق رحيقي المعتقة، والمدرسة أفضل مصفاة للفنون

في مدرسة أداي

قال كنت لازمت البلد عند مفارقتي لتانكرت، وانا انتظر محلا ييسره الله للمشارطة ، ففي عام ١٣٢٦هـ تيسرت مدرسة (أداى) بايت حربيل، حل بذلك المسجد الكبير الذى رده مدرسة مسموعة مقصودة بهمته ، كما حكاه عن الشيخ الوالد الذى كان يقول له، جئت بعجب ياعبدالله ، حين أصلت جذور العلم

ودراسته فى (اداى) ورددت مسجد الحريليين اليباب مدرسة عامرة ، كانما اسس على العلم من أول يوم

انثال اليه الطلبة من كل جهة، فاجتهد معهم اجتهادا كبيرا تكونت بسببه فى تلك الايام طبقة عالية من الالغيين وغيرهم ، صاروا فيمابعد اساتذة اعلين وسترى من هم فيما بعد

ثم فى أول ١٣٢٨ هـ ، أطلت مسغبة القت على الناس كلاكلها ، فكان ذلك هو السبب فى مفارقته لمدرسة (اداى) بعد سنتين كاملتين

فى مدرسة ايغشان أيضا

لقد صدق زعيم الشرق جمال الدين الافغانى رحمه الله حين عرض عليه مال يوم نفى من مصر ، ليتخذه ذخيرة ليوم ما، فرده على من عرضوه عليه قائلا: انفقوه فى مصالح وطنكم ، فان الاسد لا يعدم فريسة اينما حل ، فهذا ما وقع لصاحب الترجمة الذى رأيناه مهتما بالدراسة والخوض فى العلوم فى هذا الدور، ثم حالت المسغبة بينه وبين ذلك فى (اداى)، ففارق المدرسة بقلب مضطرم ولكنه ماكاد يبقى فى داره بالغ حقبة حتى تيسرت المدرسة الايغشانية ، وقد غادرها الاستاذ الساموكنى ، فحل بها فتطاير اليه تلاميذه ، فبقى فيها أربع سنين فى اجتهاد وملازمة غريبين، فقد كنت ممن حظى بالمثول بين يديه اذذاك فى أواسط عام ١٣٢٩ هـ فكنا بين طلبة كثيرين، ونحن فى طبقتنا فوق عشرة من المبتدئين، يلزنا بالتعليم الابتدائى على مالوف الالغيين لزا ، فسار بنا أشواطا فكانت تلك الاسس التى وضعها منى فى تلك الايام، هى الباقية محفوظة عندى، حتى وجدتها كماهى، بعد أن ثاب الى الرشد ، وطاف بى الندم ، وقد مضى عنى شرخ الشباب ضائعا ، وذلك بعد أن فارقناه بنحو عشر سنين

كنا عنده هناك ونحن نيف وعشرون، او نناهز ثلاثين بجميع الطبقات، فكان يتعهدنا جميعا ، كل يسيره بسيره الذى يليق به

فآونة بالضغط ان عاين الونى ... وءاونة باللطف ان شاهد الجدا
يعامل كلا بالذى كان لائقا ... فيذكو لنا حينا وحينا لنا يندى
كطب نطاسى درى كيف يعتنى ... فابدى من انواع المهارة ما أبدى

أخذت عنه مع طبقتى سيدى احمد بن الحسن البنانى ، وسيدى محمد بن أحمد الايغشانيين وءاخرين ، متون المبتدئين ، ونحو نصف الالفية، وبعض الرسالة للقيروانى ، ولامية العجم ، وحفظنا هذه كلها ماعدى الرسالة على يده، فكان حفظه الله مهتما بنا اهتماما كبيرا، يلقى علينا من المسائل بكل مصادفة فيباحثنا ، ولاأزال استحضر اننى ذهبت اليه بالوضوء ظهر يوم فقال لى بالعربية الفصحى هل كان من مطر ؟ وكان اليوم غائما ، فقلت نعم، كان من مطر، فقال

اجعلت أنت أيضا (من) فى عبارتك ، فاجلس واعرب عبارتى ثم عبارتك، فوقعت فى الاحبولة، وانا لاأدرى من أبحاثه اذذاك الاطفيفا ، فماكدت اتملص من اعراب عبارته (هل كان من مطر) وانا لااكاد انفذ فى أسئلته التى لم تترك تصريف (كان) على جميع اوجهه الفعلية والوصفية والمصدرية ، الى ان درنا فى كل أبواب اللامية ، وفى عمل (كان) واخواتها ، فطرقنا بابها فى الاجرومية والالفية ، حتى وصلنا ءاخر عبارته (من مطر) فوقف حمار الشيخ فى العقبة الكئود ، فصرت أرتعد خوف أن أكون ممن صفع منه قفاه ولهازمه، ثم بعد أن أراني كيف تعرب الجملة ، دخلنا فى باب ءاخر ، هل (كان) هنا تامة او ناقصة ، ثم خرجنا منه الى باب (من) فى أى محل تزاد، ومن قال من النحويين أنها تزاد فى الاثبات، فلم انفتل من بين يديه حتى تصببت عرقا ، ولكنى رجعت بفوائد كثيرة، فصرت اقفز فى تلك الدرج عند النزول وانا فرح بسلامة قفاى ولهازمى ، فجئت أحكى لاترابى ماوقع لى ، فقالوا ذلك من اسراعك اليه بالوضوء ، فلئن عدت أيضا ليعودن الى مثلها، فقلت لهم : مادمت أسلم من الصفع وأرجع بالفوائد ، فانما أرجع بما افوقكم به ، والتفوق فى التحصيل هى شهادة عصرنا ذاك، وقد كان افتتح معنا (لامية العجم) بالصفدى ، فكان ياخذنا بحفظ الابيات التى ينتقيها لنا، فمما حفظته واستحضره الآن ، قول الشاعر

لايصلح النفس ان كانت مدبرة ... الا التنقل من حال الى حال

وقول ءاخر

تنقل فللذات الهوى فى التنقل ... ورد كل صاف لاتقف عند منهل
ففى الارض احباب وفيها منازل ... فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل
ولا تتبعن قول امرىء القيس انه ... ضليل ومن ذا يهتدى بمضلل

ثم بين المقصود بالبيت الاخير ، وانه هو مطلع قصيدة امرىء القيس الشهيرة:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ومما حفظناه أيضا قول الشريف الرضى

ولقد مررت على ربوعهم ... وطلولها بيد البلى نهب
فوقفت حتى ضج من لغب ... نضوى ولج بعذل الركب
وتلفتت عينى فمذ خفيت ... عنها الطلول تلفت القلب

فكان ذلك أول نواة غرست فى ذهنى من الادب العربى ، ثم مازالت تنموحتى كانت كما ترى ، وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

كذلك كان استاذنا يسيرنا جزاه الله خيرا ، الى اواسط عام ١٣٣١هـ فغادر المدرسة ، فتفرقنا نحن شذر مذر

في المدرسة الايغشانية أيضا

رايت ان الاستاذ فارق هذه المدرسة اواسط عام ١٣٣١هـ ، فذهب كل واحد منا لجهة، ثم كنت أظن انه لازم البلد الى عام ١٣٣٤هـ ، ولكن الاستاذ ابن العم ذكر لي انه راجعها أيضا بعد ذلك في هذه الفترة ، فاما أنا فلم أعرف من ذلك شيئا كما أن استاذنا لم يذكر لي بين ماسرده علي من تنقلاته، ولكن ابن العم عارف كاف في مثل هذا

في مدرسة سيدى علي بن سعيد

ثم التحق سنة ١٣٣٤هـ ، حين فارق المدرسة الايغشانية ، بتلك المدرسة التي في الاخصاص ، فرجع الى ديدنه في التدريس ، وسرعان ماحلق عليه تلاميذ كثيرون ، فأمضى فيها عاما واحدا ، فجاء سبب ازعجه ففادر ذلك المكان

في المدرسة البومروانية

في سنة ١٣٣٥ هـ ، شارط في المدرسة البومروانية التي رأت من الولد ما تُركانت تعهدها من والده قبل أربعين سنة، فما امجد اسرة تتسلسل حلقاتها فياتي أبناؤها في معارض ءابائها ، ثم كانه عاين هناك مالايعجبه، وهو من اباء النفس في المكانة التي عرفتها ، فبعد سنة رجع الى البلد، فربض يشتغل بشئون داره ، وادارة اموره بيده وكان دمعات الدراسة التي تركها في يتمها وزفرات العلوم التي غادرها في زيزاء مجهل (١) ، سمع الله تضرعاتها، فامن على دعواتها التي تجاربها اليه، فراجع الاستاذ تراث والده، فاقر عين المجد وذويه

في مدرسة اداى ثانيا

في عام ١٣٤١ هـ شارط في مدرسته الاولى التي لم تنس هي ولا أهلها أياديه، فاقبل أيضا على التدريس ، ولكن بدأ الفتور يعتريه، وصارت برودة الكهولة تطوف بهمته ودوام الحال من المحال كما يقولون ، وأظن ذلك من اعواز الطلبة المهتمين الذين يحفزون همم الاساتذة ويستنهضونهم ، لان هذا العقد الخامس ماكاد يطل على طلبة سوس حتى ظهر فيهم الفتور الذى كان بدأ فيهم منذ عقدين، ولكنه الآن ظهر للعيان ، وصارت جذوات الهمم تتدرع باثواب رمادها ، فكيف لايغيض ضرع عدم راضعا ، أم كيف لاياسن راكد عدم مصفقا

---

١) الزيزاء الفلاة قال الشاعر

غدت من عليه بعد ما تم ظمئها تصل وعن فيض بزيزاء مجهل

في المدرسة الامسرائية

فى عام ١٣٤٣هـ انتقل أيضا الى مدرسة (امسرا) فى افران ، فصار يدور فى بعض دروس، وقد التامت عليه ثلة من الطلبة ، ثم فى اثناء السنة وفد عليه وفد من الاخصاص يتطلبون منه الرجوع الى مدرسة سيدى على بن سعيد ، فواعدهم راس السنة حين رءاهم يلحون عليه كل الحاح

في مدرسة سيدى عـلي بن سعيد ثانيا

برغم ان الامسرائيين عضوا عليه بالنواجذ ، وأبوا أن يغادر مدرستهم ، فانه رأى ان قيد الحر من لسانه، وان الوفاء بالوعد واجب فى شرع المروءة وان كان الفقهاء يقولون فيه ما يقولون ، فانتقل الى الاخصاص ، فلازمها عام ١٣٤٤ هـ فوفى لاهلها عمارة مدرستهم بما وعدهم به، ثم راجع السابقين ، فان الصيد لمن اخذه لا لمن اثاره

في المدرسة الامسرائية أيضا

مكث فيها سنتى ٤٥ـ١٣٤٦هـ ، وقد مد فيها من جناحى تدريسه بعض مامد، وقد اكفهرت اذذاك الفجاج بالمسغبة العامة فى سوس ، فاقفرت المدارس، وحلق الردى على القرى، وتقطعت الامعاء سغبا ، فتنكرت الدنيا لـمـن كان يعرف منها وجها بشوشا ، ودب الدهر وغيره من الجوع بالحرب لمن كانوا قبل ذلك لايزالون معه فى مسالمة ضاربة أطنابها ، فكان ذلك كله من الاسباب الـتـى حملت الاستاذ ، على ان ينفض يده من مجامع الناس ، ومن مدارس القبائـل، فاوى الى داره التى تريد ايضا من يقوم بها ، ويلتفت الى ادارة شئونها ، فاذلم يكن التدريس الا فى المدارس المقفرة ، وزهد الناس فى العلم، واستبد كل جاهل برأيه ، فعليك ايها العالم بخويصة نفسك ، هذا ماحمل الاستاذ على ان قبع فى داره

في المدرسة الايمورية

كان فى هذه المدرسة بعد ١٣٥٢هـ نحو عامين ثم لازم داره الى الآن ١٣٥٨هـ

هل هذا عذر مقبول ؟

فى السنة الماضية ، سنة ١٣٥٦هـ ، بعد نفيى الى الخ ، كنت كلما جالست الاستاذ ، اجر معه الحديث حتى نصل هذه النقطة ، فيدلى بما تقدم وبمثله من الاعذار، فاقول له، ان هذه اعذار حقيقية ، لو اعتذر بها غيرك من العلماء الذين

دونك لربما قبلناها منهم ، وأما مثلك ممن ظهرت ءاثار هممهم فى التعليم، وعرفوا بالتدريس ، فيجب عليه ان يتنكب كل هذه الاعذار ، وان يتخطاها رغم انوفها، فلن يعدم ياسيدى مثلك من الطلبة من يعرفون قدره، ويعطشون الى مورده العذب، فان الهمم السوسية بل المغربية كلها ، وان ماتت اليوم واستولى عليها الفتور العام ، وتنكبت المسابقة فى المعارف ، فان فى بعض الزوايا خبايا، ولايزال هناك بعض شباب يجعلون بين اعينهم العلم وادراكه ، فاضرب له مثلا بالاستاذ سيدى احمد بن محمد اليزيدى استاذ المدرسة الوفقاوية اليوم الذى دأب على التدريس، فلم يعدم عشرة من الطلبة يجتهد واياهم ، ثم اقول له ان الحكومة اليوم قد وطأت لامثالك السبل، وازالت ماكان يستنكف منه الابى مثلك من الخنوع لعامة النفاليس الذين يشارطون العلماء فى المدارس، فلم يبق اليوم الا رؤساء رسميون ، فى أيديهم وحدهم الامر الذى استمدوه من الحكومة، ولم تقف قط الحكومة ظاهرا ـ على الاقل ـ موقفا يقضى ان لايعطى للمدارس ماكان يعطى لها قبل ، الا تستغل انت وامثالك ذلك الاعراض من الحكومة فتوءدوا ما عليكم والحال اليوم فى هذه البلاد على كل حال أفضل منه أمس أمنا وتوصلا بالحقوق.

هذا ماأقوله مرارا ، وفى رمضان الماضى من عام ١٣٥٦ هـ، جاءنى يوما برسالة ارسلها اليه الاسرائيون يستحثونه الى مدرستهم ، فقلت له اسرع ياسيدى أسرع، لعلك تخرج من هذا الذى أنت فيه، فذهب اليهم وقد طاب نفسا بالمشارطة ، لان له من ولده صالح من يتطلب العناية بتهذيبه، ولكن سبق فى القدران وجد احد الافاكين قال للاسرائيين ، ان الاستاذ لاياتى اليكم، فقد شارط فى محل ءاخر ، فشارطوا عالما من عندهم ، فقضى الامر ، فرجع وقد اختار الله له مافيه الخير كما قال

بعض أحوال الاستاذ

ان لكل انسان من اعاظم الرجال وافذاذ العلماء ، ناحية كانها مقصورة عليه ، يستولى عليها ويتمكن من ناصيتها ، ويستحوذ على ذروتها العليا ، ويكون له فيها القدح المعلى ، ويكون فى ميدانها هو المجلى الحائز الخصل، فباى ناحية تفرد استاذنا هذا بين علماء بلدته ياترى ؟ وباى ذؤابة توصلت يده فادارها كيف شاء ، ثم لم يتمكن منها اقرانه غاية التمكن ؟ ان شيخنا الاستاذ الكبير كما بوأته السعادة فى مجد مؤثل ، واصل اصيل ، واسرة عريقة فى الفضل وفى بحبوحة نسب كريم ، كان فيه معما مخولا ، كذلك بوأته فى ناحية هى أشرف النواحى التى من استولى عليها فقد استولى على ملاك العلم ، ووضع يده على ما تستنبط به الافهام ، وتذكى به القرائح الوقادة ، فلئن كان والده الاستاذ مشهورا فى ميدان التدريس والتاسيس ، والهمم النافذة ، وعمه الاستاذ على ابن عبدالله معروفا بوثبات الخيال فى الاداب العليا ، والترسل المحبر الموشى،

فان استاذنا مع المامه بكل ذلك قد سبقهما فى الامعان فى المباحثة امعانا غريبا فلاتراه فى كل المجالس التى تروج فيها تلك المسائل ، الاكرارا جوالا ، طلعة بحاثة ، لايفلت مبحثا مربه الامد اليه فكره ، ولايعرض ما يعرض الا أصلاه بحثه الذى لايعرف اغضاء، ثم لايطوى غراره الابعد استطلاع الحقيقة كما هى، فلا يداجى فى ذلك ولايغمض ، ولايعرف الاالوصول الى اللبن الصريح من تحت الرغوة ، حتى لقبه الاستاذ على بن عبدالله عن جدارة (مفتاح العلوم)

نشأ الاستاذ ونشأ معه هذا الفكر الحاد، فكان يكبر وهو يكبر معه ، حتى اذا استوى سيدا ضخما ، استوى معه فهمه الثاقب ، كنصل عضب مرهف الطرفين ، معقول المتنين ، أينما جال فى مختلف الفنون لايلبث ان ياتى بفوائد معجبة باهرة

سمعت الاستاذ يقول كنت مرة فى موسم (تازاروالت) فوقفت فى مكان الفقيه سيدى اليزيد الروداني ، وهو اذذاك متصدر للاتجار فى الكتب ، قال فلادرى فى اى حديث كنا حتى احتجنا الى مراجعة المصحف ، فقام لياخذه من بين الكتب، فقلت له هل توضأت ؟ فتراجعنا نتباحث هل يرخص للتاجر فى الكتب فى مثل ذلك الموسم ، ان يتناول المصحف بلاوضوء ، كما ذكره الفقهاء من انه مرخص فيه للمسافر ، اولابد من الوضوء على كل حال ، قال فجاذبته الحبل مجاذبة من لايسلم له حتى يضع اليد على البرهان ، ذلك وازاءنا عالم واقف ساكت يتعجب منى، وانا مصقول العارضين ، أراد سيدى اليزيد الذى ابيض عارضاه ، ثم بعد ذلك فى بعض وفدات سيدى محمد بن العربى الادوزى الى (الخ) عرفت انه هو ذلك العالم الواقف ازاءنا ، وعرفنى أيضا ، فكان سيدى محمد بن العربى يذكر دائما تلك المرادة باعجاب ، كتنويه واجلال وتقدير لصاحبها

وحكى أيضا انه كان مرة فى ثوى عمه الاستاذ ، وفيه الشيخ الوالد يجرى ذكر الزكاة ، وكان الاستاذ عمه اذذاك يجمع غنم الزكاة ، وقد تنازل عنها القائد سعيد الحاحى الكيلولى للمدرسة الالغية، قال فسالنى الشيخ والدك هل زكيتم ياعبدالله ماشيتكم ؟ فقلت له لازكاة فيها ، فقال أوليس غنمكم تناهز المائة؟ فقلت حقا، ولكننى أنا وأخى عبدالرحمن واخوتنا متشاركون فيها، ولذلك لازكاة علينا، اذلايصح لكل واحد منا نصاب فى نصيبه ، فقال الشيخ ولكن الشركاء فى الماشية كالمالك الواحد، فقلت نعم ، ولكن بعد أن يكون لكل واحد نصاب، والا فليزك من له نصاب وحده دون الآخرين ، فقال الشيخ او الفقه المالكى على هذا قال فاوقفت الشيخ على النص، فقال عجبا ، اننى نسيت كل هذا فترجمت (مجموع الامير) للفقراء على ان الشركاء كمالك واحد مطلقا ، ولم افصل هذا التفصيل، فقد غاب عنى او نسيته ، فسبحان من لاينسى، فقام الشيخ فى الحين ، وذهب الى زاويته ، فاتى بما ترجمه فاصلحه فى الحال ، فقال لولاك ياعبدالله لبقيت هذه كما كانت

قلت هذا الذى يشترطه المالكية قل من اشترطه من ارباب المذاهب، واخال ان ذلك مما انفرد به مذهب مالك عن غيره ، وهذه المسألة من المسائل التى ردها الامام الليث بن سعد على مالك فى رسالته المشهورة اليه ، وقد اوردها ابن القيم فى (اعلام الموقعين)

وحكى أيضا انه وقعت المذاكرة هناك حول مسألة فى التشريح مايقصد به عند الاطباء ، فبينت لهم ماأعلمه عنه، فقال الاستاذ على بن عبدالله مباسطا ، انما هذا كله من عنديات عبدالله، فقالوا لى من أين رأيت ماقلته ؟ فقلت رأيته فى كتاب (التذكرة) للانطاكى ، فقال الشيخ مباسطا ، أو تحسب ان احدا لايملك التذكرة سواك ؟ فذهب فى بهرة الليل ، وقد تجلببت الارض بالثلج ، وتلوثت الطرقات بالاوحال ، فخاضها الشيخ من دار الاستاذ الى زاويته تحت اذيال الظلام، فلبث مليا ، ثم رجع وفى يده الكتاب ، فقال ان الذى ابطأنى هو انى وجدت مجلس الفقراء قد خرسقفه، فوجدتهم واقفين متعجبين، فقلت لهم دعوا العمل واستريحوا الى الصباح ، فلاعمل مع الليل، فروجعت المسألة فوجدت كماقال الاستاذ بعينه

بهذه الحكاية وامثالها تعرف همم القوم فى المسائل العلمية ، فمن ذالذى يخوض الثلج والاوحال من دار الاستاذ الى الزاوية ذهابا وايابا ، فى ظلمة الليل الحالك، مع أن مابين الدار والزاوية غير متقارب، ثم لايعوقه ماخر من سقف داره فيلغى ذلك كله لتتم استفادة الفائدة فى الحين ، حتى لاتؤجل الى الغد ، وما أصدق قول بعض الالغيين فى مثل ذلك :

لخوض الثلج والاوحال أولى ... لدى العلماء من خوض الجهالة
وخر السقف والجدران أولى ... من أن ينهار علم بالبطالة
يثيرون القرائح حول بحث ... قد اكتنفوه بينهم كهالة
فلا ينفك جمعهم لزاما ... الى ان يستشف الى الثمالة
بذلك يخدمون العلم حتى ... غدوا من بين كل الناس آله
فذلكم بنو الشيخ ومن لا ... يكون كذلكم فاخو سفالة

وحكى أيضا انه حدثهم يوما بانه قرأ فى كتاب ان النبى صلى الله عليه وسلم يرسل حماره يعفورا الى من يريده من الصحابة ، فيدفع بابه برأسه ، فيعلم أنه رسول رسول الله اليه فيجيبه ، فقام عليه من فى المجلس ، فقالوا له فى كل يوم تسوق الينا غرائب ، فان لم تغرب فى فهمك أغربت فى نقلك ، فهذا غير ممكن، ومتى عهدنا من الحمر الادراك قال فقمت فاتيتهم بالكتاب الذى قرأت فيه ذلك، ولعله (حياة الحيوان) للدميرى ، فتعجبوا وعلموا ان ذلك ـ ان صح ـ معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لا للحمار ، وقالوا لم نر قط مثل هذه العقلية فى الحمر قبل اليوم، ولم نقع على نظيرها فيما يمر بايدينا الى الآن ، ومن بين من فى ذلك المجلس الاستاذ على بن عبدالله والشيخ الالغى، وحكى أيضا ان الشيخ

هو الذى يتولى الامامة فى مجامعهم ، واذا لم يحضر فالاستاذ على بن عبدالله ، فكان هذا الاستاذ مولعا بدعوات كثيرة جدا ، يقرؤها مابين الاقامة والتكبير ، وفى يوم قلت له ان هذا التطويل ربما يذهب بحكم الاقامة ، ونحتاج الى اعادتها ، فاجابنى الاستاذ بان ذلك لاباس به ، وان الطول فى ذلك المحل لايضر ، ثم قال اننى لاأطول كثيرا ، وكان الاستاذ سيدى الحاج احمد بن محمد اليزيدى حاضرا ، فالتفت اليه الاستاذ ، فقال ماظهر لك ، هل أطول كثيرا ؟ فقال نعم ، ربما تطول ، فبينما نحن نستعد لمراجعة المسألة ، اذا بالوفد الافرانى فى الباب فقمنا فتلقينا الاستاذ سيدى الطاهر ، والاديب البشير الناصرى ومن معهما ، فدهانا الترحيب عن اتمام المسألة فى الحين ، ثم لما استقر القرار ، واستراح السفر ، وطاب المجلس ألقى الاستاذ ابن عبدالله المسألة على القادمين ، فكان سيدى الطاهر لم يكن اذ ذاك على ذكر فيما قالوه فى ذلك الطول ، اواستحيا من شيخه ان يرد عليه ، وتلك كانت حالته معه دائما ، فقال لاباس ، والاقامة أمرها سهل فى أمثال هذا الكلام الذى ليس بخارج عن الموضوع ولاداخل فيه ، ثم مالوا الى مراجعة المسألة ، فوجدت كما قلت فالتفت الاستاذ ابن عبدالله الى الاستاذ الافرانى ، فقال له ان لنا أن نرجع الى الحق ، فالانصاف من شيم الاشراف • ثم كتب الاستاذ الافرانى رسالة فيها ان المسألة مبسوطة فى كتاب (سنن المهتدين) للمواق

هذه الحكايات كلها حكاها لى الاستاذ شيخى حفظه الله وانا اسأله عن مجالسهم اذ ذاك ، وقد قال لى عنها انها كلها مملوءة بالمذاكرات دائما وبالمباحثات ، قال وكان من عادة خالى الشيخ أن لايترك المجلس اذا حضره للكلام الفارغ ، ولا للتكلم حول أى شىء الا فى المسائل العلمية ، وان خالى الشيخ هو الذى رشحنى هذا الترشيح الى الابحاث ، فيشجعنى دائما عليها ، وكان يحب ان أكون ممن يسترسلون فى ذلك ، فكان بمجرد ما يلج دار الاستاذ ابن عبد الله فى كل يوم يرسل الى فى الحين ، ويامرنى اما بالتلاوة ، واما بمراجعة شىء فى كتاب ، وكثيرا ماياتى بالشمع معه فى العشايا ، فابقى أناوهو بعد أن يقوم الاستاذ الى مضجعه ، فى التلاوة والمراجعة الى مابعد نصف الليل ، ثم يتوجه الى داره ، وهو حقا فى المباحثات شيخى الذى جرأنى وقومنى ، وسن غرارى بمثافناتى التى يملابها المجلس كل يوم ، قال هكذا كان الحال فى عهده ، ثم تبدلت هذه الحال فى المجالس بعده ، ودخلها بعض القيل والقال ، حيث لاتروج الابحاث كثيرا رواجا متصلا ، الا بعض المرات ، ثم لمامات الاستاذ ابن عبدالله خوى النجم ، وخرت سقوف المباحثات وثلت عروشها ، هذا معنى ماقاله لى حفظه الله •

أقول لم يزل استاذنا الى الآن فى كل مجلس يحضره يثير الابحاث ، ويستطلع خبايا الافكار ، فانه وان قال ان المباحث خرسقفها وثل عرشها بعد وفاة عمه ، فانما ذلك فى مجلس لم يحضره ، وأما متى حضر ووجد من يجاذبه ، فديدنه لايزال اليوم كما كان بالامس ، وأما مجالس الاستاذ ابن عبدالله التى تثج بالابحاث فى كل

حين ، فقد طويت حقيقة ، ثم لاعوض عنها بكل اسف ، وكان دائما يرخى العنان فى البحث لصاحب الترجمة، ويحب ان يتصدى له من يباحثه، ويقف هو متفرجا من بعيد، فقد انتشبت مرادة بينى وبين شيخى هذا ليلة حول مسالة فى حضرة عمه الاستاذ

زرت الغ فى أثناء عام ١٣٤٢ هـ ، فاجتمعنا ليلة زهراء فى ثوى الاستاذ ابن عبدالله جماعة من الطلبة ، يرأسه الاستاذ ابن عبدالله نفسه رحمه الله، وشيخنا هذا صاحب الترجمة ، والاديب مولاى عبد الرحمان البوزاكارنى ، والاستاذ الاديب سيدى احمد بن محمد اليزيدى واولاد الاستاذ ابن عبدالله ، سيدى محمد ابن على، وسيدى المدنى بن على ، والاستاذ ابن العم سيدى عبدالله بن ابراهيم، والاستاذ سيدى محمد بن احمد بن الحاج الصالحى ،وقد كان معنا اذذاك، فجلسنا من العشية الى ان صلينا الفجر ، فكانت والله احدى الليالى الغر التى عرفت بها اخوانى الالفيين ، فشاهدت من اخلاقهم وتؤدتهم فى المباحثة ما اتخذته درسا ءاخذ نفسى بئادابه منذ ذلك الوقت ٠

كنا نتداول اول (نفح الطيب) تلاوة على العادة ، ثم نتشعب فيما عسى ان يعرض لنا فى الكتاب، أما فى المعانى واما فى غيرها ، وكثيرا ما نختلف فى شىء ، فيأخذ الاستاذ قطب المجلس سيدى على بن عبدالله اصواتنا على الانفراد ، فيقول كل بحريته التامة مايظهر له ، فتجلى بذلك من اريحية الاستاذ ابن عبدالله وتواضعه للطلبة، وديموقراطيته العلمية مالم انسه الى الآن

فمما اختلفنا فيه واخذت فيه الاصوات على حدة ، لفظة (معجم) الذى يطلقه كثير من أصحاب الفهارس على المجموعات التى يجمعون فيها اشياخهم ، وما اكثر المعاجم عند المحدثين ، فقال الحاضرون كلهم (معجم) بفتح الجيم ، الا صاحب الترجمة فانه قال بل (معجم) بكسر الجيم ، لان الكتاب ازال عجمة ما الف فيه، فاغتررت بهذا الكلام الذى ذكره، فذهبت معه وحدى ، وبعد سنوات ، عرفت أننى واياه سقطنا فى هوة الغلط ، لان المعنى ان ماذكر فى الكتاب قد أزيلت عجمته، فهو وصف لما الف فيه الكتاب، لا وصف للكتاب حتى نقول فيه (معجم) بكسر الجيم، وان كان هذا المعنى أيضا صحيحا فى نفسه لمن يقصده ، ولكنهم لايقصدونه ، وهذا مؤلف البكرى سماه (معجم ماستعجم) فان الاول فيه ما يقصدانه كان معروفا عنده، وقد ازيلت عجمته ، فبذلك جاء اسم الكتاب بفتح الجيم فى الكلمتين معا ، وقد ذاكرته فى ذلك فى السنة الماضية ، فكانه مال الى ذلك هذا اليوم بعدما فهم المقصود

ومما جرى ايضا تلك الليلة التى تنسى ليلة الشريف الرضى بذى سلم، ان سال احد الحاضرين ، أصحيح مايقال من النهى عن قراءة القرءان فوق ظهور البهائم؟ فبادرته بانكار ذلك مبتسما، وبينت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتهجد فوق

ناقته بالقرءان، كما ينزل عليه القرءان وهوراكب على ناقته ،حتى أثقلها مايلاقيه النبى صلى الله عليه وسلم من الوحى لامن القرءان نفسه ، كما هو معروف فى حجة الوداع ، بل ان الفقهاء اجازوا التنفل على ظهور البهائم لصوب سفر قصر، وهل هناك صلاة بلا قرءان ؟ لهذا بادرت الى انكار ذلك ، ولم استدل بان ذلك ظاهر فقط ، فقال صاحب الترجمة ، مباحثا على عادته المالوفة من انه لابد ان يباحث فى كل ماعرض ، وان وضح وضوح الشمس ، وماذا نصنع بقول الله (أناسنلقى عليك قولا ثقيلا) اوليس ان الممكن ان ينهى عن اثقال الدواب بذلك فقلت له : ان الثقل هنا معنوى، وان المقصود ثقله على قلوب المنافقين والكفار، فباحثنى أيضا فى الجواب فقلت له بمباسطة ـ وقد تنكبت عن الدليل الاصلى ـ ينبغى لنا الآن أن نزن اوراقا بيضاء ، حتى نعرف ثقلها ، ثم نكتب فيها القرءان فنعيد وزنها ، لندرك هل الثقل حسى او معنوى ؟ فمال الاستاذ سيدى على بن عبدالله ضحكا حتى بدت نواجذه من هذا الجواب ، وقد كان قبل يلحظنا ونحن نتحاور، وهو ساكت ، فقال له انهذا ياعبد الله جوابك الحقيقى ، فاقتنع به ومل الى الوزن بالمكاييل ، يقول ذلك مباسطة ايضا ، فقال شيخنا لابد من التفاسير ، فانه لا يقال بالرأى فى القرءان ، فاتى بتفسير البيضاوى المجرد عن الحاشية ، فالفى فيه ان الآية مكية قبل الهجرة نزلت عليه صلى الله عليه وسلم وهوفى حجرة عائشة ، فقلت انذكر عائشة هنا غلط ، فايدنى استاذى مولاى عبد الرحمان البوزاكارنى ، وقال ان عائشة لم يدخل بها النبى صلى الله عليه وسلم ولاكانت لها حجرة الا بعد الهجرة فى المدينة ، فتوقف الاستاذ على بن عبدالله ، واستبعد غلط البيضاوى ، فرجع فى الحين الى داخل الدار حيث المكتبة فاتى بالحاشية للخفاجى ، فاذا به قد نبه على ذلك الغلط الذى مضى عليه البيضاوى

وقد وجدت ابياتا مساجلة بين الاستاذ على بن عبدالله وبين شيخنا هذا، ووراءهما بيتان لى ، وأنسيت فى اى وقت قلناها ، ولااخال الاان ذلك كان فى تلك الليلة ، ولم اكن فى ذلك على يقين ، ولم اجد من عنده علم ذلك ، وربماقال شيخنا بيتيه اذذاك ، ثم ذيلهما عمه الاستاذ بعد، فذيلتهما أناحين اطلعت عليهما، ومن العجب ان ينسى الانسان ماصنعه بنفسه

قال شيخنا :

الما يئن للدرس ان يتقوضا وساهر جفن العين ان يتغمضا
فقد كاد ماء البحث ان يتغيضا كلالا ونور الفجر ان يتعرضا

وقال الاستاذ على بن عبدالله :

تجلد فما كل الزمان مواتيا لما نبتغيه مد زمان لنا مضى
فما المجد الا للمجدين والالى صلى الجد منهم كل وصل وارمضا

وقال محمد المختار

قصعب من اخلاق الزمان سماحة بتاج اجتماع مثل هذا مفضضا
فما كل وقت صافيا من مكدر ولا كل يوم مشرق الوجه ابيضا

من فوائد المترجم

سمع الاستاذ المترجم من ينشد هذا البيت :

اهن عامرا تكرم عليه فانما اخو عامر من مسه بهوان

فبنى تكرم للمجهول ، فتأمل شيخنا مليا ، فقال له الاولى ان يكون مبنيا للمعلوم ، من كرم يكرم ، فان المعنى على ذلك يصح ، وان اعتاد الناس فيما بينهم فى المحافل انشاده بالبناء للمجهول

وسمع أيضا ءاخر ينشد هذا البيت :

أهين لهم نفسى لاكرمها بهم وهل تكرم النفس التى لاتهينها؟

فانشده أيضا كذلك كما شاع أيضا ، فقال له المتعين تكرم بالبناء للمعلوم من كرم يكرم ثم قال لى فى مذاكرة ، كثيرا مايغلط الناس فى هذين البيتين ، وكنا يوما ناكل لحما بالبطاطس فتساءل معنا عن اسمه بالعربية ، ثم افادنا ان اسمه القلقاس (١) ، وقال بعض الحاضرين ان النبى صلى الله عليه وسلم اوتى به اليه من اليمن ، فأكله واستطابه . كما أفادنا يوما ءاخر ان التناية اوالتناوة ترك مدارسة العلم والمذاكرة فيه

ذلك هو شيخنا سيدى عبدالله بن محمد الذى لايزال يفيد كل من جالسه ولوساعة ، فقد مضت بيننا فى السنة الماضية ١٣٥٦هـ مجالس قيمة ، فيها بحاث لطيفة ، كتبت بعضها فى الجزء الاول من (الالغيات) ولكن اكثرها باق فى صفحات قلبى منقوشا .

منها انه كان يوما يحكى نوادر ، فحكى أن أعمى قاده ولده فوصلا جدولا متسعا فقال اقفزن بالنون الخفيفة ، فقفز الاب قفزا خفيفا ، فاذا به فى وسط الجدول ، فمال على ابنه بعد خروجه بالضرب ، فقال له لم لم تات بنون التوكيد الشديدة التى يحتاج اليها المقام ؟ لاقفز قفزة كبيرة ، فحين أتم الحكاية ، قلت له ان مقتضى النون الشديدة أو الخفيفة ان تؤكد اصل مدلول الفعل الذى هو ايجاده ولابد ، فمتى وجد مايطلق عليه الفعل فقد امتثل المامور بذلك ، وأما النونان فالفرق بينهما فى كثرة التوكيد لمن يحتاجه من المخاطبين او قلته بحسب

١) الحقيقة أن القلقاس نوع ءاخر لاهذا البطاطس الذى نعرفه

أمارات الانكار اوظنه، فقولنا اضربن واضربن معناهما في ايجاد الفعل واحد، فمتى اوقع الضرب الذى يمكن أنيطلق عليه الفعل ايقاعا محققا ، فقدامتثل بلافرق في المؤكد بالخفيفة او بالمشددة ، وأماكثرة الفعل او قلته، فلابد أن أريدت احداهما من شيء اخر يفيدها خارج هذه العبارة ، قلت له هذا ماكنت أفهمه دائما ، وما كنت أفهم مدلولا لهذه الحكاية ، والدليل على ذلك انك اذا حلفت على انسان أنيأكل واكدت الحلف بالنون الشديدة ، فصدر منه مايطلق عليه اكل مافقد بررت ، وانكان ذلك الاكل قليلا جدا ، انلم يقتض البساط أوالعرف أكلا كثيرا ، ثم لافرق في بره انأكد بالشديدة او بالخفيفة ، فناقشني فيذلك، فقلت له تراجعونالمسألة ، ولكنهم بعد مراجعتها لم يحرروها ، وأنا الآن في هذا المنتأى ليس لدى ماأراجع فيه منكتب ، فبقيت المسألة بغير تحرير وانكنت أنا لاأكاد ارتاب أدنى ارتياب في الذى ذكرته (كتبت هذا يوم منعت في المنفى بان اتصل بأى انسان)

ومنها أنه قال لى في ليلة ٢٠ من رمضان ١٣٥٦ هـ ، وأنا وهوجالسانفيدارنا كيف تعرفهذا الحديث (ابليواخلقي) فقلت له انني اعرفه للمرأة المخاطبة في الحديث الشريف هكذا ، ومعناه دعاء ان يطول عمرها في ذلك الثوب حتى يبلى عليها ويخلق ، فقال لابل المقصود ابلي واخلقي اى تصدقي الآنوأنت لابسة لهذا الجديد بذلك الثوب البالى الخلق الذى نزعته ، قال فقد كنتأنا أيضاعلى ماانتعليه، ثم وقفت في (تاج العروس) على هذا المعنى الذى ذكرته لك ، وقال انههو المقصود، فاجبته بكل جراة انه لعمرى بعيد ، وانذكره صاحب (التاج) فقام في الحين الى داره ، وهي بعيدة عن دارنا بغلوة او غلوتين، وقد ابهار الليل ، فاتى بالتاج ، فاذا به وقع له ذهول عما قاله صاحب التاج ، فتحررت المسألة لناوله علىوفق ماكان اولا كما قلت ، لكنني ازددت تحصيلا ، وقد كان هوالسبب جزاه الله خيرا ٠

وقد نبهني الىفوائد كثيرة ، وضبط كلمات كنت الحن فيها ، ومن عادتهبل ومنعادة كلالاغبيين أن لايغمضوا على لحنة سمعوها منك كنت من كنت ٠ فلا يستحيي الصغيرانيرد علىالكبير ، ولايتعاظم الكبير من انيستمع للصغير، ثميرجع اليهانكان الحق معه ، ولمارهذه الخلة فيغير الاغبيين جبلة ، وانكان كل الناس يدعونها

وكان المترجم في سرعة الذهن وتلفته الى الانتقاد عجبا عجابا ، قلت لهمرة أن بينفلان وفلان الشقيقين تسعة اشهر تامة بلازيادة ، فقال لى بديهة : هذا محال عادى، فتنبهت الى انه راعى زمن النفاس الذى وان لم يطل لابد منه على كلحال، مع أن المحل يقاسى مايقاسى ، فلا تناتى المباغلة في الحين ، فعلانى خجل من تنبهه الىمالم اتنبهله، ثمغلبني الضحك حتى كنت اضع كمى في فمي استحياءمنه

وكان مرة يذكر قصة سيدنا سليمان ، وماحكاه المفسرون من انه احتجب سنة عن أهله ، وهو مستند على منساته ، حتى سقط حين أكلت الارضة المنساة، فقال ان العقل هنا لايجوز أن يغفل أهل الرجل عنه سنة تامة بل ولو شهرا، والممكن أسابيع فقط مع ظنهم أنه أدخل معه مايتقوت منه ، فى كلام مثل هذا ذكره، وهذا العمرى واضح وان خالف الوارد

وكثيرا مايقع بينه وبين الاخ سيدى محمد الذى اتقن علم الجغرافية وتثقف بالمطالعة فى الكتب العصرية ، مباحثات حول اعاجيب هذا العصر ، فكان شيخنا لايسلم ذلك ، ومما وقع بينهما محاورة طويلة حول كروية الارض ، ولم يسلم مغناطيسيتها التى يعلل بها كون أحد السكان يقف فى وجه على الارض فى الوقت الذى يقف فيه آخر فى الجهة الاخرى التى تقابله ، فينافح فى دفع ذلك ماينافح واخيرا يسكت ازاء كلام أخى ، سكوت من لم يدرك عقله مايقال حول ذلك

هذه نبذة من أحوال شيخنا الذى هو أول من غرس فى قلبى البذرة الاولى من العلوم ، ثم لا يـزال يتعهدها بالسقى كلما اجتمعت به جـزاه الله خـيرا أفضل الجزاء ٠

تلاميذه

رأيت من جد شيخنا حفظه الله فى التدريس ما رايت زهاء عشرين سنة، وقد سمعت أن له تلاميذ عليه عولوا ، وبه تخرجوا ، وءاخرون مروا به وتخرجوا بآخرين ، ونحن ذاكروهم ان شاء الله كلهم هنا ، ثم عند التراجم يظهر لك من تخرج به او تخرج بغيره وان كنا لانلتزم ان نترجم من تلاميذ الالفيين الا لمن أخذوا من المدرسة الالفية لاغير او من كانوا من الالفيين انفسهم

١ ـ أخوه الاديب سيدى محمد بن على
٢ ـ سيدى صالح بن أحمد
٣ ـ الفقيه سيدى عبدالله بن مسعود
٤ ـ صنوه سيدى احمد بن مسعود
٥ ـ الاستاذ سيدى عبدالله بن ابراهيم
٦ ـ الاستاذ سيدى البشير بن الطيب المتقدم
٧ ـ هذا العبد محمد المختار لطف الله به
٨ ـ الاستاذ سيدى بلقاسم السليمانى
٩ ـ سيدى الحسين بن أحمد بن الحاج صالح
١٠ ـ الاستاذ سيدى احمد بن الحسن البناء
١١ ـ سيدى محمد بن احمد الايغشانى
١٢ ـ سيدى مبارك بن مومادين الايغشانى
١٣ ـ الاديب سيدى محمد بن الحاج اليزيدى

١٤ ـ سيدى محمد بن احمد العابد اليزيدى
١٥ ـ سيدى محمدبن عبدالله اوبالوش
١٦ ـ الفقيه سيدى على بن سعيد الامسراتى
١٧ ـ وولده سيدى محمد بن عبد الله
١٨ ـ وولده الاخر سيدى صالح
١٩ ـ وولده الثالث سيدى عبدالحى
٢٠ ـ وولده الرابع عبد الحق
٢١ ـ سيدى محمد بن الحاج عبد الرحمان الساموكنى
٢٢ ـ سيدى احمد بن محمد التاهالى
٢٣ ـ سيدى داوود بن عبد المنعم الرسموكى
٢٤ ـ سيدى عبد الله بن الحسين المسكناوى
٢٥ ـ سيدى عبد الله الاخفش الايغشانى
٢٦ ـ سيدى مسعود الايكدمانى ـ لعله حى
٢٧ ـ سيدى محمد بن عبدالله الايكدامانى ـ لعله حى
٢٨ ـ سيدى محمد بن بوهوش الايغشانى
٢٩ ـ سيدى احمد بن الحسن اليزيدى
٣٠ ـ سيدى عبدالله بن احمد السملالى مشارط اكادير ايزرى
٣١ ـ سيدى يعزى ابن عمه
٣٢ ـ سيدى محمد التيمولاءى التاعنونتى ـ والد الحسن الزمورى الوزير اليوم
٣٣ ـ سيدى محمد بن على بن همو توفى نحو ١٣٥٥ هـ
٣٤ ـ سيدى عيسى التيمولاءى التاعنونتى لايزال حيا
٣٥ ـ سيدى البشير بن بلا بن مومو الشقراوى • لايزال حيا
٣٦ ـ سيدى بلقاسم بن احمد الشقراوى من ايد حمزة • توفى نحو ١٣٦٩هـ
٣٧ ـ سيدى أحمد الكسيمى الامسراوى • توفى نحو ١٣٥٤ هـ
٣٨ ـ سيدى محمد بن احمد الامسراوى الاستاذ المدرس المشهور
٣٩ ـ سيدى محمد بن احمد الفقيه الامسراوى • توفى بعد ابيه
٤٠ ـ سيدى الحسن بن حسانة الامسراوى لايزال حيا • كان يكتب فى المركز وقت الاحتلال • ويشارط
٤١ ـ سيدى احمد بن بلخير العلوى الاخصاصى المشارط فى تيمولاى العليا • لايزال حيا
٤٢ ـ سيدى الحسن السعودى الاخصاصى نجيب حسن
٤٣ ـ سيدى عمر بن بلقاسم البوياسينى الاخصاصى • لعله توفى
٤٤ ـ سيدى احمد البوياسينى من قرية ايكيووتا
٤٥ ـ سيدى ابراهيم بن عثمان الامسراوى فقيه حسن يقطن الان فى بعمرانة لايزال حيا

٤٦ ـ سيدى زكرياء الاصبوياوى • لايزال حيا
٤٧ ـ سيدى زبير الاصبوياوى • لعله لايزال حيا

فهؤلاء بعض من مروا الىالآن بين يديه ثم كان لهم ما يذكرون به ، وستترى ترجمة كل منكان منهم على شرطنا اذا يسر الله ذلك بفضله وحوله ، فعليه الاتكال في انجازالاعمال

كيف يخيب من على الله اتكل ام كيف لاينجح مع ذاك عمل
والله لايخيب الرجاء فليرج منه من يشا ماشاء

آثـــــار

من ءاثار الاستاذ حفظه الله رسالته القيمة الخالدة التي تضم الى ءارائه السديدة ، استشفافا لما في المستقبل ، وتوسم لما تلده المقدمات التي شاهدها من النتائج كتبها الى بعض ءاله بتزنيت ، حين اجتمع الناس هناك ياتمرونفيما يفعلونه في أمورهم وقدبرز الشيخ احمد الهيبة الى الميدان رافعا لراية الجهاد المقدس ، فآزره في ذلك المجتمعون هناك ، وذلك في جمادى الثانيةعام ١٣٣٠ه

الـرسالة :

«وفق الله جمع الاخوان ، الذين هم على البر والتقوى نعم الاخوان والاعوان وأعانهم ووجههم لمافيه رشادهم ، لتحصل بذلك استقامتهم وسدادهم ، وسلام الله عليكم ورحمته ماتسددت لمن تاني في ارسال سهمه رميته»

هذا ولازائد والحمد لله الا مادهمني من مضمن كتابكم الوارد على بالوطن ، المنذر والعياذ بالله بانقداح الفتن ، وتواليها على هذا القطر المغربي المنو من قديم الزمان بالمحن ، نسال الله لنا ولكم السلامة منها والعافية ، وشمول رعايته الوافية ، آمين آمين ، بجاه النبي وءاله الغر الميامين ، وكان هذا المتشوف لهذا الامر الذى انبعث اليه اليوم ، ممن باء باشارة الاصابع اليه بانه عمر (١) بين القوم ، ولم يدر هذا القطر وغدر أهله ومكرهم لانهم جميعا منجهلة البرابر، فتطاول بحسن نية منه الى ارائك الملوك وعروشهم ، بعد انلم تكفه في مساجد الدراسة والارشاد الكراسي والمنابر ، وأهل المغرب كما قيل قبل ، معادن الهمز واللمز والمجون والاستخفاف بنظام الملك مالم يصل عليهم صاحبه بالصارم المسنون ، واخاف انيندم حين لاندم نافع ، يوم لاينفعجاه ولاشافع ، لكن من صفعته يده لايعول على مافعل بنفسه بيده ولايبكى ، ومنالقى بيده الى التهلكة

١) تلميح الى قول الشاعر
اذا ايقظتك حروب العدا فنبه لها عمرا ثم نم

وهو ينظر ما جزاؤه الاان تصم دونه بعد المسامع فلايشكى ، وكانه لايدرى ان لاهلك ، سوى الملك ، وانلامنجى ، لمنزلقت رجله فى المهواة والليل قدادجى، لاسيما فى هذه البلاد ، العديمة الاوتاد والعماد

والبيت لايبتنى الا بأعـمـدة ولا عماد اذا لم ترس اوتاد
فان تجمع أوتـاد واعـمـدة وساكن بلغوا الامر الذى كادوا

فياليته انكان لابد له من هذا تستر اولا بالجهاد ،فقاد العباد، حتى يتمكن فى القلوب ناموسه ، اذ يمكن ان ينجح فى طلب الملك بعضنجاح ، وانيرجى لهفى ذلك بعض الفلاح ، لكنه قد اغتر اليوم بمايسمعه منانـه كـان سلطانا منصورا، وكان امرالله قدرا مقدورا ، وطالما قام قبله لهذا الامر من ابناء الزوايا رجال ، فلم يتم لهمشيء ولاصلح لهمحال ، ولذلك ولامور اخرى تعلمونها ايها الاخوان احذركم انيكون منكم لهذا الامر اقدام، فانكل خطوة تخطونها فانمـا تتقدمون بها لمزلة الاقدام ، فلا تغلطوا فانمثلهذا الغلط ماح لصحف المناقب، ويفضى بلاريب ـوالله اعلمـ لسوء العواقب ، لاسيما اليوم والحالة تعلمـونها جمعا، وقد حدث الواردون من الغرب فملأوا بماقالوه لنا ولكم سمعا ، وقـد تحقق من اخبارهم خروج العدو وانه غادر فاسا (١) ، حين اذاقه اهلها اعانهم الله مرارة الحرب واروه نجدة وباسا ، واهل فاس واهل الغرب اهل الحـل والعقد ، والتسليم والنقد ، فهم آل الدار البيضاء واهل النظام والملك وماسواهم رعاعاهل فوضى ، أتظنونهم يخرجون الملك من حضرتهم وهم ماهم وفاس هى ماهى، أم يعدون ذلك عليهم منأعظم المصائب والدواهى ، كلاانهم لايرضون بذلك هم ولاكل من بالمغرب ، وفيه مافيه من قائد عظيم وعالم معرب ، وغيرهم فى الحقيقة جهلة بهذا وسوقة ، لايعرفون كيف يقايضون فى هذا الامراندخلوا سوقه ، وكذلك جميع الامم حول المغرب ، لاتقبل كلاما الااذا كان من هـؤلاء أوممن عنهم يعرب ، ففاس ومراكش وماحولهما هما عماد القطر الكبير، واما سوس والاطراف فلاتعد فى عير ولانفير، فلو دام استيلاء العدو على تيـنـك الحضرتين الى اليوم واخذ منهما بالنواص لقلنا يمكن هذا الذى يحاول اليوم عندنا ان نجد لنا فيه عذرا مع مافيه من الاعتياص ، اماالآن فمن المحقق انمن سعى فى احداث شيء بهذه البلاد ، انما سعى فى اراقة دماء المسلمين فيمـا بينهم وفىافساد العباد ، وقد علمتم حفظكم اللهمافى اراقة محجة دم، مـن معصوم الحرمة والدم ، فاتضح لكم وضوح الشمس ايها الاعلام، أن الواجب اليوم الامساك والاحجام ، رعيا لمصلحة البلد والقوم ، لئلا يكوناحد منكم عونا على العدوان والاثم ، وان طلبتم منى الجواب الاخير فى هذا الامر، فلاارى الا

١) راج بين الناس بعد واقعة فاس ان العدو قد انهزم ، وان جيش السلطان قد انتصر

التوقف والتريث حتى يتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ، واعتذروا بان بيعة المولى عبدالحفيظ فى الاعناق، وجمع بيعتين فى حين لايجوز باتفاق ، لان موته المتداول لم يثبت كمايجب بالعدول، والمسارعة الى شيء اخر سوى هذا من الانحراف عن الجادة والعدول، سدد الله اراءكم لغرض الحق والسداد ، وذهب بناوبكم مذاهب المحبوبين من اتقياء العباد ، فلا ينبغى ان ينسى ماصدر من امثال هذا الذى يتطاول اليوم من العلماء المنتهجين هذا المنهاج الوعر السلوك ، المردى لكل من زاحم فيه الملوك ، كابى محل رحمه الله، على انه قال اردنا ان نجبر الدين فاتلفناه، والشيخ ابى عبد الله العياشى، والشيخ سيدى محمد بن ابى بكر الدلائى ، والشيخ ابى زكرياء سيدى يحيا بن عبدالله بن سعيد بن عبدالمنعم الحاحى ، وغيرهم من العلماء رحمهم الله، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر له شروط لم اعلم بعضها اليوم ، ولكن الله متم نوره بالصالحين اللائقين لهذا الشان ، دون الاغمار ، المنتحلين لهذه الطريقة الجالبة للشنار، بالمكاثرة برعاع همج كالرمل والحصى، فهؤلاء حقا من يطرق لهم بالحصى ، ويقرع بالعصا ، ولكنهم مع ذلك قلما ينتبهون من الضلالات ومذاهبها ، وقديما قيل ان حب الرئاسة لايقلع حتى يذهب براس صاحبها، فعليكم بالاستئناء بهذا الامر ، فلا تعجلوا فيه بالسير ، اللهم الااذا استحكم لهذا الانسان امره وقرله القرار، فحينئذ نحن بالخيار ، فاما ان ندخل فى امره اونترك له هذه الديار ، وكاني بامره قد انتقض عن قريب كما انتقض امر امثاله المتقدمين، اترنيت هى التى يتخذها الملوك دارا؟ وهل سكان الفحص الذين بايعوه اليوم هم الذين يأمن منهم غدا من حوله فرارا؟ ام يقفون له على عهد ، اويفون له بوعد ، اويعرفون لمثل هذا معنى، ام يقدرو ن ان يحموا بدورهم مغنى، بل هم فى ساعة الوطيس ، يولون الادبار لاول وهلة تولية جديس ، وأيضا يوم يقر للملك بالفحص قرار ، لاتحفظ لناولالعقبنا حرمة ولايحمى لنا ذمار، يومئذ تستباح هذه الاصقاع السوسية ، وتغشى بالمناهى والمناكر التى تنالها باستيلاء الملك ودوامه عليها فيغتالها بالجبايا والمغارم المخزنية ، الحذر الحذر، فقد قال الله جل من قائل ، وخذوا حذركم، اذ لاداعى اليوم الى هذا الامر ، وقد كنا منه فى سعة مانام عنا الدهر، وخصوصا حين نصر الله الدين بخروج العدو من كبرى الحضرتين اللتين هما قاعدتا الملك بالمغرب ، فلاينزع الامر من اهله كمالا يسند لغير اهله، كمافى علمكم مما لايحتاج قلمى ان يعرب به ، ايدكم الله وارشد ، واعان وسدد ، على ان الملك اذا قارب الهرم لاتشتد وطاته الاعلى من والاه ، ويستريح منه من باعده وناواه ، ويستمر كذلك الى ان يحدث ملك اخر صنديد، بصنع سديد، فيشعب الصدع ، ويضم الاصل والفرع، واتقوا الله ياأولى الالباب لعلكم تفلحون ، فلا يرتجى ورى فيما انتم تقدحون، فلاتجعلوا مدخلا لهلاككم وهلاك من بعدكم من أولادكم واخوانكم من المسلمين والمسلمات، والمومنين والمومنات، فلايخفى ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة

اهلها اذلة ، وكذلك يفعلون ، فهل انتم تصيخون ايها السامعون ، ثم انني وان اكثرت الكلام ، وتفيهقت فما على من ملام ، فالله يعلم صفاء النية وحسن الطوية، فانتم وان لم تحتاجوا لكلامي هذا لنفوذ بصائركم ، واستنارة سرائركم، فان الذكرى تنفع المومنين ، والتناصح واجب على كل حال بين المسلمين، فاوسعوني عذرا ، واسالوا لي من الله ثوابا واجرا ، وكتبه اليكم مسلما عودا على بدء ، اخوكم الجاني الفقير الى ربه ، عبدالله بن محمد سامحه الله في المقال ، واصلح له الاحوال ، «امين»

هذه هي الرسالة الفذة التي ظهرت بها ناحية اخرى من نفسية الاستاذ وحزمه، وأنه ممن يزن الامور بما يراه من القسطاس ، ولايستهويه مااستهوى كل الناس ، فقد حدثني بهذه الرسالة في السنة الماضية ، وذكر انها قليلة الجدوى ، وان عهده بها في شق من سقف بيت في داره ، فالحت عليه ان يوصلها الى ، فبعثها فاذاهي قطع ممزقة ، قد تطاير بعض اطرافها ، وآتى القطع على سطور منها ، ولكنها قليلة جدا ، بل ماذهب يبقي بعض حروفه للعيان فكان من سخرية القدر ، بعد ان قراتها فوجدتها درة يتيمة ، وادركت لها من القيمة مالايعرفه لها ربها الذي جعلها من سقط المتاع ، طويتها في رق اخر، وكنت جلست عشية في سطح الزاوية، ثم قمت ونسيتها الى مابعد الغد ، فاتاني بعض اولادنا بقطعة منها وجدها في المركع ، فماكدت ارى القطعة حتى تذكرت فقمت كالمجنون افتش عنها فلم اجد شيئا ، وبعدايام اتاني موذن الزاوية ببعض القطع الاخرى صادفها في فناء الحائط الخارجي تتلاعب بها الرياح ، فاعدت قراءتها وقابلت بين قطعها ، فاذا هي تكاد كلها تجتمع من جديد ، على مافيها من محو وتمزيق في الجمل غير قليل ، ثم دفعتها الى انسان غير حاذق بالفهم ينسخ لي، فاعتراها من يده من التصحيف والتحريف وترك السطور بينها طامة جديدة، ثم تجددت ثانيا حين حررتها بيدي فاصلحت ، واتممت ماكان نسيه الناسخ اوكان ممزقا من الاصل الذي نسخ منه، وقدكنت رددت الاصل لربه، وبقيت هذه الرسالة العالية بعد ذلك في يد التاريخ ، بعد ماتجاوزت هذه العقبات التي كادت تاتي عليها، وهي الآن على كل حال بعد تخريجها وتتميم ماسقط منها خلقت خلقا جديدا بهذا الاعتناء

ثم ان قول الاستاذ ان الاجانب خرجوا من فاس ليس الامر كذلك، ولكنه معذور ، لانه كتب ماسمعه عن الواردين (وما «افة الاخبار الا رواتها) ولعل هؤلاء غرتهم وقعة فاس الشهيرة «اخر ايام مولاي عبدالحفيظ ، فبنوا عليها ما يشتهونه ،

واما راي الاستاذ في الشيخ احمد الهيبة ، فقد اصاب في البعض واخطا في البعض، على اننا لايهمنا الآن اصابته او خطاه ، وانما تهمنا الرسالة وحدها التي خرجها تلميذه فسواها وقدمها بقلمه للتاريخ مستسمحا استاذه فيما فعله

وكتب الى عمه الاستاذ سيدى على ، وهو انذاك لايـزال يتلقى عـن الاستاذ الافرانى فى المدرسة التانكرتية قبل عام ١٣١٨ هـ :

«سلام الله على من به تنورت ازهار تلك الرياض ، وبه نبعت فينا عيـون وامتلأت حياض ، ابى وشيخى وسيدى وسندى ابى الحسن ، حفظكم الله من كل مالايليق بجنابكم، ولايليق لكل من كان فى حسابكم ، وقـد وصلنى ياسيدى سرورك بتلك الابيات ، التى اتت الى ياشيخى وابى مـن الموهبات ، فـاذع لى ياسيدى أن ارى فى منزل الحق كالبدر ، مجتنبا للباطل لادانو منه بشبر اوفتر هذا ولاباس عندى ولله الحمد، فمرامى ان ترسلوا لى ماأتوقف عليه، مع طلبى من سيدى المعذرة ، فالحر من قنع لامن قنع ، واستاذنا الفقيه لايزال بالاخصاص يطلب غنمه المسروقة مع غنم جيرانه ، وقد ذهب الى القائد بوهايا ، وهذا ماتجدد عندنا والسلام»

انتهت الرسالة وقد اختصرتها ، ولنكتف بهاتين الرسالتين كانموذج فى ترسل الاستاذ ، فقد كفتا وشفتا ـ يكفى من العقد ماأحاط بالعنق ـ

أما اثاره الشعرية فهناك منها ما انتقيناه من اشعاره الكثيرة ، ولكن قبل ان ندخل فى ذلك ، أذكر ابياتا كتبها اليه أستاذه الافرانى عام ١٣١٦ هـ ، حين كان يأخذ عنه ، نصها :

اجب عبد الاله وقيت عيا	جوابا بالصواب يرى خريـا
ووجه للبشير (١) فتاة فكر	تروق اذا بدت حسنا وزيا
وشحذ للجواب شباة فكـر	اذا رام الكلام فرى فريا
فلا تخلد لارض العجز واخلع	لباس العى عنك وكن جريا
فاحسن ما اقتناه المرء فكر	يرى مهما قدحت به وريا

هذا ماكان الاستاذ الافرانى يحرض به تلميذه لقول الشعر، فحمله ذلـك على أن كان منه ما نقرؤه الآن

قال يرحب بالاستاذ شيخه وشيخنا سيدى الطاهر بـن محمد الافرانى، وهى من مبادئه :

يا أيها السيد الترضى سجاياه	ومن بافصح خير النطق فحواه
ومن له فى سماء العلم منزلة	ليس ينال لديها الفير علياه
نال المعالى والاقوام فى سنة	منتشئين بكاس العجز قد تاهوا
مدت له الراحة العلياء وهى له	طوع يديه فيرضيها بفتـواه
والقول فى مدحه جد المقال وفـى	مدح سوى وصفه هزل وبهباه(٢)

١) البشير الناصرى او البشير العزى
٢) البهباه : صوت الهدير العالى

ومنكر نوره من بعد ما سطعت شموسه خر فى شفير مهواه
اهلا بمقدمك الميمون طالعه ومرحبا بك ، والحمد لك الله
قد اقبل البشر اذ اقبلت ثم على قلوبنا واستبان الجسم ادواه
ادامك الله للاسلام مكرمة وانت تجنى بدوح العلم احلاه
من ابنك البر عبد الله يسألكم ماء رضاكم لنار ضمن احشاه
ويستمد دعاء لينال به صلاح داريه دنياه واخراه
ازكى السلام وعرف المسك يصحبه من الاله ، الذى فى العد ضاهاه
اسبل رضاك واهم سحب ادعية على العبيد لينجاب اللذ اراداه
بجاه احمد من تجلى به كرب ويستجاب الدعاء عند ذكراه
تترى عليه صلاة الله صاحبة سلامه وعلى كل من والاه
اعذر اخا هذر ان يخط مرقمه فى نفث فكر عليل الطرف مضناه

فاجابه الاستاذ الافرانى

لبيك من والد احيا معيداه قلبا رماه النوى عمدا فاصماه
ما انت الا حيا وافى على ظما روضا ذوى زهره يوما فاحياه
لله منك سجايا كالنسيم اذا صافحه الروض وهنا ذاع رياه
وفكره كلما حاك الذكاء له محبرا من برود الشعر وشاه
وصارم الذهن يفرى كلما عرضت كتائب البحث لاينبو غراراه
وهمة فى سماء المجد سارية كالنجم لاتنثنى من دون اقصاه
ايه بنى فقد حزت الفخار بما ورثت من والد قد طاب مثواه
فقد افادك من علياء قد ملئت بها من الناس اذان وافواه
فجد فى قفو ذاك النهج مجتهدا فالمجد لايرتمى بالعجز مرماه
وحل نفسك بالعلم الكريم فما للمرء قدر بلا علم ولاجاه
لاتخلدن اذا رمت الكمال الى ارض البطالة فهى شر ادواه
ولا تمل لسوى تقييد شارده فقد عنا صعبه من كان عاناه
فان مثلك لايرضى وليس يرى فى صهوة العز والعلياء مغناه
لازلت ترقى الى ان تستطيل على نعائم الجو او فوق ثرياه
ممتعا بنعيم العلم تقسمه بين الانام كما اعطاكه الله

ووفد الوفد الافرانى الى (الخ) يوما اخر والفقيه سيدى العربى الساموكنى بالمدرسة الايفشانية ، فلم يات اليهم ، فعاتبه بعض الحاضرين على ذلك ، فقال الاستاذ على بن عبدالله فى ذلك

دعوى المحبة والحبيب على كثب مع ترك وصلته دعاوى من كذب
ما للمحب ، وقد زعمت وفاءه ، لم يعتذر (زورا) ولا عذرا كتب

ومما قال صاحب الترجمة

ماذا الجفاء وذا الاعراض ياعربى؟ فما رعيت حقوق الود والادب
وقد الاحبة حثوا فى زيارتهم ركائب الشوق فاستظهرت بالهرب

وقد كان أعار شرح الرباطى على العمل الفاسى لابن عمه الاستاذ قاضى (الخ) الآن ، سيدى الطاهر بن على ، فكتب اليه بعدما ابطاعليه فى الرد

ان لى بكتاب شرح الرباطى طاهر بن على أى ارتباط
انه ليس عنه صبر لانى قد شففت بحبه من قماطى
فاذا ما قضيت ما أنت فيه مبتغ فلتعده دون تباط
لم حكمت وانت قاض بمطل فيه ، والمطل ما اقتضاه بساطى
لاتلمنى فالكتب كل افتقادى ما حييت لها وكل اغتباطى
وهى انسى فى جلوتى واختلائى واشج عرقها بعرق النياط
كيف بالصبر عنه وهو سكابى هل تسام سكاب بالاشتطاط (١)
واستحثاث للرجع للكتب دوما من معار ، من أوكد الاشتراط
فهى مثل الشيوخ يلزم أن نسـ ـأل عنها مخافة الاغتماط
فبها نستضىء فى ظلم الشـ ـك ، وندرا بها مزل الغلاط
والذى لايطالع الكتب دوما عن قريب يمنى بداء الحباط (٢)
وسلام على مقامك لازلـ ـت دواما على سواء الصراط

وقال يخاطب الاستاذ سيدى المدنى ويسترد منه كتاب بحراق :

برح بى الوجد من ذكراى بحراقا واحرق القلب والاحشاء احراقا
فوجهته الى اليوم مبتدرا تورق اغصنه فى الحين ايراقا
لكى تكون سماء الهجر نيرة تشرق منها شموس الوصل اشراقا
بورك فيك مصونا دامنا أبدا من الحوادث ارعادا وابراقا
عليك منى سلام الله ما سجعت ورق فهيجن فى المشتاق اشواقا
ماحن قلب الى رمق الدفاتر من كل اخ مطرق للعلم اطراقا

وقال يعاتب صنوه سيدى محمد بن على الالفى ، وقد رءاه يوما فى بطالة ملأها بالجرى على فرس فى بسيط الخ ، مع ان مثله ليس ممن يتفرغ لمثل ذلك ، وذلك اخر صفر ١٣٢٦ هـ :

---

١) سكاب كحذام اسم فرس قال فيها ربها
أبيت اللعن ان سكاب علق نفيس لاتعار ولا تباع
مفداة مكرمة علينا تجاع لها العيال ولا تجاع
٢) الحباط بالضم كمدام داء تنتفخ به بطون الابل من أكل الحندقوق. يعنى به داء الجهل

محمد بن علي جرى القراطيس ... اولى بحالك من جرى الكراديس ١
مثلك يمعن في جني الدروس من ال ... علوم غضا من افنان الكراريس
حتى تحوز من العلياء ما شرفت ... به مناصب اباء قناعيس (٢)
فلو علمت لما انفككت عن نظر ... منقبا عن علوم في الفهاريس
بذاك يرضى الفتى احبابه وبه ... يغيظ اعداءه غيظ الدهاريس(٣)
لكن جرت بك افراس الغواية في ... ميادين الجهل والجون الحناديس(٤)
اليك اهديتها اريد منك سليت ... سماني عزم بدا في شنكل بلقيس
زفت اليك عروسا فاقبلنها فقد ... اتتك ترفل في حلة طاووس
واسال الله توفيق الجميع على ... طريق سادتنا الغر النباريس(٥)
ثم عليك سلام ما سمعت اخي ... (محمد بن علي جرى القراطيس)

وقال ايضا يخاطبه ويهنيه بولد كان ولد له فمات بعد، وقد سماه عبد السلام ، والخطاب في القصيدة موجه الى الولد، وذلك في المحرم عام ١٣٥٤هـ

حفظت من كل هامة ... عبد السلام ولامة
ونلت عمرا طويلا ... مهنئا بالكرامة
تنشا ما بين أم ... ووالد بالسلامة
مشمرا ساق جد ... مجانبا للسئامة
حتى ينال غرار ... نافر دهرا منامه
حين تحل مقاما ... عجز عنه قدامة (٦)
فانت وارث سر ... تنال منه الامامة
تكون في العلم بحرا ... والجود كعب بن مامة(٧)
ومن أتاك اهتداء ... بك جلوت ظلامه
او ان أتاك اعتفاء ... فانت قاض مرامه
او ان أتاك ارتواء ... منك نقعت اوامه (٨)
محمد يا ابن امي ... ابشر بفرد السلامة

---

١) جمع كردوسة وهي القطعة العظيمة من الخيل
٢) جمع قنعاس بالكسر ، وهو في الاصل العظيم من الابل
٣) جمع دهرس كجعفر الداهية
٤) جمع حندس وهي الظلمة وهو بكسرتين والحناديس بالياء جائز في الشعر
٥) جمع نبراس وهو المصباح
٦) قدامة ابن جعفر شيخ الادباء والكتاب المشهور
٧) عربي مشهور يضرب به المثل في الجود
٨) الاوام كغراب العطش

وبـهـلال كـمـال والزهر غب الغمامة
فـلا عـراه افـول ولا ذبول الكمامة
يبقى مـنـيرا مضيئا وراءه وأمـامـه
والسعد حيث حماه فليس يعدو خيامـه
حتى يرى ولد ولد في نعـمـة وزعامة
بجاه أحـمـد والـى عليـه ربـى سلامة
بعـد الصلاة عليـه تترى ليوم القيامـة
ويجعل الله حسنى ختامنـا وختـامـه

وقال أيضا يجيب تلميذه وابن عمه سيدى صالح بن احمد عن قطعة خاطبه بها لم نطلع عليها الآن :

لبيك لبيك ياخير اللدات ندى وطالعا فى سماء المجد نجم هدى
انا لك اللـه ماتبغيه مـن شرف ومن علوم وسر ظاهر أبدا
هدى الجواهر أمهدى الزواهرام حسناء خود ام الاصباح حين بدا
غفرانك الله بل لظم الاديب حوى حلال سحر ودر فى الطلى نضدا(١)
لفظ لديذ ومعنى رائق حكما تهدى لسامعها الآداب والرشدا
يقوله المنشدون الشدق فى نغـم كالصوت من بلبل فى غصنه غردا
كأنه لؤلؤ فى السمط تنثره حسناء من بعد ان قد كان منتضدا
لله درك من فذ قصائـده مصفقات الطلى بالماء من بردى(٢)
فاحرص اخى على كسب العلوم فقد رأيت أن العلا مـدت اليـك يـدا
فمن يكن صالحا تصلح طرائقه لاخير فى صالح ان بعضه فسدا
عليك أزكى سلام الله من قلمى واسمع جوابى ياخير اللدات ندى

وكتب الاستاذ سيدى الطاهر الافرانى الى صاحب الترجمة ، والى سيـدى البشير الناصرى ، وشقيقه سيدى الطاهر ، هذه الابيات يستدعيهم الى داره بافران وهم هناك أما فى المدرسة واما فى دار الناصريين

الى الثلاثة الاقمار، المزرى لطافتهم بنسمات الاسحار ، على صفحات الازهار، السيد عبدالله بن محمد الالغى ، والسيد البشير ، وشقيقـه السيد الطاهر ابنى الشيخ سيدى المدنى الناصرى ، قدس سره ، أما بعد :

---

١) الطلى جمع طلية العنق مضمومة الطاء فيهما
٢) الطلى بالكسر الخمر يشير الى قول حسان بن ثابت رضى الله عنه فى بنى جفنة

يسقون مـن ورد البريص عليهـم بردى يصفق بالرحيق السلسل

والبريص مسكنهم وبردى نهر مشهور ازاء دمشق

فصلوا الفقير لدى الغروب بداره لتطيب من رياكم ارجاؤه
فبانسكم وحياتكم يجلى صدى قلب المشوق ويستجم رجاؤه

فاجابه سيدى البشير بقوله

لبيك ياعقد جيد المكرمات ومن لبى العلا اذدعته غير ذى وكل
دعوتنى ولهيب الشوق متقد فجئت اسرع للقيا بلا مهل
ابقاك رب الورى للدين تصلحه والادب الفض فى الاظعان والحلل

واجابه صاحب الترجمة بقوله

لبيك يا مولاى يا من دأبه تعجيله المعروف لا ارجاؤه
انت الذى يهدى العفاة لبابه عرف العبير تنمه ارجاؤه
العبد يسترضيك كيما ينثنى وتحفه من وصلكم ارجاؤه

ومما كتبه الى الطلبة يوما

اذا كنت تبغى دوام الشبع وتلبس اجمل ثوب صنع
وان لا ترى كدرا ابدا وان لايمسك شيء قدع
وان لاينالك حر الشتا ولا حر صيف اذا ما ارتفع
وتسكن فى مسكن بهج وتنعم فيه بنور سطع
فهيهات ان تدرك العلم يا مريد الروى دائما والشبع
فهم الفتى غير منقسم فشمر لعلم والافدع
فعلم الديانة من يبغه فلا بد من ميله للورع
والا يكن علمه للورى سموما فيردى به من جرع
نصحتك نصح المجرب يا اخى فاتبعنى ولا تبتدع
فلا يدرك الخير الا الذى اذا ما اشرت اليه اتبع

وقال مرحبا بالوفد الافرانى فى احدى وفداته الى (الخ)

جرت الصبا فتضوع النشر ودنا المنى فتناسق البشر

(وقد ذكرت كلها وجواب سيدى الطاهر عنها فى محل ءاخر)

ووفد الشاعر السيد ماء العينين بن العتيك الشنجيطى على (الخ)فنزل على الاستاذ سيدى على بن عبدالله هو واصحابه ، فخاطبهم المترجم بقوله

أ (ماالعين) بل يانورانسانهاالذى جلوت به السراء لائحة النقش
انخ مرحبا اهلا وصحبك من بهم اتتنا المنى تختال مسرعة تمشى
وقروا عيونا انها دار سيد يلاقى النزيل بالمرة والهش
فابقاه من ارقاه حصن سعادة يقيناصروف الدهرذىالمكروالبطش

---

١) القذع كفرح ذو القذع بفتح القاف والذال القذر ، الخناوالفحش

فاجابه ابن العتيك بقوله

انخنا بكم لله در ابـيـكـم فبادرتم بالرحب والبش والهش
بدار من اعتاد القرى فكانـه يضيق به ذرعا فراحته تفشى
واني ارى سيما السيادة والـعـلا ايا ءال عبدالله داركم تفشى

فاجابه ايضا الاستاذ عبد الله بقوله

عروس غدت فوق الارائك والعرش تتيه دلالا فى غلائلها الرقش
ام الشمس فى برج السماء تبرجت اشعتها وسط الهواء وفى الفرش
ام الزهر فى روض الرياحين جاده لدى سحر سح الغمامة بالـرش
نعم انهـا الفاظ در تروق اذ ترق وصافى الود من ضمنها تفشى
امام الهدى (ماالعين) سيدنا الذى آتته حسان المجد سافرة تمشى
عليكم سلام الله ماجن غاسق على عاشق فجن مذكرا ينشى

وقال ايضا يرحب بابن العتيك المذكور ورفيقه الامام من قطعة :

اهلا وسهلا بالامام وما الـــ ـــعينين مـن ضيفين قـد وفـدا
ونازلين منزل القلـب فـــى ضلوع هذا العبد طول المدى
بشراكما عينى قـد وردا ماء كما الزمزم عذبا ردا
لازلـتمـا ولا ازال انـا معكما على بساط الندى

فاجابه احدهما بقوله من قطعة :

امن لاركان الـنـدى شيدا واعتاد مـا مـن فضله عودا
واذهب الوحشة ايـنـاسه وابهجت رؤيته المـنتـدى
وروح الروح وجثـمـانهـا وأحسن المنشا والمنشدا
ساعدك الدهر لـقـد سرنـا يـوم بلقـيـاك لنا اسعـدا
اتحفك الله بنيل المـنـى وكف عن نيلك كـف العدا

وولد للاستاذ سيدى المدنى مولود اثر عيد فقال يهنئه به كما هناه ءاخر

اتى فازدهت انسا صدور المنابر وما ست به نشرا بنات المحابر
وحلت به العلياء اوج كمالها وحلت به النعمى على كل شاكر
ووفت به الآمال ما وعدت به وقرت بما تبغى عيون الاكابر
وليد سعيد من سعيدين كيف لا وطالعه سعد الزواهى الزواهر
اتى العيد بشرى ثم اشرق بعده بعيد عظيم لايمـائـل ءاخر
وما هو الا البدر اشرق نوره فاشرقت الانوار افق البصائر
او السيف يفرى فى غد كل شبهة بعرفانه فرى الطلى والاباهر
او الورد فى روض نضير تفتقـت كمائمه غب الغوادى المواطر
او النجم يهدى فى مهامه ضلة لوجه المعالى كل سار وحائر

بل البحر بحرالعلم يقذف موجه بـدر نفيس قيم وجـواهـر

فاجابه سيدى المدنى بقوله وقد لوح الى منهناه معه

اتى فاطبانى مزريا بالازاهر بروض اريض غب سح المواطر
آتى ساحرا لب الاديب بما حوت معانيه من معنى بديـع المـنـاظر
وما هو الاالسحر حل ارتشافه بكاسات الفاظ زواه زواهر
بلى انـه شعر يروق رواءه فيطربنا انشاده فى المحاضر
حوى كل معنى عبقرى كانه مغازلة من طرف احور فاتر
رقيق الحواشى مثل طبعاللذينقد اجاداه صوغا قادرا تلو قادر
اديبين بدا فى البيان سواهما سريين حازا خصل كل المفاخر

الى ءاخرها

وحدث مرة أن ذهب وفد من العلماء وفيهم المترجم للسعى فى صلح بـيـن متقاتلين ، فدارت بينهم ، وهم سائرون مساجلة كلها دعاء وتيمن ببلوغالغاية التى يسعون اليها ، (وهىكلها فى ترجمة سيدى بلقاسم التاجارمونتى) فـي (القسم الرابع) فى (الفصل الاول)

وقال مرة وقد راى الناس يتانقون فى الملابس ، فارسلها زفرة اعتباروتعاظ فى شيخوخته ، مستغيثا بالله من عقبى ما عسى انيفرطمنه، ومنعادتههوان يمعن فى اخشيشان اللباس كلمارأى الناس يمعنون فى لبس المستحسن منه

ارى الناس غيرى يلبسون ملابسا رقاقا كما دينى وبيضا كشيبتى
وما ضرنى لو تبت لله عاجلا تصح ديانتى وتنصح توبتى
واساله التوفيق صفحا عن الذى جنيته من ءالاف جرم وحوبة
وانى عبد الله ارجو كرامة بما قد حبانى من اضافة نسبتى
وقد قال فىالذكر الحكيم(عباديا) لها مـن اضافة تفرج كربـتـى
فيارب انت المستغاث وانت مسـ ـــتعان على تانيس وحشة غربتى
بجاه أجل الخلق احمد مـن غـدا شفيعى فى حالى شهود وغيبتى
عليه صلاة الله ثم سلامـه الى ان يفوز القارظان بـاوبـة

وقال فى ءاداب مدير الكأس بين الناس ، وهو مقيم الاتاى

لابد فى المدير من نظافـة ومن لطافة ومن ظرافـة
وان يـكـون طاهر الاعضاء من وسخ وظـاهر الاغضـاء
بكـسوة حسـنـة نقـيـة وبزة مغـبـوطـة مرضيـة
فان يـكـن متسخ الابـدان فما له فى المنتـدى يـدان
لانـه مجلـبـة للـتـرح مبخرة مدفـعـة للـفـرح
وان يرى اهـلا لسرد ادب مناسب لشرب اهل الرتـب

مراعيا من مقتضى المقام والحال ما يفضى الى الوئام
مجانبا ذكر النسافى المنتدى فانه مستهجن متى بدا
لا سيما والمنتدى بالادبا قد خص أو بعض لبعض قربا
وليحفظن محاضرات الادبا محترسا مما يشين الادبا
من كل ما يفضى الى تكدير خواطر الاصحاب أو تغيير
فلا يرى فى مجلس نومانا ان الكرى قد يحفظ الندمانا (١)
ولينشرح منبسط الايناس مستقبلا بوجهه للناس
فلا يرى يبصق لكن ان خرج عن مجلس القوم لضر لا حرج
ولا يرى يحك بالاظفار ءاباطه او داخل الاشعار
كذاك لا يدخل من أصابعه فى أنفه حرصا على توابعه
نعم ولا ممتخطا او ناتفا لشعر ولا لصدر كاشفا
وليحترس من أخذه القذانا والقمل والبق او الذبانا (٢)
وليحذر الشغل بالاستياك اذذاك بالاصبع او اراك
ولعبا بطرف العثنون وبا لسبال فهو من جنون
الى هنا الهنا بى وقفا من ادب المدير حسبى وكفى

وسيجد القارىءانشاء اللهمثل هذه الارجوزة فى ءاداب المقيم للاتاى فى (القسم الثالث)فى ترجمة سيدى محمد بن العربى الادوزى ، ومن أراد الموازنة بين ماقاله وماقاله الادوزى فان ذلك ممكن ، لان الموضوع واحد. وكذلك مالرفاكى ولاهله الاكراريين فى (القسم الرابع)

وكان خاطب عمه الاستاذ على بن عبد الله بقصيدة يطلب منه ان يلقنه اذكارا ولكننا لم نقف عليها ، ولم يستحضر القصيدة لماسالته عنها حتى كونه قالها، وقد اجابه عنها الاستاذ عمه بما نصه :

على الحبر عبد الله نجل محمد عبير سلام كل حين مجدد
ورحمة مولى لم يزل فى تعطف لمد من قرع بابه وتعهد
وبعد فقد وافى نظامك مزريا بمنظوم در فى قلائد عسجد
يبرد منه وقد علة غلتى معين المعانى فهو اعذب مورد
ينسى شهى الراح من مد راحه اليه ويسلى الصب عن حب خرد
ويخجل طلعة الغزالة فى الضحى ويحسب سحبان به ذا تبلد
يذكرنى عصرا تقادم عهده فيا برد ما اهدى الى قلبى الصدى
وبالغت فى وصف العبيد بما اقتفت عيون الرضا من كل اسود اصيد
وتستسمن الاورام فيه ومن تحـ ـطه فعلته لم يعله قول منشد

١) أحفظه أغضبه

٢) القذان بكسر القاف وفتح الذال مشددة جمع قذة بضم القاف ومن معانيها البراغيث والذبان كالغربان جمع ذباب

وتطلب اذنا فى اتخاذ طريقة التـ ـجانى ، وتلك جنة المتعبـد
يروح الى نيل المكارم لابس لخرقته من غير جهد ويفتدى
ولم ار اهلا للشروط التى ترى من الناس الا الطاهر بن محـمـد
فزره على شوق يبرح واتخذ عليه ، ومكنه المقادة فى اليد

وقد كان ذلك فى عاشر ربيع الثانى عام ١٣٢٥ هـ

هذه نبذة مما قالهشيخنا المترجم اوتعلق به، اختصرناها من كثير بيـن ايدينا وانتقينا مايمكن ا نيقبل عند القراء ،علىانه حفظه الله كثيرا مايقـول اننى لااعرف للادب طريقا ، ويتبرامن الافلاق فيه ، ويدل ذلك منه على شيئين اولهما تواضعه مع هذه المكانة التى يراها القارىء ، وقد رأى امامه ماتقـدم، وثانيهما ان لهمقاما كبيرا وذوقا سليما عالى المنزع، فكان يحب انيجول فـى اعلى مايجول فيه، وكفاه ذلك شرفا ونبلا ، وقديما قال امثاله مانـريـده لايواتينا ، وما يواتينا لانريده ٠

هذا وقد وقفت على رسالة صغيرة كتبها استاذنا الافرانى الى صاحب الترجمة فى التهنئة باحد اولاده :

«الاخ الذى جل فى محل السيادة ، وآتى من معجزات الفضل بمـا خرق العادة ، وتكفل له رائد السعد بالبشرى والزيادة ، محل الولد فى الشفـقة، والاخ فى الثقة ، والوالد فى المقة ، سيدى عبدالله ابن شيخنا المقدس المتقلب فى أردية الرضوان ، وأودية الروح والريحان ، اعز الله مقامه ، وأراه مـن الدهر ابتسامه ، وسلام عليه، ومن به واليه

ليهنك يابدر الدجى مطلع النـجـم بيمن الرضا والسعدوالسوددالجم

فالله يبارك فيه وينبته النبات الحسن، ويبقيكحتى ترى ولدا قدشب من ولده ونهنىء ابازيد بمثله ، ونسأل الله انيبارك فيه وفى نجله، فوالله لقد قـرت العينبهما ، وطال السرور لمطلعهما ، جعلهما الله قرة عين للمتقين ، وعـلـم هداية للمهتدين ، ءامين ، ويسلم عليكم الصهر سيدىالقرشى مهنئا وداعيا والسلام»

ثم وقفت على اخرى مثلها نصها :

«الاخ الاسعد والامجد الاصعد ، والفذ الاوحد ، قرة العين ، وانس القلـب، سيدى عبدالله ابن شيخنا المقدس ، اعزالله مقامه، وانجح بمنه مرامه، وسلام عليه ورحمة لله وبركته ، هذا فالله يقر عينكم بالولد وينبته النبات الحسن

هنئت بالبر التقى ومن يكن برا تقيا مثل ذلـك ينتج

* * *

هنئت ياليث الشرى بالشبل فانتما خير اب ونـجـل

وقد فرحنا غاية الفرح بشروق طلعته ،ويمن غرته ، والسلام»

اخبار عنه اخيرة

عرفت فيما تقدم كيف يدير استاذنا التعليم ، وكيف يزاوله بهمة عالية انفرد بها من بين الالفيين ، وءاثارها تظهر فى تلاميذه ، وفى كل من يمر بين يديه، وذلك من خلقه ومن صراحته ومن محبته لنشر العلوم ، ومن خوض المعارف ولكنه لما قوض أطناب المشارطة فى المدارس ، واعرض عن ميدان التعليم والتهذيب ، تقوض به مطنب عالى العماد ، متسع النواحى ، حتى ان الديسن يعرفون منه ما يعرفون ، ليرون اعراضه هذا أحد الاسباب الكبرى لهذه الظلمة التى صارت تخيم على الالفيين ومن اليهم ، فقد تولى عن ذلك الميدان فتولى تبعا له كثيرون ، ولما كنت جاريته فى ذلك اذانا فى (الغ) منذ عام ١٣٥٦هـ الى مختتم ١٣٦٤ هـ ، كان يعتذر بالحالة التى خيمت على كل هذه النواحى بعد الاحتلال حيث لاحرية متسعة ، ولاارادة مستقلة لاى انسان، فكنت لاأقبل عذره، كما أننى لاأحسبه مقبولا عند خالقه الذى وهب له ماوهب ، ممافيه منفعة العباد وتنوير البلاد ، وكم ءاسف حين أراه لايشتغل الافى الدفاع عن أراضى الاسرة الصالحية ، اذ يقف بنفسه ـ وهومن هو ـ أمام المحاكم التى تشتغل بالفض فى النوازل فاقول بينى وبين نفسى : المثل هذا خلق هذا الاستاذ العظيم ؟ اوليس الاجدر به أن يكب على التعليم والتثقيف والتهذيب ؟ فان ذلك هو المقام الذى لايقوم به سواه . أما مقامات المخاصمات فان اى فرد من أفراد الصالحين ـ وقد وفر الله جمعهم وكثر عددهم بفضله ـ يستطيع ان يقوم بها احسن قيام ثم فيما بعد عام ١٣٦٥ هـ بشرنى مبشر ـ وانا بمراكش ـ أنه شارط فى المدرسة الايفشانية . فعادت به الدراسة جذعة . فقلت الحمد لله الذى اعاد المياه الى مجاريها واعطى القوس باريها

وها هوذا الآن منذ تلك السنوات يبدىء هناك ويعيد ، ويقبل ويدبر . وان كانت همته الآن . وهوابن سبع وسبعين سنة . ليست بهمة ذلك الشاب القوى المقدام ، وان كان الاسد هوالاسد وان شاخ ، مادامت معه براثينه وأنيابه ، ولايزال هناك الى الآن ، ١٣٧٧ هـ محمود المساعى مشكور الاعمال

وبعد فقد جمعت فى الالفيات كثيرا من ءاثاره التى بينى وبينه اذكنت فى الغ مابين مفتتح عام ١٣٥٦هـ الى مختتم ١٣٦٤ هـ

حفظ الله شيخنا وجعل فيه البركة وارانا من اولاده الآخرين مما ارانا من ابنه النجيب العالم الكبير سيدى صالح خليفة ابيه ونتيجته الصحيحة .

وأخيرا

فارق تلك المدرسة (الايفشانية) فلزم داره حيث هوالى ءاخر ١٣٧٨هـ ثم انه اتصل بمدرسة والده بعدما غادرها سيدى الطاهر بن على بن عبد الله الـسى

(تامكروت) فهو يوالى فيها الدراسة معثلة من الطلبة يتناوبونها ، على ضعف في جسم الشيخ حفظه الله

اولاده

ادرك له أربعة محمد ، وعبد الحى (وقد ذكرا فى الفصل السابق) ، وصالح وستراه امامك • وعبد الحق ، وهو اليوم ازاء والده ، وهو وسط فى معلوماته وقد عانى حينا التعليم فى بعض المدارس الحديثة ، وهاك رسالة كتبها الى

الى معالى سيدى الوزير المحترم ، والى مقامه الافخم ، خير السلف ، وبركة الخلف، أزكى السلام، وأجل احترام، حضرة سيدى الارضى والاستاذ المرتضى أرضى الله مقامكم الافخم • وشيد صيتكم الاعم ، وطيب سمعتكم الشهيرة ، ووطد مجادتكم الكريمة ، وأحدق معاليكم باليمن والسعد وأظل سيادتكم بمديد العمر ، شيخ الجماعة ، وعلامة الساعة ، سيدى محمد المختار السوسى من به نفتخر بين الصادر والوارد

ويقول القائل شبه أبيات لاتقل ولاتقف من دون حد القصائد

يكفى لسوس اذا ما الغير فاخره مجدا ومكرمة مختارنا السوسى
قد قام بالجد حتى نال مرتبة شماء من كل معلوم ومحسوس
لله درك من مستخرج نكتا تذكر فيما مضى من جنس مرؤوس
ومنشئا حبرا جلت محاسنها ومقدعا زمرا تسعى بتدليس
ومنقذا امة قضى الزهو بها ومنعشا رقبا ءالت بتفليس

هذا وان الفرض فى سيادتكم بعد الحمد على سلامة الاحوال ان احيطكم علما انى وفيت بالوعد المفترق عليه من الرجوع الى تناول الغداء بحضرتكم الفخيمة فجابهنى بعض الحراس بان سيادتكم توجهت الى البيضاء ، فرجعت على قدمى صوب بعض الاخوان هناك ، لان الوعد بلا وفاء كما قيل عداوة بلا سبب ، وقد رجعت الى مكتب وزارة التعليم حين وصلنى ذلك الطلب المعلوم ، فلم يقبل منى عذر التأخر لمضى الاجل ، وبهذا اعلنوا واستغرقت هناك مدة لاتقل عن ثلاثة أيام ، ثم توجهت الى البيضاء ،حيث أبلغك شكرى خوف أن يقال ذهب بلا وداع ، ولولاكثرة الحياء الذى حال بينى وبينك ، ولولا أننى اطلعت على انك فى اقتحام الكرم والجود ، واختلاف الاضياف والوفود ، وارضاء رغبة كل بلا من ماقصدت سيدى ،ولااتخذت معاليك رهن اشارتى ، ولكنى رايتكم أهلا لحاجتى فقصدتكم راجيا من الله بعض بركاتكم ونفحاتكم ، عسى أن أعطى حظا كافيا من النصائح والارشادات كامثالى ، وأملا منى ان لايخيب فيكم هذا الظن الجميل•

كفكفت عنى همومى حين قلت لها هذا أبو دلف حسبى به وكفى

(الى ءاخر الرسالة)

ابنكم المخلص عبد الحق بن عبدالله بزاوية تحت الحصن فى (تافراوت) بناحية (اكادير) وفقه الله ٢٣-٢-١٩٥٩م

الاديب محمد بن على الصالحى

١٣٠٦ هـ = حـــى

نســبــه :

محمد بن على بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هنيئا بدا للفضل من فلك المجد ... فضاء به افق الهدى كوكب السعد
وقرت به عين الفضائل واشتفت ... رسوم العلا مما بها من ضنى الوجد
وطاب بها مجرى النسيم فلو سرت ... لما قلت جاءت من سوى روضة الورد
واصبح سارى البرق يعدو مبشرا ... باشراقه من حل فـى جانبى نجد
فعاد محيا الكون مستبشرا بـــه ... واعلن للرحمان بالشكر والحمد
فلله طفل شاع فى الكون فضله ... جنينا وعمته السعادة فى المهد
والقت له شوس المكارم امرهـــا ... رضا وتلقته السيادة بالايدى
وترمـق عين البـدر نـور علائـه ... حياء كما يرنو ذو والاعين الرمد
فسوف ينيل المستميحين من جدى ... انامله ما يخجل البحر فى المد
وتضرب من شرق البلاد وغربهـــا ... اليه نحور العيس للفوز تستهدى
ويشرح من قوم ببالغ حكمة ... صدورا والبابا اصم من الصلد
ويشرب مـن حوض المعارف عذبها ... ويدرك ما اعيا الفحول بلا كـــد
فلم لا ولم يقصر بها عن بلوغـهـا ... ندى والد ندب كريم ولاجد
وماينكر الزهر الشميم بروضه ... ولا الدرة العصماء فـى وسط العقد
فياسعده نجلا نـزيها باصله ... شبيها كما قد قد سير من الجلد
فلازال محفوظ الجناب مباركـــا ... يسدد مايخفى من الامر او يبدى
مصونا بلطف الله من كل حاسد ... ومن ماكر غاو ومن كل ماكيد
ونفسى ونور العين منى وكل مـا ... حويت له من كل نائبة تفدى

* * *

اياسيدى يامرشدى يامؤيـدى ... ويامن جميع الخير منه لنا اسدى
ليهنك ما اولاك مولاك منعمـــا ... عليك به من فلذة القلب والكبد
واطلعه من افق مجدك منـة ... وشد به عضديك احسن ماشد
فدام على علياكما الصون وارتدى ... جنابكما باللطف حالا ومن بعد
وردت بنحر الحاسدين نبالهم ... واردفت النعماء عندك بالزيد
فليس سوى الاكثار من ذا الدعا لدى ... عبيدك دينار ولا درهم يهدى

وقدقيل ان جلت على العبد نعمة لمولى فما غير الدعا شيمة العبد
على انه لو كان ذا الكون ملكه واعطاكه فى حق جنبك لم يجد
فدونكها بنت السبيل تروم من ندى راحك الجم الرضا بدل الرفد
توقت بما من نفحة النجل عطرت شمائلها من لفحة الرد والنقد
تجوب اليك البيد يقتادها الهوى لساحتك الميمونة الوصل من بعد
فاول لها منك الرضا واقبلنها بعلاتها من مقتر بالغ الجهد
عليك سلام يملأ الكون نشره وعمت ذراكم نعمة الصمد الفرد

تلك هى التهنئة التى ارسلها العلامة الافرانى ، وهو اذذاك يتلقى فى (تارودانت) ولذلك عبرعنها ببنت السبيل ، وربما كانت هذه اول تهنئة لذلك الاستاذ فى اولاد استاذه الالفى ، فقد راينا له منها كثيرا ، ويرى القارىء ما تيسر منها فى مناسبات ، وسيقراذلك فى مفتتح التراجم التى ستاتى لاخوة هذا الاديب المترجم

هذا الاديب أخو شيخنا سيدى عبدالله بن محمد لامه ، فقد خلف الاستاذ على بن عبدالله صنوه الاستاذ محمدا على زوجه هذه مريم عمتنا كما ذكرنا ذلك فى ترجمته ، فولدت له بنات واولادا منهم احمد بن على الذى سقط قتيلا ليلا برصاصة بعض من يزاحمهم امورا ، ومنهم صاحب الترجمة احد ادبائنا الكبار المكثرين الذين يقولون فى كل مناسبة ، ويوحون على اقلامهم كل خوالج اذهانهم منذ عرف القلم الى الآن وهلم جرا

متلقاه للقرآن والعلوم

تلقى القرءان عن شيخ الجماعة سيدى سعيد بن عبدالمومن التاويبتى والفقيه سيدى الحسين الايموكديرى ، وسيدى ابراهيم الفقيرى البعقيلى القتيل فى الزاوية غدرا ، وسيدى مولود الصوابى ، وهؤلاء كلهم تقلبوا فى مسجد الزاوية العليا اذذاك ثم انه افتتح المبادىء على الاستاذ سيدى العربى السماموكنى فى المدرسة الايغشانية نحو ١٣٢١ هـ فلازمه سنوات الى سنة ١٣٢٦هـ حين شارط اخوه شيخنا سيدى عبدالله بن محمد فى (أداى) ، فالتحق به فلازمه فهو الذى شذبه وهذبه ، وخرجه أحسن تخريج بين الطبقة التى اقبل عليها اذذاك كل اقبال، وقدرايت فى ترجمة والده الرسالة التى ارسلها اليه، وهوهناك يستحثه على استظهار (المقامات الحريرية) ، ثم فى سنة ١٣٢٩ هـ اتصل بالمدرسة (البومروانية) عند الاستاذ شيخنا سيدى الطاهر الافرانى ثم انتقل معه الى المدرسة (التانكرتية) سنة ١٣٣١ هـ فبقى مابقى ، ثم التحق بالمدرسة (الالفية) حيث يكون فى متناول والده الذى يريد منه المعاونة على الشئون ، لانه أكبر اولاده. فكان يتلقى عن والده وعن سيدى بلقاسم التاجارمونتى ، مع ادارة اشغال والده ثم لايزال يميل الى مزاولة الشئون شيئا فشيئا فى دارهم ، حتى انقطع اليها بالكلية ، فكان عضد والده الايمن، وجنبه الذى يتكىء عليه ، ورسوله فى

الحاجات، ومنفذا لاموره كلها، مع ملازمته للمجلس العلمي الدائم في ثوى الدار ، فكان يشارك في كل الابحاث التي تدورهناك في كل الاحيان متى حضر في الدار ، وبهذا لم تكن منه مزاولة للتدريس الا في حين انقطاعه في المدرسة، اذكان يعين الاساتذة في المبتدئين فممن اخذوا عنه اذذاك الحسن الكوسالي، وعبدالله بن محمد الايكدماني الايغشاني ، ثم لم يبلغني عن ذلك مايمكن ان يحوم حوله القلم اكثر من هذين ، وقد اخذت عنه انا في (تانكرت) بعض (المبنيات) وكل حياته بعد ذلك انما هي في ادارة الشئون والقيام على العبيد ، والسفر معهم، والمراقبة على الدخل والخرج ، الى أن توفي والده سنة ١٣٤٧هـ ثم لايزال على هذه الحالة الى الآن ، في مزاولة شئونه الخاصة ، بعد ان اختص بنصيبه في الارث، وقد تزوج بكريمة الفقيه سيدى سعيد بن الطيب الاكمارى أخت الاديب سيدى أحمد بن سعيد ، ولكن الله لم يبق له الا الولد المحفوظ من الذكور وبعض البنات ، بعد ان دفن منها كثيرين يدرجون في الصغر ، الى هذه السنة الماضية سنة ١٣٥٦

نبذ عنه

غبت عن البلد عشرين سنة ، فحين كنت افتش في السنة الماضية ، وقد عزمت على خدمة تاريخ الخ بهرني ماأجده لصاحب الترجمة من القصائد والمقطعات الكثيرة ، فسألت عنه فاخبرت ان قلمه ماهدأ قط عن القريض، يلقي ماتيسر على عواهنه كيفما تيسر ، ولامقصود له الا ترويج الادب ، مع امعانه في الاشغال ، فاعجبني ذلك منه غاية الاعجاب ، وقد قلت له يوما وقدزارني هذه والله مزيتك التي انفردت بها وامافلان وفلان فماكاد اينزجان في الاشغال حتى نسيا القرطاس والقلم ، والقيا ماتلقياه في المدارس ظهريا، فالله يجزيك عن الادب ، وعن حفظك لهذا الكنز الذي ماادركه الاولون من الالفيين الابعد جهد على جهد . فاستبشر محياه عند سماعه ذلك ، فجزاني أيضا خيرا على حسن ظني به، وذلك كله يدل على أن محبة الادب خالطت فؤاده ، وجرت منه مجرى الدماء في العروق ، ثم ان له مزية اخرى ظهرت لي منه هي طهارة السريرة وعدم كتمه ضغنا في صدره ، فانه كالماء الصافي في المنهل الذي صفقته الرياح يظهر لك كل مافي قرارته من حصباء بيضاء ، ولايخفى ذلك ، فهذه لعمري من مزايا الرجال ، حفظه الله ، وحفظ له ولده المحفوظ واخواته

آثاره

اعتاد منا القارىء ان نطرق نواحي عديدة ممن نترجمهم ، فنتعرض لاخلاقهم ولمشارطاتهم وللاخذين عنهم ، ثم نتفرع بعد ذلك لآثارهم ، ولكن رءانا الان وقد صمدنا للاثار من اول وهلة ، حقا ذلك ماكان منا ، لاننا رأينا اخلاق صاحب

الترجمة ، وما يتعلق بحياته ، قد اكتفينا منها بمارايته ايها القارىء فيما تقدم وكفاه خلقا متينا انه كان يدير ثروة والده الواسعة بكل امانة ، ثم كفاه شرفاان ذلك كله لم ينسه قلمه ، وما ذاأقول وراء ذلك ؟ فاما المشارطات والاخلون عنه فلم يتيسر له ذلك الى الآن ١٣٥٨هـ لانه كان تنازل عن شخصيته ، ووضعهافى يدوالده التى شغلها فيما يريد كيفما اراد حين كان حيا ، ثم استرسل على ماالفه بعده ، فان لم تكف الرجال هذه المناقب ذكرا خالدا وعلو مقام ، فباية مناقب تعلو مقامات الرجال بعد ؟

على اننا سنتتبع بعض تلك الآثار لنلمس منها ماخفى من ابن عمتنا الاديب، فيدرك انحن صادقون ان وصفناه بالاديب ، أم نحن من الذين يلقون الاوصاف جزافا

قال يخاطب استاذه الافراني حين كان يأخذ عنه فى (تانكرت) ويستاذنه فى زيارة اهله فى ثانى ربيع الاول ١٣٣٢ هـ . (ولبعض الالغيين فيها يد)

غنى الحمام بروضة غنـاء ... وتجاوبت طربا بحسن غناء
فتقت بها ازهارها وتـفـجرت ... انهارها ياحسنها للـرائـى
فقضيت من انهارها وزهورها ... عجبا وقد ازرت بزهر سماء
وترى بها ملد الغصون كانها ... نشوانة من خمرة الانـداء
ارسى الربيع بروضها فكانما ... عقد الجمان بلبة الحسناء
لاعيب فيها غير أن حمامهـا ... يذكى رسيس الشوق فى الاحشاء
قذرتها فى ضحوة فرجعت من ... افيائها بجـوى المشوق النائى
فصبا الى اهل كونه بشوقهم ... كف البعاد بجذوة البرحاء
تتضرم الاشواق منى بالبكا ... فاعجب لنار هوى تشب بماء
لمارايت تذكر الاوطان فـى ... قلبى ذكا فى الليلة الليلاء
ايقنت ان شفا الصدى بالوردمن ... عذب زلال الماء من داماء
هل يادنن الشيخ لى فباذنـه ... فتح الرتاج ومدرك الحوباء (١)
شيخى واستاذى ومنبع رحمتى ... فلدى يديه الفوز بالنعماء
من ان يزر حضراته زواره ... ينسيهم اوطانهم بحـبـاء
قدكنت انسى الاهل فى حضراته ... لولا الحمام بـروضة غناء
ياليتنى احظى بنيل وداعه ... متزودا مـنـه بخير دعـاء
فازور اهلا قدكوت اشواقهم ... قلبى وهم اهل السنا وسناء
منى السلام عليك يابدر الدجى ... وملاذ خائف نكبة وعنـاء

---

١) الحوباء : الحاجة

فاجابه الاستاذ وقد غير الوزن على غير المالوف عندهم او لعل هذاالجواب لغير هذهالهمزية

برزت في الحجال بنت ذكاء غازلتنا بمقلة وطفاء
غادة صاغها من القول طبع قد تحلى برقة وصفاء
وجلاها محمد بن علي في منصات رونق وبهاء
وغذاها بماء فكر رمد ته فهوم بصيب الانواء
فزهت من حلى البيان وكلت عن مداها قرائح الشعراء
زاده الله نور فهم وابدا ه بافق العلوم بدر سماء

وجدت هذه القطعة مؤرخة بسنة ١٣٢٧ هـ ، وذكرلى أنها جواب المتقدمة والله أعلم، معأنالتاريخ كماترى مختلف ، والخطب سهل فى مثل هذا

وقال مرحبا بالوفد الافرانى الذى يقدمه العلامةسيدى الطاهر بن محمد عادة قصيدة يقول فى أولها ـ وهى من اولياته ـ

فرح القلب سادتى بالتلاقى بعدما اشتد شجوه بالفراق
قد تفضلتم علينا بوصل هو أرى المحب عند المذاق
سادة شرفوا العبيد بزور بين الخير للعلا منساق
مرحبا بكم وسهلا فانتم مورد القلب فرحة العشاق
كرماء أهلة نجباء علماء الجواب عند انغلاق
ما الفخار الا لمن فاز منكم بدعاء او نظرة او تلاق
فهنيئا لاحمد السمح لما جاء سيرا فحازخصلالسباق(١)
قد رجوت لديكم ايها الجمع دعاء فد المنى ترياقى
فسلام عليكم كل ما حن محب لحيه للتلاقى

فاجابه العلامة الكبير سيدى الطاهر بن محمد على عادته فى جواب كل مزيرحب بالوفد الافرانى الذى يقدمه دائما الى (الخ)

نسمت من قريحة مغداق نسمة عطرت شذا الافاق
نسمة من قصيدة جادها الفكر بماء ذكائه الرقراق
قد جلاها محمد بن علي غادة تستبى بحسن مساق
ووشاها بكل لفظ رشيق وغريب من المعانى الرقاق
وادار منها على القلب كاسا أسكرت كل شارب او ساق
نشرت من أزاهر الادب الغض فنونا أعيت على الحذاق
واقامت سوق القريض فاغلت سومه بالفهوم لاالاوراق
فاجتهد يامحمد والزم الجد فبالجد يرتقى كل راق

١) لعله أحمد الايفشانى

كل عزان لم يوطد بعلم فهو ذل والـذل مر المـذاق
كل مال يفنيه انفاقه والـــ ـعلم ينمو بكثرة الانفاق
ملأ الله قلبك الصافى المر آة عـلـما مروق الاذواق
وسلام عليك ما مجت الاقـــ ـلام مسكا بروضة الاوراق

وقال ايضا يخاطب الشاعر الافرانى فى كتاب

امرغ خدى فى مشاهد سيدى واحثو ثراها فوق عينى والخد
وانشد فى دار الحبيب تحببا لاطفىء عن قلبى لهيبا من الوجـد
قبشرى لقلبى اذ هدى لزيارة تلقحها الاسرار من منبع السعد
فيا سيدى وملجـاى ومسددى وغوث رجاءى حالة القرب والبعد
وصلت جنابا لايضام مضافه ولا يكتوى بنار هجـر ولارد
فان تقبل العبد الحقير لضعفه فيا حبذا اولا فيا حسرة العبد
فها هو محسوب على كل حالـــة على سيدى بدر الهدى الكامل المجد

وقال يخاطب اولا عبداللشيخ سيدى الطاهر يسمى (مبارك بن سالم) ثم تخلص لمخاطبة الشيخ

لله درك يا مبارك طالما الزمت نفسك خدمة الاخيـار
فكفيتهم كل الشئون فلا ترى الا بصحبتهم من الاسفـــار
فى شقة الاسفار تبدو حـا لة الاصحاب من خير ومن اشرار
دم خادما للعلم تحت ظلال من خضعت لهيبته طـلا الاحرار
شيخي الذى طاب الربيع بنشره وبنور طـلـعته سنا الاقمـار
اما الغمام فدون واكف سيبه اما العلوم فلـجـة التيـار
اما اللطافة فهى من اخلاقـه تزرى بما قد هب فى الاسحار
او زهرة وسط الخميلة بعدما قد حسها سحرا يد الامطار
سبحان من اولاه خلقا كاملا ومواهبا مرفـوعـة الاقـدار
ياسيدى انى اليـك لمنـتـم حسبا ومعنى فاقض لى اوطارى
متوسلا ببنيك خير اعزة ونجوم هذا العصر فى الاقطار
فالله يحفظ عقدهم ويحوطهم باللطف من أهل العدا الاشرار
وينيلهم اعلى المناصب بالتقى حتى يروا من سادة اخيـار

وكان يوما يقيم الاتاى، فمد الكاس للاديب احمد بن زكرياء وقال له

أتاى احمر الخديـن فانـظـر وقل ان ذقته لله درك

ثم ذيل البيت بعض الالغيين فقال :

أجل فيه لحاظك تستبن مـن سرائره اذا ما صـيـن سرك
له حبب يشعشعه اذا مـــا ترشفـه تفجر مـنـك بشرك

كأنك اذ تمص تمص ثغرا وقد لقم الشفاه اللعس ثغرك

وقد خاطب المترجم الشيخين سيدى الطاهر وسيدى العربى الساموكنى بقوله

بدر ان قد طلعا بافق سعود في السعد مد خلقا بخير صعود
قل للذى يبغى منالهما فلا تتعب فذا فضل من المعبود
فحباهما الرب الكريم بانعم لم يحصها انشاء نظم مجيد
تلقاهما متهللين فلا ارى مثل السنا الاسنى لاهل سعود
سادا الانام بسبق كل فضيلة صار امدى الايام سر وجود
وفدا على شيخى ابى الحسن الذى فاق السوى فالوفد خير وفود
فغدا الامام يبين من اكرامهم مالا يعد فذاك صنع ودود
فعليكم بيد العبيد محمد اذكى وابهى من زهور نجود

جواب سيدى الطاهر

امحمد يا ابن الكرام الصيد يامن دنا لعلاه كل بعيد
اهديت بنت الفكر تزهو في حلا وشى البلاغة فازدرت بالغيد
نظمت يواقيت المعانى غضة فحكت جواهر نضدت فى الجيد
نفثت بسحر كان أسبى للنهى من نفث بابل والجفون السود
قسما بمن اغلى واعلى رتبة الا داب فى انظار كل مجيد
ان القصائد ان أجادت سبكها الافكار احسن من ظباء البيد
وأرق من لطف الهوى والذ من ظلم الحبائب وابنة العنقود
هذا وأحسن ما به يعنى امرء رام العلا وامد بالتاييد
أدب يؤنس فى الخلا ويزينه بين انملا بروائه المحمود
فالزم حماه وجد فى تحصيله واشف الغليل بورده المورود
منى عليك تحية موصولة امحمد يا ابن الكرام الصيد

وقال أيضا يخاطب سيدى الطاهر ارسلها اليه من الغ ، من قطعة معها رسالة لم نقف عليها :

يا أيها العقد الفريد وغرة الـ ـدهر البهيم ونجمة المرتاد
والعالم الشيخ الامام بحلبة الا فتاء والتعليم والارشاد
ومن ارتقى بين النوابغ خطة الا عجاز فى الانشاء والانشاد
من كان لى يوم الوغى درعا به أحمى من الاعداء والاوغاد
نورى اذا ما ضل سار اهتدى بسناه بين قوافل القصاد
فانظر لعبدكم بعين رضاكم فهو الغريق بلجة الافساد
واسال له من ربه صفحا على زلاته تمحى من الامداد
ازكى السلام عليك ما هبت صبا تحيى مشوقا مات بالابعاد

فاجابه الاستاذ بكل ما ياتى شعرا ونثرا :

وصلت رسالة نخبة الامجـاد ... نجل الشيوخ مناهل الـوراد
فرع السيادة زهر أفنان العـــلا ... زاكى الشمائل مرغم الحساد
بدر الدجنة سيدى من سادة ... غر هداة قـادة امـجـاد
من حل فى صدرى محل ضميره ... حبا ومن عينى محـل سواد
ان ادعه ولدا فرتبته ربـــت ... بابر فى قلبى مـــن الاولاد
فهو الحبيب ولم اجد مثل المحبـ ... ـــة لفظة اندى على الاكباد
ذاك السرى ابن السرى محمد بـــ ... ـن على الالغى غيـث الصادى
لازال فى كنف الصيانة عالى الـــ ... ـكعب المبارك دائم الاسعاد
منى السلام عليه ماشاقت صبا ... صبا رمته بد النوى ببعـاد

الاخ القريب بل الولد الحبيب ، نجم السيادة ، وبدر السعادة ، قرة العين، ومنية النفس ، وعيبة الانس ، سيدى محمد ابن شيخنا بدر الهداية ، ومورد العناية ، سيدى أبى الحسن ادام الله تلك الجلالة وارفة الظلال ، وحفظ هاتيك المثابة الزكية الخلال ، الطاهرة الجمال والجلال ، وسلام عليه من قلب يحبه ، يوحشه بعده ويونسه قربه ، ورحمة الله وبركاته هذا وقد وردت الرسالة الكريمة ، وما ادراك ما الرسالة • جلبت الى القلب الحزين ما انسى الاهل والبنين وأسلى عن كل قرين ، بما توشحت به من برد البلاغة المنمنم وتعطرت به مـــن نفحات البيان الذى نم ، وتحلت بعقد القصيدة المعجزة ، التى هى لقصب السبق محرزة ، وقد دعتنى القريحة الى المنادمة على دنها ، والتروح بافنان فنـهـا ، فاكدى الخاطر ، واعياعن مساجلة سحابها الماطر ، فعارض الصيب بالجهام وقابل الصارم بالكهام ، فقلت كما يحكى الصدى صوت الصانع ، او يحاول الاعزل مصاولة الرامح (تلك الابيات) فدونكها بنى ان كنت تستبدل بالصارم العصا أوتاخذ عن الدر الحصى ، والافمن لى بشاوك ، والطيران فى جوك ، وقد قص جناح الادب وهيض ونضب ماء البيان المستعذب وغيض ، وكسدت بذهاب الشباب والاتراب سوق القريض ، فابقاك الله سيدى للادب تجيل قداحه، وترتشف كيف شئت اقداحه ،وتورى نار البيان بزند الخاطر كلمارمت اقتداحه• وتدير على بنى الادب العطاش راحه ، وترد على الخاطر القريح ببوارح التبريح انشراحه ، وأقول (كما قال اديب الاندلس (احيا الله الادب وبنيه ، واعـاد علينا من ايامه وسنيه) فاصدح يابنى بفنون الاداب ، على افنان الشباب ، صدح الحمام على الغصن المروح ، وقدما شاوت حتى صوحت نبات ابن نباتة وطوحت بذكر ابن مطروح ، وكف لا وانت سر الشيخ رضى الله عنه أبيـك، فلم يـزل يغذيك بماء الادب ويربيك ، الى أن غصت من بحره على دره ، بماوفقت اليه مـن ملازمة بره ، فظفرت يداك، والله يكبت عداك ، بالبحر الذى قال فيه المتنبى:

ومن كنت بحرا له ياعـــ ... ـلى لم يقبل الدر الا كبـارا

فلله درك من فد جد فوجد، وملأ الراحة من الدر والعسجد، مع اغتنام الراحة فما أغار ولا انجد ، فقد عرفت فالزم ، واكثبك الصيد فاعزم ، فالله يصلحك ويقيك ويديم سعدك ويبقيك، وسلام منى على حضرة الشيخ أرضاه الله ، وعلى جميع السادة الاخوة، ادام الله لهم الحظوة ، فى ليلة الجمعة رابع شعبان ١٣٤٦ هـ

ولم أقف بكل أسف على الرسالة التى كتبها صاحب الترجمة الى المخاطب ، لان الالفيين ماكانوا يهتبلون بالنشر ، وان حاز من الاجادة ماحاز كاهتبالهم بالمنظوم وان لم يكن بذلك كما يعز كثيرا بالقارىء فى كتبنا هذه ـ والتنبيه لاينبغـ فضاعت بذلك رسائل كثيرة مثل هذه الطاهرية التى رايتها ، وعليها ما عليها من نفحة أندلسية ، وقول الاستاذ الافرانى فى اثناء تلك المخاطبة ان والده قداعتنى به تغذية بالتربية ، حتى غاص على الدر فى البحار ، ليس ذلك مما القاه الاستاذ فى عرض الكلام ، بل ذلك حقيقة ، قد رأيت فى ترجمة والده تلك الرسالة التى كتبها اليه وهو فى (أداى) وهاك اخرى كتبها اليه فى اوان اخذه فهى مع صغرها تدل على المقصود

أصلح الله الولد محمدا البار ، وأعانه ووفقه لاغتنام الخيرات ، واقتناء المكرمات، وسلام عليه ورحمة الله وبركاته ، وبعد فالاحوال والاهل داخلا وخارجا بخير وسلامة وعافية لله الحمد ، وأوصيك بتقوى الله ومراقبته وبذل الجهد فيما انت بصدده ، فان الوقت سيف ان لم تقطعه قطعك ، والعاقل من اتعظ بغيره ، وتنبه باشارة دهره والسلام ، والدك على

وهذه أخرى كتبها لبعض اولاده ، ولم أعرف من هو منهم

ولدنا البار أصلحه الله، وأرقاه فى مراقى الصعود ، حتى يتسنم ذروة سعد السعود أما بعد فقد اخبرنى الحامل انك مع جيرانك من الطلبة تدمنون اللهو كأنكم ماعرفتم لماذا خلقتم ، على انهم لايخافون شماتة بين اهليهم يوم يرجعون وأما انت فكيف تجالس اقرانك هنا ، اوكيف تكون بينهم ؟ فهل تريد ان يكون بنو أعمامك احسن منك ، ومن لاهمة له يوم التعلم، يتألم فى مجالس اقرانه طول عمره غاية التألم ، وانالست اباك وانت دونهم فان لم تكن خير اقرانك فانظر لك أبا ءاخر ، فقد يحفظ الطلبة متونا ان تركهم استاذهم فى العواشر واما انت واصحابك فلاتعرفون الا اللعب دائما ، ولاحول ولاقوة الا بالله ، فاغتنم يابنى قبل الفوت ، فقد نصحتك ان علمت اننى ابوك والسلام ٠

وقد اخبرنى اخو المترجم الاستاذ سيدى الطاهر بن على ان والده كتب اليه وهو بالمدرسة السعيدية بالاخصاص انه ان حفظ قصيدة (بانت سعاد) حفظا متقنا واستحضر معانى كلماتها كلها ، والابيات الشواهد التى تحفظ عادة فيها، لينال من يده جائزة سماها له ، ثم بعد ذلك حين وفى المقصود كما ينبغى ، مكنه الجائزة

وأخبرني أيضا انه كتب اليه ، وهو في بعض الجيوش التي تجتمع فيها القبائل اذذاك هذه الرسالة أملاها على من حفظه .

ولدنا الطاهر ، منحك الله السر الظاهر ، والفتح الباهر ، أما بعد فهذه رسالة كتبها بديع الزمان لابن اخته فتأملها واحفظها ، وتحقق اعرابها ، وكيفَ جملها ، فانني سامنحك جائزة بعد رجوعي ان كنت في ذلك كله على استحضار وهي

«أنت ابني حقا مادمت والعلم شأنك ، والمدرسة مكانك ، والمحبرة حليفك ، والدفتر اليفك ، فان لم تفعل ولا اخالك ، ففيري خالك والسلام»

وسمعت أيضا أنه واعدابنه سيدي المدني على حفظ (مثلثات العرب) لقويدر وهو مطبوع وفيه اكثر من الفي بيت ، على ان يجيزه بحمل من السكر، وقد وقفت على أبيات خاطبه بها يتطلب منه أن يقرب منه لسرد ماحفظه من (المثلث) ولعل ذلك كان حينئذ كما ظهر ذلك في هذه الابيات

الم يان للنجل الرضى اقترابه	يشنف من حفظ (المثلث) اسماعي
ويسرد منه باب همز فانه	يقوى على حفظ التوابع اطماعي
فانك ان اتقنت حفظ جميعها	تحز في ذوى الاداب خصلا باجماع
ويرفعك فعل الحفظ رفع السموفي	مراق ترى للاخرين باتباع
فقم واجتهد واترك وراءك ظالعا	ابى ان يرى في السابقين من اتباعي
فعاشر حماة العلم واغش حماهم	وزاول لكي تمتاز متسع الباع
عليك سلام الله من خير والد	تحل سؤاد القلب من تحت اضلاع

ووقفت أيضا للاستاذ على أبيات اخرى لعله يحض بها بعض اولاده ويعنفه على تركه اتباعه ، وهي في ضمن ورقة يكثر فيها محو الكلمات واستبدالها فكأنها مبيضتها الاولى

الى فلن ترى نظيرى من الورى	من النصح والاشفاق والعطف والرشد
أتطمع في مجد اذا لم تبرني	وبرى فقط نهج لمثلك للمجد
أأرسلت مرات ولست مجاوبي	كاني غدوت أيها الابن في بعد
أعيدك يا ابني أن تعق فان من	يعق نظيري لم يرح راحة الخلد
فما كنت أبغي غير أن تغتدى على	مقام رفيع دائما ظاهر الايد (١)
نعم ان أبيت العلم والسعد والهدى	فبعد الآبى العلم والهدى والسعد
اذن تضحك الاعداء منك وقد عرفـ	ـتهم اذا شاروا اليوم نحوك بالايدى
فاطلب ربى ان تجيء هداية	فترجع رغم الانف منك الى قصد
بجاه رسول الله افضل شافع	يشفع لايخزى به المرء بالرد

١) الايد القوة

فهذا هو الاستاذ ابن‌عبدالله مع أولاده ، حتى خرجهم ، ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لذكرت هذا الفصل فى ترجمته ، ولكن هكذا قدر

ووفد على الغ يوما الاديبان سيدى البشير بن المدنى الناصرى ، وسيدى‌احمد ابن صالح الافرانيان فقال المترجم يرحب بهما

اضاء بنور نير فلك الهدى ... وشمس سماء العلم فى افق الندى
جوانب الغ حازت الفخر اذ غدت ... مخصصة بوصل من‌خص بالجدى
هما الاخوان فى الندى توأما العلا ... رضيعا لبان المجد فى كل منتدى
وحبهما والله يبقى علاهما ... ادين به الرحمان ما كوكب بدا
فاهلا وسهلا مرحبا الف مرحب ... بسيدنا البشير من بالعلا ارتدى
وسيدنا المفضال احمد من غدا ... مضيئا بنور الرشد فى فلك‌الهدى

وقال أيضا يخاطب سيدى الطاهر بعد قدومه من سفر ، وقد ذيل ءاخرها بعض الادباء

بشرى الفؤاد ومطمع العين ... وأعز من ذهب ومن عين
سوداء قلبى نوره مهما دجا ... ليل الفراق بظلمة البين
شيخى واستاذى واحمى جنة ... من أزمة نابت ومن حين
سفر به نجح المقاصد كلها ... قد أبت منه اليوم بالدين
قد غبت عن هدى البلاد فغاب عن ... ها معك بشراها بلا مين
اذ أنت منها روحها وفؤادها ... كيف الجسوم بغير هاذين
بسلامة هذا الاياب وبهجة ... وصيانة من كل ماشين
ازكى السلام كنفحة ورديه ... تنحو مقامك قرة العين

جلس يوما مع الاديب سيدى احمد بن محمد اليزيدى فتساجلا هذه الابيات قال اليزيدى

خامرتنى الرحيق من كاس خمر ... مذ سقتنى تناءت الاتراح

فقال ابن على

واتانى السرور ينفى كروبا ... قد احاطت من قبل مهما تزاح

اليزيدى

اسقنيها بغدوة ولك الاجـ ... ـر جزيلا والمزج ماء قراح

ابن على :

فاذا فاتت الغداة فاطيب ... باصيل به النهى ترتاح

ولما اطلعت على هذه المساجلة قلت اذذاك :

ان روحي تلك الرحيق وهل يمـــ ـكن عيش ان زايلت ارواح
كل جسم وما تعود فى العيـــ ـش وعيشى مدى الزمان الراح
غير ان الشراب لا بد من نقـــ ـل وزهر به ترى الافراح
فانا مكتف بظلم غـزال وبوجه خدوده تفاح

أسوق كل ذلك على ماهو عليه ، وقدخل ذلك فى حساب التاريخ ، ومثل المساجلات ، والاخوانيات وان كان يتراءى فيها ضعف المنزع ، لكن الواقع لا يرتفع ، والموجود لابد على كل حال ان يتحدث عنه كيف ماكان ، وانا اتيقن انه سياتى يوم يمر بالغ ـ لاقدرالله ـ كما يمر بزاوية (الدلائيين) فيتعجب المارحين يرى انه كان مضى من هذه القفار من كانوا يزاولون العلم والادب كيفما كانت مزاولته ، اراانا الله خيرالدهر ، ووقانا من محنه ، ولنكتف باثار اديبنا محمد بن على بهذا القدر الذى سقناه كنماذج لمقطعات له كثيرة جدا، حفظه الله للادب ولقرض الشعر ، وفى كتاب (جوف الفرا) الذى يجمع حتى الغث قصائد له ومقطعات ورسائل، كما ان فى (الالغيات) ما جرى بينى وبينه حينا

أخبار عنه أخيرة

(كنت كتبت عن المترجم ماتقدم منذ نحو عشرين سنة ، ثم هاانذا ارجع اليه لاضيف الى ترجمته باختصار بعض ماعاش فيه فى هذين العقدين من السنين

كانت حياة المترجم تمشى على وتيرة واحدة ، وقدلازم داره ، وانكمش على حياته الخاصة يسافر وقت جذاذ التمر الى (اشت) التى رد الله اليهم (املاكهم فيها اثر الاحتلال لصبرهم نحو ١٥سنة) ، ثم يحضر فى موسم تازاروالت ، واجتهد ان لايزال على ماعرفه عنه الناس من شارة مرموقة ، وركبة على بغلته التى يحافظ ان لاتفارقه ، وان كرت سنون عجاف على الغ ، وكان مع عركات الزمان ، يجالد ويحاضر فى المجالس الادبية ، ويتجلد ويسير على سنن والده فى مناغاة القوافى كل ماوفد الى الغ وافد، فعلى هذا كنت عرفته اذانا فى (الغ) الى ان فارقته مختتم ١٣٦٤ هـ ، ثم لم ازل اراه كلما زرت الغ فى شهر غوشت من كل سنة ، فكان دائما محور الاتصال بل يكاتبنى وانا فى مراكش

فى مدرسة أكشتيم

زارنى فى البيضاء حوالى ١٣٧٤ هـ ففاوضته فى ان يشارط فى احدى المدارس فان المدارس هى الميادين التى لاتوصد ابوابها دون امثاله ، فلم ينشب اثر رجوعه ان سمعت بمشارطته فى مدرسة (اكشتيم) من قبيلة التمليين

وان ثلة من الطلبة حلقت حوله فحمدت له الله بل زرته يوما في مدرسته هذه ، ثم بمضى الاعوام الف هناك ، حتى انه لايزور الخ الالماما فاعانه ذلك على نفقات داره ، ولم يكن بذى عيال كثيرين ، وقد رزق امراة لها من الاوراد والديانة والصبر مالها ، تقنع بما تيسر ، وتفهم عن الله ، فهاهوذا اديب الخ اليوم يستطيع أن يقضى ماتبقى من حياته فى بلهنية ورخاء ، وان تسير سفينته بريح رخاء ، وخصوصا حين راجع معلوماته يسترد منها ماتكاثفت فوقه السنون حتى كادت تنمحى ، اكتب هذا ونحن فى جمادى الثانية ١٣٧٧ هـ وعنده ولده المحفوظ يتدرج فى المتون واستحضار الفنون ، ويرجى منه ان يكون ابن ابيه وجده فيكون افضل نتيجة لتلك المقدمات الصادقة

ان الهلال اذا رايت نموه ايقنت ان سيصير بدرا كاملا

ثم انه شارط سنة فى المدرسة الوفقاوية ثم فى مسجد فريته الان شعبان ١٣٧٩هـ ولايزال هناك ١٣٨٠ هـ

هذا وللمترجم مجموعة كبرى تضم كل مايجول بين يديه من القوافى الالفية وقد انتفعت بها فيما انقله من القوافى وبعض الرسائل

الاديب سيدي الطاهر بن على

نحو ١٣٢٦ هـ = حي

نسبه :

الطاهر بن على بن عبدالله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبدالله بن احمد بن عبدالله بن سعيد .

قالت وقد نظرت في السجف بالمقل ... بشرى بمطلع نجم الطاهر بن على
بشرى بخير وليد دل طالعه ... ان سوف يرأب ما فى الدين من خلل
طفل تبسم ثغر العلم من فرح ... به واشرق وجه المجد من جذل
لؤلؤة زين نحر المكرمات بها ... من بعد ان لحقته وصمة العطل
شمس تبدت ببرج السعد طالعة ... فاسفرت بسناها اوجه الامل
بانت فاخفت جميع الزهر غرتها ... فى طلعة الشمس مايغنيك عن زحل[1]
طفل تولت يد العليا كفالته ... والسعد صار له من جملة الخول
فالعلم يرضعه والعز يحمله ... والمجد يلبسه من سابغ الحلل
ياخير من خاض موج المكرمات ومن ... سواه يكفيه منها مصة الوشل
ويا اماما سما للمجد منفردا ... فلانظير له فى العلم والعمل
يهناك خير وليد يا اجل أب ... والرمح نبعته من منبت الاسل
بقيت مغتبطا حتى تشاهده ... كالبدر فى القلب او كالشمس فى الحمل
ممتعا بالنجوم الزهر آخوته ... شهب الهدى للورى فى كل محتفل
لازلت ياامل الراجين تكرع من ... عين المعارف فى عل وفى نهل

ولسيدنا (٢) المعذرة فى كل جفوة او تقصير ، ونسأله ان يمتعنا برضاه، وبدعوة صالحة تنقذنا ممانحن فيه، فانما نحن بالله وبكم وليسلم سيدى على البركة الوالد ، وعلى جميع الاخوان والاولاد ويسأل لنامنهم الدعاء، ثم ان سيدى محمد ابن أحمد قد كتبت اليه مرارا فاجاب بما فى رسالته ، وانا تنظر مافيها والسلام ابنكم الضعيف الطاهر بن محمد النامانارتى ، واخوه العربى بن محمد اصلح الله الجميع بمنه ٢٤ ربيع النبوى

بهذه الرسالة المشتملة على هذه القطعة اللطيفة هنا شيخنا استاذه على بن عبدالله بولده هذا الذى نترجم له اليوم ، فاذا كانت تهنئية والده بذلك وهو

١) شطر قديم
٢) يوتى لى أن الرسالة سقطت أوايلها او اكثرها

في المهد ، فكيف تكون التهنئة اليوم لوكان بعد حيا ، وقد اصبح ولده هـــو العالم الشرعي في الخ ، والاديب الذى يزاحم مناكب كبار ادبائنا عنداحتفال القرائح ، بعد ماارضعه العلم ، وحمله العز والبسه المجد المؤثل حلله الضافية، وهو في هالة اسرته العلمية كالبدر ليلة الكمال ، او كالشمس في دارةالحمل

غادرت الخ منذ عشرين سنة ولم أكن أعرف بعد هذا الاستاذ الكبير بل لم أرقط وجه مترجمنا هذا الاديب اذذاك لكونه يلازمالمكتب ولكوني انا ايضا في مثل ذلك او اشد

ثم في هذه السنوات الاخيرة ، صارت أخبار نبوغه تصل الى بالحمراء ، ويلقيها كل من أساله عن اخواننا الصالحيين ، ويزيدون ان لهاخلاقا جذابة وابتسامات لاتفارق ثغره ، وتهللات من البشر الطافح ، لاتغادر وجهه ، فكانما هي لونه الذى خلق به من اول يوم ، فكنت استكبر الاخبار قبل ان القاه ، ولكنني لماساقتني الاقدار في السنة الماضية ، وخبرته صدق الخبر الخبر ، وكان بصرى حين جال فيه يملي على ماأثر على النبى صلى‌الله عليه وسلم حين راى زيدالخيل كما في الحديث المشهور

كانت مسائلة الركبان تخبرنا عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت اذني باحسن مما قد رأى بصرى

ذلك مع ما اتصف به من تواضع يظهر منه ، يخدم به جليسه ، واستمـاع يمتص به كل مافي سريرة محادثه ، ومن كرم يفيض منه(وماشهدنا الابماعلمنا) ولبعض الالغيين في هذا المقام

يظنون انى من يشيد تزلفا وانى نساج مطارف تـزوير
ولو علموا ما قد علمـت لا لحفوا جنابى بالتعذال اثواب تقصير
ومن كان كزا قاس كل الورى به ومن كان أعمى كيف يبصر من‌نور
ومن‌كان ذافضل ينل من جزائـــه ومن كان جعدا كان أنكـر مذكور
أقلوا على الغر اليامين او قفوا مواقفهم فالكز ليس بمشكور
فهذى ميادين المكارم اطلقوا بها ان أردتم أن تفـوزوا بمائـور
والا فللجود المديد رجالـــه يذودون عنه بالسيوف المأثير

ورحم الله الاخ احمد الذى يقول دائما، ليس في هذا النشء من الالغييـن مثل سيدى الطاهر بن على وياليته جال وثافن ليزداد مقاما الىمقام ، ويلبس ثوب الصفاء من كل ناحية

أتم اللهعلى أديبنا نعمته السابغة ، وجعلهلاسرتهولالخ كلها ظلا وريفا،وروضا اريضا

في الاخـذ للقرآن

افتتح حروف الهجاء على الاستاذ سيدى ابراهيم الفقير البعقبى ، فلازمه حتى وصل حزب (قال فما خطبكم ايها المرسلون) ثم اناطه والده بالاستاذ الفقيـه سيدى ابراهيم بن الحاج مبارك البعقيلى القاسمى الى حزب (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا ءامنا) ثم اتصل بالاستاذ سيدى على بن صالح الاوفقيرى فى مسجد (تاجارمونت) سنة ونصفا ، ثم راجع الاستاذ القاسمى البعقيلى فى مسجد (تاوييت) ١٣٣١ هـ ففى ءاخر ١٣٣٨ هـ انتهى من القرءان بعد ماجوده

في مئاخذ العلوم

افتتح الاجرومية فى المدرسة الالفية عند الاديب سيدى محمد ابن الحاج احمد اليزيدى ، وهو هناك مرابط ياخذ ويعين فى المبتدئين ، فبه تدرج فـى المتون الابتدائية ، نحوا وتصريفا وفقها ، وكذلك فى بعض متون الدور الثانى كالرسالة ، وحين شدا التحق بدروس استاذ المدرسة الالفية اذذاك مشارطة الاستاذ سيدى احمد بن الحاج محمد اليزيدى فاخذ عنه الالفية والمرتمد ايضا وهو اثناء ذلك ياخذ عن صنوه الاستاذ سيدى المدنى ، الفرائض والحساب، وفى سنة ١٣٤٠ هـ صاحب صنوه هذا الى المدرسة السعيدية الاخصاصية ،فبقى هناك سنتين تقدم فى اثناءها تقدما ، وتفتقت زهرة نجابته ، وكان صنوه يلزه لزاء فاندلق من تحت يده يوما وحده، فبات فى (تالعينت) ثم اتصل بالاستاذ سيدى الحاج مسعود الوفقاوى فى مدرسة (ايكونكا) من هشتوكة ، فارسل ذكرى ان والده أرسل اليه اذذاك رسالة ، ياليتنا وجدناها الان ، لننظر ايضا (تارودانت) فحكى عن ملاقاته للفقيه سيدى محمد بن على اكيك كما سترى ذلك فى ترجمة هذا الفقيه ان شاء الله ثم اتصل به عند سيدى الحاج مسعود ،وقد ذكرى ان والده ارسل اليه اذذاك رسالة ، ياليتنا وجدناها الان ، لننظر ايضا كيف يخاطب الاستاذ ابن عبدالله ولده النجيب ليكفكف من غلوائه وليرده الى الاستقرار

حدثنى ان والده استدعاه اذذاك (كمااخال) فصار يحثه على ملازمته دروسه فكان اول وهلة لين الخطاب معه ، فلم يزل يتعالى صوته ، ويغلظ كلامه ، حتى قال له لابدلك ان تشتغل بالتعلم رغما على انفك ، فهل انت تعدنفسك خلقت لغير العلم؟ قال فجال فى هذا صوته الجهورى ، وعيناه محمرتان ، واناكالفرخ الازغب انكمش امامه وارتجف ، فقلت له نعم ياوالدى ماشتغل الا بالعلم ، ولااجعـل بين عينى شغلا سواه ، فانفش غضبه فقال هكذا أريدك يابنى ، ولهذا خلقت ثم سال على ايضامنه سيل منهمر من الشفقة والحنان ، اقول هذا هو الاستاذ دائما فلايقبل فى اولاده الاالعلم ، ويوجههم اليه بمارءاه ينفع فيـهـم بحسب

الازمنة ، فتارة يلاطفهم ملاطفة المرضع لولدها الذى يحبو بين يديها ، وتارة يغمرهم بالغمرة التى قال فيها الشاعر

وكنت اذا غمزت قناة قوم كسرت كعوبها او تستقيما

ثم انه وجهه الى المدرسة (التانكرتية) عند الاستاذ سيدى الطاهر وولده سيدى محمد فرابط هناك ماشاء الله فكان ممن انتفع بهم الاديب سيدى الحسن الكوسالى ، وفى نحو ١٣٤٥هـ رجع الى (الغ) ثم صار يحضر فى دروس المدرسة الالفية ، واهتم به اذذاك الاستاذ الاديب البوزاكارنى ، فشد به وفجر من قريحته ينبوعا أدبيا معينا ، وقد رأيت فى ترجمة والده الاستاذ ابن عبدالله من رسالة (البوزاكارنى) أواسط ١٣٤٦هـ ، الوصاة به ليستتم بعض دراسات تنقصه فى اصلاح حاله ثم انه بعد ذلك اتصل بالاستاذ سيدى احمد بن سعيد فى مدرسة (افلاوكنس) فى رمضان سنة ارسله اليه والده لياخذ عنه البخارى

فى المشارطات

وورى نبراس الغ والدهم ، وقد وصى صاحب الترجمة باتمام دراسته ، فلازم المدرسة الى سنة ١٣٤٩ هـ فاحس باجنحته قد نالت من المتانة ماتستطيع به التحليق فاقبل على المشارطة والتعليم

فى المدرسة الايمورية

تيسرت المشارطة فى هذه المدرسة ، فبقى فيها تلك السنة ، وقد جال جولة فى التعليم ، ولكن أين التلاميذ؟ واين ذوو الهمم المنهضة ؟ فقد وقع لسيدى الطاهر مثل ماقال ابن الحسين

جاء الزمان بنوه فى شبيبته فحمدوا واتيناه على هرم

ولكن لابد من مسايرة الدهر بما امكن ، فبعد سنة رجع الى المدرسة الالفية يحضر الدروس فيها ، واخاله اخذ فى هذا الطور عن سيدى عبدالله بن ابراهيم الذى ذكره فى من شيوخه ، وان كان يتراءى لى أنه اخذ عنه فى مبادئه

فى المدرسة الايغشانية

فى سنة ١٣٥٥هـ شارط فى هذه المدرسة التى فيها بضعة تلاميذ ، فصار يعلم اياما ، غير ان وظيفه الجديد لم يدعه له وقتا لذلك ، فاستعان بالاستاذ سيدى بلقاسم بن محمد السليمانى ، فقام له بهذه الناحية خير قيام .

فى مزاولة الشرعيات

أعلنت الحكومة لهذه القبائل المتصلة بمركز (تافراوت) ان تعين كل واحدة منها من يزاول قضاياها الشرعية ، فقام الاخ احمد المرحوم ، فقدم صاحب الترجمة

لماشاهده فيه من جدارة ومقدرة ، فانتظم فى ذلك رسميا ، فصار يزاول قضايا الوفقاويين والالغيين والايغشانيين ، ثم فى أواسط السنة الماضية ١٣٥٦هـ الحق بالفقيه سيدى محمد بن مبارك النوازلى الوفقاوى ، فصارا يتعاونان على ذلك ماشاء الله ، ثم الفقيه سيدى عبدالله بن احمد الوفقاوى ، ولاشك ان هذا ميدان عامى ، يترقى به صاحب الترجمة الى مقام أبيه النوازلى الشهير .

آثـــــاره

تلك حياة سيدى الطاهر الذى تدرج فيها هذا التدرج الحسن ، وقـــد ذكرنا له يدافى الادب، فلنعرض اثاره الادبية بين يدى القارىء ليعرف بها مقام هذا الاديب الالغى الجديد الذى رايت له من الذوق السليم ومن جـودة القريحة مالووجد معه بيئة اخرى لكان أدبه هذا أرقى مماكان عليه اليوم

قال يخاطب جلالة الملك سيدى محمد بن يوسف وقد وفد على الرباط بذى الحجة ١٣٥٢ هـ

(ابرق بدا من نحو برقة تهمد)	فهاج رسيس الوجد من ام معبد
ام النسمات العاطرات تارجت	باطيب من مسك ومن زهر ندى
لى الله مالى فى الهوى من منافث	مصيخ لما اشكو اليه فمسعدى
اليك عدولى لاتعنف عن الهوى	فمالى فى السلوان ويحك من يد
اذا اشتد لفح القلب اثفأ حـــره	بمدح امير المومنين محـمـد
سليل ملوك كالبحور وكالبدور	فى الجود والارشاد فى كل مقصد
ووارث اباء مـلـوك غطارف	هداة عظام سيـد اثر سيد
هوالنورماالشمس المنيرة فى الضحى	فمن يتبع اثاره فهو مهتـد
هو المنهل العذب الفرات ومن لنـا	بطلعته انوار شمس وفرقـد
حباء لمعتف ، نكال لمعتـد	ضياء لمستهد ، أمام لمقتـد
له همة كالدهر او هو دونها	وحزم وعزم مثل حد المهند
الا يا امير المومنين محمـدا	اليك ضربنا فدفدا اثر فدفد
نروم لديك العفو والعز والجـدى	فتظفر بالمطلوب راحة مجتـــد
فتتبع فعل جدك الحسن الذى	كسانا رداء العز مع ثوب سودد
وقد رفع العلم الشريف وأهلـه	وانت لما بناه خير مشيـد
حباك المنى رب الورى وحماك مـن	شرور عدا من كاشحين وحسد
فدم زينة الاملاك بدر كمالها	ودرة تاج الدهر ياخير اصيد
بجاه رسول الله افضل من بـــه	الى سبل الخيرات والرشد نهتدى
عليك صلاة الله ماحن عاشق	تذكر اطلالا ببرقـة تهـمـد

وقال أيضا يخاطب صنوه الاستاذ سيدى المدنى وقد ختموا عليه الالفية

تالق من نحو العذيب وعرعرا	بريق فابدا فى الحشا ما تسترا

وقد كنت حيرانا لما قد رايته ... وعادة رب الشوق ان يتحيرا
وكم رمت اخفاء الصبابة والهوى ... وذو الشوق لايخفيه ان يتصبرا
اليك عدولى لاتعنف فانه ... اذا بت انت بت ادمع احمرا
ولكننى فى اليوم حام على من ... سرور فؤاد ما أنار ونورا
فهل كان من احباب قلبى مواعد ... لوصل قريب فاكتسانى الذىأرى
على أننى أدركت من أين جاءنى ... من البشر والافراح هذا الذىءرا
وماذاك الا أن نظم ابن مالك ... ختمناه فالجهل المخيم قهقرا
على شيخنا هادى البرية كلها ... وان عاند الحسود فى ذا واكثرا
له همة تأبى الدنايا كرامة ... ونفس ابت من ان تروم المحقرا
يغيظ العدا جم الندا ضائع الشذا ... بعيد المدى شهم باقرانه زرى
فقل للذى يبغى العلوم باسرها ... هلم فان الصيد اجمع فى الفرا
باجداده نال العلائم زاده ... بهمته القعساء حتى تمهرا
فقل للذى قد رام احصاء وصفه ... مثالك ان تعيا وأن تتضجرا
وقد كان للجهل المدمم مرهما ... وللدين سيفا حيث وجهته فرا
عليك سلام مثل اخلاقك التى ... تحاكى وحق الله مسكا وعنبرا

وكتب الى صنوه هذا يستعير منه كتاب الكامل للمبرد

منى على الندب امام الهدى ... أزكى سلام طيب كامل
من همه توفير مجد الالى ... مضوا ولا يقنع بالحاصل
المدنى الطبع من قد غدا ... امام كل سيد فاضل
وبعد فاعلم انه هزنى ... طويل اشواقى الى الكامل
فابعثه لدنا ناضرا ناعما ... فغيره كالغصن الذابل
وفى كريم علمكم انه ... قد قيل ان الخير فى العاجل

فاجابه أخوه ، ويامره أن يشارك فى مطالعته اثنين ءاخرين

منى على الصنو شقيق العلا ... الطاهر الفاضل والكامل
ازكى سلام طيب عاطر ... كالورد غيب الصيب الوابل
وبعد فاعلم انه هزنى ... مثل الذى هزك للكامل
لكونه خطابه ثمر ... وغيره كالغصن الذابل
لكننى ءاثرت شوقكم ... له على الاجل والعاجل
فخذه لدنانا عمانا ضرا ... يسلى عن الطالع والافل
واشركن فيه قرينى علا ... والفائقين كل ما فاضل
فالحمد لله على ملكه ... وحوزه بالثمن الحاصل

(لنكتف بهذا كنموذج لبنات لسان الاستاذ صاحب الترجمة مع تنبيهنا على أنه ازديادا فى ذلك الترقى ، وقدراج فى السنة الماضية ١٣٥٦هـ ، معى

في قصائد اعلى من هذا الذي سقناه الآن ، وذوقه على كل حال عال وهو ان شاء الله مما سيتزين بهم الخ في الجيل الحاضر ، فكما أن يومه افضل من أمسه، سيكون غده أفضل من يومه ٠

وقد اقترن ببنتي شقيقتنا فاطمة بنتي ابن عمه سيدي صالح المتقدم الذكر احداهما بعد أخرى ، وله مع الاخيرة الآن ولد سماه المدني ، أصلحه الله ٠

ثم ان القصيدة الاولى الظاهرية التي سقناها في التهنئة بصاحب الترجمة قد كنت كتبتها على ماهو التعارف من انه هو المهنؤ به فيها ، لاننا لا نعرف لوالده ولدا قط يسمى الطاهر سواه ، وقدكان طرق سمعي قبل ان اتصدى لهذا المجموع أن شيخنا سيدي عبدالله بن محمد كان كتب على قوله فيها الطاهر بن علي، المقصود به الحبيب ، ولكننا ماكنا نحمل ذلك الاعلى غلط اوسهو ، وكنا نقدم ماتدل عليه العبارة على مايقوله شيخنا ، ولكنني بعد ان حررت هذه الترجمة في السنة الماضية عدت الى قراءتها ، فاذا بي أرى في آخر الرسالة ، (فسلم منا على الوالد) فوقفت متأملا ، فلاشك ان المقصود هو سيدي الحاج عبدالله المتوفى في ذي الحجة ١٣٢٢ هـ ، وصاحبنا هذا ماولدالا في سنة ١٣٢٦ هـ ، فادركت حينئذ ان المترجم لم يكن هو المقصود قطعا ، فصح راي شيخنا من أنه الحبيب الذي ولد اما في ربيع الاول ١٣٢٢هـ واما في ١٣٢١هـ ، فلاقيت صاحب الترجمة ، فقلت له اننى اعزيك فانك رزيت رزءا عظيما ، فشده متحيرا، فاعلمته ان تلك التهنئة قد افلتت من يده ، واوقفته على الدليل فتضاحكنا مليا ثم قلت له انك على كل حال من تصدق عليه القصيدة اسما ووصفا ، فلئن غلط الاستاذ المهنيء في الولد المولود اذذاك ، فماغلط حين اهتدى الى اسمك أنت وان كنت بعد في العدم (ثم وقفت على جلية الخبر المحقق ، من ان القصيدة في ربيع الاول في سنة ١٣٢٠ هـ)

وأخـــيرا

جاء الاستقلال فرجع المترجم الى مدرستهم ، فعمرها سنين ، الى ان انتقل الى (تامكروت) حيث هو الآن ١٣٧٩ هـ ، وفي كتاب (الالفيات) قواف كثيرة بيني وبينه ٠

من انشاداته

ترى الفتى ينكر فضل فتى ... لؤما وخبثا فاذا ما ذهب
لج به الحرص على نكتة ... يكتبها عنه بماء الذهب

ومثله :

لاعرفنك بعد الموت تندبني ... وفي حياتي مازودتني زادي

ومنها فى رجل اسمه بشير دخل مجلسا فسرق منه نعله

دخلت عليك ياامـل بشيرا فلما ان خرجت خرجت بشرا
فرد الينا كما كانت الى اسمـى فياءى فى الحساب تعد عشرا

يعنى الشاعر انه دخل منتعلا ، ثمسرقت نعله فخرج حافيا ، وذلك هوالمقصود ببشر الحافى المشهور بين الصوفية

ومنها للبستى

كتابك سيدى جلى همومى وجل به اغتباطى وابتهاجى
كتاب فـى سرائره سرور مناجيه من الاحـزان ناج

ومنها :

مالى ارى ابوابهم مهجـورة وكان بابك مجمع الاسواق
هابوك ام حابوك ام شاموانذى بيديك فاجتمعوا من الافاق
انى رايتك للمكارم عاشقـا والمكرمات قلـيـلة العشاق

ومنها فى هذا المعنى نفسه :

عـلى بـاب ابـن منصـور عـلامـات مـن البـذل
جمـاعـات وحسـب البـا ب نبلا كـثـرة الاهـل

ثمذكر مثلا عربيا فى هذا المعنى انالندى حيث ترىاضغاطا اى ازدحاما

ثم انشد فى المعنى

يسقط الطير حيث يلتقط الحـ ـب وتغشى منازل الكرام

وانشد ايضا :

وخبر قيس بالجلية فى ابنـه فلم يتغير وجه قيس بن عاصم

وانشد ايضا :

صدنى عن حلاوة التشييع اتـقـاءى مرارة الـتـوديع
لم يقم انس ذا بوحشة هذا فرايت الصواب ترك الجميع

فقيل ان الشيخ الالفى كان يقولفى هذين البيتين :

قد حدانى للذة التشيـيـع اغتنامى حلاوة التوديـع
لم يقم انس ذا بلذة هـذا فرايت الصواب فعل الجميـع

هكـذا يملا المترجم مجالسه بالانشادات بكل مناسبة ، وما احفظه واكثر استحضاره

من فوائده

منها : كان عبد الرحمن بن عوف يقال فيه : اقرى من حاسى الذهب، والذى يحسو من كاس من الذهب هو عبدالله بن جدعان الغنى المشهور صاحب الجفنة المشهورة التى قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم : كنت استظل بجفنة عبدالله بن جدعان صكة عمى أى فى الهاجرة

ومنها :

المثل الذى يقال فيه دهدرين ـ بضم الدالين وتشديد الراء المفتوحة ـ طرطبين ـ على وزنه ـ سعد القين ، وذلك ان قينا نزل عند قوم فادعى ان اسمه سعد زمانا ، ثم تبين كذبه ، فقيل له ذلك ، اى جمعت باطلا الى باطل ياسعد الحداد • وهذا احد التفسيرات للمثل فى (القاموس) فى مادة دهدرين ، وفى مادة طرطبين ، وقد اورد فى المثل انه يقال لمن يستهزأ منه

ومنها :

من لم ينقد بشراب الليمون قيد بخطبه

ومنها

كانت صفية بنت عبدالمطلب تضرب ابنها ، فليمت على ذلك ، فقالت :

من قال قد أبغضته فقد كذب وانما أضربه لكى يلب

هكذا بفتح لام يلب ، على وزن يفرح من لب أصله لبب بالضم ، وليس عندنا فعل بالضم يفعل بالفتح سوى هذه اللفظة •

هذا هو العلامة الاديب الكبير المستحضر للادبيات ولنصوص الفقه ، وقد جالسه عشية ادباء الرباط فلم ينسوا بعد ماراوه منه من الاستحضار ، أقول: انه الوحيد اليوم فى (الغ) ذوقا واستحضارا وصبرا على المطالعة وهمة نفاذة وعزيمة فعالة ، حفظه الله •

النجيب سيدى الحسن
ابن الاستاذ على بن عبد الله

١١-١٢-١٣٢٨ هـ = حى

نسبه :

الحسن بن على بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن سعيد .

هذا ثالث اولئك الاشقاء المذكورين من أولاد العلامة سيدى على بن عبد الله ، وهم سيدى المدنى . وسيدى محمد . وسيدى الطاهر . وقد سرت اليهم وراثة العلم من والدهم اولا ، ومن بعض اجدادهم كسيدى المدنى الناصرى الذى عرف عنه من الشغف بالعلم وذويه ماعرف ، كان مولوديسمى الحسن ولد للاستاذ سيدى على بن عبدالله سنة ١٣٢٦هـ ، فهنأه سيدى الطاهر بن محمد بقوله - على العادة -

ياسيدا فضله اعيا ذوى اللسن ... هنيئت بالولد البر الرضا الحسن
لاح هلال ببرج السعد فاجتمعت ... له السعادة والعلياء فى رسن
واقبلت دولة الاقبال وانتبهت ... عين الهنا والمنى والانس من وسن
لازال يرقى الى اوج الكمال الى ... ان يجتنى من ثمار المجد كل سنى

ثم توفى وشيكا فعزاه فيه بقوله :

مولاى لله ما اعطى وما أخذا ... والصبر اجمل اما مبرم نفذا
ففى الرضا بقضاء الله محتسبا ... مايزع النفس عن رزء وان وقذا
مضى بنبك للفردوس حين رأى ... ان المقام بذى الدنيا بلى وأذى
فالله يخلفه فضلا ويردف آ ... لاء تسر وتقذى الحاسدين قذى
عليك مولاى اعطر التحية من ... عبدا جر الاسى لسانه فهذا (١)

---

١) اجر الرجل لسان الفصيل اذاربط على لسانه لئلا يرضع أمه ،ليبقى الحليب لاهله قال

ولو أن قومى أنطقتنى رماحهم ... نطقت ولكن الرماح أجرت

ثم ولد المترجم فهناه سيدى محمد بن الطاهر بقوله

اهل هلال المجد فى منزل السعد ... فاذهب غين الغى عن أعين رمد
بدا والعلا تشتاقه فتبرجت ... به واشتفت عما عراها من الوجد
فطبق ءافاق البسيطة عرفه ... كما فتقت ريح الصبا زهر الورد
وبشرت الامال بالنجح واكتست ... به رتب العلياء انفس مابرد
وهز له المجد المؤثل عطفه ... كما اهتزمن ساری الصبامائدالرند
واضحى لسان الكون مستبشرا به ... يقول هنيئا قدبدا الحسن المهدى
وليد تولى الله حفظ مقامه ... وارضعه ثدى المعارف والزهد
تود نجوم الزهر لو نظمت له ... على النحر او كانت توطأ فىالمهد
تطلع من دوج السيادة والهدى ... فاحسن به فرعا سما فىسماالمجد
فياسيدى نور الهدى منبع الندى ... زلال الصفا مغنى الوفامنيةالمكدى
ومن حبه دينى ومغناه كعبتى ... وصرفى كفىعن سوى مدحهالمجدى
ومن لم أزل والحمد لله مبصرا ... عنايته ترعى مقامى على البعد
فانقيل من عبد الهوى ونجيه ... وحائزه دون الورى فانا وحدى
ليهنك نجل اطلع السعد نجمه ... فاعلنت للرحمان بالشكر والحمد
فلازال يزكو فى الصيانة أو يرى ... بأفق العلا بدرا باشراقه يهدى
اراك اله العرش فيه واخوة ... له ماالذى تبغى من العلم والرشد
ودين متين والتقى وسعادة ... ونيل الذى ترجوه من كل ماقصد
ومتع هذا الكون طرا وأهله ... بطلعتك الميمونة الجمة الرفد
بجاه أجل المرسلين عليه مع ... صحابته أزكى صلاة بلا عد
على سيدى أزكى سلام كما سرى ... نسيم رضاه العاطر النفح للعبد

كما هناه أيضا الاستاذ الكبير والده سيدى الطاهر بقوله

أمولاى يامن حبه واجب عينا ... ويامن سناه قد هدى فجلا غينا
هنيئا بنجم اطلع السعد نجمه ... فسرت به العليا وقرت به عينا
فبارك فيه الله نجما قد اكتسى ... بطلعته الغراء افق الهدى زينا
وبارك فى اخوانه الشم من هم ... جياد المدى ان سابقوازايلوالاينا
زواهر افلاك العلوم ازاهر الـ ... ـمحافل من عاداهم لقى الحينا
على سيدى بدر الدجا وعليهم ... تحية عبد نازح يشتكى البينا
عليه ديون من حقوق تكاثرت ... لكم فعراه العجز ان يقضى الدينا
يمت بصدق الود لاغير فاقبلنـ ... ـه فضلا فدعوى حبه لم‌تكن‌مينا
فهاهو محسوب على كل حالة ... عليكم عساكم (أدفلس‌أرتفكيم‌مينا)

ومعنى الشطر الاخير (عساكم ان لاتسلموه)

متعلمـــه

افتتح في مسجد قريتهعند سيدى محمد بنمحمد السملالى ، فبعد حـــين الحقه والده بالاستاذ سيدى احمد بن صالح الشكوكى التانكرتى الافرانـــى، وهو اذذاك فى مسجد (تازونت) بايسى ، فبقى معه هناك ست سنين ، وبعد ذلك انتقل به استاذه الى (افران) فلازمه هناك ماشاء الله ، ثم التحق بمدرسة الجمعةعند الاستاذ المقرئى سيدى احمد بن مولود ، من قبيلة ايت عبـــــلا البعمرانية ، فهناك أخذ صاحبنا حرفى قالون والمكىفى ختمتين ، ثمرجعالى المدرسة (البومروانية) ، فختم فيها أيضا ختمتين بالمكى عـلى الاستاذ سيدى احمد بنمحمد الشريف التومانارى ، وهذا منتهى زمنه فى تـجـويد القرءان وبعض رواياته، ثم افتتح المبادىء العلمية بالمدرسة (الالفية) عند الاستاذسيدى محمد بن عبدالله اوبلوش البعمرانى باذن والده الاستاذ ابن عبدالله ، ثـــم لميتشب والده أن توفى ، فالتحق بالاستاذ سيدى احمد بنسعيد الاكمارىفى مدرسة (افلاوكنس) ، فاتقن عليه المبادىء ، ومتون الدورالثانى ، ثمحصلت له فترة ، ثم راجع بعدها المدرسة الالفية يستتم فيها على صنوه سيدىالمدنى أستاذها فى الدراسة النهائية • ولايزال الان ١٣٥٨ه هناك فى جد واجتهاد هو والنجيب سيدى احمد بن زكرياء اديبا المدرسة ، والمذكور انفيها بالتفوق فى طبقتهما •

أدبيـاته

ازهرت من آدابه منذ سنتين اوثلاث أغصان لفت اليها نظرى فى مفتتح السنة الفارطة ، حين حللت بالغ ، فصرت ارى له مقطعات وقصائد ، ورسائـل نفسية اعجبتنى منه ، وقد أودعتكل ماصدر منه الىفى السنة الماضية فـــى (الالفيات) فهناك تجد رسائل وقصائد ومقطعات ، تبهرك من اديبنا الجديد• وقد كانت صدرت منى قصيدة فىوصف (العصيدة) لاباس بها ، وعهدى به قد أغرمبها، ويتتبعها بكل اعجاب ، وقد استاذننى فى ان يشرحها فاذنت له ، ولمادر ماهو صانع بعد •

كان القاضى (سكيرج) الفاسى قاض (زطاط) رحل الى سوس رحلة خاطفة، سنة ١٣٥٥ه فكتب فيما رءاه قصيدة نونية تعرف بـ(الرحلةالسوسية)فطبعها باسم تاج (الرؤوس) فقرضها أدباء الخومن اليهم لمالهم بـه مـن الاتصال ، كشيخنا سيدى الطاهر ، وسيدى محمد ، وسيدى المدنـى وسيدى الحسـن المترجم وسيدى عبدالله الالغيين • وابن زكرياء ، قال كلواحد قصيدة علىحدة، فقال المترجم من بينهم

سل عنك الهوى بتاج الرؤوس واتركن ذكر حسن تاج العروس
واهجرن الطلا مديد الكؤوس واملا السمع من حياة النفوس
رحلة أشرقت بنور علوم قد زرى ضوءها بضوء الشموس
رحلة أشرقت بنور علوم قد زرى ضوءها بضوء الشموس
رحلة انبتت بكل فؤاد حب منشئها المزيل العبوس
رحلة اخجلت فصوص جمان نظمت انجما بجيد العروس
رحلة قد حوت اهلة مجد لم تحز مثلهم وجوه الطروس
وقصورى عن عدهم اعتذارى واكتفاءى بصدرهم فى الدروس
احمد السيد السكيرج من قد فاق كل الورى بخلق نفيس
مركز العلم والسيادة والمجـ ـد وحصن النجا بحرب البسوس
بان فردا فاحرز السبق مجدا وارتضته العلا رئيس الخميس
بان شمسا بافق (زطاط) فاعجب لمنير اضا لغرب وسوس
ياهلال الدجى وكهف النجا انـ ـت سميرى بذكركم وانيسى
كل مدح اذا ذكرتم قليل فاقبل النزر ياربيع النفوس
وعليكم منى سلام ذكى متلال كالتاج فوق الرؤوس

وقد أجاب الشيخ احمد السكيرج هذه القصائد كلها لماوصلته على يد الفقيه سيدى محمد بن على السوسى • ثم البيضاوى بقصيدة مطلعها :

حركت ساكن وجد حل فى خلدى به انقضى منه ماقد حل فى جلدى

واجتمع يوما صاحب الترجمة واخوه الاديب سيدى محمد بن على فى بيت الاديب أحمد بن زكرياء ، فطاب لهم الوقت والكاس تدار، والبشر يرشفهم رضابه المعسول ، فقال ابن زكرياء

لقد طاب لى وقتى بتكليم ساعة مع المفصحين سيد اثر سيد
محمد المولى كذا الحسن الذى أتانى به سعدى فاثرت به يدى

فقال الاديب ابن على

لقد قرت العينان ليلة جمعة بساعة جمع طاب فى بيت احمد
رضيع العلا الشهم الذى لايمل من مذاكرة ترقى لهامة فرقد
يعل بكاسات تجول براحنا كما جليت كاس الينا بصرخد

وقال صاحب الترجمة

سعدنا فطاب العيش ليلة جمعة مع السيد الندب الكريم الممجد
هلال الدجا فخر المجالس احمد من اعتاد أن يسطو بسيف مهند

فهذا نموذج من اقوال اليوم ، وهو فى فجر حياته العلمية ، وهو بعد لايزال يجتهد فى التقدم ، ولايزال فارغ البال من اهل ومال ، وطالما اتمنى لو اعمل الرحلة الى حيث يجد امثاله أمواجا متدفقة من الفوائد ، ولكن ماكل مايتمنى المرء يدركه ، فالله يجعله وأهله من المحافظين على هذا التراث العلمى والادبى فان ءال صالح وحدهم حفظة التراث العربى فى الخ • وغيرهم لهم فى ذلك تبع

وهناك ادبيات بينى وبينه فى كتاب (الالفيات) ربما كانت أعلى قيمة مما سقناه هنا، لان ماسقناه هنا انما هو من الابتدائيات ، وحين نكتب هذه كتبناها للتاريخ لالادبيات المتنقاة ، فصرنا نسوق ماتيسر كما تيسر •

وأخيرا

رأيت تقلب المترجم ، وهو اذذاك كما استتم معلوماته ، ومازال عزبا ، ثم انه تزوج ، فتكونت له أسرة يزين الاولاد بهجتها ، كما صار مدرسا فى مدرستهم بعد ماتوفى عميدها سيدى المدنى ١٣٦٥ هـ فقد ءالت المدرسة اليه والى صنوه سيدى الطاهر ، فحين اشتغل اخوه بهمته القضائية ، قام هو بالتدريس، ولم يزل على ذلك الى انجاء الاستقلال ، فتعين استاذا متمرنا فى المعهد الرودانى يقوم فى فرعه الموجود فى (تاليوين) بحصص الدراسة اليومية ثم بذهابه هكذا من المدرسة اولا • ثم بالتحاق أخيه سيدى الطاهر بـ (تامكروت) ثانيا، شغرت المدرسة (الالفية) من عملها ، فانتدب اليها شيخنا سيدى عبدالله بن محمد فعمرها فرجعت اليه بضاعة والده ، وذلك فى سنة ١٣٧٨هـ وعنده الان ١٣٧٩هـ ثلة من الطلبة يجول معهم فى الدروس على مايستطيعه ابن الثمانين، وياطالما تطاول الى استرجاع تراثه من والده فى المدرسة ، ولكن لم يتيسر له ذلك الا الآن والامور مرهونة باوقاتها

مستملحة

كان الطالب السيد احمد ارعم ـ الجمل ـ يباسط سيدى عبدالله بن محمد يوم توصل بمدرسة والده بلامشقة ، فيقول له : ان الله من فى هذا العصر على اثنين بما يؤملانه بلا مشقة ، فالملك سيدى محمد بن يوسف ادرك ملك المغرب كله سهله وجبله بلا مشقة ، ولاسوق جيوش ، كما كان يفعل ءاباؤه ، وأنت أدركت مدرسة ابيك بلامشقة ولامجاذبة كما كان يفعل من يسترد حقا من حقوقه فكان فضل الله عليكما عظيما

سيدى صالح بن عبدالله الالغى

١٤-٣-١٣٤٣ هـ = حـــى

نسبـه :

صالح بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن صالح بن عبدالله بن صالح

هذا احد افراد حلبة جديدة الغية صارت الان تستولى على الراية العلميـة فى الغ ، كالاستاذين محمد بن احمد ، ومحمد بن ناصر فى اخرين، وقدجالست المترجم وثافنته وجاذبته مباحثات فرأيت من نجابته ماحقق به أنه ابن أبيه القد الخنديذ

(ومن يشابه أباه فما ظلم)

متعلمـه

أخذالقرءان عن الاستاذ عبد الله بن احمد الانامرى اليعزوى الطالبـى السملالى الذى لايزال الى الآن حيا ، يجتهد فى كتاب الله بمسجد (ايشوكاك) من (أكاديرايزرى) وهو عمدته بعد انابتدأ عندابن عمه محمد ـ فتحا ـ بـن محمد الطالبى ، وهذا هو الذى تخر جعليه كثيرون من المرابطين السعيديين فى زاوية (دوكادير) العليا .

ثم افتتح عند أبى العباس اليزيدى فى المدرسة (الوفقاوية) ، ثم بعده شارط هناك الاستاذ ابوالعباس أحمد بن محمد بن مبارك الاهريبى التاجارمونتى ، ثم أخذعن والده فى مدرسة (ايمور) مدة عامين ، ثم راجع أحمد اليزيدى فى المدرسة (الجشتيمية) ثم كانت المذاكرات التى لاتنقطع فى حضرة والده اكبر مشجد لصارمه ،حتى صار قاطعا لانظيرله فى حلبته الالغية .

ميدان تعليمه

شارط اولا فى مدرسة (تاسريرت) وقدكان فيها والده ثم خلفه فيها ١٣٦٥هـ ثم الى مدرسة (تازموت) بسملالة ثلاث سنوات ١٣٧٠هـ = ١٣٧٢هـ ثم صار يعين والده وينوب عنه كثيرا فى المدرسة (الايغشانية) ١٣٧٣هـ الى مفـتـتـح ١٣٧٨هـ ثم اوى الى المدرسة الجشتيمية حيث لايزال الى الآن ١٣٧٩هـ (ثم انتقل الى مدرسة (ايكضى)

أخلاقه

شاب غريب الاطوار بين الشباب الالفى ، فانه هين لين هادىء منكمش منعزل ، لايكاد يرى فى المجتمعات ، ولاتراه الامطرقا ، كان الدم الالفى الجرىء الوثاب المكر المفر لايجرى فى شرايينه ، ومتى كان فى البلد لايفارق عقرداره ، وكان دائما يلازم والده بكل أدب ، ولايتخطى اشارته ، فاعتكف ببركة اشارته على المطالعة ، وفارق غرارة أقرانه حتى أنه صار مضرب الامثال عند كل من يعرف حاله بين لداته ، وقد أمره أبوه أن لايسافر الى الحواضر ، ولذلك لم يرها الى الآن .

مقدار غوره

له تحصيل تام ، ومشاركة استحق بها ان يكون خير خلف لسلفه الماجد المحصل ، الذى يبتدىء من جده محمد بن عبدالله ، ثم يتوسط بوالده امام هذا الجيل فى (الخ) ومااليه ، وقد شهد له اقرانه بالتفوق والاستحضار ، حتى والده فانه كثيرا مايشيد باستحضاره ، ويقول انه يستحضر من المسائل مالا استحضره ، وهاهو ذا اليوم كالتاج فوق الهامة العلمية فى أهله ، حفظه الله للمعارف ، ولو كان ثافن وسافر وعاشر ، ورأى ماوصله هذا العصر ، لكان منه خنذيذ لايشق له غبار ، ولكن لامانع له الان ، الا أنه يتوقف عند رأى والده برا به ، والا فانه يحب كل ذلك ، ولعل الايام تاتيه بما يتمنى ، والله يختار لنا وله .

منشداته

أنشد يوما ونحن فى مجلس فى اثناء محادثات ـ فقيدت عنه ذلك فى الحين ـ

قد عرفناك باختيارك اذكا ... ن دليلا على اللبيب اختياره

وأنشد أيضا :

وحبب أوطان الرجال اليهم ... مثارب قضاها الشباب هنا لكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم ... عهود الصبا بها فحنوا لذلكا

وأنشد أيضا :

اذا اظمأتك اكف اللئا ... م كفتك القناعة شعبا وريا
وكن رجلا رجله فى الثرى ... وهامة همته فى الثريا
فان اراقة ماء الحيا ... ة دون اراقة ماء المحيا

وأنشد أيضا :

متى يصل العطاش الى ارتــواء ... اذا استقت البحار من الركايــا
وان ترفع الوضعاء يــومــا ... على الرفعاء من احدى الرزايــا
اذا استوت الاسافل والاعالى ... فقد طابت منادمة المنايا

وأنشد أيضا :

كانت مساءلة الركاب تخبرنا ... عن جعفر بن فلاح احسن الخبر
ثم النقينا فلا والله ماسمعــت ... اذنى باحسن مما قد رأى بصرى

وأنشد أيضا :

واذا الزمان كساك حلة معــدم ... فالبس له حلل النوى وتغرب

هذه نماذج مما يستحضر فى اثناء المسامرات الادبية ، انشدها بمناسبات فى جلسة واحدة

من آثاره

كنت حثثته ان يكتب الى من ءاثاره ، فملأ لى كناشة تضم غالب ماانتجه فكره، وسنلخص من ذلك مايوافق شرط الكتاب ، ونص ماكتب الى

(حضرة معالى الوزير الافخم ، الصدر الاعظم ، الاستاذ الاغر ، والمربى الاكبر الذى تعقد عليه الخناصر ، عند تعداد ذوى المئاثر ، كعبة الامال ، التى لاتعدوها الرجال، بل التريباق الانجع لداء اللهفان والزلال الانقع لغلة الصديان ، من يشيد ولايني بذكر قطرنا وابنائه ، وأطلع بدره بعد أفوله وخفائه ، فاصبح ليله نهارا وخموله ظهورا ، وبرزرجاله كماانشقت الكمام عن الزهر ، اوالاصداف عن الدر، وما فيه منقبة الانقب عنها وجلاها ، أو ذروة مجد انطمست معالمها الا اهتدى اليها فعلاها .

عشق المكارم فهو مشتغل بــهــا ... والمكرمات قليلــة العشاق

مولانا وسيدنا محمد الذى هو كاسمه مختار :

حاطه الله حيث أمسى واضحى ... وتولاه حيث ساد وجــلا

* * *

(كان له الله حيث كان ولا ... اخلاه من عزه ومن نعمــه)
(حاجتنا ان تطول مدتــــه ... وسؤلنا ان يعاذ من ألمه)

هذا وانهى الى حضرة مولاى المحفوفة من الله بالعناية والرعاية ، رائــق السلام ، وفائق الاحترام ، بالنهاية ، والى من تشبث بها ، ولاذ واعتلى بها .

ثم ان الكاتب لم يجد بدا من اسعاف طلبتكم ، عله ينال من بركتكم ، فلـــم يسعه الا الاتباع ، بقدر ماستطاع ، وان قصر فى الاداب ، اواساء فى الخطاب، وزاغ عن نهج الصواب ، فليغض مولاى عن عواره ، وليسدل رداء صفحه الجميل على شناره (فمن عفا واصلح فاجره على الله) وهاانا اذا يامولاى اوجه الى سيادتكم ماوجدته مما أكدت معاليكم عليه ، فان الهمة لم تتعلق من قبل بجمعه والميل اليه، ولم أخل انفى ذلك فضيلة تنشر ، وفائدة تذكر ، الابعد ان نبهنى مولاى من سنة الكسل والاهمال ، كما نبه كثيرا من امثالى المتصفين بهذه الحال ، فجزاه الله عن العمل المبرور ، أوفى الاجور ، وأبقاه يحيى رسم العلم الشريف، ويحمى بيضة الدين الحنيف •

بقيت قرير الدهر فينا فانما بقاؤك حسن للزمان وطيـــب
ولا كان للمكروه نحوك مذهب ولا لصروف الدهر فيك نصيب

وأروم من سيدى زاده الله التقديس والتشريف ، أن يوقفنى على ماالفى من الغلط والتحريف ، فان ذلك صيقل الذهن ، وجلاء الفكر ، لأستضيىء بنوره، واغترف من بحوره ، وفقنا الله الى مايرضاه ، وهو الذى لامامول سواه ، وختم لنا بالحسنى ولجميع الاحباب ، والله عنده حسن المئاب

مما أجراه الله على لسان الكاتب ، قوله :

متى اجتمعت ثلاث فى لبيـب ينل عزا يجد مع الليالـــى
مخافة ربه وجميل حـلـم وعلم زانه بيـن الرجال
وان يزدد ثراء فى سخاء فقد بلغ النهـايـة فـى الكمال

وقولى وقد اشتقت الى اصفى خلانى الاستاذ سيدى محـمد بـن احمد السليمانى أيام قرائته بمراكش فى صدر رسالة مسلما عليه

على السيد الحبر الهمام محمد رضيع ثدى المكرمات ابن احمد
سلام كما هب النسيم بسحره يحاكى شذى انفاسه ترب احمد
سلام سليم القلب من حية الفرا ق والوجد سالم الهوى والتودد

ومما للكاتب فى المديح مالفظته قريحته فى جناب سلطاننا المحـبـوب سيدى محمد بن يوسف لماعاد من منفاه الى عرش أسلافه مظفرا منصورا:

اذا السعد راعى للمجد اجتهاده فلابد يمضى فى الامور مراده
وتاتى المعالى الشوس منقادة له فاضحى وساس الشعب صدقاوقاده
وما الحر من لايكره الضيم جهده ويسعى لدنياه ويرعى معـاده
وما المرء من يسعى لامر يخصه وليس يعم قـومـه وبـلاده
فهذا ابن يوسف الهمام الذى نكا ببأسائه جيش العدا وابـاده
يشمر طفلا للمعالى وكاهـلا سريـا فبذ كل ملك وساده

فكافح بالاموال من بعد نفسه فمن ذا يجاهد العدو جهاده
واثخن فى عدوه بظباتـه وطهر منه وهده ونجاده
فاخمد نـاره واخـلـد عـاره واخفى فساده واجفى عمـاده
واجل جموعه واخـلى ربوعـه كما بدد اتـحـاده واحتشاده
واقمعه بالجد والجد فاستوى على عرشه وقد حوى ما استفاده
ومن يصطبر يظفر ومن يحتمل ينل مناه ويستبن قريبـا رشاده
وفارق والعلا غوالى عوالى الـــ مصانع ما اطبى سناها فؤاده
أعاد غداة عاد كل فضيلـة فوفاه اجر الصبر ربى وزاده
وعاد لشعبـه بعز مـؤبـد ووطد صرح المكرمات وشاده
وحقق للشعب الـوفـى رجاءه واعلى بنوده واورى زنـاده
وجدد رسم الملك بعد انـدثـاره واعلى منار شعبه واعاده
واطلع بدر العز بعد افولـه وانقذ دين ربـه وعباده
ومن يحتوى النفس الابية لم يكن يرى غير متن الشعر بين مهاده
ويسترخص الفخر الصميم وان غلا ويستهل اتساقـه واطراده
ولا غرو فهو من صناديد ماارتقوا اذا عز صيد العز الا اصطياده
ومافيهم الا من الشعب مخلص لـه جهـده ولاءه ووداده
رعاك رعاك الله ياخير ماجد يرى للعدا وقع الشبا واشتداده
فدم سالما والسعد يكنف ملككم فما دمت لانخشى عليه نفاده

ولى فى التعزية والتسلية لابن عمنا الاديب السيد الطاهر ابن على الالغى وقد توفى له ولد صغير لم يكن له غيره حوالى ١٣٦٩ هـ

اصبر ولا تجزع له انـه وديعة ردت الى المودع
عسى الذى جاد بذا ان يـجـى باخر من فضله الاوسع
فالكوكب الدرى ان غاب فى المغ ـــرب جا ءاخر فى المطلـــع

ولى فى رثاء شيخ المشايخ سيدى الطاهر بن محمد الافرانى سقى اللـه ثراه صوب رحماه ءامين ، مانصه :

ارى فوديك فى الامساء شابا وقد حكيا لدى الصبح الغرابا
كذا الاجفان امست ليس يرقا لها دمع كان بها السحابا
وشجوك عائل وحشاك صال وطرفك شاخص وانقلب ذابـا

(الى ءاخرها وستذكر ان شاء الله فى ترجمة المرثى)

ولنقنع الان بهذا القدر من ءاثار هذا الاستاذ الجليل ، وقـد رأيناه يـــزاول التاليف فى فنون شتى فلئن زاد قدما ليكونن غدا علامة الغ الفريد . كما عليه والده الان حفظه الله ووفقه .

سيدى احمد بن عمر الصالحى

١٢-٦-١٣٤٤ هـ = حـــى

نسبـــه :

أحمد بن عمر بن ابراهيم بن الحاج عبد الله بن صالح بن عبد الله بـن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد ٠

من نجباء الناشئين الالفيين ، وهو في طبقته يكاد ينفرد باشياء من معلوماته ولوساعده الدهر ، كما ساعد من قبله لكان من الفطاحل ٠ وهو ابن سيدة من بنات العلامة ابى الحسن الالفى ٠ فسرى اليه نصيبه من الارث العلمى ، والدنيا أحاظ وقسم ٠ والعرق نزاع

ومن طاب أصلا طاب فرعا وهل ترى أسود الفيافى الغلب الا من الاسد

متعلمه

كن أصيب اثر مافطم بمرض عرقل نموه الطبيعى ، ولذلك لم يلـتحـق بالمكتب حتى كان ابن سبع (١) سنين ، فاخذ فى مسجد القرية عن الاستاذ محمد ابن الحسن التدليبى الايغشانى ، وعن استاذ الجماعة عبدالله بن احمد الانامرى الوليلى السملالى ، وعن الاستاذ العربى بن عبدالله من آل الحاج من (أنزى) وعن الاستاذ الحسن بن سعيد السملالى ، وكان الثانى اعلاهم له افادة ٠ وقد استتم حفظ القرءان واتقانه سنة ١٣٦٠ هـ ثم افتتح المتون بين أيدى أخوالـه فى المدرسة على يد عميدها سيدى المدنى بن على ، ثم أخذ عن اخويه الاستاذين: الطاهر والحسن ابنى على كما اخذ أيضا عن استاذ الجماعة سيدى عبدالله بن محمد ، وعن ابنه صالح ، كما اخذ أيضا عن الاستاذ ابى العباس البناءى الايغشانى قال وأعظمهم لى فائدة الحسن بن على وصالح بن عبد الله ، وقد مر على كل المتون والم بكل مافيها من الفنون ، كما انه تلا على هؤلاء الاساتذة من كتب الادب ماكان مثله معتادا عندهم ان يتلوه التلاميذ على الاساتيذ فى أوقات العطل ٠

من آثاره

كتب لى مفتتحا لتطورات حياته مايلى ـ وفى ذلك تصوير للمدرسة الالفية فى عهد اخذه ـ

١) يقول الالفيون وقت افتتاح التلميذ القراءة ، اذا كان له خمس سنين وخمسة اشهر وخمسة أيام

(تلبية لطلبكم المشرف تجدون صحبة، ورقات تتضمن المقصود من ذلك ، وستلاحظون ان المدة التى قضيناها فى الحل والترحال بين مدارس ناحيتنا كافية للحصول على قدر وافر من العلم ، الان الامر ربما كان بعكس ذلك

والاوراق مشتملة على الفترة التي ابتدأت فيها الحروف الى أن غادرت القراءة وولت وجهـــى نحو التمعش وذلك مـن عام ١٣٧١ هـ الـى مـا بعده بعدما أثرت عـوارض قاسية فـي العـزم ، ولا يخفى عـلى معاليـكـم ان القراءة في جميع المدارس المحلية لايذوق فيها المتعلم حلاوة الابعد فترة ، لاتقل عن خمس سنوات ، وذلك راجع الى عدم الاسلوب الجذاب فى الطور الاول من تعليـــم المدارس العتيقة ولذلك لم يكد يتراءى لنا بصيص من النور الا فى العام السادس من القراءة ، اذفي ذلك الحين ندرك للبيت اللطيف حلاوة ، ومن ثمة تتطلـــع النفس الى مطالعة بعض الكتب الادبية ، وكنا معشر الطلبة فى تلك الفترة نتالم كثيرا من الظروف المحيطة بقراءتنا، اذكثيراما تعترضنا عوائق عن متابـعـــة الدروس الى ءاخر رحلة ، وأبرز العوامل وأكثرها هدما للـجـهود الحصاد والحرث • ففي ابانهما تهجر الدروس نهائيا شهرين وأكثر ،وفي غالـــب الاحيان ينقطع فوج من الطلبة ، ويتجددفوج ءاخر وذلك مايجعل الاستاذ مذعنا لرغبة المتجددين ، فتبتدىء الدروس من باب ءاخر ومن تاليف ءاخر ، وهكـذا تنقضي الاعوام ، وليس للدروس اساس ثابت على ان الاستاذ لايالو جهدا فـــي افادة الطلبة الا أنه لايملك شيئا فى نظام المدرسة فهى مفتوحة فى فصول السنة امام الواردين والصادرين ، وللطلبة كامل الحرية فى الحضور والتغيب ، زيادة على ان الطلبة يقسمون درجات متفاوتة فلكل طبقة منهم دروسها الخاصة بها، حسب فهمها وقدميتها ، وفي بعض الاحيان يتفرغ الاستاذ لطالب واحد ليقرىء له درسه وحده ، لانه فى طبقة عليا او اولية ، وذلك حرصا من الاستاذ على ان لاتضيع لكل طالب مكانته ، ويسبب له ذلك انقسام الفكر ، وتعدد الدروس وتعطيل بعض منها ، الى غيرهذا من العوامل التى تشكل اسوارا من حديدفى طريق التعليم والمتعلمين

وذلك بعض ما أوقفنا بصفوف المتاخرين ، وحال بيننا وبيـن مانصبو اليه من المعرفة ، ولايزال يتجدد لنا البعد عن الطالبية كلما قرأنا للذين يحق لهم التحلي باسم الطالب ، وتبين لنا ان ماكنا نسميه الطالبية انما هو كآل يحسبه الظمئان ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا، وهذا ماجعلنا ننحاز الى العامية،وتيقنا انه ليس التكحل كالكحل ، وما كنا لنقراجريدة اومقالة فى مجلة الا والاسى والاسف يتجددان ، ويعملان بسكا كينهما فى القلوب ، ولكن ...وليس هذا احتقارا للنعمة وانما كنا نرغب فى وصل الحاضر بالماضى)

ثم ان المترجم ممن يخبون ويضعون فى القوافى على عادة الناشئة الالفية ، ومن مطالع ماقال

روض الذهن فالمجال عريض وزن القول ان لديك قريض

وقد اعتذر كثيرا عن سوق ماصدر منه ، لكونه دون مايختاره ، وانشد فى ذلك قول الخطيئة :

الشعر صعب وطويل سلمه

اذا ارتقى فيه الذى لايحكمه

زلت به الى الحضيض قدمه

ولعل، ان امعن وزاول واطال المعاطاة ان ينال مايصبو اليه فى باب الادب العالى

وظيفته

التحق بالمحكمة الشرعية فى (تافراوت) ثم انتقل الى مثلها فى (انزى) ولا أخاله ينقطع عن المطالعة ـ لانه أهل لكل تفوق ـ وهناك اخوان له سيدى محمد ابن عمر ، لاباس بمعلوماته يقطن اليوم باالبيضاء مقدما على حومة ، وسيدى عبدالله الطالب النجيب لايزال يتابع فى القرويين وكانى به تخرج استاذا متمكنا ، وكذا من اللهعلى والدهم سيدى عمر السيد الوديع باولاد لهم ظهور فى الميادين

الفوز كل الفوز ان يكونا من هم بنوك فى الورى عيونا

تراهم فى العلم هاما عالية عليهم تيجان مجد زاهية

سيدى محمد بن نصر الالغى

١٣٤٢ هـ = حـــى

نسبـه

محمد بن نصر بن الحسين بن عبدالله بن بلقاسم بن محمد بن على بن احمد ابن عبدالله بن سعيد ٠

هذا استاذ ءاخر من أساتذة الخ الجدد ، ممن نبغوا فى جيله نبوغا مرموقا بين أقرانه ٠ ثم لاحظته السعادة فتاتى له خارج مسقط رأسه مالم يتات لكثيرين ءاخرين ضيعوا نفوسهم فى مسقط رؤوسهم (الخ) الام الناتق التى تلد كثيرا أمثاله

متلقاه للقرآن

لم يتجاوز عهد اخذه للقرءان مسجد قريته (الزاوية العليا) واساتذه الذين مر وا بذلك المسجد وقت أخذه : الاستاذ سيدى محمد السملالى الشهير بالتخريج فقد اخذ عنه كل أهل ذلك الجيل فى القرية ، ثم تلاه الاستاذ سيدى عبدالله بن احمد السملالى المحظوظ فى التخريج حظوة مرموقة ، فقد تعدى الذين تخرجوا به ، واتقنوا حفظ القرءان على يده عشرات ، ثم لم يزل على ذلك الى الان ١٣٧٧هـ وهذان هما أستاذا المترجم الذى أعاد القرءان خمس مرات ، وقد غادر المكتب سنة ١٣٥٥ هـ

فى مدارسة العلوم

طاف فى مدارس شتى طوفان الصديان النهم الذى يستشف كل مايراه من الماء الصافى ، فلم يترك كل مافى امكانه ، فقد افتتح فى المدرسة الالغية عنـد الاستاذ سيدى المدنى ، فاخذ عنه المتون الابتدائية على العادة الجروميـة والجمل والزواوى واللامية وابن عاشر ، وبعد نحو سنة انتقل الى المـدرسة الايغشانية ، وفيها كمدرس الاستاذ سيدى بلقاسم بن محمد السليمانى تحت اشراف الاستاذ سيدى الطاهر بن على الذى كانت المدرسة فى يده ، وانما استناب الآخر للتعليم ، فاخذ عنه نصف الالفية والرسالة ، مع اعادة بعض المـتـون المتقدمة ، بقى هناك نحو عام ونصف ، ثم الى المدرسة الوفقاوية عند الاستاذ

سيدى أحمد الاهريبي التاجارمونتى ، فاستتم عليه الالفية وربع العبادات من خليل ، وبعض التحفة ، لازمه نحو سنة ، ثم راجع المدرسة الالفية عند سيدى المدنى ، حيثاخذ الربع الثانى منخليل ، وبعض المقامات الحريرية ، وبعض المعلقات السبع ، وبانت سعاد ، ولامية العجم ، والبخارى على العادة فى رمضان والحساب ، وبعد نحو عامين انتقل الى المدرسة (الكشتيمية) وفيهـا الاستاذ الكبير سيدى احمد بن الحاج محمد اليزيدى ، فاعاد عليه كل المتون ، فاخذ عنه المختصر الخليل مرتين ، والتحفة مرتين ، والالفية مرتين ، والمقامات كلها ، والحساب والفرائض مرات ، والشمقمقية والدالية لليوسى ، ومصطلح الحديث والبخارى والعروض ، وبعض التلخيص والمنهج للزقاق ، هكذا لازم هـذا الاستاذ الهادى الخريت نحو خمس سنوات ، لازمه الى ان توفى ١٣٦٤هـ ثـم لازم بعدهالاستاذ سيدى محمدبن الحاج أحمد اليزيدى الذى خلفه هناك ، وبعد نحو خمسة شهور غادر المدرسة

في المشارطة

ثم انه توجه الى وادى الاكماريين فانابه الاستاذ سيدى أحمد بن سعيد فى مدرسة (تاكاترت) هناك فى التعليم ، فبقى هناك شهورا قليلة فقط ، ثم غادر مثل تلك المشارطة ملاحس البقر أولادها ، لمااستفزه العزم على ان يستـكـمل معلوماته فى الحواضر

في مراكش

فى مفتتح ١٣٦٦هـ ، اثر رجوعى من الحجة ، اتصل بدروسنا بباب دكالة حيث انتظم بين من ياخذون ما نتذاكر فيه مع الطلبة ، فاخذ (الورقات) لامام الحرمين ، و (الاشارات) للباجي و (مرتقى الوصول الى علم الاصول) والبيان والحديث فى البخارى ، أخذافنيا متتبعا فيه البحث على قدر الاستطاعة ،والمنطق و(نورالبقين) فى السيرة النبوية • الىغير ذلك من النحو والفقه فـى المختصر والتحفة والتفسير

في المدرسة البَنْكريرية

كان صاحبنا القائد العيادى اصاخ لى فبذل بعض مافى يده لمنفعة العباد، فبنى المدرسة فى قرية (ابن كرير) من قبيلة الرحامنة وجعلها على يدى ، فاخترت لها منبين الاساتذة المترجم وذلك فى اواخر ١٣٦٧هـ فقام بمانيطبه أتم قيام ، ولميزل على همته ومرابطته هناك الى الآن ١٣٧٧هـ مع انه مربصاحب المدرسة مامر ، ولكن منعرف ماطلب هان عليه مابذل •

يؤسس اسرته

اقترن اثر نزوله فى المدرسة بسيدة كانت هى الاولى منزوجاته ، ثم فارقها فاقترن بأخرى فتوفيت ، ثم ثلث بهذه السيدة التى عنده الآن ، وله من الاولاد بنتان فقط ، (رب لاتذرنى فردا وأنت خير الوارثين)

نتف من أخلاقه

للمترجم اخلاق يمتاز بها، منها علوهمته فى اموره كلها ، ملبسا ومركبا ومجالسة ، ولذلك سرعان ما انقلب الى شارة من رءاه فيها الآن لايجول فى ذهنه انه ابن الغ البدوى القنوع الذى يقنع من البلغة بمضغة ومن اللبسة بشملة ، ولولا بعض توان عن المطالعة يتجاوز الحد المطلوب منه لكان له من الشان اكبر مماهو له الآن ، ولعله فى المستقبل يظهر من النشاط والاقدام والاكباب على المطالعة مايدعم به مكانته بين اقرانه ، فما فائدة الاستاذ الالغى ان لم يلتهم مئات من الكتب الادبية ، حتى يستحضر كما يستحضر اهل الجيل قبله • ومن فى يده مقواد مستقبله ، ومرقاة شغوفه فلماذا لاينهض ويلقى الكسل والتوانى ظهريا ، فان باب المجد مفتوح ينتظر دائما اصحاب الهمم

ولم أر من عيوب الناس عيبا ... كنقص القادرين على التمام

ورحب به الاديب محمد بن على وقد ورد مرة الى الغ بقوله

اهلا بمن قد اتى والقلب يرعاه ... فى القرب والبعد لست قط انساه
مد ساقه الشوق نحوى ردلى جذلى ... شكرا فقد ءانس الاحشاء مرءاه
ياحبذا الوصل ماأحلى مذاقته ... يزرى بشرب سرى فى الجسم سراه
يشفى الوصال جراح البين فى كبدى ... وقد ازاح عن الفؤاد غماه
فانعم وطب خاطرى فالسؤل فى قرن ... وابغ رضا الرب فى العلم وتقواه
واحرص فديت على نشر العلوم وكن ... موضح اللفظ مع تبيين معناه
فالله يبقيك بدرا اذ يقيك من العـ ... ـين ويقضى الذى تبغى وتهواه
منى السلام على عليالك معتذرا ... بالعى اذ لم اوف المدح اقصاه

وخاطبته مرة بقول بديهة ، وقد بلغنى عنه انه نافح عنى فى مجلس :

كفانى كفانى اهل الغ ابن ناصر ... اذا كان مابين المجالس ناصرى
لنعم الفتى حزما وعزما ونصرة ... اذا لم يكن فى الحى اى مناصر
له فى شغاف القلب ودمروق ... يفوزبه منى ابن خير العناصر
فمن كان ينسى الخير فى الصفو والوفا ... فلست بناسى الخير من ابن ناصر
فانى ان اعدد تلاميذ مدرسى ... وفاء يكن فى العد بدء الخناصر

محمد بن الحاج بلقاسم الزواوى

٦-٣-١٣٢٠ هـ = حـــى

نسبـه

سيدى محمد ابن الحاج بلقاسم بن عبدالله بن بلقاسم بن محمد بن احمد ابن على بن أحمد بن على بن احمد بن عبدالله بن سعيد ٠

ذكرت هذا السيد وان كان دون اترابه هؤلاء فى المعلومات ، ولم يحصل بينهم كل ما حصلوا حتى لايعدونه فى طبقتهم ، لاننى كنت شاهدت له مـــن النشاط فىجميع أعمالى بكل همة الشىء الكثير ، ولميعره مثل اقرانه الكسل والجمود الفكرى ، كما شاهدت له ايضا دؤوبا على خصال حمدتها منه ، وقـد كان ممن ءانسونى واعانونى على هذا التاريخ منذ نزلت فى الغ مفتتح ١٣٥٦هـ فهو الذى نسخ لى ادبيات تقع فى مجلد ضخم ، استمددت منها ما اختارهلهذا الكتاب ، كمانسخ لى مجلداءاخر كبيرا فىمختلف تاكليف قيمة للسوسيين وله خط واضح ، وهو وان لم يرم الى الجودة ، لكنه غير رذيل بحيث يقتحمهالطرف وهو ايضا ممن توسط لى حتى استفدت عن سيدى محمد بن بلقاسم فـقيـه تيييوت مارايته فى ترجمته ، فهكذا كان لىخير معين ، جزاه الله خيرا ، وهو على كل حال متوسط فى معلوماته ، ممنكان فى شرطنا ذكره ٠

أخذالقرءان عنوالده وعن ءاخرين ، ثماخذ المبادىء فى المدرسة الالفية ،وعن الاستاذ سيدى محمد بن أحمد ابن الحاج صالح بحاحة ، فتكونت له معلومات لاباس بها ، وله عقل حاد يستعين به ، معميل منه الى الانقباض ، كأن ذلكورثه عن والده ، ومنلم يكتنه خلقه يظنءرجلا ءاخر ، والذى حال بينه وبين اتمام دراسته الذى شدا فيها وظهر منه فى ميدانها تقدم ، انهلما توفى والده شغرت الدار ، فاضطر ان يكون قيم الاسرة، ولهاخيسمى الحسين لايزال الان١٣٥٨هـ يتلقى عنسيدى الحاج مسعود الوفقاوى ، ويذكر انه نجيب ، وقد أخذ أيضا من المدرسة (الالفية) وقد رزق صاحب الترجمة بنتا فى السنة الماضية ، وهو من اشياخ ابنالاخ محمد بن الحبيب فى القرءان ، فقد اخذ عنه فـى السنة الماضية ، ونحن كما جئنا الىالغ ، جزاك الله ياسيدى محمد بن الحاج بلقاسم ووفقك ورزقك من يعينك على مهماتك ، كما اعنتنى على مهمتى فى تـهـيـئـة مستمدات كثيرة لهذا المؤلف ، وقد شارط فى مسجد تييوت اواخر ١٣٥٥هـ واوائل التى بعدها ، وفى رمضان جاء الى فذكر انه سيتوجه الى جهة حاحـــة،

لعل الله ييسر له من فضله مشارطا نافعا ، فذهب هو وسيدى احمد بن محمد الزاوى المذكور، ومما انشدنى

من حط ثقل همومه في باب خالقه استراحا
ان السلامة كلها حصلت لمن ابقى السلاحا

آثار قلمه

من ءاثاره هذه الرسالة التى كتبها الى ٠

الاخ الاعز الارضى ، الاستاذ الكبير ، السميدع الشهير ، سيدى (فلان) عليك من اعطر السلام اذكاه ، وما يتعطر الجو اجمع برياه ، أبقاك الله مصون العرض مظفرا مكرما على رغم انف من أبى ، دائم العزوالابا ، فاننى فى غربتى لاازال اليكم فى شوق ، ياخذ بالطوق ٠

انا المحب ولو ادرجت فى كفنى انا الذى لم يزل بالعشق متصفا

وانى ياسيدى لاأجد عن ذكراكم صبرا جميلا ، وقد ملأت اللهفات اليكم صدرا فسيحا

والصبر يحمد فى المواطن كلها الا عليك فانه مذموم

أما احوالى فانى غريب حقا ، مشوش البال مهيج البلبال ٠

اذا جن ليلى هام قلبى بذكركم انوح كما ناح الحمام المطوق
وفوقى سحاب يمطر الهم والاسى وتحتى بحار بالجوى تتدفق
سلوا ام عمر وكيف بات اسيرها تفك الاسارى دونه وهو موثق
فلا انا مقتول وفى القتل راحة ولا أنا ممنون عليه فيعتق

وبعد فلايشفى العليل ، ولايبرد الغليل ، الا المشافهة والسلام ٠

أخبار عنه أخيرا

كان جال فى مساجد كثيرة بالمشارطة فى (اكادير ايزرى) ، وفى غيره بالغ، وفى جوار (تافراوت) دام على ذلك سنين ، حتى تقلب به الدهر ، وعرف العصر ومايتطلبه ، فاذا به يفكر فى حالة الامة ، فصار يلبس لباسا ءاخر بين الناس فى محادثاته ، ولم تكن الادارة لتغفل عن امثاله الى ان اعتقلته شهورا ، فكان ذلك هو الذى حداه حتى طلق تلك البلاد ، فنزل فى البيضاء ١٣٧٢ ﻫ فاستقر فيها بأولاده ، حيث يفكر كما يريد ، ويعلم بعض تعليم ، ثم صار خطيبا فى مسجد (قرية الجماعة) فحسنت حال معيشته ، وصار يلقى دروسا فى المسجد وفى غيره ، فاكتسى ابهة الفقهاء ، فهنئيا مريئا له ماحصل عليه الآن ١٣٧٩ ﻫ وانا لنرجو له فوق ذلك مظهرا ، وله اذكار وحالة حسنة ٠

سيدى محمد بن عبد الله

المدعو بالشيخ موح

١٣٢١ هـ = حـــى

نسبـه :

محمد بن عبدالله بن احمد بن ابراهيم بن محمد بن احمد بن على بن أحمدبن عبدالله بن سعيد

مشـاخـذه

افتتح على يد سيدى محمد بن محمد السملالى ، ثم اخـــذ ايضا عنسيدى ابراهيم الفقير البعقيلى ، ثم جلا اهله عن الخ الى (انامر) بوادى (أملن) فبقوا هناك سنتين ، فكان ياخذ هناك عن سيدى محمد بن موح منأهل تلك القرية ثمراجع اهله فى الخ ، فلازم أيضا سيدى محمد بن محمد السملالى فى مسجد (الزاوية) ، فبه تخرج فى القرءان ، وفى سنة ١٣٣٦ هـ افتتح المبادىء فـــى المدرسة على الاستاذ سيدى على بنعبدالله ، ثمأمر النجيب سيدى الحسين بن ابراهيم بن عبدالله بنصالح الالغى الذى تقدمت ترجمته انيدر به على المبادىء ولمينشبأندهم ذلكالوباء فجرف هذا النجيب فيمن جرف ، ثمأخذ عن سيدى المدنى ، وسيدى احمد الاهريبى التاجارمونتى ، والاستاذ سيدى احمد بـن محمد اليزيدى فنجب على ايديهم ، ثم لازم مايلقيه الاستاذ الكبير عميد المدرسة سيدى على بن عبدالله ، فظهر منهلسان سئول ، وقلب عقول ، وقد اثنـــى عليه منعرفوه وخالطوه من اهالينا ، كسيدى الطاهر بنعلى ، لاننى لااعرفه وفى سنة ١٣٤٦هـ أرسله الاستاذ علىبن عبدالله الى زاوية (أقا) عند القاضى سيدى الهاشم الفاسى ، فاخذ عنه أيضا حتى مضتِ تلك المسغبة ، ثم انتقل الى (ايمور) ولم يلبث ان شارط فى مسجد هناك ثم انتقل الى مسجد (ضاباشين) من (تاهالا) حيث لايزال الى الآن ١٣٥٨ هـ ، وقد طابت له الحياة هناكفسكن، وقد ذكر لى عنه نظافة فى البزة ، وعلو همته وتحصيل حسن كما ذكرناه وهو ممن يجول فىالادبيات ، ولكن لميتيسر لى الآن انأتصل باثرله فى ذلك ، الا أننى وقفت على ابيات اجابه بها سيدى محمد بنعلى عن ابيات له لم اقف عليها قال الاديب ابن على

زففت الى يا اخى محمدا عروسا تهادى مالاوصافها مدى
اتت نحونا تختال فى حلل اللغى فتبهر افكارى متى كنت منشدا
فمن رقة اومن لطافة منـــزع بطوق كان قدضم درا وعسجدا
وكيف وانت المصقع المفلق الذى بنى من قوارير البيان ممردا
جزيت على مدح العبيد محمد رضا الله من قد طاب فرعا ومحتدا

وكتب اليه أيضا يستدعيه مع امام المسجد

ايها الشيخ من محضت ودادى وجعلت محله بـفـؤادى
مـن غدا سيدا وبدر كمـــال فى سماء العلا وبدر رشاد
من جنى الزهر من غصون المعالى زاهيا حسنه جرى فى ازدياد
سيدى المرتضى محمد المنـــــ ـخول من خير جلة انجاد
ان قرات الرقيم فاعجل لكيما تتملى المنى بنـجح المراد
اننى راقب طلوعـك بدرا مع امـام معلم الاولاد
هاك منى رسالة نظـمـتها يد فكرى من نرجس ووراد
ثم منى عليك ازكى سلام طيب لايكـت بالتـعـداد

ثم وقفت له أيضا على رسالة كتبها من (أقا) الى استاذه على بن عبدالله الالفى لاباس بايرادها وهى ـ باختصار ـ

العلامة النحرير ، البركة الشهير ، شيخى وابى الثانى ، ومن هو أولى بمدح لسانى ، سيدى على بن عبدالله بن صالح افضل السلام وأتمه ، وأطيبه واعمه، على مقامكم الكريم ، وقدركم العظيم ، اما بعد فلازائد على مايعـلم سيدى ، الا مايسر الاصدقاء ، ويسوء الاعداء ، وقد وصلنا كتاب سيدنا ، وفهمنا مضمنه ففرحت لدعاء شيخى لولده ، وانه لم ينسنى من مدده ، وأنا عند هؤلاء الناس كالابناء ، اذكنت أنت عندهم كالاباء ـ الى ان قال ـ وسلم منى عـــلى شيخنا سيدى المدنى الذى يعطف علينا عطف بيان ونسق ، ويفوح لنا باذكى عبق، ثم اننا هناك وان كنا هنا ، فارواحنا فى مكان واحد ، وان غدت اجسادنا فـــى العراق او خراسان ، واقول

ان شيخى خير البرايا وانى لاأرى فى الورى اماما كشيخى

فى منتصف شوال ١٣٤٦ هـ

سيـدي

محمد الخليفة بن الشيخ الالغي

١٠-١-١٣١٤ هـ = حـي

نسبـه

محمد بن علي بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمدبن عبدالله بن سعيد ٠

أتى نبأ دالت به دولة الانس ... واضحت به العلياء طيبة النفس
بمولد نجل يملأ الكون نوره ... ويخجل اشراقا سنا طلعة الشمس
يجدد رسم المكرمات باسرها ... ويقدم ارشادا جميع بني الجنس
وينشر اعلام العلـوم مبرزا ... اذا جرت الافكار في حلقة الدرس
يدب الى نيل العلا بعزيمـة ... تذوب لها صم الجلامدة الملس
الى ان يعيد المجد حيا بعيد ان ... تنوسى حتى عد من ساكنيالرمس
وليد بدا من مطلع السعد فاختفى ... بميمون اقبال له كل ما نحس
ويظهر في برج الكمال مؤيـدا ... باتقان اسرار الجنيد اوالمرسى(١)
وحكمة لقمان وهـمـة حارث ... وحلمابنقيس فيزهادةاويس (٢)
تفرع من غصن السيادة فاستوت ... منابته في منبت طيب الغرس
فياسيدا ضاقت بماثور فضله ... اذا رمت احصاء له ساحة الطرس
هنيئا بما اولاكه السعد طالعا ... بافقك بدرا جاليا ظـلـمة اللبس
يشب ببحر المكرمات مشمرا ... لادراك فضـل غير وان ولا نـكس
مصونا بعون الله في كل حالة ... وليدا وكهلا من أذى الجنوالانس

شمس الحقيقة وقمرها ، وسمع ذات الكمال وبصرها ، من طبق ءافاق الفضاء ذكره، وخيم علىهام السماكين فخره ، وسما حتى لم يجد مستمي قدره، من نظمت لبة الدهر من فرائد فضله قلائد درها، واطلعته الحـقـائقعلى مكنون سرها ، فكان احق بقول الخنساء في صخرها

وما بلغت كف امرىء متطاول ... من المجد الا والذى فيك اطول
ولا بلغ المهدون للناس مدحة ... من القول الا والذى فيك أفضل

١) هو ابو العباس المرسى تلميذ الامام الشاذلى

٢) المراد الحارث بن عباد فارس النعامة وابن قيس الاحنف الحليـم المشهور واويس تصغير اوس ولاتشدد واوه وان كانت هنا كذلك ، والمراد بهالزاهد اويس القرني

سيدنا وشيخنا ، ابو الحسن على بن احمد الدرقاوى ، هذا وقد اتصل الخبر باستهلال هلالكم السعيد ، الذى عاد به اليوم بالفرح كيوم عيد ، فتكلف العبد تهنئة على جمود الخاطر ، وانقشاع سحاب الفكر الماطر ، خدمة لتلك الطلعة المباركة ، بالقول ، اذا لم يسعد الحال بخدمتها بالنول ، كما قال المتنبى

لاخيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

رجاء الظفر بدعوتكم المجابة ، لتعود بها الاهواء عن قلوبنا منجابة ، فان العبد والحمد لله ممن اخذ فى حبكم باوفر نصيب ، وضرب فيه بالسهم المصيب ، فما تخيب وقد تمسك بامثالكم آماله ، ولاتضيع ببركتكم احواله ، والسلام الاتم الاطيب الاجمل عليكم ورحمة الله وبركاته ، من العبد الفقير الى الله فى الباطن والظاهر ، المتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم فى جميع المظاهر العبد المضطر الطاهر ٠

بهذه التهنئة العلية ، وبهذه اللهجة الادبية ، يهنأ الوالد من شيخنا سيدى الطاهر شاعر الجنوب ، لما ولد له صاحب الترجمة ، أصيل يوم (عاشوراء) فكانت القصيدة فالاحسنا جاء الزمان بتصديقه

تفاءل بما تهوى يكن ولقلما يقال لشىء كان الا تكونا

تقلباته بين يدى الوالد

افتتح القراءة فى الزاوية ، فتدرج فيها عند الفقير سيدى الحاج بلقاسم البوزياوى الحاحى ، وسيدى احمد الماسى الاعمى ، بعدما اخذ الحروف الهجائية عن الوالدة مؤدبة البنات فى الدار ، ثم بعد ذلك ارسله الوالد مع ابن عمه سيدى عبد الله بن ابراهيم الى قبيلة الساحل عند طالب يسمى سيدى عمر ثم لم يلبث ان مات فجاة ، ثم الى قرية (تالات ووشن) بايت براييم عند سيدى الحسن الذى لايزال حيا الى الآن ١٣٥٨ هـ ، ثم نقله بعد شهور الى (بوكورا) عند الاستاذ سيدى ابراهيم بن الحاج ، ثم عند سيدى عبد الله الاكمارى بالزاوية ، فعلى هؤلاء قرأ القرءان ، وفى سنة ١٣٢٥هـ افتتح المتون الابتدائية عند الوالد بالزاوية ، وبعد شهور دفعه لشيخنا سيدى سعيد ، التنانى ، فلازمه نحو سنتين ، وهو الذى جال معه فى جل المتون الابتدائية ، وكان سيدى سعيد ضعيف النزع ، قدنسج العنكبوت على بعض ما اخذه ـ كما كان يقول ـ فحين كلفه الوالد بتعليم صاحب الترجمة صار يستعد لما يعلمه اياه ، فيسأل هذا وذاك ، فكم حقائق وحدود وابيات قواعد نسخها له سيدى موسى بن الطيب ، وكم أمور اخرى افاده بها سيدى احمد بن مسعود المعدرى ، فى فترة كان فيها هناك بالمعدر ، فكان ذلك فى الحقيقة نفعا أوليا لسيدى سعيد ، ثم نفعا ثانويا لصاحب الترجمة ، وكان الوالد يحول بين

ولده وبين هذه المدارس الموبوءة اذذاك بما لايحمد من جهة الاخلاق ، وهو دائما يراعي الدين وسلامة الاخلاق قبل ان يراعي العلوم ، ويراها ثانوية بعد الاخلاق ، فهكذا بقي اخونا بين يدى سيدى سعيد يعلمه ويهذبه ، ويثقفه قدر جهده، وقدوقفت على نسخ أمور يعلمه فيها الكتابة ، وكان سيدى سعيد ابن مقلة الثاني في الخط ، وربما يعلمه غيره كسيدى موسى الذى درس معه الوردية في شهر ، وكان الوالد مع ذلك يصاحبه معه في السياحات ، ليتربى باخلاق الفقراء ، وليتسرب الى قلبه وخلقه ودينه منهم مايجد بركته ولو فيما بعد ، فقد كان معه في سياحة الى أيت صواب ، واخرى الى ادا وزكرى ، ومرارا في أزاغار ، ومرة في سياحة طويلة مرفيها الشيخ الوالد بكسيمة ، فحاحة ،فادا وتنان ، فمتوكة ، فالحوز ، فالحمراء ، فالسويرة ؛ وقد مروا بكل القبائل التي فيها اتباع الوالد ، وهواذذاك في عنفوان شهرته التي بلغت مبلغا عظيما ثم في نحومفتتح سنة ١٣٢٨هـ ، الحقه بالاستاذ سيدى محمد بن مسعود المعدرى في المدرسة البونعمانية ، لانها ربما كانت خالية مما في مدارس الجبال اذذاك مما لوحنا اليه ، فاقبل عليه الاستاذ اقبالا كليا ، فصادف منه قابلية وأدبا وليونة ، فخاض معه خوضا في متون ، وذلك هو الذى عاد عليه بالنفع الجم، وقد طرق به كل باب ، باذن الوالد ، لانه ساله مرة عما يقرأون ، فذكر له السلم ودروسا قليلة ، فقال له الوالد الامر اعجل من ذلك ، فاطلعوا من كل ثنية وأسلكوا كل طريق كيفما تيسر ، فقدر الله بعد شهور ان سقط الوالد مريضا مرض موته ، ثم كتب وصيته ، وقدوصى فيها انه خليفته في كل شيء ، فارسل الوصية الى الاستاذ ابن مسعود ، فاستدعى صاحب الترجمة ، فامره بالطلوع الى الخ ، وقد فهم من الوصية ان اجل الشيخ قدحان ، قال الاخ فناولني اذذاك كتابا فقال اذهب بهذا فاخبأه ، فان قضى الله بوفاة الشيخ فكفنوه فيه ، ثم قال بعد ذلك ، ولاتظن انني اتفاءل بموت الشيخ ، الان هذا ذكرته لك احتياطا وانت لاتذكر ذلك لاحد ، قال الاخ فنفذت كل ماقال لى عند وفاة الوالد .

هنا وقف اخذ صاحب الترجمة ، وهو اذذاك كما راهق ، ونزعه في المبادىء ضعيف لما ذكرناه عن سيدى سعيد الذى اخذها عنه ، ولكنه مع ذلك حاذق لبيب ، فلو دام سنة او سنتين في بونعمان ، لنال مبلغا عظيما .

بعد وفاة الوالد

توفي الوالد والزاوية تعج بالفقراء ، وناهيك بان المنقطعين وحدهم يناهزون المائة اوفوق ذلك ، وكلهم ممن تهذبوا على يد الشيخ ، ونسوا انفسهم ، وفنوا في مبدا الشيخ وغرقوا في التصوف ، وبلغوا في ذوق علمه مبلغا ساميا ، واما الاتباع الآخرون فهم الذين يطلق عليهم وصف المتسببين كما يطلق على هؤلاء وصف المنقطعين اووصف المتجردين ، والجميع فيما قدرته انا وغيرى يبلغون

نحو عشرين الفا، كما بينا ذلك في ترجمة الوالد ، فهؤلاء كلهم ينظرون الى من جعله الشيخ خليفته في كل شيء شيء ، نظرهم الى الشيخ نفسه ، ففتح لهباب هذا المنصب على صغره قبل انيجرب الامور ، فدخله دخول من اتكل على الله والكبار من الفقراء يعينون في كل جهة ، وكان من افضل ماعرف عنه منذذاك الحين منصغره ، أنهتجلت منه اخلاق قلما تتجلى من كبار الناس المجربين، منها الصبر ، فقد عرف به منأول يوم، ومنها الكتمان للاسرار ، حتى كان في ذلكالحين مضربالامثال فيه عند كل من خالطه ، ومنها التأني في الامور وعدم العجلة ، فتيسر له بهذه الاخلاق انيحوط وهو صغير كما ترى اسرة كبيرة فيها ضرات وصبية وبنات ، لكل واحدة واحدة منهن نظر خاص ، وشهوة علىحدة، وان يضم شمل الفقراء الذين قاموا اذذاك بالزاوية كان الشيخ لايزال حيـا، فكانت الزاوية كانها لم تفقد رئيسها ٠

وكان شيخنا سيدى سعيد قام اذذاك مقاما يعرفه له ربـه ، فكان يرشد ويعين، ويتمشى مع تلميذه هذا بمثل ماقاله هرون الرشيد للاصمعي ، علمنا في الخلا ، وعظمنا في الملا ، وكذلك سيدى محمد بن مسعود ، فقد قام بنصح تام بلغ فيهمن الارشاد مبلغا عظيما ، فقد اطلعني الاخ على رسالة كتبها اليه فيهذا الطور ، وذلك في اواسط سنة ١٣٢٩هـ ، فوجدتها في نفس الناصحين الكبار الذين يعرفون كيف يرشدون ، فمما حثه عليه فيها ملازمة الصلاةفي الجماعة ، وانيكون اماما فيها ، وانلايهتز في القيام وان لايتمايل ، وان يقبل على الفقه اقبالا كليا حتى يعرف منه كل مايحتاجاليه، فانه علم كبير والله لايعبد الابالعلم ، وان يكثر من مطالعة مثل كتاب (الاحياء) للغزالي من الكتب التـي تهذب وترى الانسان عوارت النفس ودسائسها ، وانيدخل بنفسه بينالفقراء وانيتهيأ بهيأتهم المخصوصة ، وانيذكر الله ذكرا كثيرا، وقال لهفيها انسر الشيخ لميعد اصحابه ، فمن أراده فليخالطهم بتادب ، ثـم نهاه عن الاشتغـال بقرض الشعر ــ على عادة الالغيين ــ ، لانهاذذاك كما تفتح ذهنه ، وقد كان سيدى احمد البوالوقتي التيزنيتي في الزاوية ، كان سيدى محمد بن مسعود أرسله اليه ليذاكره ، ولكنه بكلأسف ، كانأذناولسانا ، فكلماسمعه فسرعان مايفشيه اقبح افشاء بلسانه الى الاستاذ ابن مسعود ، وان لم يسمع شيئاافترى حتى كان سببا من الاسباب الحاملة للاستاذ على كتب تلك الرسالة المتقدمة، وقد كان صاحب الترجمة ربما يلم بقرض ابيات يمتحن بها فكرته ، وشيخنا سيدى سعيد الواسع العطن يحرضه على كل شيء ، ولكن هذا السيدالتيزنيتي سامحه الله يقول للاستاذ : انهاعرض عنكلشيء واشتغل بقرض الشعر ،ولذلك نهاه عنه نهيا خاصا ، وقال له في الرسالة انه لايشتغل بذلك الااهل البطالة، وهيكلمة حقلمن نظربنظرة الاستاذ ، هذا مضمن مافي الرسالة علىماستحضر

ثم قالله في ءاخرها ، ان سمعت ان بني فلان اجتمعوا على امر جامعوارسلوا

اليكفلاتصلهم ، وقد كنت طلبت منالاخ يوم اراني هذه الرسالة ان انسخها ولكنه ءاثر صيانتها ، فاستحييت انالح عليه ، والحامل لهعلى صيانتها ان الاستاذ اوصاه في ءاخرها ان لايريها احدا ، ومقصود الاستاذ فيما اظن ان لايراها أحد اذذاك ، ليكون ذلك ادعى للاخلاص ، واما الآن وقد دخلتفي ضمنالتاريخ ، فينبغي ان تنسخ وتشهر ، لئلا تدور بها ءافة من الآفات، وما اكثرءافات هذا العصر في امثالها • ويوجد نظيرتها في ترجمة الوالدة رقية في (القسم الثاني)

كان سيدي سعيد رحمه الله وصاحب الترجمة يجتهدان في سنة ١٣٢٩هـ وفي اوائل التي بعدها في المطالعة وفي الانشاء ، وفي تحسين الخط ، حتى كان في هذه الثلاثة فريدا ، وانكان لسانه فيالتلاوة لايزال يعثر احيانا الى الآن، وقدقال سيدي سعيد مازلت اعيره بالخط حتى كانخطه احسن من خطي ، وبنقص في الترسل حتى اصبح بيني وبينه مابين الثرى والثريا ، وهذا من تواضعه ، والافالخط السعيدي لايزال فريدا ، وانكان خط صاحب الترجمة أيضا غاية ، على ان متجه خطيهما مختلف ، واما المطالعة فقد دفعه ما الفه اذذاك الى أنه الىالآن لايرى كتابا منالكتب الا طالعه منأوله الى ءاخره ، ولكن هذا مقصور على كتب التواريخ ومااليها ، ثم لما اتصل اليوم بالكتب العصرية الجديدة وجدمنها طلبته التي كان يتطلبها وينشدها ، فثابر عليها حتى كان منه ماستراه فيما ياتي ان شاء الله •

عند ءال ماء العينين

ماكادت السنة الثلاثون منهذا القرن تمر فيها شهور ، حتى تم للشيخ أحمد الهيبة ماكان يبتغيه ويتطاول اليه منذ زمان، وفي جمادى الاولى منهاائتمر بعض الناس بتيزنيت ، وفيهم بعض رؤساء القبائل ، فانجلت الجلسة على تقديم المذكور، وفي جمادى الثانية ، جاء طلبة من هشتوكة والجبال فاحكموا تلك العقدة وتمالامر ، وتسابق المتاخرون لئلا يخرجوا عنربقة الاجماع ، فحضر هناكصاحب الترجمة برسالة خاصة من الهيبة ، وقد حفزته مكانته بينالناس علىالحضور اثرماتمذلك ، وقدكان الشيخ الوالد زار الشيخ ماء العينين ،وولده الشيخ أحمد الهيبة بكل طائفته عام ١٣٢٨هـ ، كمايوجد ذلك في ترجمته ،فكان ذلك أول تعارف، وكذلك لماجاء اليوم بين الناس ، سمعمنفم الشيخ أحمد الهيبة ثناء عطرا ، وحضه على انيكون من السابقين الاولين في هذا الامر ، فكان الامركذلك، وكل منكان فيه اذذاك حبة منالايمان فانه يجب عليه اذذاك انيبادر لمثل ذلك •

خرج الشيخ احمد الهيبة من (تيزنيت) في شعبان ، ومعه كل منله مكانة بين السوسيين ، الابعض اناس قليلين ، فكان صاحب الترجمة وكل الفقراء المتجردين الذين بالزاوية في ضمن الجيش ، وهم بالعدد الذي ذكرناه

فدفع لهم الامير الجديد قسطاطا كبيرا ، وءاخرصغيرا، وكان الشيخ سيدىسعيد بينهم ، والفقراء كلهم تابعون لاخينا ، فتقوى بذلك جنب الامير الجديد ، وهو يهتبل بالاخ فى المجامع ، وخصوصا حين وصلوا (امسكروض) وقد سمع الناس أن خليفة للقائد عبد الملك المتوكى متوجه الى قبيلة (اداوزيكى) ليدافع عنها الامير ، فتخابر اخونا معاداوزيكى ، وكانوا كلهم منأتباع الشيخ الوالد انضوى غالبهم تحت طريقته ، فجاءوا بأمره ، ففتحالباب للجيش اذذاك الى الجوز ، فعرفله الاميرذلك، خصوصا حينيرى منه العزوف وعدم تطلب اىشىء منه، لانكلمن كان فى معسكره يتطلب منه كل شىء فيذهب به، والاخ ومن معه لايتطلبون منه أدنىشىء ، وقد حكى الاخأنهكان مرة فىقبة فى المعسكر اذا بالفقيه الشهير سيدى الحاج عابد دخل عليه ، فوجدهم يشربون الاتاى، قال فكانت جلسته كلها كرامات ومناقمات ومثل ذلك مماشتهربه هذا السيدالفاضل ثم انهماحتلوا مراكش، فنزل الاخ اولافى الزاوية بباب دكالة ، ثمأنالتيزنيتيين نزلوا فى (الباهية) وفيها اتساع كبير، فاذنوا للاخ والفقراء فجاءوا الى جناح منها ، وكان الاخ يذكر اخلاق الاعراب بعدما دخلوا مراكش ، قال قد تنمروا وليسوا على مانعتاد منهم، وقد استداروا بالامير وحدهم استدارة الخاتم فمتى جاءأىانسان ليفاوضه فى سر فضلا عماكان جهرا ، فانهم لابد مشاركون فى السر ، كأنهم قلبوا ظهر المجن لكل السوسيين ، لكنان جاء اعرابى جديد منالصحراء فانهيتلقى بكلتا اليدين فى الحين ، وقد حكى لىهو وانسان ءاخر ممنمعه اذذاك ، ان اعرابيا طرق التيزنيتيين فى الباهية جائعا عريان،فاطعموه وستروا سوآته ، وفى اليوم التالى جاءفىحلة جديدة وأنفه فى السماء ، يقول لهم انكم أمس اكرمتمونى ، وأنا اليوم بلغت مرتبة اقضى بهاكل حاجكم، فافضوا الى بما تريدون ، فغاظهم ذلك وقالوا عجبا ، انكون بهذه المثابة ؟ ولولانا ماتم لهذا الانسان أمر ، ونحن نذهب اليه اليوم فلانلقاه ، فيجىء مثل هذا فينال فى لحظة مرتبة عليا، قال الحاكى : فكان ذلك سبب انخرجغالبهم منمراكش قبل يومالهزيمة، نكتب هذا للتاريخ ليدرك الباحث احد اسباب الانهيار السريع لدولة تلك الايام ، وان كنا نبرىء ءال الشيخ ماءالعينين أنفسهم من التحيز رضى الله عنهم .

ثم فى الليلة التى غادر الامير فى صبيحتها مراكش ارسلالى صاحبالترجمة وأمره أنيبكر بعد السحور ـ وكانالشهر رمضان ـ فذهب معبعض أناس ، فوقفوا فى المشور ، فاذا بالرئيس سيدى محمد بن عبد الرحمان الكسيمى رئيس قبيلة كسيمة ، وكان ممن اخلصوا للشيخ الوالد، وقدجمع كل متاعه، وأتىبه علىالبغال مع أصحابه ، وقد تسرب اليهم الخبر، وعرفوا ان الامير سينجو براس طمرة ولجام ، فحين ابصر بالاخ أمر أصحابه فاستداروا حوله بخيلهم ، ثمقالله الم تات بالمتاع ؟ فقال له انىلاخبر عندى باى شىء فافضى

اليه بماكان ، ثم قال له اننا لانفارقك ولاتفارقنا ، فارسل الاخ رفيقه سيدى محمد بن أحمد الطحانى التيزنيتى ، ومضى على رمكة فجرى الى (الباهية) فامر بجمع المتاع بسرعة ، وتناول هو صندوقا فيه الدراهم ، فطار به الى الاخ،فماج الفقراء ، وهم اذذاك فىأذكارهم بعد الصبح ، وكان هناك فقير جرب الامور وكان يحضر فى الجيوش المخزنية ، فاولمابدأبه من المتاع جمع الدقيق والادام وكل مايوكل ، فحمل ذلكعلى البغال ، ثم ترك ماسوى ذلك للفقراء ، فتناول كل واحدفى يده شيئا ، اوجعله على رأسه، ولكن غالبهم لما قاربوا القصبة ، وقد بدأ الهرج فى الازقة ، وخيول المتوكيين والكلاويين تجوبها جارية بالاقبال والادبار، القوا ذلككله ، فنجوا بانفسهم ، وقد تفرقوا شذر مذر ، فكانذلك اليوم يوم شئوم علىهذه الطائفة المهذبة التى يانس بعضها ببعض ، فقدانفرط فى ذلك اليوم سلكها ، ثم لم يعد الى مثل ذلكالالتئام ، فهذا ماربحه الاخ وزاويته وفقراؤها مندولة هذا الامير الجديد ، ولكن اذا أراد الله أمرا هيأاسبابه ، ومتى كانت النية حسنة فان التضحية فى سبيل الله تطيب لها النفوس ٠

أخبر الاخ انهم وقفوا هناك بالمشور، ثم صلوا الصبح فيه جماعة،والناس يموج بعضهم فى بعض ، ثم خرج الامير فتوجهوا الى متجه الجبل ، ولم ينلهم ماقاساه من تاخروا عنهم بعدذلك ، ثملم ينزلوا تلك الليلة حتى تسلقواالجبل، وانقطع عنهم الطلب ، فنزل الامير تحت شجرة يراه كل أحد ، وكذلك عياله، ولميحملوا معهم من الطعام شيئا ، فلاقاهم منذلك جهد جاهد ، وأما الاخ ومن معه، فقد كان معهم من الزاد ماقطعوا به وادى نفيس بسلامة ، وقد فتح القائد الطيب الكنتافى الطريق للمنهزمين واباح لهم انياكلوا منثمار الاشجار ،ولم يمس هناك أحد منالمارين بسوء ، فكانت حسنة من حسناته رحمه الله، على حين انالذين مروا فى (فروكة) قد امتدت اليهم الايدى نهبا وسلبا وقتلا ،فبرهن الكنتافى بذلك عن دخيلة نفسه، وهل يعبر عن دخائل النفوس سوى أمثال هذه الوقائع ؟ ولوكان رجل سوء لامكن له ان يتقبض على الامير وان يسلمه للحكومة ، فينال بذلك مقاما جليلا يحسده عليه أقرانه من الحاج التهامى والقائد عبد الملك المتوكى ٠ ولكن حاشا الحاج الطيب المسلم ان يجترح ذلك ولم يكنيواخذ الا بتغريم من تحت يده

حل الاخ بـ (تارودانت) بسلامة وعافية ، ثماقتضت المصلحة للامير فى الاخ ان يرسله الى قبيلة (اداوزيكى) لئلا تمتد اليها يد القائد المتوكى ، فيوتى سوس منتلك الطريق ، وكان الامير ءامن من طريق (تاكونتافت) ولكنه لم يلبث أن جاءه الحاج التهامى الكلاوى من هذه الطريق نفسها ، فتقوى به جانب القائد حيدة بنمايس المنابهى الذى يجاذبه اذذاك حبال ذلك الوادى ، فلم يطل يوم ١٧-٦-١٣٣١ هـ حتى غادر الامير (تارودانت) ايضا ، فطار الخبر بذلك الى الاخ فى (اداوزيكى) فسرى ليلا فاصبحفى كسيمة فطلع فى طريقه الى البلد،

وقدعرف منحال هذا الامير واهله ماعرف ، وادرك انه غيور على الاسلام ، لكنهليس في مسلاخ السياسي الذى يتطلبه الوقت ، ويقول انالشيخ احمدرجل محمود خلقا ومباشة ، لاينهر احدا ، ولايعرف لسانه لا ، ولكنه قلما تتمالحاجة على يده الامادمت واقفا عليه، واذنه مفتوحة لكل كلام ، فكل منقال عنده فانه عندهمصدق، وهكذا كان كل،ال الشيخ ماء العينين دينا ومروءة وسلامة طوية ، وقد حدث يوما بهذه الحكاية المضحكة ، قال حدث فلان من شيوخ هشتوكة أن انسانا قتل ءاخر فخاف على نفسه ، وأراد تبرئة من الشيخ الوالى أخى الشيخ أحمد الهيبة ، وهو عامل هشتوكة لاخيه ، فاتى القاتل الى هذا الشيخ باربعين ريالا ليذهب بها الى الشيخ الوالى بسبب مافرط منه منالفتك ليبرئه ، فتناول الشيخ الهشتوكى تلك الدراهم فوضعها فى صندوق ، وبكر الى ضيعته فحمل منها بطيختين كبيرتين ، واصبح على الشيخ الوالى فقدم اليه البطيختين ، ثمقال لهاننى ياسيدى محترمبعطفكم ، ملتجىء الىظلكم ، فقد أبى الله الان نظهر كراماتكم لكل أحد ، فقال له ماذاك ؟ فقال له انرجلين جاءا معافدخلا فى معسكرك هذا ، فسرقا منه ، ولكنهما لماأراد أن يخرجا بالسرقة وجداسورا من الحديد مستديرا بالمكان فحطا السرقة ، فانكشف السور ، ثم أعادا حمل السرقة فعاد السور ، ثم فعلا ذلك مرارا ، حتىاذاعرفا وتيقنا الامر، وادركا ان ذلك من الكرامات التى لاريب فيها ، حطا السرقة فخرجا ، ولكن مع ذلكأدركتهما مصيبة من أجل ماكانا هما به من السرقة فىهذا المعسكر السعيد فثارت بينهما خصومة فقتل احدهما الآخر ، فصاح الشيخ الوالى بزمرة من الاعراب ووجهه يقطر بشاشة وبهجة ، فقال لهم تعالوا تعالوا تسمعوا بركة شيخنا وشيخكم الشيخماء العينين لتدركوا أنه لايزال حيا بكراماته، فطلب من الهشتوكى ان يعيد القصة فاعادها ، والآخرون يحملقون عجبا ، فتصايحوا بآخرين ، فأمرهثانيا ان يعيد القصة فأعادها ، فما زال يقص حكايته على جماعات اثر جماعات ، حتى اهتز المعسكر بها، ثمانحنى على ذيل الشيخالوالى يتمسحبه ، ثم تطلب منهانيكتب براءة لذلك المسكين القاتل الذى شاهد بعينيه هذه الكرامة ، فان فرائصه لاتزال فى ارتجاف، خوف أن يقعله من المصيبة مثل ماوقع لصاحبه ، وهو ياسيدى يعاهدكم الله على الولاء ماحيى ، وقدجاء ليتلقن طريق الشيخ على يدك الآن ، فنادى الشيخ الوالى كاتبه ، فأمره بكتب البراءة للقاتل بأنه ءامن من كل شيء ، فهكذا تسوت القضية ببطيختين، وباكذوبة لفقت تلفيقا عجيبا • والحكاية تدل على تشيطن السوسيين اكثرمما تدل على سذاجة الصحراويين •

وهى حكاية صحيحة واقعة بلاريب ، وبها تعرف ماتلهج بـه حاشية الامير الجديد ، وما يطمعون به من الانتصار ، وتعرف أيضا انهم اشتهروا بذلك ، حتى علمه امثال هذا الهشتوكى الذى يعرف كيفيضرب على الوتر الحساس ،

وللتاريخ فقط نسجل ليدرك الباحثون حسن نية ءال الشيخ ماء العينين وسلاة طواياهم ، وانهم صالحون ذاكرون ، لاسياسيون ماكرون ٠

حل الشيخ أحمد الهيبة فى (كردوس) نحو عام ١٣٣٤هـ ، بعدما كان فى (أسرسيف) بهشتوكة وفى أيت وادريم ، فكان الاخ يصله فينة بعد فينة، ولكنه كادت تقع فتنة غير محمودة بين مرابطينا بسبب عدم تنظيم الامير لاموره فقدكان كتب للاخ فى هذا العام ١٣٣٤هـ بانه نفذ له اعشار المرابطين ، وكتب بمثل ذلك أيضا للاستاذ سيدى على بن عبدالله الذى الف اخذ الاعشار باذن الحكومة فى عهد الكيلولى ، فوقع سوء التفاهم بينهما بسبب ان كل واحد منهما لايعرف انعند صاحبه مثل ماعنده من امر الامير ، ولكن الله مع ذلك سلم المرابطين من الفتنة ولعل ذلك بحسن نية الامير ٠

الاخ يقترن

رجع من اداوزيكي كماذكرنا وهو اذذاك لايزال عزبا ، فاختيرت له كريمة الرئيس احمدبن الحاج ابراهيم الايفشانى، وهى بنت بنت عمتنا ، واسمها رقية، وكانت من فضليات النساء ، وارقهن قلبا ، وكنت انا ممن نال من رقتها ظلا وريفا رحمة الله عليها من غير ان أعرف لها وجها ، لاننى كنت اجانب المنزل الذى تكون فيه، فقد كانت ترسل الى دائما ماتدخل به السرور على قلبى الصغير ، متى جئت للبلد ، وقدكنت اذذاك طالبا بالمدرسة التانكرتية ، وكان لها فى ظن جميل ، فكانت تنفحنى بالدراهم والكسى والبسبيس وهو خير مايستطرف فى بلادنا ، وهى فى كل ذلك تطلب منى الدعاء ، ثم انها لم تبطىء اذ استاثر الله بها فى عام ١٣٣٧هـ ، بعد انولدت ولدها عليا هذا الذى بلغ اليوم وتبة فى الجندية وولادته فى عام ١٣٣٦هـ رحمها الله ، وان كانت لمن النساء الهينات الصابرات ، فهذه هى التى اقترن بها الاخ أولا ، وكانت له من خير النساء ،ثم خلفتها عنده اختها عائشة ٠ ثم السيدة فاطمة التزنيتية ١٣٥٣هـ

الاخ والقبائل الجزولية قبل الاحتلال النهائي

كانت السنوات التى تمتد من ١٣٣١هـ الى ١٣٥٢هـ فى هذه النواحى سنوات كفاح ودفاع بين المجاهدين والمحتلين ، ومتى انقضت الحرب ترجع القبائل فيما بينها الى المهاوش والنهابر (١) ، فقد كان ذلك كله من حين احتل ابن دحان تيزنيت عام ١٣٣١هـ ، ثم امتد يد القائد حيدة بن مايس الى اغاغار عام ١٣٣٣هـ فانه جاء الى (وجان) فحورب فيه من بعد ان كان فى الاخصاص ، فلاقاه هناك مبارك

١) المهاوش مايصاب من غير حل ولايدرى ماوجهه ، والنهابر المهالك، قالوا (كل مال دخل من مهاوش ذهب فى نهابر)

ابوالطعام الرخاوى فصالحه ، وكانت الجيوش القبلية اذذاك تقاوم ، والعلماء وارباب الزوايا ، وان كانوا لايجدون فتيلا ، يحضرون هناك ولابد ، فحضر الاخ فى محاصرات لتيزنيت وفى وجان حيث حارب بنفسه ، وبندقيته الرباعية فى يده ، ثم فى مقاومة القائد حيدة ، حين قتل فى ١٣ ربيع الاول عام ١٣٣٥هـ، وكذلك فىمقاومة الجيش الجنرالى (١) الكبير الزاحف فى جمادى الاولى منهذا العام ، فقد سقط هناك تحته فرس جيد وحفظه الله ، وقد جرح اذذاك اثنان منأصحابه ، كذلك أيضا يحضر فى المجامع التى تقع اذذاك ، ولكن بعد ١٣٣٦هـ شاهد ان الجو لايزداد الااعتكارا فى الاختلافات القبلية ، وأنه انتمادى عـــلى الدخول فى تلك الاختلافات فانما يخسر تراثه العظيم الذى كان فى يده، وقد طار كثيرمنه ، والواجب المحافظة على الباقى ، فصار يحضر ويغيب ويرشحالاخ احمد لينوب عنه .

وذلك انمجده الذى عرف به ، وورثه عن الوالد ، هو ارشاد العباد ، والاخذ برسن اصحاب والده بما أمكن ، لتعمر زواياهم ، وينتظم جمعهم ، وقد خسر غالب ذلك حين اضطر لاتباع رؤساء القبائل المتشاكسين فيما بينهم، فخالف بذلك طريقة الوالد الذىكان دائما يبتعد عنمثل هذه الاوساط ، ولا يقربها الا ليؤدى ماعليه فيها من الارشاد والنصيحة ، وقد مرذلك فى ترجمته ولهذا كله ادرك الاخ ان استمراره فى هذه الطريقة وبما يفضى الى مالاتحمد عقباه ، فتسد زوايا اصحاب والده هناوهناك، وفىذلك مافيه منخسر لايمكن اى ربح من ورائه ، وقد رأى ذلك كله بعينه النافذة التى تنظر من بعيدبتوفيق الله .

هذا وقدبدا منا نحن اخوته اذذاك انتشار فى البلاد ، وظهور وعقلية اخرى فلميامن ان يصيب احدنا انغاب عن الدار مكروه ، فبهذا كله وامثاله انقبض عنمجامع القبائل منعام ١٣٣٧ هـ ، وقلما يرى فيها بعد ، وكان الاخ أحـمـد الذى ينوب عنههناك يخب ويضع منعند نفسه ، وقد رزق مالم يرزقه صاحب الترجمة من المرونة فى ذلك ، بين المكافحين المنافحين عنتلك الناحية فى نحر الاستعمار .

وفى عام ١٣٣٩هـ أعمل ركابه الى نحو السويرة والحمراء ، فجال على بعض فقراء والده ، فوجد ان العرى قد انحلت كثيرا ، وانماكان انشب فيه نفسه من الاعراض عن طريق القوم مضطرا وعن حسن قصد، وصفاء نية ، فدكر عليه بالخسران الذى لايعوض ، وكان قبل هذا العام قدساح أيضا الى زوايا القبلة حتى وصل الى (الوكوم) هو وجل الفقراء الذين كانوا لايزالونمتوفرين وفيهم شيخنا سيدىسعيد التنانى وسيدى احمد الفقيه ، فكانت لها منافـع ،

١) نسبة الى الجنرال لان قائده الاكبر اذذاك جنرال فرنسىيسمىلاموط

ولكن الاهوال التى مرت قبل هذا الحين اوتلاحقت بعد ، اظهرت انالحال قد تبدل ، وان ماكان تيسر للوالد فىعصره ، لايتيسر فىهذا العصر ، فكان صاحب الترجمة الذى حفظه الله منذعوى ابناء المشايخ الذين يتربعون فى منصات والديهم بالكذب والبهتان ، قد شاهد بفكرته ذلك كله وأمعن فيه النظر، فامسك رجله ، فماشى الزمن كيفما تحول ، وقد رأى ان الواجب عليه انيكون ظلة تقى أهله الهواجر ، فاقبل على اصلاح ذات يده ، فاسعده الحظ ، فماترك تجارة ولافلاحة ولاتاثيل املاك ، ولا الانعام الناغية والراغية ، الاجال فيها جولات ، فدر ذلك عليه اموالا هى فى وسطنا ثروة كبيرة ، وقد ثارت بينه وبين أناس من جيرانه أمور خرج منها كل جانب منه ومنهم محفوظ الكرامة ، وقد حفظ الله الغ من عقابيلها، والحمد لله ، وكان صلب الارادة ، قوى العزيمة، لايعرف الا الوقوف حيث يطيب له، وناهيك بان بعض المجاطيين الوقحيين الذين ترتعد منهم فرائص المرابطين ، يقف أمامهم وجها لوجه ولايحنى أمم هامة، وذلك منعدم تخطيه لمايراه حقا ، وهو دائما مدافع لامهاجم ، ومنكان كذلك يكوناللهدائما فىعونه، ثملما استقام أمره خيراستقامة ، وثبت مركزه وعظمتعليه نعمة اللهتعالى ، حام حول نعمته منحسد الحساد مالايعدمه أمثاله، ثملميزل كذلك يعظم حتى صار يذكر فى مجامع القبائل بانه مضاد لها، ومتجه لغيروجهتها ، وماسببذلك الاماجرته تلك الحادثة ، فكانالقائد المدنى ومن لف لفهيذكره بسوء لمايراه من مناواة الاخ احمدلكل مايهمبه مماذكرناه فىترجمة الاخ المذكور، هذا والمترجم معكلذلك رابض فى ساحل الامواج ، فلا تكادموجة تتهيأنحوه حتى تنكسر مياهها ، فتتراجع ساكنة هامدة ، بعدما حملت زاخرة صاخبة ، وذلكمنأجل فريق كبير من مجاط وأيت بعمران ، ينظرون الىمقامه نظرات الاجلال ، فكانوا يفلون سيوف القائد المدنى وأصحابه ومن اليهم ، التى ترهف دائما لجهته ، فيفلون الحديد بالحديد ، ويبقى صاحب الترجمة منبعيد سالما ، لميعمل فىذلك لسانا ولايدا وذلك كله منعناية الله تعالى ، وهذه الحملات ابتدأت منذ جلس مربيه ربه فىمكان أخيه المرحوم الشيخ أحمد الهيبة ، فمازالت تتوالى حتى وقعت هذه الواقعة الآتية

بينما كان صرير طيارة يسمع ذات يوم فى جوالغ ، اذا بها تسف الىالارض فتنزل فى ذلك البسيط ازاء (تاوريرت اوساياك) فشاهد نزولها المرابطون والوفقاويون والايغشانيون ،فتجارى الناس اليها ، فاسرع صاحب الترجمة على رمكة له وقدتقلد بندقيته ، فوصل مكان الطائرة ، فاشار الى من هناك ، فافرجوا عنها، فاشار الىمن فيها بأن لاباس ، وان لايخافوا ، فوقف دونهم حتى أصلحوا ماكان مختلا من آلات الطائرة فطارت منغير انيمسها من حضروا معأنهم يحرقون علىمافيها الارم ، لولاهذا الذى يعرف انها اذا مسها أدنى شىء فان سربامن الطائرات سيبكر الىالغ بقنابره من الغد،ثملايبقىفيها لاعيناولااثرا

وغنيمة صغيرة تؤدى الى اضرار جسيمة ليست ممايفرح به‌العقلاء ، وقد جاء الرئيس احمد الايغشاني في الحين بعد تحليق الطائرة ، فجزاه خيرا ، وقال له لولاانت لتسبب هؤلاء الرعاع في اهلاكنا جميعا من حيث لايشعرون ٠

هذه هي الواقعة ، وهي‌معقولة كما تراها، لايرتكب فيها خلاف ماارتكبه صاحب الترجمة الاحد رجلين ، من‌كان احمق اهوج لايدرى مايصنع،فيحسب ان في مسها نكاية ، ثم تصب النكاية الحقيقية على رأسه ، ثم لاتتغير أرض ولاسماء ، اومن عرف مايقدم عليه وأدرك أنها مغامرة يتبجح فيها جالبا عليه قضاء الله ماكان جالبا، ثم‌لاعليه بعدذلك ان‌سلم اوكان من الهالكين ، وصاحب الترجمة ليس احدا من هذين، فهورجل تؤدة وتعقل وتبصر في العواقب ، فلذلك جاءت على‌يده نعمة شكره عليها العارفون ، كصهره الرئيس احمد بن ابراهيم‌الايغشاني ، رئيس الخ وصاحب الكلمة النافذة فيه اذذاك ٠

انتشر خبر الواقعة ، فقام القائد المدني ومن معه وقعدوا ، فقال الم نقل لكم‌مرارا ان‌هذا الانسان ليس منا، يقول ذلك في مجمع ، والسامعون يصيحون، ولكن عقولهم تحدثهم‌بان هذا الرجل ، انما تتحلب شفاهه على درهم ياخذه‌ورداء اولئك الذين في الطائرة ، ثم لاعليه ان‌تهدمت ديار مساكن الخ اوبقيت ، مع انه يتصل دائما بالحكومة بواسطة (علي نبوهوش) وياخذمنها مايأخذ كلما قضى لها وطرا ٠ هذا ما يقال ، وان‌كان الثابت عن المدني انه نفور من رجال الاحتلال عمره ، فلم يتصل بهم قط

بهذا عرف قائد تيزنيت صاحب الترجمة ، وارسلت اليه رسالة شكر خاصة على‌ماقام‌به، فاجابها بان‌ذلك من الواجبات عليه ، حفظا للنفوس واحتياطا لما عسى أن‌يجره مس الطائرة ومن‌فيها بشيء ، فهكذا عرفه من‌في تيزنيت بادىء ذي‌بدء بمد يدهم‌اليه، لابمده هو يده اليهم ٠

جاءت قضية السكر الذى احتكرت الحكومة بيعه عن هذه الجبال ، الامن مكنته‌منه، فيتوصل به‌منها بقدر محدود ، فيبيعه على يده ، فكانت الواقعة المتقدمة سببا حتى توصل الاخ احمد بنصيب من‌السكر ، والناس اذذاك يتسابقون اليه ، حتى ان الذين لم يجدوا اليه سبيلا انما يتمثل‌لسان حالهم في انكارهم لذلك بما قاله الشاعر

أيها العائب سلمى أنت عندى كثعالة
رام عنقودا فلما ان رأى العنقود طاله
قال هذا حامض لـ ـما راى ان لا يناله

فكان صاحب الترجمة ممن يتوصلون بالسكر تبعا للاخ احمد فيبيعانه على ايديهما ، وذلك لايعدو التجارة ، فيربح المترجم من تجارته في هذاالسكر ربحا حسنا ، ونصب في سوق الخميس ميزانا كبيرالذلك ، فلماراى من ينافسونه نجاحه ، تاكلت قلوبهم حسدا ، وصاروا يذمون هذه التجارة ،

فتمشت المسارة بذلك بين الذين يتقطعون لهثا على ماتيسر له، على حين انهم محرومون منه ، فاوعزوا الى الوفقاويين أن يمنعوا تلك التجارة من سوقهم ، فجاء من ذلك لصاحب الترجمة ماهو خير ، فنصب الميزان فى وسط داره ، فعادت أفنية الدار سوقا دائمة مدة الاسبوع ، لايوما واحدا فى الاسبوع ، حتى تضررت سوق الخميس بذلك ، فارغم الوفقاويون على تغيير موقفهم ،وقد نادى أيضا البعقيليون ان الدرقاوى وقوافله السكرية لاتمر بعد فى أرضنا، فقام المجاطيون يفتحون للقوافل الباب ، فكانت أرض مجاط الواسعة الفجاج، مماعوض الله به تلك الشعاب البعقيلية التى كلهاعقاب الى عقاب ، لايسلكها مختارا الامن كتب عليه فى هذه الدار العقاب ، وقد جاء الاخ أحمد مرة من تيزنيت وقد تلقى أيضا من هذه السلعة ، فكارى عليها قافلة مرت من ارض مجاط ، فسلك هوليلاارض البعقيليين ، فلما وصل اخبر بان كمينا كان يكمن له فى الطريق ، ولكن الله نجاه بسلوكه فى تلك الليلة ترهة غير مطروقة كثيرا، هذا ماحكى لى عن قضية السكر ، كتبته كما سمعته •

ذلك بعض ماقاساه صاحب الترجمة من بعض رؤساء القبائل الذين لاتهمهم المصلحة العامة فى شىء ، وكانوا جاهلين غفلا عميا صما ، لايعرفون من احوال العالم مايعرفه غيرهم ولالهم تمييز يعرفون به مايفعلون اومايدعون ، والمترجم يعذرهم بجهلهم المتكاثف ولكنهم لايعذرونه فيصبون عليه جامات التانيب وانلوم والتقريع والتعنيف ، فلم يزل يماشى الحالة حتى جاء ماجاء مماهو متوقع من أزمان ، وكل من عرف اختلاف فرنسة واسبانية حول نقطة فى تلك الناحية ، ثم عرف كيف عقلية رؤساء بعض القبائل اذذاك من كونهم لايحرصون الاعلى ان يجروا النار الى قرصهم وحدهم ، فانه يدرك الواقع قبل ان يقع ، وقد كان المترجم فى طليعة هؤلاء العارفين بما استفاده من مطالعة الكتب العصرية والجرائد والمجلات ، وتفهم حالة العصر وسياسته •

بعد الاحتلال

قضى الامر ، ووقع ماكان يتوقعه من يسمون انفسهم العقلاء منذ عشرين سنة، وكان عندهم تاخره من خرق العادة ، وهذا هو مقياس العقل والنوك ، ولكن أبى الجهل والنوك الا ان يسودا فى المغفلين الذين تخطوا كل ماامرهم به الدين من الاستقامة فى هذه القرون الحاضرة ، ومن الاستعداد بالعلم الصحيح ، والفكر المتزن، وبالعدد الحربية التى تفلح الحديد بالحديد ، فليت شعرى كيف يتصور ان تمتنع شرذمة قليلة جاهلة متشاكسة فيمابينها دائما ، لم تعرف من سنن الكون ولامن مخترعات العصر ، ولامن سياسته شيئا ، بل لم تسمع قط باثارة من ذلك ، بل لاتصدق به ولو سمعته ، هذا مايقوله هؤلاء العقلاء ، واما أنا فاقول ان أهل تلك الجهة مع كل هذا يجب ان يعرف لهم

التاريخ تلك المقاومة المتسلسلة طوال اثنتين وعشرين سنة ، من ١٣٣١ هالى مختتم ١٣٥٢ هـ وهم وان لم يتسلحوا بالتسلح العصرى ، فقد تسلحوا بغيرة استمدوها من التقاليد ، أفيقبل أدنى مسلم ـ وانلميكن اسلامه الاصوريا ـ أنيخضع عن طواعية لاجنبى يتحكم فيه ، كلا ، فانذلك خصوصا منأهل ذلك الجيل هوالموت الزؤام بعينه ، وهذاهو احد الاسباب التىتاخرتبها تلكالناحية ثم لم تحتلها الجيوش الحكومية الا بعد ان احتلت كل القمم فى الاطلسالكبير، فليحفظ التاريخ ، وليسجل ان ءاخر معقل سقط أمام الاحتلال هو معقل الاطلس الصغير بسوس ، ثملميسقط الا بعد ان طوقته الجيوش من جميع النواحى تطويقا تاما ، ثم دهمته وتخللت شعابه ، حيث تستسلم كل قبيلة على حدة، وتحط امام قائد الحملة السلاح الذى يتقلده كل واحد ، من البندقية الى الخنجر ، وذلك كله منغير محاربة مجدية فى ذلك الوقت الذى طوق فيهالجميع

تقدم الالفيون مع صاحب الترجمة وصهره الرئيس احمد الايغشانى إلى جيش نزل فى (امونوز) ، فى ذى القعدة عام ١٣٥٢هـ ، وهو فرقة زحفت من مركز (ايغرم) فيها جند حكومى وقواد من راس الوادى القائد محمد بن ابراهيم التيتيوتى وأمثاله ، فتلقوا هناك من رئيس الجيش ، وانتفعالالفيون بماكان منصيانة تلك الطائرة ، فلوحظوا ملاحظة خاصة ، فحين طلب الاخ أحمد ان لاينضم المرابطون الى غيرهم منمجاطة اوسواهم ، اجيب الى ذلك فاصبح المرابطون السعيديون قبيلة على حدة ، بعدان كانوا تحت ءاباط غيرهم، الذين يلاقون منهم قبل الاحتلال ما يلاقون ٠

وقع اثر ذلك هرج فى الغ اثاره فيها القائد مبارك الذى قيل له انترئيس مجاطة كلها ، فتذكر قيادته أمام الحاحيين ، وتلك الاتاوات الباهظة، فحسب انهذه أختتلك ، فارسل اعوانه يجبون الاتاوات المستعجلة من المرابطين ، والحكومة لاتزال فى أسابيعها الاولى ، تنظم المراكز ، وتهيئها بين القبائل ، فقاوم الاخ دفاعا عن المرابطين المستضعفين اعوان القائد مبارك ، وهم معولده وبعض اصحابه ، فبعد حقبة صغيرة تنظمت المراكز ، ولميتم ذو الحجة حتى دفعت القبائل السلاح ، وتعين النظام ، وقدكان ذلك الجيش الذى ذكرناهمر بالغ مغربا الى سوق الجمعة بسملالة ، فالتقى هناك بئاخر طلع من (كردوس) فنزل الجميع فى وادى سملالة ، ثمتوجه غالبه او كله الى أيت صواب ورسموكة، فتم الاحتلال والقى بجرانه ، وانتهى كلشىء ، فاعلنت الحكومة الامان للارواح والنفوس ، فلم تواخذ أحدا بشىء مما اجترحه قبل ، ومنلم يجرم من جديد فلايخاف سوءا يحيقبه ، وهذه حقيقة لابد من الاشادة بها ٠ والحق يقال ولو فى العدو ٠

حكى لى الاخ احمد قال كنت ارشح نفسى لرئاسة اخواننا المرابطين،وما كنت احسب أنها تتخطانى ، وكنتحريصاعليها، الاانالاقدار حالت بينىوبينها فقدمتها للاخ الذى ماكان يتعالى اليهاولاتهمه ، ولااتخذ لها سببا ، قال فقد وقفنا أمام قائد الحملة الذى نزل فى (تافراوت) ثم تعين مراقبا فيها ، فسأل عن الاخ وقال له انك اكبر أهل بيتكم ، وأنك احق منيتحمل المسئولية ، فلا تهربمنها ، قال ثم التفت الى وقال انك ستنوب عنأخيك وتسانده ، قال الاخ احمد هكذا اعطى الرئاسة من لم يتطلبها ، وحرم منها منيتطلبها ويحرص عليها .

عينت الحكومة الرؤساء للقبائل ، فتعين صاحب الترجمة كما ترى رئيسا لاخوانه المرابطين القليلين جدا ، حتى ان الرياسة عليهم لاتبنى مجدا، ولاتعلى شرفا ، وكانوا فى أول الامر يحسبونه فظا صارما ، بحسب ماكانيسىء به سمعته من كانوا يناوئونه منبعض جيران الغ وغيرهم ، اذالناس قبل الاحتلال من عزبز ، ومن غلبسلب ، فكان اذذاك ذائدا عن حماه ، لايطرق جواره احد ، فلابس عقول الجهلة من المرابطين اخوانه من حالته تلك مالابس، ولكن ماكادت تمر أيام ثم شهور ، بعد ان عينته الحكومة ، حتى بهت المرابطون وغيرهم ممن كانوا يجهلون نفسيته ، حين راوا من صبره ونزاهته وتؤدته، وملاطفته وكتمانه ومن كل أخلاقه مابهرهم ، فوقفوا يتعجبون ، فلم ينشبوا ان كرروا الحمدلله الذى يسرهم له ويسرهلهم ، فلم يدخل احد منهم سجنا بسببه الخاص ، ولاافتضح احدمنهم قط فى عرضه ، فمن وقعت منه زلةاغمض لهعنها مااستطاع وحثه على اصلاح حاله، ومنرأى منه خروجا عن المحجةوعظه فيما بينه وبينه ، منغيرأن يرسله الى المركز لينال مافيه من عقاب ، علىخلاف شأن الرؤساء اذذاك ، فهذه أربع سنوات مرت (١) والالسنة لاتزدادالارطوبة بذكره ، وليس هذا من بنات قلم اخ يريد ان يشيد بذكر أخيه ، بل هذا من بنات الحقيقة التى املتها السنتها على قلم المؤرخ الذى يبتعد جهده عن التحيز

أقلوا عليهم لا ابا لابيكم من اللوم اوسدوا المكان الذىسدوا
يعاتبنى ابناء سعد عليهم وما قلت الا بالذى علمت سعد

اخبرنى كثيرونمنغير المرابطينأنالمرابطينعلىاختلاف طبقاتهم قداشتدعجبهممما وقعوا عليه فىالمترجم ، فيجيبهم منكانوا معه قبل الاحتلال : اننا كثيرامانقول لكم انكم لم تعرفوه فتكذبوننا ، فيقول لهم الآخرون : اننا اغتررنا بمانسمعه

١) كتب هذا عام ١٣٥٧ هـ

من فلان وفلان وفلان ، من المتقولين عليه ، ثم يتفقون على الدعاء بلعنة الله على الكذابين الافاكين ، والله تعالى يابى الا أن ينصع الحق ٠

هذا ثناء المرابطين على صاحب الترجمة ، وليت شعرى مافى طوايا الحكومة نحوه ، أخبرنى من اثق به انرئيس مركز (تافراوت) الماضى المسيوبوريوس قد ذكره فقال لم الق هنا فى هذا المركز اثبت ولااعقل ولااثبت جاشا ولا اصلح للرئاسة من فلان ، يعنى صاحب الترجمة ، فان كل خطواته متزنة ، ولسانه لايحوم حول بهتان ، وما جربنا عليه فرية ، ولاتقرب الينا بتجسس عن غيره ، وقد أخبرنى ءاخر عن هذا الرئيس ايضا بذلك ، حدث به فى جلسة اخرى بمناسبة، فربما كان هذا هو نظر الحكومة الى صاحب الترجمة ، لانه حاول جهده ان يجعل ظاهره كباطنه ، وكثيرا مايقول يجب على الانسان ان لايخرج عن محجة الصدق ، فان الصدق اذا لم ينج به الانسان فلامطمع له فى النجاة بغيره ، وهو لم يصدر منه قط أن تقدمت به شكوى صحيحة ممن هم الى نظره ولاأخذت عليه زلة، ولاحسب عليه دانق توصل به من احد من مرؤوسيه ، وكان ذلك عند الناس كلهم عجبا ، لان رؤساء ءاخرين فى جواره ، وكانوا قد تعودوا ذلك من قبل ، أمعنوا فى هذه النقائص امعانا ، والحكومة لايخفى عليها شىء من مثل ذلك ، وقد اتاه مرة مرابطى بشىء ليقف معه فى دعوى له ، فاسمعه مالم ينسه مما وصل الى مسامع كثيرين ، فتنكبوا مثل ذلك لئلايقعوا فى مثل ما وقع فيه ذاك الانسان ، ومايسر له كل ذلك الا القناعة التى تعودها ، زيادة على المكسب المشروع ، والا مافى يده من مال لم يزل حريصا على تنميته ، فيستفيد منه ما يغنيه عن مثل هذه المصاصات التى لايتدلى اليها الا الجشعون الادنياء ، ومن استغنى يغنه الله ، ومن استعف يعفه الله ، كما فى الحديث الشريف ٠

مداركه

رايت نبذة من حياة الاخ ، وابصرت الميدان الذى تركه فيه الوالد ، ولم يزل يترجرج فى اراجيح الاقدار حتى أصبح فى ميدان ءاخر ، والانسان مصير لامخير وليس معنى هذا أنه طلق ميدان والده ، فانه لايزال معنيا باصحاب والده، ولكنهم اليوم كادوا ينقرضون بالموت ، ومن كانوا لايزالون فى الحياة ، تشتت غالبهم بتصاريف الاقدار ، وتتبع المعاش ، ولايزال بعضهم يتردد الى الزاوية خصوصا فى المواسم ، وهو يقابل كل من يجىء بالوجه الذى يعرفه منذ عام ١٣٢٨ هـ ، وشاهدت أيضا ماذكرنا عن مآخذه ، فرأيت هناك ان المطالعة صارت من أحب الاشياء اليه ، وانه وحيد فى ذلك لافى الغ فقط ، بل فى جميع الاطلس الصغير ، ثم من باب المطالعة هذا نمت مداركه بتدرج ، وتزايدت شيئا فشيئا حتى أصبح مثقفا ثقافة عليا ٠

بعد ١٣٤٠ هـ ، اتصل بالكتب العصرية الشرقية ، فاقبل عليها كل اقبال،

فدرس بواسطتها حالة العالم اليوم وأمس ، وأدرك فيها علم الجغرافية الذى درسه وحده دراسة تامة، حتى اننى كثيرا ماأختار الصمت امامهاذا كان يجول فى احوال الامم اليوم ، لنقص دراستى عن دراسته فيهذا الفن ، وكل من له المام بمنزلة العلوم وفوائدها ، يعلم حق العلم ان فائدة الجغرافية عظيمة جدا، فاذا كان النحو يصلح لسان الانسان ، والمنطق يوجه عقله وجهة متزنة لاخبط فيها، فان الجغرافية تصقل مرءاة العالم بها ، بعلومها المتنوعة المختلفة التى تتركب من التاريخ ، وعلم الاجتماع ، وعلم الاقتصاد وغيرها، فتكون لهبمنزلة مجهر يضعه على عينه ، فيرى قريبا ماكان يراه غيره بعيدا ، فاذابه اصبح قريبا عنده كأنه فى متناول يده ، وخصوصا اذا الم الانسان مع ذلك بما وصلت اليه الحالة اليوم، ممالايصلح ان يعبر عنه الا بقول أبى تمام

على أنها الايام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

فهذا كله قد حصله الاخ تحصيلا تاما بدرسه وحده ، وزد على ذلك علم التاريخ القديم الاسلامى ، مع الالمام بغير الاسلامى الماما ما، فقد التهم كتباكثيرة فى علم التاريخ الاجنبى ، كما طالع أيضا من تفسير الطانطاوى جوهرى ، وهو أول منادخله الى تلك الجبال ، فاستوعب من الافكار التى ذكرها فيه ، وعرف تلك النظريات العليا ، التى يوالى الاستاذسردها بمناسبة وبغير مناسبة ، وقد اختلط فيها الغرب بالشرق ، والعصر القديم بالعصر الحديث ، ونهاية افكار الجامدين المتوقفين ، ببداية افكار العصريين المتجرئين ، الذين لايزالونيخبون الى الآن ولما يمكن لقائل أنيقول انهذه نهاية أفكارهم ، كل ذلك مر به الاخ، وهضمته فكرته ، فكان له بكل ذلك ثقافة عالية ممتازة ، نتجت لهاستقلال فكريأبى بهان ينقاد الالمايعرف، ثمجاءت رزانته وتؤدته واكتتامه العجيب الغريب ، فجعل دون ذلك كله حجابا مستورا ، لايبدى منه صاحبه الابمقدار جليسه، ان كان يصلح للخوض معه فىذلك ، والا طوى ذلك طى السجل للكتاب، هذامع ذوق أدبىعال ، سمعت منه يوما انتقادات وقفتنى مشدوها من هذا الرجل الذى يجهل الناس قدره ، وبقى هنا لقى كسقط المتاع ، وشيخا منشيوخ القبائل لااكثر ولااقل ٠

كان الاستاذ سيدى الطاهر بنعلى يوما يسرد عليه قصيدا قبل انادخل ، فانتقدعليه فيه انتقادات لم استحضر منها الآن مايذكر ، ثملمادخلت عليهما ناولانى القصيدة ، فصرت اتلوها وحدى واكتب فى حاشيتها ماظهر لى من الانتقادات ، فاذا غالبها سبقنى بها الاخ منقبل ، وسمعته مرة يقول: انالشعر الالغى الذى تسمونه شعرا ليس بشىء ، ولاروح فيه ، وهى عبارات تكررونها باوزان مختلفة ، وكلها امداح مزخرفة ، فيها من المبالغات ماتعد بها سمجة، وزيادة على ذلك انما هى كلها تملقات يعلم القائل والمقول فيه أنها رياء وسمعة وكذب وبهتان، فانذل ذلك على شىء ، فانما يدل على انمنيعدمثل هذا شعرا

عربيا لايعرف الشعر العربى ، ووجدنى مرة اشتغل فى كتابى (جوف الفرا) الذى جعلته ديوانا عاما للآثار التى اجدها للالفيين ومن اليهم ، مما يتبقى لى وراء ماسطره فى التراجم ، وكان جل مافيه من نوع هذا النظم الذى يقول فيه مايقول ، فلم يصبر على ان قال لى ـ مع انه يراعينى ولايقف منى امثال هذه المواقف ـ بالله عليك ماذا تعمل الآن ؟ افى مثل هذه الاعاجيب تقطع نفيس العمر وتؤذى بصر عينيك ، فقلت له ان هذا للتاريخ فقط ، ومعدة التاريخ كمعدة النعامة تهضم حتى الاحجار، فسكت لانه لايريد ان يمس شعورى ، وان كان لم يقتنع بما قلته له . ثم مارأى القارىء الاديب الذى لايتعصب للالفيين أوليس فى اثناء هذا الكلام كثير من الحق الصراح ؟

وحين توفى اخى احمد رحمه الله ، جاءتنا مراث كثيرة ـ قد جمعتها كلها فى الالفيات ـ فكان لايصبر على سماع تلك القصائد ، بل يرمى بها الى ، ثم تداولنا فى المراثى ، فانشدته من دالية ابن عبدربه التى يرثى بها ولده ، ومطلعها

(واكبدا قد تقطعت كبدى)

فقال لى بسرعة هكذا تكون المراثى ، لاتلك التى عنيت أنت بها، فما زدت على أن قلت له ، اننى كمؤرخ اجمع كل ماوصلت اليه يدى ـ فان لم يكن مانريد ، فلنرد ما نكون ـ ثم ان الزمان متكفل بغربلة مايقدم له ، فاما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض ، ولكن الجواب الحقيقى الذى عندى اذذاك لم أذكره ، وهو ان مقصودى من كل هذا اننى أخاف ان ينقطع العلم العربى فى (الخ) ان لم يعجل الله بتبديل الحالة ، وقد طلعت علينا فى هذا الجيل امارات ذلك الانقطاع، فأردت أن يبقى فى التاريخ مايدل على أنه كان مرهنا عصر كانت فيه العربية مزدهرة بعلومها وادبها ، ولاازعم أن هذه القصائد كلها جيدة ، كما لاحسب انها كلها رديئة ، لاتجد بين ادباء اليوم او الغد من يمد لها يد القبول ، ولكنى اجمع مايكون مجموعه مفخرة الخ العالمة الادبية التى شاركت بقدر ماتستطيع فى المحافظة على الادب والعلم العربى الى اواسط هذا القرن ، ثم لايضيرها أن لايكون علماؤها كفريد وجدى والطنطاوى جوهرى ومحمد عبده والالوسى والشيخ شعيب الدكالى ، كما لايضيرها ان لايكون ادباءها وشعراؤها كشوقى وحافظ والزهاوى والرصافى والمنفلوطى وزكى كبارك والعقاد والمازنى والشابى ، فانه لايمكن عند حصيف عاقل ان يوازن بين علمائنا واولئك العلماء ، ولابين أدبائنا واولئك الادباء ، لان البيئتين مختلفتان مفترقتان لكن من وازن علماء الخ وادباءها بمن كانوا فى مثل بيئتهم فى المغرب ، قبل أن يعلم هذا العصر ، وقبل ان يطلع على الناس باعاجيبه ومخترعاته وافكاره ، فانه يجد فى كفة الالفيين رجحانا ليس بقليل ، ثم ان تامل العقبات التى يقطعها الشلحى الذى لم يلك الكلمة العربية الاولى ولاتفهم معناها الا بعد ان يبلغ الحلم، ثم لايزال مكبا صبورا على التفهم حتى يتشرب معانى العربية وءادابها ، حتى

يستطيع ان يشارك فى حلبتها ، انكل من تامل ذلك يقدر قدر الالغيين ويعذرهم ان نقصوا فى غير لغتهم الاصلية ، ثم يشكر النبغاء منهم ان تفوقوا فيها ، ويجب على التاريخ انيسطر كل هذا للغد كيفما كان ، وهذه المهمة هى التى جعلتها امامى ، وكنت احب انأقوم بمثل هذا لكل المغاربة حاضرهم وباديهم، ولكن الدهر لم يساعد ، فاقتصرت على هذه القرية وما اليها فجعلتها كنموذج لمدارس سوس التى قامت بما قامت به منذ عصور ، وفقنا الله لاتمام المرام، وجعله خالصا لوجهه الكريم ، انه سميع مجيب ٠

ذلك هو الاخ المؤرخ الجغرافى المفكر العصرى الذى قطع اليوم فى مرحلة حياته ثلاثة واربعين ربيعا ، وهو لايزال فى عنفوان همته وقوة شبابه،متطلعا الىزيادة المعارف ، نافض اليد من الدعوى ، فلا يقول الامايعرف ، ويسأل العارفين عما لايعرف منغير استنكاف ، وكثيرا مايسأل من هو أصغر منه مثل ، فينتهى الى قوله فيما لايعرفه ، وهو كله تطلع الى استدراك ماكان فاته فى صغره منالعلوم، وقد اكب اليوم على كتب فرنسية عربية لتعلم الفرنسية ولايبعد انينجح فيها كمانجح فى كل ماتقدم ، وكان كثيرا مايشتكى منالنسيان وأرى انه لولا هذه العلة لكان نادرة سوس ، يطل من مقام فوق هذا الذى هو فيه ٠

انني اليوم غريب فى الغ لااجد من اتفاهم معه سوى صاحب الترجمة ، فتطيب لنا المذاكرة ان تيسر الاجتماع منفردين،فنطرق كل الابواب بكلحرية وكثيرا مااحضر فىمحاورات بين شيخنا سيدى عبدالله بن محمد وبين صاحب الترجمة ، فكنت اسكت واتعجب ، فكان صاحب الترجمة يحاور بفكرموبعلمه الذى يستمده من الكتب الحديثة والتاريخية ، ومن أحوال هذا العصر الذى يعرفه أتم معرفة ، واستاذنا يحاوره بأقوال الفقهاء منأهل القرون الوسطى، وبماشاهده فى بعض التواريخ القديمة ، فيكونان بين مشرق ومغرب ، وقد كانا ذات يوم يتكلمان حول مصر ، فيحتج استاذنا بماكان طالعه فى مثل (مروج الذهب) عنها، على حين انالاخ يدلى بماعليه مصر اليوم ، فكان بينهما فىالتفكير مثل ما بين القاهرة اليوم ، وبين الفسطاط التى كان يسكنها الطولونيون والاخشيديون فى عصر (المسعودى) بين اخر القرن الثالث وأول الرابع ،وفى ذهنى ان المروج ألفها صاحبها عام ١٣٣٢ هـ ء كنت أرى امثال هذه المحاورات، فأقول أينأنت ياصاحب (حديث عيسى بن هشام) لتؤلف لنا كتابا اخر ، بل أنتأيها الشيخ رشيد رضى لتزيدحلقة أخرى لكتابك (محاورات المصلحوالمقلد)

هذه نظرة حول مدارك الاخ تفهم منها مكانته ، وتعرف بها انهاول الالغيين تثقيفا عصريا ولكنه يستدل على ذلك ذيلا طويلا من الرزانة والصمت الطويل العريض مالم يصادف من يعرف عنه مايقول ٠

أخلاقه

أخال القارىء يدرك فيما تقدم كثيرا من اخلاق صاحب الترجمة ، فان القارىء الحاذق يدرك نفسية الانسان وشمائله من قراءة سيرته، كان الاخ قدعرف من صغره بماذكرناه عنه من الصبر والتؤدة والتكتم الشديد ، فما زالت هـذه الاخلاق تنمو فيه وتنمو معها الرزانة ، وتمتص من الحوادث المختلفة التى تمر به، ومن المعارف التى تتصل به ، ومن عصارة التجارب ، حتى أصبح اليوم فى الخ مؤهلا لهذا المقام الذى يشغله ، وكأنما خلق له ، فظهرت بذلك تـوسمات الشيخ الوالد الذى استخلفه على أهله ، فشبوا كلهم بين يديه ، وتربوا جميعا حتى استغنى شارب كل واحد منهم عن المسح ، وكان عليهم منذذلك النهار الى اليوم كظلة واقية تحجب لافح الهجير ، وتاذن للنسيم ، وتحنو على من تظلهم حنو المرضعات على الفطيم ، فتحت هذه الظلة شببنا جميعا ، وتحت يدصاحبها ترعرعت منا الغصون ، فكان ربما يلقى من جفوتنا مايلقى ، ولكنـه بصبره لايعدو انيغضى ، ثم يسير فىاداء الواجب عليه ، وهو مع ذلك صلب الارادة اذا عزم على شيء لايرتد عنه ، كأنما تكلم على لسانه رشيد مصوبع شاعر لبنان فيماأنشدنيه بنفسه

اذا شئت أمرا لم أكن مترددا ... وأقبع مافى المرء ان يترددا
اذاشئت أمرا كان بحرا ركوبـه ... جعلت العدا جسرا فسرت على العدا

ومما فيه أنه اذا أهوى الى شيء ورأى فيه مصلحة ، فانه لايعير لاقوال الناس اهتمامه ، وقد كنت اتعجب منه دائما فيهذا الخلق ، لاننى خلقت على عكسه فيه ، وكثيرا ماازن افعالى بما سيقال حولها ، وكنت أذوب اذا سمعت انتقادا مرا ، أعرف فيمابينى وبين نفسى انه انتقاد حق ، وكان هذا الخلق الذىفى صاحب الترجمة هو الذى سجله بشار بن برد فى قوله :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبـات الفاتك اللهـج

وسلم الخاسر فى بيته المشهور :

من راقب الناس مات غما ... وفـاز باللـذة الجسور

ومن أخلاقه كما ذكرناه الكتمان ، فهو والصبر من ابرز اخلاقـه ، فقلما يرشح بقطرة مما فى صدره ، ولوكانت اساءة له بلغت حزتها العظم ، ولكنه مع ذلك لاينساها ، فيحتاط كل الاحتياط لئلا يرى منه مرتكبها مايمكن لهان يسيء اليه منه ، وكان عجيبا فى ذلك ، وقدكان شيخنا سيدى سعيد يذكرعنه دائما هذين الخلقين ، ويقول انه انفرد بهما من بين أخوته ، كان رحمه اللـه يذكر لنا عنه ذلك فىمعرض معاتبتنا ونحن صبية على عدم معرفتنا لمكانته التى هوفيها منا، وقدكان له ذات يوم فى ذلك درس شديد معى ٠

ومن اخلاقه عدم الجمود على المالوف ، والميل الى اتباع الاحسن من كل شيء ولذلك ماكادت الحكومة تحتل هذه البلاد ، وتفتح الطرق ، حتى طلب الرخصة فالتحق بالدار البيضاء حيث دخل معملا تمرن فيه على سوق السيارة في شهور، ولم يبال بما وجه اليه من الانتقاد من بعض أناس، لان أهل بلادنا يستنكرون اذذاك مالم يالفوه ، حتى ولوكانمثل هذه السياقة ، ثمرجع وقد فاز بمعرفة ذلك، فاشترى سيارة يمرفيها على اولئك الناقدين ، فاصبحوا يتمنون لو اقتدوا به ، وهو أول من اكتسب سيارة في (تافراوت) سنة ١٣٥٣هـ ، وقدظل مقبلا على ما تظهر له فيه المصلحة ، ملقيا دبر اذنه كل ماعسى انيقوله الناس. وفي تسميته لاولاده باسماء فيصل وفاروق دليل على حبه للجديد ، ثم سرعان ماانقلب جميع أهل تلك الناحية الى التجديد في كل شيء ، سواء في سوق سياراتهم بانفسهم اوفي غير ذلك ، ومن الذيجهل الآن أهل تافراوت بين السوسيين وقدقالىلى يوما انني لااحتقر نفسي الااذاكنت بين امثال هؤلاء الرؤساء الذين تحشرني معهم هذه الوظيفة .

ومن اخلاقه أيضا الانفة الزائدة ، ولكنها معذلك متشحة بالتواضع الظاهر، فكنت أراه يجالس بعض الجهلة من رؤساء هذه القبائل ، فيطرق هو الى الارض فيبدئون ويعيدون في احاديثهم التافهة ، وهو يلحظهم من عليائه ، فيتخذهم كما يتخذ الانسان اشباح السينما الناطقة ، اذيلحظها وهو على كرسيه مستندا صامتا ، يتخذ كل مايراه من حركاتها ملهى جديدا يمضي به الوقت ، اوعبرة يعتبربها في أطوار الناس ، وأنا أعتقد كل الاعتقاد أنه لولا الضرورة لما تركته نفسه يجالس اولئك الجهلة ، ولكن للضرورة أحكام .

ومن أخلاقه البارزة أيضا الصمت في المجلس ، خصوصا اذا اختلط الناس، فلايمكن ان تجد منه كلمة واحدة ، الااذا اقتضى الحال شيئا فياتي كلامه بمقدار وكثيرا مايكون هو صدر المجلس ، فيستحي منه فيمضي المجلس كله صمتا الى منتهاه ، وقد كان الاخ احمد رحمه الله على ضد هذا الخلق، فكان في أمثال هذه المجالس ربما يتسار مع من في جواره او يقوم ، وكذلك أنا لاأقدر على مثل هذا الخلق ، وتكون أمثال هذه المجالس عندي أطول من ليالي الشتاء ، بعد ماالفت مجالس المذاكرات العلمية الحافلة ، وليس هذا الخلق من ألاخ ابن اليوم بل هومنه منذقديم ، كما أنه ليس عن تكبر ولاعن تعالٍ على الناس ، لانه خال من الكبرولايطرق حماه ، وما هناك الا الانفة المحمودة من الاحرار ، وانماهذا الصمت جبلي طبع عليه ، ويستمده من رزانته الثابتة كثبات الاطواد .

ومن أخلاقه عدم التكلم في الناس ، فانه فيذلك ءاية الآيات، كماانه لاينبس بمافي صدره ، فيشهد بذلك كل منيلازمه ، وبهذا يملك زمام أموره ، ومن أعرض عنالتقول في الناس ، حفظ من الوسواس .

هذه نبذة من خلق أخينا ، فصلنا بعضها ليعلم التاريخ أنه من الرجال الذين لهم ميزات ، فاذا نالوا أمس أواليوم أوالغد مقامات عليا ، فانهم ممن يزينون المقامات والمراتب بأخلاقهم ، لاممن يتزينون بالمراتب والمقامات ٠

نبذة من ءاثار منه وإليه في طوره الاول

مضى فى كلمة متقدمة انه كان يقرض الشعر ، ثم اقلع عن ذلك ، وان له ترسلا حسنا غبطه عليه شيخنا سيدى سعيد ، فاما ءاثاره من الترسل فهى كثيرة، ولكنها عادية لم أر عندى منها مايستحق التخليد ، لان مافى متناول يدى انما يتناول موضوعات لاتظهر فيها البراعة ، ولايسر القارىء بقراءتها ، وكتابته اليوم مكتسبة بالحلة العصرية فى عباراتها وايجازها ، حتى عادت كانها رسائل تلغرافية ، وأرى انه لو طرق موضوعا لاجاد فيه (١) ، واما ءاثاره الادبية فلم اجد عندى مما كان يتعاطاه فى صغره الاقطعتين خاطب باحداهما شيخنا معا سيدى سعيدا ، وأجاب بالثانية الاديب سيدى محمد بن على بن عبدالله عن قصيدة هناه بها حين أعرس اعراسه الاول ، وقد وقعت على هذين الاثرين وهمـــا ممزقان ، فاما الذى خاطب بها سيدى سعيدا ، فهى هذه ، وكانه طلبها منـــه ليتمرن بذلك ، وفيها وصف وردة فى وسط كاس :

اننى ان أرد مقاما لشعر	لست ءاتى بغير مشبه نثر
اننى قائل كما كنت تبغى	ما تريد وان أكن لست أدرى
سيدى ياسعيد يا خير مرء	ضم منه العلوم فى وسط صدر
كيف قول فى وردة وسط كاس	ظهرت مثل جوهر وسط نحر
عطرتنا بعطرها فكـأن الـــ	ـخلق منكم قد فاح فينا بعطر
وسلام عليكم سيدى مـــا	دام ماء وسط الجداول يجرى

فهكذا وجدت هذه القطعة فى بطاقة ممزقة ، وفيها اصلاحات فـى كلمات، وأظن الاصلاحات بخط شيخنا سيدى عبدالله بن محمد ، لان الخط يشبـه خطه ، على أن البطاقة لا تكاد تقرأ ، فما أضيع أمثال هذه ٠

ووجدت أيضا هذه القطعة للاديب محمد بن غـلى يهنئه ، وقـد سقط أول القطعة ولم اجد منها الا الابيات الآتية

هنيئا مريئا أيها الخال بالذى	منحته من ذات المجادة والمجـد
فلله يوم نلت فيه الذى تشا	على رغم كل الحاسدين ذوى الحقد
فما شئت من حظ فخيم ومنة	واقبال عز والزيادة فى الايد (٢)

١) فى اثناء الرحلة الاولى من (خلال جزولة) بقلمه وصف لاعراس (تارودانت) كما أن فى رحلته الحجازية التى كتبها أخيرا اوصاف كثيرة لكل مايصادفه ٠
٢) الايد : القوة ٠

لقد كان هذا اليوم يـومـا محجلا اغر كلمع الدر فى لبة الخود
ولاغرو انتالسيد الماجد الرضاالـ ـذى حاز ارثا من اصولذوىرشد
كانى بالعرس الذى اخبر المبشـ ـرون به كالحور فى جنة الخلد
اوان وفرش والنشيد كانمـا سرت نسمات الصبح فىروضةالورد
أدام اله العرش جمعكما عـلى بساط التهانى والمسرة والسعد
وصان من الاغيار ساحتك التى اليها التجاء طالبى الخير والرفـد
على قدرك المرفوع صوب تحية زرت باريج المسك والعود والند

وأعذرنى ياسيدى منهذه النفثة ، فما للنجوم الثواقب من احصاء ، وقـد دعوت لكما بالرفاء والبنين ، ولكن عليك مـاعليك اذ لـم تعلمنى والسلام · حفيدكم محمد بن على لطف الله به

ووجدت فوقها بخط المهنا صاحب الترجم

جزيت كفاك الله غائلة الدهر على شعرك المنظوم كالدر فىالنحر
فصاحة قس حزتها سيدى فـلـم ينلك سواك فىالرسائل والشعر

هذا ماوجدته ، ولم ادر الهذين البيتين اخوات امِلا ، لان ماتحتها ممزق فى المحل الذى مزق فيه أول القطعة الدالية لابن على ·

وكتب اليه أيضا ابن على مايأتى

سيدنا الذى ابدى من الهدىسرجه ، وقوم من الدين عوجه ، ذو المزايـا الجليلة ، والمكارم الجميلة ، خالنا سيدى محمد ابن الشيخ المقدس كرم الله، أدامالله عزكم وأبد حرمتكم ، وسلام الله ورحمته وبركته عليكم ، اما بـعـد فهذه أبيات تقف ماثلة مهنئة بالعيد المبارك ، ومتطلبة حاجة مـن يقف عليها لايؤم الادارك ·

انى شغفت بنفح الطيب ياسندى خالى محمد مكنه بكف يـدى
ونفح خلقك قد عمت روائحه هذا البسيط فاذكى سائر البلد
فاليوم عيد مبارك نسر بـه والكتب خير انيس فيه للخلد
فانعموطبوابتهج وافرحفمجدكفى زيد وفضلك كل الدهر فى صعد

هذا كل ماوجدته مما يتعلق بصاحب الترجمة فى ذلك الطور، وقد كتـب عليه ان يحسب فيمن يقول مثل هذا الشعر الالغى كماسماه ، وانكان نفض يده منهبعد ، واخال أنه لوكتب له أن يتوجه الى الادب لكان فيه أيضا ناجحا، وأمارات النجاح تظهر من هذين الاثرين ، ورحمة الله على سيدى سعيد ، فانه لاشك كان يحفز همته لذلك حينئذ ، كما كانيحفز همتى ، أناايضا لذلك ، وقد ألممت بذلك فى ترجمته فى هذا الكتاب

وهاك الآن رسالة لسيدى محمد بن مسعود الى المترجم ، غير الرسالةالمشار

اليها فيماتقدم ، ومنها يعلم لب ماهناك ، نصها :

«سيدناالاعز الاصيل الماجد اللوذعى الالمعى الاغر الجليل ، مولانا الشيخ ابو عبدالله سيدى محمد ابن الشيخ الاكبر العارف الاشهر ، مولانا ابـــى الحسن سيدى الحاج على بن أحمد الالغى رضى الله عنهما وعنابهما ، وسلام على السيادة العلية بالله ورحمته تعالى وبركته ، هذا ولازائد بحمد الله الاالخير وكتابكم الاعز ورد وفيه أبيات ، ذكر سيدنا أنها من انشائه وانشاء الاخ سيدى احمد البوالوقتى علىطريق الاجازة المعروفة بين الادباء ، وهى انيقول واحد بيتا او شطرا ، ويزيد الاخر عليه مثل ذلك ، فليعلم سيدنا أن أمرها متقارب من جهة الصنعة فيما يظهر ، وهاأناذا أنبه على بعض ماظهر لى فيها زيادة فى المذاكرة ، فقول القائل فيها «وياورد الورود وياخليدا» هذه اللفظة اعنى خليدا، لم أفهم معناها ، فان كانت صيغة مبالغة من الخلود فهو صحيح فى اللغة، الا أنهغير معروف فى الاستعمال ، وقد تقرر أن الالفاظ الغير المتداولة عند الادباء يعاب استعمالها ، وان صح نقلها فى اللغة ، وقد أشار له البوسى فىالمحاضرات فى حكاية وقعت له مع بعض شيوخه ، وأظنه المرابط الدلائى صاحب تصريف المكودى ، وأشار فى (نفح الطيب) الى نحو ذلك فى ترجمة ابن زمرك ، وكذلك قول القائل «وياخير الورود وياوعيدا» لاادرى ماالمراد بلفظة الوعيد ، ومعناها المعروف غير مناسب هنا ، وكذلك قوله «وياجل الشموس وياقصيدا» لـفـظ القصيد ان كان معناه المقصود فيرد عليه ــ انلم‌يثبت فى اللغة ــ ان فعيـلا بمعنى مفعول مقصور على السماع كما قال ابن مالك : «وناب نقلا عنه ذوفعيل» وكذلك قوله «وياتاج الاباد وياسديدا» لايتزن الا بحذف مد الهمز فى الآباد جمع ابد ، ولااتحقق الآن هل تجوز الضرورة مثل هذا على الخصوص املا ، فليحرر من محله ، وقوله «وياحصن المعالى الخ» وجدته بخطكم المبارك بياء بعد اللام ، ولايتزن الا بحذف الياء ، وقوله «ويامليح المجالس» انكان بضم الميم وفتـــح اللام جمع ملحة ، صح منجهة اللغة على ثقل فى الذوق ، وان كان المرادبه المليح ، وحذفت الياء ضرورة او غفلة ، ففيه نحو مامر ، وكذا قوله «وياطيب الخصال» ان كان مخففا كميت فى ميت صح الوزن ، ولاأدرى هل‌هـو مقيس أملا ، فليحرر ، وقوله «وياعقد المحاسن ذات در» وصف العقد فيه وهو مذكر بذات وهو مؤنث ، ان كان على تاويل العقد بالقلادة صح وفيه ثقـل ظاهر، وقوله «وذاك الدر من نوع فريدا» صحيح بتكلف ينبو عنه ذوق البلاغة جدا، وقوله «يكون نظامنا» فيه الزحاف المسمى بالكف ، وهو هناثقيل فى الذوقكما ترى، وقد وقع فى الابيات المذكورة معهذا اشطار مليحة ، والذى أحرض‌عليه سيدنا الاهتمام بتحصيل المواد أولا ، قبل الاشتغال بنحو هذا ، والمواد اذا تكيفت النفس بمزاولتها ، انفتحت منها عن باطنه ، فيسهل بها النظموالنثر على متعاطيه بلا كلفة ، والمواد هى علوم الادب الاثنىعشر ، وقد بلغنى انسيدنا

جر به الحال الى الاشتغال عن مذاكرة العلم بمخالطة ابناء الدنيا ، وقد كنت خطر لى لما بلغنى ذلك ان أبعث اليه بالتاليف المسمى بكتاب (المزايا فيما احدث من البدع بام الزوايا) وهو للحافظ العلامة الشهير ، سيدى محمد بن عبد السلام الناصرى ، ذكر فيه أحوال زاوية الشيخ ابن ناصر بعد وفاة الاعلام من العلماء الذين كانوا بها ، وءال امرها الى ان تولاه بعض المقدمين ممن لاعلم عنده ، والذى نحب لسيدنا ان يرجع همته الى اكتساب العلم والتقوى ، ويشد عضده باهل الدين من الفقراء ، ويعتزل عمن لايصلح ، ويعزل عن اموره من يتهم بالسوء ، ولايخف من ذلك تعطيل أمر الزاوية ، فانها ان شاء الله قائمة بالله ، كما قال بعض السادة واظنه بعض الملوك لمن طلب منه من الفقراء ان يعطيه ساقية يقيم بها زاوية ، فقال له وللحاضرين ، أتعرفون زاوية سيدى محمد بن يعقوب بـ (فم تاتلت) وهل فيها ساقية ؟ فقالوا لاليس بها ساقية، فقال للسائل اذهب ، فان الزاوية بالله لابالساقية ، والساقية هى العين التى تسقى الحرث وما فى معناه ، والمراد بها مطلق الدنيا ، وكل ماشغل عن الله فهو ساقية وهو دنيا ، والشاغل عن الله هو مايصد عن ذكره ، وأما مالامندوحة عنه فهو شريعة ، أى امر مشروع يتقرب به الى الله ، لاحرج فيه ان لم يله بالاغفال عن ذكر الله ، وبلغنى أيضا ان سيدنا كان يخالط بعض الجيران ، ممن لايناسبه ولا أدرى من هم، فليعرف سيدنا أيد الله قدره ، وليعرف المرتبة التى أحله الله فيها ، والاسم الذى سماه اياه ، فانه تنبيه من الله ليلزم حد انشيخ والده رضى الله عنه ، والعلم والتقوى والاعتزال عن قرناء الغفلة ، ان قام سيدنا بهذه الثلاثة رجى من فضل الله ان تكون زاوية والده زاوية فقر وتصوف وعلم ودين ، وكل خير بحيث يقام فيها أمر التصوف على حاله ، وأمر تعلم علم الظاهر على حاله ، وأما مخالطة ابناء الدنيا فهى سم قاتل الا بقدر الحاجة ، ثم لاباس باطعام أهل الحقوق منهم ، كالاصهار ومن فى معناهم ، والترحيب بهم ، وايناسهم بالبشر وطلاقة الوجه ، والعزلة عنهم الا حالة الدعاء معهم عقب الاكل ، وان دعت الضرورة الى يسير مجالسة وقت الاتاى ، فلاباس اظهارا للمؤانسة اليسيرة ، وأما مصادقتهم والركون اليهم بالقلب ففرر والسلام»

ثم ذيل الرسالة بنبذة أخرى فى الارشاد فى موضوع ءاخر ، سيجده القارىء ان شاء الله فى محله ، وقد جاء اثناء هذه النبذة ما نصه : «وقد طال الكلام ولكن فى بسطه شفاء للنفس كما قيل»

ما ناصحتك خبايا الود من رجل ... مالم ينلك بمكروه من العذل

وليعذرنا الشيخ ، وليدع معنا ، فاننا والله نحب له كل خير والسلام»

وقد كنت قديما خاطبت هذا الاخ بابيات ، وقد ورد علينا بمراكش عام ١٣٣٩هـ اعتذر فيها عن مشاغبة وقعت بينى وبينه قبل ذلك ، لصغر سنى ،

وعدم ادراكى مكانته اذذاك ، ولا ادرى هل اريته اياها اولا ، وقد وجدتهااليوم بين الاوراق :

مسامحة انى الى الله تائب ... الى السيرفى‌النهج الذى شئت،انب
فقد كان ماقد كان منى لغضبة ... اثيرت على رغمى وقلبى ذائـــب
فانـت ابونا من يكون لذنبنا ... غفورا فلا تقضى علينا المعاتب

ومنها

اعاهد ربـى بعد ان لاترى سوى ... شمائل منى ليس فيها معايب
فسامح واغمض‌منك طرفك‌عن‌قذى ... تراه ، والا كنت دوما تعاتب

هذا هو أخونا الاكبر الذى تركنا والدنا صغارا فى حجره ، فشذب وهذب، وربى بقدر جهده، وبحسب استطاعته ، وردنا كلنا الى المعارف ، فنجح من‌نجح وسقط من سقط ، حتى ملكنا انفسنا جميعا ، فقال هاانتم اولاء وحياتكم ، فليفعل كل واحد بنفسه ماطاب له بعدماشببتم ، جزاءالله خيرا امس ، وجزاه اليوم فانى بعد ان ابتعدت عن الخ عشرين سنة ، ساقتنى الاقدار اليه بعدها، فدخلته مغموما محزونا، مثلوم الفؤاد ، فكان هذا الاخ‌يمسح عن صدرى بلطفه وبذات‌يده ، وباخلاقه الدمثة ، فيفرش لى بيده، ويقدمنى فى كل مقام امامه للصلاة وغيرها ، كل ذلك ليميط عنى اثر هذه الصدمة التى تلقيتها من يـد الدهر الذى لايرثى ولايشفق ، فهذه ثلاثة عشر شهرا ، وهو يعاملنى بهـذه الملاطفة ، ولعل الله يفرج عنا قريبا بفضله ورحمته

عسى الكرب الذى امسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريـــب

وله اليوم ١٣٥٧هـ من الاولاد اثنان لاغير ، على المولود عام ١٣٣٦هـ ، وقـد ذكرناه ، وأمه هى‌رقية المتوفاة ، وقد تزوج أيضا اختالها ، فـولـدت له اولادا كلهم ذهبوا افراطا ، وفى عام ١٣٥٣هـ ، اقترن بابنـة الفقيه سيدى الحسن العفيانى التيزنيتى ، على يد القاضى سيدى محمد اوعامو ، فولدت له عـبـد اللطيف الملقب فيصل ، فى جمادى الاولى عام ١٣٥٤هـ ، وهاهو اليوم شاب نشط كما يجرى ، أنبته الله نباتا حسنا ، واقربه أعين والديه ، ثـم فـى ١٦-٣-١٣٥٧هـ ، رزق من هذه السيدة ولدا ءاخر سماء عبدالوافى فاروق، فكتبت اليه فى اليوم الثانى

بشرى بتلك الزهرة الارجـــة ... فاى نفس لم تكن بهجـــة
تألقت من ثغرها بسمـــة ... عنها ثنايا السعد منفرجـــة
ومن يكن روضا اريضا فـــلا ... يشدى بغير النفحة الارجة
دم للعلا تنجب ابناءهـــا ... يارب نفس بالعلا لهجـــة

ثم لما سماه يوم العقيقة قلت مخاطبا لصنوه فيصل وهو صبى لايعقل الخطاب:

أتاك يا فيصل فاروق كلا كما للمجد مرموق
فال سعيد لكما حسن تصور يتلوه تصديق
تصفيان المجد مما به كما يصفى الراح راووق

وقد أبت الكلمات المنطقية الا ان تستولى على الشطر الثانى من ثانى الابيات من غير ان نرى وراءها معنى حسنا مقبولا لطيفا ، وما أبعد كلمات العلماء الجافة عن لطف الادب وذويه .

وقال الاستاذ سيدى بلقاسم بن محمد السليمانى يهنئه بالولد فى ٢٤-٣-١٣٥٧هـ

ألعم صباحا أطيب الازمان فاليوم يوم مسرة وتهانى
لله أنت وما حبانا السعد فيك من الهناء بنيل كل أمانى
فكأنما روض تفتق زهره ترتاح فى جنباته العينان
كل النفوس تميس فى حلل الحبو ر تمايل الاطيار فى الاغصان
صفت القلوب كأنها ما مسها من قبل هذا اليوم من أدران
ما ان ترى الا الوجوه تهللت من كل من تلقاه من انسان
فكأنما الجنات فتح بابها والناس بين الحور والولدان
كل يهنىء جالسيه بما بدا من طلعة الولد الرضى النورانى
نجل المجيد أبى المعالى من له فى كل مكرمة تكون يدئن
من كان هذا أصله سيكون عن قرب كذلك سيد الاقران
ياسيدى ياخير من نال العلا من غير ماسيف وغير سنان
هنئت بالابن الجديد ودمت فى أفق السيادة دائم الطيران
فالله يكلأه ويمنحه هدى ومجادة قد حازها الابوان
ويمتع الاباء بالابناء فى ظل الامان وانعم الازمان
لاسيما من منهم سعد الاوا ن بمجدهم ، بل فاق كل أوان
فعليكم أزكى التحايا مثل ما طابت شمائلكم لدى الاخوان

ولم يطل الزمان بالولد عبد الوافى ان رزئت به الاسرة ، فبكته كل عين منها

ثم ولدت له أيضا من السيدة عائشة الايغشانية بنت فى أواخر جمادى الثانية عام ١٣٥٧هـ ، فسمتها اختنا الكبرى عائشة (ربيعة) وقد صادفت ولادتها أمامها حين وردت من مقرها من (اداواتنان) لزيارة الخ ، وقد قلت فى هذه البنية أهنىء والدها ، ثم ذهلت عن ارسال ذلك اليه فى وقته ، قلت ذلك ارتجالا

فى كل يوم كوكب نير أفقكم بنوره مزهر
كأنما الربيع قد حل فى روض فريا زهره تنشر

تتابع الروض بازهاره فكل كم منه مستبشر
ربيعة الزهراء قد ارجت زهرتها فجوها يعطر
لعلها تنال في عصرها في العلم ما بمجده تذكر
فالعلم أيضا زينة الخود لا غلالة تشف والمئزر
جعلها الله لنا قرة الـ ـاعين ان غابت واذ تحضر
وعنبرا يشدى باسرتنا فوق الذى يشدى به العنبر
لاخير في دار اذا لم تشد فيها الخلال غادة معصر
فالبنت أس المجد في كل ما دار مجيد مجدها يبهر

ثم لحقت بربها يوم الاربعاء ٢-١١-١٣٥٧هـ

أخبار عنه أخرى بعد ذلك

صاحبت المترجم وانا في الغ منفردا فقيرا وقيرا ، فكان لى خير مؤنس ومعين، وماكثر من لايشيدون بشكر من يحسنون اليهم مثل هذا الاحسان الذى أسداه الى المترجم ، فهاأنذا اراجع هذه الترجمة بعد نحو عشرين سنة ، وانا الآن من (وزراء التاج) ومن خلصاء ملك القلوب ، قبل ان يكون ملك البلاد محمد الخامس أمده اله بالعون والتوفيق ، وقد من الله واضفى ، بعدما كتبت كل ماتقدم ، بالفرج الذى جر وراءه ماجر من شهرة طنانة ، ومن سمعة يراها النافسون كالثوب الفضفاض على تنبال (١) ـ وانا معهم فى هذا الرأى ـ ومن مكانة لم تزل تتزايد حتى وصلت بالعبد الضعيف ما وصلت بفضل الله لاغير، ذلك كله قد كان كما كان ماقبله ، وسيزول أيضا يوما ما كما زال ماقبله ولايدوم الا الله وحده . نطلب الله ان يختار لنا دائما مافيه كل خير ، هذا وقد مر مامر ولكن ما اسداه الى المترجم لاتزال انطباعاته فى القلب ألواعى واضحة نيرة ، فقد كان كالطود الشامخ أمام كل ما أراه يحوم حوله فى كل هذه السنين ، فان يعجب القارىء ، فليعجب من أكذوبة صريحة لا اساس لها ، كانت تروج اثر ما نفيت الى الغ ، فيقال ان فلانا ما نفى الا بطلب من أخيه الذى ينفس عليه مكانته بين الناس، فيا للناس لأكذوبة لاتجد ازاءها مايدعمها ، فأولا ، أية مكانة كنت فيها قبل النفى حتى ينفسها على أمثاله اذذاك ، وهو من هو رئاسة ونفوذ كلمة، وسعة ذات يد ، وأنا انما كنت استاذ الاجرومية لاغير ، فقيرا وقيرا ، لاأرجع الى مدخر ، ولا اتوسع فى عيش ، ثانيا ، ماكان منه نحوى اثر النفى وهو يملك منى مايملك رسميا ، والحكومة دفعتنى اليه يدا بيد ، فهل فرط منه نحوى أدنى شيء يدل على تصديق هذه الاكذوبة ؟ لا والله، بل مارايت منه الا كل

١) التنبال بكسر التاء قصير القامة

اجلال واحترام وتوقير، كأننى أنا الكبير وهو الصغير ، بل كنت نجى اسراره التى كان يحملها ضد الحكومة اذذاك ، فكان يفضى الى بكل مايراه يصدر منها مما لايوافق ، وطالما ظللنا او بتنا أو وصلنا الليل بالنهار فى تتبع مأيفعلـه بعض المراقبين فى (تافراوت) وزد على هذا كله أن بعض من كانوا يحومـون حولنا بالتجسس كان ينقل الى المراقبة أن فلانا وفلانا لايكادان يفترقان ، فكان ذلك هو الخيط الاول الذى نسج منه مابين المترجم وبين مراقبة (تافراوت) وقـد صدقت مايبلغه اليها بعض الالغيين ـ سامحهم الله ـ من أن محمدا الدرقاوى قد تشرب مبادىء الوطنية من أخيه المختار ، فهو مثله كراهية للاجنبى ، فيجب أن يخاف منه أيضا كماخيف من أخيه ، فلم يزل ذلك ينمو فى المراقبة حتـى كان هو السبب لزحزحته عن الصدارة التى كان يحتلها من بين رؤساء قبائل (تافراوت) ثم أدى ذلك الى ان نفى هو أيضا بدوره الى (أكلو) نفيا ملففا رسميا باسم قيادة خلقة متقطعة ، مافيها الافقاقيع على الزبد ، كان ذلك يوم أفرج عنى فخرجنا معا من الغ ، أنا الى الحمراء ، وهو الى تيزنيت حيث تهيأت له السكنى فلم يكن يزور قبيلة (أكلو) الا يوما فى الاسبوع ، يوم المحكمة ، ياتى هـــو والمراقب الى السوق ثم يرجعان ، ولم يكن يابه لمايابه له القواد هناك، من مص أموال المساكين ، واثارة بعضهم على بعض ، وهاهم أولاء رجالات (أكلو) المنصفون ، فليشهدوا بماكان ، وقد كفوا شهودا مرضيين ، ثم لما اشتدت الازمة ، واطلت قضية الكلاوى ، ودعى كل القواد الى (اكادير) فاذا به لم يحضر فقال الجنرال حاكم ناحية اكادير والحاضرون كلهم يسمعون ، اننـا نعرف قبل اليوم فلانا ومبدأه ، وهو وأخوه المختار كفرسى رهان فى الوطنية ، الا ان المختار لايقدر أن يخفى أفكاره لسذاجته ، والآخر يقدر على اخفائها ، ولكـن الحكومة تعرف كل شىء ، ثم لماجاء خليفة الكلاوى (سى بيه) ليتصل بقـواد أزاغار وصى على عدم الاتصال به وبقائد ماسة القائد مبارك ـ لان هـذا أفشى سر اجتماع حضره القواد فى دار الكلاوى ـ فذلك هو السبب حتى لم يحضر المترجم ، لافى دار الكلاوى فى ذلك الاجتماع ، ولافى اليوم الذى وقعت فيـه انقبائل مع رؤسائها ضد العرش التوقيع المشهور ، ولا فى الاجتماع الذى وقع فى دار الكتانى بفاس من القواد ورؤساء الطرق الصوفية حتى ان هناك مقالة كتبها المومنى الصحراوى الجاسوس المتجول المشهور الـذى اعتقلـه جيش التحرير أخيرا بأكادير ونقله الى اكلميم حيث لاقى حتفه، ونشرنها كماقيل لى جريدة (الوداد) التى كانت لسان حال تلك الحركة المشئومة ، قال فيها ان كل رؤساء الصوفية حضروا الا محمدا الدرقاوى الالغى وحده ، ثم لما وقعت بيعة ابن عرفة حضرها جميع اللامعين من الناس فضلا عن القواد ، ولكنه هو لم يحضر ولـــم يستحضر ، وهكذا تمت كل هذه الادوار المتتابعة ، ولـم يحضر فيها قط والمستعمرون اذذاك فى اشد الحرص على ان يكسوا مايزعمونه من اتفاق الناس

على مايريدون منهم اجماعا تاما، ولذلك لايستحضرون من غابوا من امثال المترجم لئلايخرق الاجماع من عسى أن لاينقاد لما انقاد اليه الناس ٠

جاء الاستقلال ، فحدثت من بعده امور ، وفتح الباب للمواخـذات ، فصار جيش التحرير يضع يده على الخونة السوسيين واحدا فواحدا ، فانجى الله المترجم من ذلك، لماضيه الذى يعرفه عنه كل احد ، وقد حاول بعض مـــن لايعرفون الحقائق ان يلفت الانظار الى المترجم ، ولكن لما بحث عن أمره ازداد نصوعا وبراءة تامة ، والبحث أبو الحقيقة ، وقد ظفر يوما بزيارة الملك اثر رجوعه الى عرشه ، وقدم لجلالته العذر عما وقع فى موسم الزاوية الالغية اثر بيعة ابن عرفة ، وذلك ان المراقب فى (تافراوت) تقدم اليه بعض المتزلفيـن من رؤساء الخ ، واقترح عليه ان يطلب من كل من فـى الزاوية الدرقاويـة ان يبايعوا ابن عرفة ، فان رئيسهم – يعنى المترجم – لم يبايع مع الناس ، فاما أن يبايعوا واما ان يعرف عنهم أنهم خرجوا عما دخل فيه الناس تبعا لرئيسهم فبينما الفقراء الذاكرون المساكين الذين لم يالفوا امثال هذه المخالطات فـى مجلس ذكرهم ، اذا بالمراقب جاء مقترحا لذلك ، فقال له المترجم ان هؤلاء فقراء من شذاذ القبائل ، لاناقة لهم ولاجمل فى أمور السياسة ، وكل واحد منهم تابع لرئيس قبيلته الاصلية فيما يفعله مما فعله الناس ٠ وهو كما يرى القارىء كلام معقول حتى ولو لم يكن فى معرض الدفاع والمراوغة ، ولكن المراقب أصر على مايريد ، فدار بعض الحاضرين على الفقراء ، فاخذ توقيع بعضهم بشبـه الارغام ، لان القلوب كلها نابية عن ابن عرفة ، حصلت هذه الواقعة ، فطار بها المراقب كل مطار ، ووجد بها المتقولون مايقولون ، حتى أنهم زعمـوا أن المترجم هو الدافع وحده لما وقع ، فانقلبت الحقائق ، مع ان موقفه هو صريح، وماجاء هذا الارغام من المراقب الا ليضاد موقفه ، ثم لما جاءت القائمة الاولى التى أعلنت أسماء بعض الخونة ، حاول بعض من لايعرف الحقيقة ان يدرجه فـى القائمة الثانية التى كان مزمعا ان تصدر أيضا ، ولكن فرع حزب الاستقلال بسوس بحث بحثه الخاص حول المترجم فوجده طاهر الساحة ، نقى الذيل، فأعلن فى تقرير حسن عن كل الادوار التى مثلها مع الاستعمار ، فهكذا طويت هذه الصفحة السوداء عن المترجم وكفى الله المومنين القتال (ان الله يدافع عن الذين ءامنوا)

حجتـــه

كانت قيادته على قبيلة (اكلو) سحابا جهاما لامجد فيها ولامال ولاحال ،ولم تكن رسمية بظهير ملكى، ولم تكن الانكاية به قصد بها من الحكومة قصدا ، ثم ساء المراقبين حواليه تعففه وتعاليه عن الاسفاف ، وعن التنكيل بكل من يلمز عندهم بالوطنية ، ثم هاهى ذى القيادة انطوت منذ نشر الاستقلال لواءه ، وقد

138

كان عبدالسلام الصفريوى العامل الاول فى أكادير أتى باسم المترجم بين الذين يستحقون ان تناط بهم القيادة من جديد فى سوس فى عهد الاستقلال، لمااستقاه من المعلومات العجيبة عنه فى حسن الادارة ، والاستقامة والنزاهة، وعلوالهمة والاقتدار ، فقدمه بين الذين رشحهم ، الا اننى ظهرلى بعد اتروى انأعارض فىذلك الترشيح ليبقى اسمه مصونا حتى فىهذا العهد ، وقدأدركت أنكلمن قدموا الآن للوظائف لايمكن أن يسلموا من الالسنة بحق أوباطل ، فأوصيت فى الداخلية ان يحذف أسمه وها هما ذان السيدان مولاى هاشم العلوى والسيد عمرو الزمورى يشهدان بذلك • وكم عجبت حين بلغنى أنه هوأيضا لارغبة له فى التوظف بعد، وقد وجد نفسه مستريحا منذ تملص مما كان فيه، ثم طرق سمعى أن اسمه جال فى انداخلية ، وقد ذكر هناك باكبار وتقدير ، فقال بعض منهناك بمثل هذا يجب انيستعان فى هذا الوقت،لوكان مثلهيستجيب ، أولوكان فى سن من يتوظفون الان على القانون الجديد •

هذاوقد بدا للمترجم ان يؤدى فريضة الحج فسافر الى الحجاز فحج عام ١٣٧٦هـ ، ثم الم بالشام ولبنان ومصر وليبية وتونس وروما ومدريد فثاب مغتبطا برحلة كتبها بقلمه فى مجلدة حسنة •

وبعد فها هو ذا يعيش الآن فى دارله بناها فى (تيزنيت) ويلم فينة بعد فينة بالغ ، وهومحترم موقر ، وحوله هالة من المحبين المكبرين ، يرون له مقاما صوفيا لايراه الا الافذاذ لامثاله ، وهو يتبلغ من دخل أهراء فى بناية له باكادير ، ومن مطحنتين بتيزنيت ، وعنده منالاولاد زيادة على على وفيصل خمس بنات شقائق لفيصل ، وهن رقية وفاطمة وخديجة ولطيفة وشادية ، وشقيقهم فريد ، ثم انه اشترى ارضا فى هوارة فحفر فيها البير ، وهى شغله الشاغل الان ١٣٨٠هـ

الخاتمة

نختم الآن ترجمة والدنا الثانى هذا بأنه فى نظرى وفى نظر كل من يعاشرونه رجل سوس اطلاعا وتفكيرا ورجوعا الى الله ، وتؤدة وعقلا وكتمانا للسر وحفظا للسان عن الاعراض ، وتحملا وحلما واغضاء، ثم زادعلى ذلك كله كرما يتزايد بتزايد عمره ، وله وراء ذلك كله تحمل عجيب ، فقدمضت عليه أوقات عصيبة بعد الاستقلال تلقى فيها صدمات لاتحملها الا الاطواد ، فتلقاها هوبما تتلقى به شماريخالجبال الاعاصير ، فلايتشكى ولا يتزلف، ولا يظهر عليه التأثر ، وهوالآن على أبواب السابعة والستين محنك مجرب،أخذ الدروس العليا عن الحياة وأهلها ، فجمع همته كلها فى الله ، ثم لايبالى باى انسان بعده

فاز من خلى الشواغل ولمولاه توجه

ولده علي

ولد ١٣٣٤ هـ ثم الحقه بي والده وهو صغير سنة ١٣٤٧هـ بمراكش فكان يأخذ القرءان والعربية في زاوية الرميلة عنا ماشاء الله الى انشب ، ثم التحق بمدرسة ابتدائية حيث توصل بشهادة ابتدائية ، وبينما هو في الثانوي بمدرسة مولاي يوسف بالرباط اذا بالدعاية تبث بين التلاميذ عند انتشاب الحرب الثانية للالتحاق بالدار البيضاء بمكناس حيث المدرسة العسكرية . فصبا الى ذلك فساعفه والده ، فبقي هناك ماشاء الله ، ثم دخل الجندية الفرنسية ، فشارك في حروب (الهند الصينية) وفي (ماداغاسكار) ثم بقي في هذه الجندية الى انجاء الاستقلال ، وتكون الجيش المغربي فكان من بين الضباط الصغار فيه ولايزال على حالة هذه الى الآن ١٣٨٠هـ ، وقد تزوج هذه السنة وأمه رقية بنت الرئيس احمد بن الحاج ابراهيم الايغشاني ، وهو الوحيد الذي بقي من أولادها . وقد توفيت عنه صغيرا ، وقد كنت قلت على لسانه حين يتلقى عني صغيرا قطعة اولها

أنا علي ولم اسم به ... الا لاني علوت اقراني
أسست مجدي وما اتكلت على ... اصل العظيم الفخار والشان

الى اخرها

وقلمه في العربية والفرنسية حسن . وقد كان مر على القرءان كله

ولده الاخر فيصل

ولد ١٣٥٤هـ أمه السيدة فاطمة بنت الفقيه سيدي الحسن العفياني التيزنيني كان مر بالمكتب الموجود في الزاوية الالغية ، ثم انخرط في مدرسة ابتدائية فرنسية عربية حتى نال الشهادة الابتدائية ، ثم انخرط في الثانوي ، الى ان استتم سنواته ، وفي عهد الاستقلال التحق أيضا بالمدرسة العسكرية في مكناس ، حيث أمضى سنتين ، قضى بعضها في مدرسة عسكرية في فرنسة ، الا انه أصيب بشيء حجز بسببه في مستشفى ابن الرشيد شهورا ، وقد لازمه تردده الى هذا المستشفى حتى غادر بسبب ذلك صفوف الجندية ، فبقي عند والده في تيزنيت الى الآن ١٣٨٠ هـ وقلمه بالعربية حسن ، بخط حسن ، وكذلك الفرنسية ، وقد كنت قلت أيضا على لسانه قطعة مطلعها :

اذا عن في الميدان مجد يؤثل ... ففيصل ما بين التلاميذ فيصل

الى اخرها

الاخ سيدي عبد الله بن على

٢٠-٣-١٣٢٣ هـ = حـــى

نسبـه :

عبدالله بن على بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمدبن احمد بن عبدالله بن سعيد ٠

كان الفقيه الصوفى سيدى عبدالله بن محمد الايديكلى التملى اصهر الى الشيخ الوالد ببنته خديجة نحو ١٣١٢هـ ويفد عليه مرات فى كل سنة ، فوفد فىربيع النبوى ١٣٢٣هـ ليزور شيخه ، فالمبه مرض لم يلبث أن قضى عليه٠ فحمله الشيخ والفقراء الى قبيلة (أملن) ليدفن الى أهله فبات هناك ليلة فرجع، فوجد صاحب الترجمة قد ولد فسماه باسم جده ، تفاءلا أنيكون على غراره فصدق الفال ، فجاء كأنما افرغ فى قالبه تصوفا وخشوعا ، واقبالا على شأنه، ولاأزكى على الله أحدا ، الاانا ناخذ بماظهر ، ولله ماستر ، ولكن الغالب أن مناسر سريره البسه الله رداءها ، فالله يعلم اننا أبناء الوالد تسعة لم يكن بيننا منينظر هذه النظرة التى ينظرها المترجم بنظرة التصوف الى الحياة٠ أتم الله علينا وعليه بالحسنى ، وقد حكى ان الشيخ الوالد قال فيه يومولد: ازدادعندنا فقير يكون لمعاصريه كشمعة فى الفنار ٠ هذا ماشاع والله اعلم

مئاخـذه

أخذ القرءان عن سيدى عبدالله الاكمارى فى الدار ٠ ويحكى أنه لايـزال يتذكر ذلك النهار الذى افتتح فيه ٠ وقدقال الوالد لوالدته : ايتينا بتمـر يصحبهعبدالله الى الاستاذ ، ففر هو واختبأ بين نسوة فى محل عينه لى فى الدار ، ووقت مفتتح تعلمه كان اوائل ١٣٢٧هـ فوقف على حزب (قلأوحى) حين مات الولد مختتم ١٣٢٨هـ ثم لازم أيضا سيدى احمد السكتانى ، ثم سيدى محمد الالوكومى ثم اتصل بشيخنا جميعا سيدى عيسى الاكمارى فى قريـة (ايحلوان) فى صحبة قرينه الاخ سيدى عبدالحميد ، وفى أوائل ١٣٣٨هأرسلا معا الى المدرسة الايغشانية عند الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى ، فبقيـا شهرين، وقد افتتحا المبادىء عند سيدى محمد بن احمد بن الحاج صالح ، لان الاستاذ فى تلك المدة حفزهحافز على مغادرة المدرسة الى داره ، فليلة راح الى المدرسة راجعا اليها وصل سيدى الحاج محمد بن عدى الواعظ ، وقدأرسله

سيدى سعيد التناني ليذهب معه فى مصاحبة شقيقته السيدة عائشة زوجة سيدى سعيد ، وقد أزمع النقلة الى (أزيار) ، وذلك فى شعبان ، فانقطع هناك عند الاستاذ سيدى عبدالله بن ابراهيم فى مدرسة (ايت خميس) المبنية على ضريح سيدى على بن محمد ـ فتحا ـ ثم فى المدرسة التامرية ، فجود عليه المتون الابتدائية فى نحو ثلاث سنوات ، وشدا فى الدور الثانى ، ثم التحق بالاستاذ سيدى محمد بن احمد ابن الحاج صالح فى (دوملت) فتقدم به كثيرا وتوسط فى الدور الثالث وقد ظهرت فيه نجابة فائقة ، وتحصيل فى كل ما اخذه ، وهمة تخطب المعالى ، وخطوة تمتد الى الثريا ، وقد اقبل أيضا على النسخ فحسن خطه، وجعل يجول هكذا • والاستاذ مقبل عليه اقبالا كليا ، فحفظ جل المقامات ، وبعض المختصر ، بله غيرها من المتون حفظ المتفهم ، حتى كنت أقول انه سيكون عالمنا الفذ ، ونابغتنا فى هذه الجهة أيضا، كما كان منذ ذلك الحين سيدنا جميعا اخلاقا ودينا واخباتا وانابة ، ولكن القواطع التى تتسلط على الافذاذ ما افلتته من براثينها

مفارقته للاخذ

توفى سيدى سعيد اخر ١٣٤٣هـ فترك أيتاما خفنا عليهم الضياع ، فلم نجد من عسى ان يقف عليهم سواه ، فغادر دروسه وهو يتقطع أسفا لولا انه لا يحب المخالفة لما فى ذلك ، ولكن الضرورات تبيح المحظورات ، فنزل عن ارادته الى ما تريده منه الاقدار ، ونحن أيضا أمرناه بذلك رغم انوفنا ، والضرورة اذا أملت حكما فلا يمكن ان يستانف بعد •

اقترن بسيدة ثانية بعد ذلك ، فطاب له المقام ، وقد قام بمانيط به خير قيام وقد عادت عليه صحبة سيدى سعيد بكل خير ، فكان يرد علينا ونحن اذذاك ممعنون فى التعلم بفاس والرباط مع الاخوين الاخرين : ابراهيم وعبدالرحمن ثم حططنا الرحال فى الحمراء فجلنا فى التعليم بما يسره الله ، فكان كلما ورد علينا ورأى مانحن فيه يطير قلبه شعاعا على عدم نيله ماأراد من العلوم ، ثم حملته هذه الهمة الحافزة الى ان يتملص منسلا مماهو فيه ، فوصلتنا الاخبار بانه فارق داره الى جهة مجهولة ، ففتش عنه فى نواحى البلاد فلا يدرى اين قبع ولاأى طريق اتبع ، وبعد حين عرفنا انه مر بفاس • وذلك انه نزل بها للقراءة ولكنه يعلم أننا واردون عليه ورادوه الى داره التى تركها شاغرة ، لاقيم عليها فخرج من (فاس) الى (وزان) ثم الى مشهد مولاى عبدالسلام على رجليه ، وقد طاب له ان ينفرد كذلك• وان يجول فى مجالات السياح كالفقراء الذين رءاهم واخذ بأحوالهم وقرأ عنهم فى كتب الصوفية ماقرأ ، ثم انفتل الى مدينة (تطوان) فرساهناك ، فصار ياخذ بعض دروس فى البيان والفقهيات وغيرهما ، وبعد شهور اعتراه مرض ، وطافت به الغربة ، فلم يجد مايصنع ، وقد افلت من يده

مايتطلب، فرجعمن هناك ، ولم نشعربه حتى جاء فتلقيناه بكلتا اليدين ، فقلنا له الاتزال حيا ؟ فقال بلسان الحال ، لورجعت بحاجتى من المعارف لرجعت اليكم حقا فى حياة ، ولكننى ماذا أصنع ؟ وقد افرغت وسعى وبذلت جهدى ففهمت عنالله ، فهكذا حرم من منيته ، ثمأقبل بعد ذلك على الفقراء الذين ينتسبون للوالد فى تلك الجهات ، وقد كانوا يجدون من حاله ووعظه ماينهضهم فصار يجول فى ذلك باخلاص ، راميا الدعوى وراءه ، وكل مايتردى فيهمثله منأولاد المشايخ ، ثملم يزل فى ذلك المركز الى سنة ١٣٥٤هـ وقد وقعت وقعة (الوغزني) الشهير فالتفتت حكومة الحماية التفاتة خاصة الى رؤساء الطرق الصوفية، تباحثهم وتتبعآثارهم، فنادتهالقدرةانينكف عنالسياحات،فانالزمانقد استدار ، وان الوحدة قد جاء عصرها فاطاع ، وقد مسته يد جالت حوله. فبقى فى مركز (اداوتنان) الحكومى نحو نصف شهر فى صفة معتقل ، ثمسرح وقد عرف أن ذلك منالله، وأنالله قد أمره ان يعتزل ، فهو اليوم ١٣٥٧هعلى هذه الحالة ، وقلما يفارق داره الاالى الوقوف على ضروریاته ، او الى صلة الرحم ثم صار بعدانتهاء الحرب يتقلب كيف شاء ، وقد علاشأنه ، وازداد كثيرا، وله خط جيد والمامحسن بالعلوم ممأأخذه ، وانكان اعتراه خسوف وقد غلب عليه التصوف ، فرتبله أذكارا ونوافل ودعوات واحزابا يواظب عليها ، وقد وفقه الله الى ترجمة السيرةالنبوية الى اللغة الشلحية فيثوب قشيب فى مجلدين، كما ترجم (رياض الصالحين) للنووى فى اربعة مجلدات ، ويشتغل الانبغيرهما وفقه الله ، ولهاليوم اولاد ذكورا واناثا اكبرهم جعفر وحمزة ، أنبتهم الله نباتا حسنا ، وزوجة سيدى سعيد التى رابط عليها وعلى أولادها هناك لاتزال حية الى الان ١٣٨٠هـ ، وهى كما قال بعضهم رابعة عصرها ، وأخت صاحب الترجمة فى أوصافها فكما أنه انفرد بين الذكور من ابناء والدنا بماكان له هنيئا مريئا، انفردت أيضا بين اخواتها بمثل ذلك أو اكثر، وذلك فضل الله يوتيه منيشاء ، وحال المترجم اليوم ١٣٨٠هـ فى مقام عظيم نباهة ورجوعا الى الله وارشادا للعباد ، وقد حججنا معا سنة ١٣٦٥هـ فكتب عن رحلته كتابة حسنة فى مجلدة .

القاضى عبد الرحمن بن على

١٣٢١ هـ = ليلة ٣ ـ و ـ ١٣٧٩ هـ

نسبه :

عبد الرحمن بن على بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد ابن أحمد بن عبدالله بن سعيد ٠

هو شقيق الاخ احمد والاخ عبد الله المتقدمين وهو ثالثهما من الاشقاء الذكور ، وكلهم من أسباط الرجل الصالح سيدى عبدالله بن محمد ابن القاضى فعادت عليهم جميعا نفحة منه ٠

متعلمه

أخذ القرءان عن سيدى احمد السكتانى ، وعن سيدى محمد الالوكومى بالزاوية ، ثم عن سيدى موسى بن الطيب فى المسجد السليمانى أياما ، ثم التحقوا بشيخنا سيدى عيسى الاكمارى فى (ايحلوان) باداكمار ثم الاستاذ سيدى الحسين الاسفاركيسى فى اداوتنان فهناك جود تجويدا حسنا، وهو وأخوه سيدى عبدالله اللذان بقيا بيننا فى حفظ القرءان حفظا متقنا ، بتعاهده وتفقده الى الان ٠

افتتح المبادىء فى دار القائد سعيد التيكزرينى ، وقد ذهبت اليها به وبقرينه سيدى ابراهيم سنة ١٣٤١هـ ، فثقفهما سيدى محمد بن احمد غاية التثقيف، فاجاد صاحب الترجمة المبادىء ومتونها ، وكانت له قريحة وذاكرة ، كانهما ذاكرة صنوه الاخ احمد ،فقد جئت هناك مرة ، فاعجبت به حين امتحنته على حين أن الاخ ابراهيم دونه بمراتب ، ثم ذهبت به وبصنوى ابراهيم الى فاس ١٣٤٤هـ ، فبقى معنا صاحب الترجمة نحو سنة ، أخذ فيها عن بعض الفاسيين وتقدم وأقبل على المطالعة ، وأناب، معجب غاية الاعجاب ، ثم ان صحته لم يوافقها هواء فاس ، فطلب منى ان اسرحه لصلة رحم والدته ، فكان ذلك ءاخر عهده بالدراسة الجدية الحضرية التى نحن فيها اذذاك ، لانه لازم بعد ذلك المدرسة الساعدية فى قبيلة ابى السباع، وفى سنة ١٣٤٧هـ كان معنا ماشاء الله فى (الرباط) ثم رجع الى محله ثم انتقلنا سنة ١٣٤٨هـ الى (الحمراء) فاظل علينا أيضا ، فحثثته على الانقطاع الينا ، ولكن لم يتيسر له ذلك لشيئين اولهما :

انه ـ كماقال ـ لايقدر على الجدالذى وجدنا فيه ، وثانيهما مراعاة شيخنا سيدى عبد القادر السباعى التى لازم المدرسة عنده تسع سنين ، وهو يحضر فى الدروس ، وقد مر على المختصر مرة او مرتين ، وعلى الالفية مرات ، وعلى المنطق والاستعارت ، ومختلف الفنون ، ولكنه مع ذلك ناقص التحصيل، لانه لم يبعث همته الى ذلك بعد ، مع انذاكرته وفكرته وتمييزه كلها تشهد انمن كانت فيه لابد ان يتفوق ، وليس معنى هذا انه كان متاخرا كثيرا ، بل انالمقصود ان المرتبة التى تنتظره لم يصلها بعد ، وفى السنة الماضية ١٣٥٦هـ انقطـــع معى بالخ شهورا ، فمررنا على بعض التلخيص ، فرأيت منذكائه وسرعة فهمه مالو أدركت حريتى للازمته حتى أغادره كمااريد ، لاننى أرىمنه اخا حبيبا مفكرا ، منطلعا الىالمعالى منكلجهة ، له أوراد وأحزاب وتلاوة فى القرءان ومحافظة على شعائر دينه ، معمعرفته بأحوال الوقت ، فيارب اعنه حتى يستتم دراسته ، ويصل بهذه المشاركة العلمية التى أطل عليها مقاما عاليا ، هذا وله حافظة أدبية ،وذوق جيد وفهم ثاقب ويستحضر نوادر الابيات فى محادثاته، ولمأكن قيدت عنه شيئا فاذكره الان وقدكان فى سنة ١٣٥٤هـ اقترن ببنت القاضى سيدى مسعود الشياظمى الكرائمى ، وبنى داره ازاء داره ، ثم كان هناك فى المدرسة (الكرائمية) ماشاء الله مشارطة .

ومن أغرب مافى فىذكائه أنه يستحضر يوم فطم عن الرضاع ، وكان أخوه أحمد أيضا يذكروقائع عنذلك الطور، وامثالهما فىذلك قليلون، وبمثل هذا الذكاء وبنظير هذه الحافظة تدرك العلوم العليا ، وتخاض بحجة المعارف ، والمرجو من صاحب الترجمة انيستدرك ، ولايزالذلك فىيده انشاء اللـــه وفقه الله لما فيه خير ، وقد رزق أولادا ذكورا واناثا مع بنت القاضى انبتهم الله نبتا حسنا .

أخبار عنه اخيرا

مر على ماتقدم سنون كثيرة ، ولدفيها للمترجم بنون، منهم المهدى الذى سنذكره لانه الان نجيب ، وأخوه المختار النجيب أيضا وسعدالدين ، وعياض ، معبنات أخرى والكبيرة منهن تزوج بها عبدالسلام بناحمد الذى سترى ترجمته أيضا ، وقد لازمنى المترجم بعد مارجعت الى الحمراء من ١٣٦٥هـ سنوات ، حتى علا كعبه فى العلوم وحصل وعد حقا منعلماء (الخ) وقد كان درس حينا فـــى مدرسة (الكريمات) الىأن فارقها ، ثماشترى دارا بمراكش ، وقطن فيهاحوالى ١٣٦٨هـ ، فصار مراكشيا ، وهوالذى اليوم شيخ وقور نبيل ذو مركزودائرة متسعة ، وقد جعل لربه وقتا لاوراده واذكاره ، ولهذكاء غريب ، وحافظـــة واعية ، توكيء على كل ماجعل فيها ، فيستحضر فى البيان والاصول والحديث والتفسير والتاريخ استحضارا فوق ماكنت ارتجيهله منذ عقدين من السنين وقد درس فيها كلها فى مسجد (باب دكالة) ماشاء الله فيشكره الاخلون عنه

وقد سمى ولده (عياضا) حين كان يدرس الشفاء ، والاخر (سعد الدين) حين كان يدرس التلخيص .

توليه للقضاء

جاء الاستقلال فغاضت طبقات الموظفين الذين كانوا فى عهد الاستعمار ، وبرز اخرون منهم المترجم ، فتولى القضاء فى درعة بمركز (زاكورة) حيث بقى نحو سنة ، ثم انتقل الى (اكادير) عضوا فى مجلس الاستيناف الجهوى، حيث هو الان مختتم ١٣٧٨هـ ، وقد الحقنا هذا الان تتميما للفائدة (ثم لايزال على ذلك الى الان ١٣٧٩هـ)

استشهاده

يالله ولكوارث الدهر التى تفجع الناس باخوانهم واصحابهم ، فقد كنا خرجنا هذه الترجمة بايام ، فاذا بحادث (اكادير) الذى زلزل زلزاله جرف المترجم فيمن جرفهم ، ولاحول ولا قوة الا بالله ، فقد أرسلت حين بلغنى خبر الواقعة الى (تاردانت) بعد زوال الثلاثاء ثالث رمضان ، فافادونى ان المترجم انهارت عليه داره هو وولده سعد الدين ابن عشر سنين وبنتاه ليلى بنت ثلاث سنوات ونفيسة كما ولدت ، وامهما وخادمتان ، وقد انجى الله فاطمة وعياضا فانقذا تحت الهدم كما انجى بنتا للاخ سيدى عبد الله كانت عندهم ، فجميع الهالكين سبعة ، وقد انهال على المعزون بالرسائل والبرقيات والمكالمات التليفونية بله القادمين بانفسهم ، وقد كان الرزء جللا ، ولكن لامرد لقضاء الله ، وهاك رسالة مسهبة كتبها الاخ سيدى محمد ، كجواب لبرقية استفسرته بها عما وقع ، ففيها الخبر اليقين الشافى .

الرسالة

بكرنا صباح يوم الثلاثاء من (تيزنيت) حين سمعنا نبأ حادثة (اكادير) وعميت عنا الانباء ، فلا هاتف ولا خبر تحقيق ، وركبنا السيارة متجهين الى (اكادير) فى سير حثيث ، حتى وصلنا الحى الصناعى ، فرأينا شيئا خفيفا من الخراب ، ثم وصلنا المدينة الجديدة ، فزاد الخراب فقد خرت العمارات السامقة وما يجاورها مثل سوق الخضر الجديد ، ولما وصلنا (تالبرجت) وجدنا عاليها سافلها ، وقد انسدت الشوارع بالانقاض ، وصرنا ندور قاصدين دار اخينا سيدى عبد الرحمن ، حتى اضطررنا لترك السيارة من بعيد ، فمشينا على أقدامنا ، الى ان اتجهنا الى شارع (كولمة) الذى يسكن فيه سيدى عبد الرحمن ، ونحن نمشى على الانقاض ، ولابناء واقف فى جهتى الشارع ، ولما توسطناالشارع التقينا مع السيد الخنبوبى الخليفة فى (انزكان) وقال ان هنا سيدى الحبيب اخاكم ، فمشينا والتقينا مع ابراهيم بن الحبيب ، فسالته

عن عمه ، فقال مات فصدمنا صدمة عنيفة ، حتى كدت اكون بها ؟ (تالبرجت) ولما استرجعت وعيي قصدنا الدار المهدومة ، فوجدنا الاخ الحبيب مع خدامين جدبوا سيدى عبد الرحمن ، ووقفنا عليه مسجى ، وهو جثة هامدة ، وشمرنا على ساعد الجد ورجعنا الى الدار ، وتركنا امينا ليحفظ الحوائج ، وارسلنا المتوفى الى (الدشيرة) مع الاخ الحبيب ليدفن فى مركع (الزاوية) على سيارة مولاى سعيد القاضى ، وهم الذين صلوا عليه ، فقابلنا نحن الخدمة ، وعندنا قليل من العملة ، واجتهدنا حتى انقذنا (سعد الدين) فارسلناه ايضا على سيارتنا الى (الدشيرة) وهناك من يحفر القبور ويغسل ويدفن ، ثم واصلنا الخدمة لانقاذ السيدة ، وفى وسط ذلك نجمع كل ما ظهر من الحوائج كيفما كانت بحيث لم يضع شيء مما ظهر ، فاذا بسيدى الحاج عبد الله حضر فى ظهر الثلاثاء ، لانه وجده الحال فى (تاماعيت) فخدمنا الى المساء ، ولم نجد الجثث الباقية ولكوننا لم نعلم محل مخدع السيدة (زينب) زوجة الاخ ، قلت لسيدى الحاج عبد الله أنت تروح الى (الدشيرة) لتعلم من هناك ثم تاتي معهم بكرة غد ، وانا ساروح الى (تيزنيت) لاستخبر ربة الدار عن محل مخدع السيدة والخادمات ، فتركته امام (الدشيرة) وجيئت الى (أيت ملول) فوجدنا الوقود قد نفد فى السيارة ، وطلبناه فى (أيت ملول) فلم يوجد ؛ والمغرب وصلت واليوم يوم صيام ، فرجع السائق عبد الله بالسيارة الى (اكادير) للتزود بالوقود ، فبقيت أنا فى (أيت ملول) وأبطا عبد الله لكون الوقود مفقودا ، وفى انتظارى ومشيى فى الشارع ليلا ، نادانى سيدى الحسن البونعمانى ، فتوجهت اليه وحمدت له الله على سلامته ، وقد كنا فى رواحنا مررنا بداره ، وسألنا عنه وعما تعلق به احد اصحابه فاخبر بانهم سالمون، فعزانا فى الاخ ، وقال انى ارسلت فى هذا المساء برقية للوزير اعلمته بالواقع ، فشكرته ، وبقينا منتظرين ، حتى اتى السائق فافترقنا ، ونحن توجهنا الى (تيزنيت) وهو متوجه الى ضيعة قبلة (أيت ملول) ، رحنا الى تيزنيت وزرت فى المستشفى ليلا (فاطمة) بنت عبد الرحمن لانها متضعضعة ، ولاكسر فيها بعد انقاذها و (عياض) الذى لاباس عنده أيضا بل لم يمس بأى شيء ، وهما وجدناهما ظاهرين عليهما قليل من التراب ، فاخرجا واتى بهما الى المستشفى استاذ من (تيزنيت) ثم سألت ربة المثوى عن محل مخدع السيدة فى الدار ، فدلتنا عن المكان ، وكذلك مكان الخادمات ، فطلبت من سيدى الحاج عبدالله التيزنيتى ان يطلب من احبابنا الغوث للانقاذ وليبكروا فبكرنا يوم الاربعاء الى (اكادير) ومعنا حمل السيارة من الناس ، والاخرون راكبون فى الكار نحو ١٠ فلما وصلنا محل الخدمة وجدت سيدى المهدى بن عبد الرحمن هنالك وحده ، ولما بات سيدى الحاج عبد الله مع أهل (الدشيرة) فخدمنا ورجعت انا الى (الدشيرة) حتى وصلت الاخ الحبيب ، فسالته عن الموصى عليهم

فقال عهدى بهم امس ، وهم ناوون البكور الى (أكادير) فرجعنا الى (اكادير) والحبيب معنا ، واركبنا فى الطريق من رأينا من اصحابنا فواصلنا الخدمة، وقد قامت الخدمة على ساق الى ما حوالى طلوع النهار ، فوصلنا السيدة وبنتيها نفيسة ، وليلى جثثا هامدة ، فحملنا هن فى السيارة ، وذهب معهن سيدى الحاج عبدالله والحبيب ، ودفنوهن بعد تجهيزهن ازاء أبيهن ، فواصلنا نحن الخدمة حتى وصلنا الخادمتين جثثا هامدة كذلك ، فارسلناهما أيضا فى السيارة ، ودفنتا الى من تقدموا ، واخبرنا انسان ان عنده بنت سيدى الحاج عبد الله الكائنة عند سيدى عبد الرحمن ، فقد لفظها الهدم ، فخرجت والتقت مع من يوصلها الى خالتها فى (انزكان) ، وفى وسط ذلك نجمع ما عثرنا عليه من الحوائج بأنواعها الكتب والاوراق والملابس والفرش والاثاث وكل ما عثرنا عليه ، بحيث لم يضع منه شيء ، ولم يضع الا مابقى تحت الردم الذى نوينا انقاذه يوم الخميس ، فاذا بطريق (اكادير) مغلق ، والذى وجد يوم الثلاثاء من الحوائج حملته شاحنة فى المساء الى (الدشيرة) والذى وجد يوم الاربعاء حملته اخرى فى المساء اليها ايضا ، وكل ذلك مجموع وسيكون مقدار حوالى حمل شاحنة كبرى ، وفى عشية يوم الاربعاء بعد اقلاعنا عن العمل ، ذهبت لارى الزاوية والدار ، فوجدت دار بوحموش الكائنة فى يسار الزاوية تهدمت كلها ، ثم درت بالجميع ورأيت الجدران الخارجية واقفة ، والسقف كذلك واقف ، وهناك شقوق فى الجدران ، فدخلت الى المركع فرأيته نزل الى تحت ، والزليج كله منتشر ، ودخلت الدار ، فرأيت مابين البيوت مهدما ، وقد اختلط كل شيء والابواب معوجة ، وقلنا الى الغد يوم الخميس ناتى بشاحنة لحمل ما فى الدار ، وذلك شيء مهم وقد رأينا يد الناهبين امتدت الى الدار . فسرقوا منها مذياعين واغطية ، ولما جيئنا يوم الخميس وجدنا الطريق الى (اكادير) مغلقة ، فملنا الى (انزكان) ظانين أننا سنقدر على أخذ جواز لاتمام العمل فى دار سيدى عبد الرحمن ، ولحمل حوائجنا من دارنا، فالتقينا مع الباشا سيدى الحسن البونعمانى ، فاخبرناه بغرضنا ، فقال أنا بنفسى لاأقدر على أن أحصل على جواز لاذهب الى (أكادير) وقد التقيت مع الكولونيل اوفقير فلم يعطه لى ، وقال لى تذهب الى محل الاشغال العمومية ، وتطلب من رئيسها ان يعطيه لك ، وانا لاأدرى ماافعل ، وفى الاخير قال اتبعونى لعل وعسى أن نجد حلا فتبعناه ، ولم نخرج من (انزكان) حتى أوقف سيارته ، ونزل ونزلت من سيارتى ، فقال لى لاتحتاج ان تمشى ، فانه لا يمكن أن تمر بسيارتك قطعا ، وأنت وحدك ، فاذا أردت أن تركب معنا فسنقدر على أن ندخلك الى أكادير ، فقلت له أنا وحدى لا فائدة فى أن اذهب الى أكادير وأنت ترى السيارة مملوءة بالعملة ، والمقصود ذهاب العملة ، وأما أنا وحدى أفاذهب الى أكادير وأرجع بلا فائدة ، فقال فحسن ان ترجع اذن ، فرجعنا

الى (الدشيرة) فوجدنا الاخ سيدى الحاج عبد الله ، فقال ان الطريق الى أكادير مغلقة ، وقد حاولنا الذهاب اليه فمنعنا ورجعنا ، ثم حوقلنا واسترجعنا ، ودخلنا مركع الزاوية فوجدنا الاخ عبد الرحمن ومن مات معه فى المقابر السبعة كالاصابع رحمهم الله ، وجلسنا مفكرين ، فاذا بسيدى الحسن بن أحمد ابن اخينا أتى من مراكش مع ولدى القاضى سيدى مسعود الشياظمى ، فبعد جلوس قليل قال سيدى الحسن سأذهب الى (تارودانت) فقلت له وأنا معك لنعزى السيدة خديجة فى أبيها ، فقلت لسيدى الحاج عبد الله حيث نحن اليوم جلوس ، وعندك من يخدم فاجمعوا الحوائج ، وانفضوا عنها الغبار ، ونظفوا كل شيء ، واطلع على ماهنالك • وفى المساء سيجتمع الاحباب هنا للترحم على هؤلاء السادة • وسنرجع فى المساء ، فذهبنا الى (تارودانت) فادينا حق الزيارة والتعزية ، ولما صلينا العصر رجعنا الى (الدشيرة) كلنا ، ومعنا الاستاذان سيدى احمد البعمراني ، وسيدى الحسين وكاك ، فبتنا فى الدشيرة وقد صنع الفقراء الطعام ، واجتمعوا على ذكر الله الى هزيع من الليل ، فقرأنا الفاتحة وترحمنا على سيدى عبد الرحمن ومن معه وعلى جميع الاموات فى الزلزال ، وفى ذلك الوقت تذاكرنا على نقل الحوائج ، فاراد سيدى الحاج عبد الله أن تكون فى (تيزنيت) فقلت له بما أننى ليس عندى محل لضيق المسكن ، فانا تذاكرت فى هذا الصباح مع القاضى سيدى أحمد أعمو ، طالبا منه ان كان عنده بيت حصين لوضع الحوائج فيه حتى يظهر ما يظهر ، فقد أطلعنى على محل فى بيته لائق ، فاذا لم يكن محل ءاخر فهذا البيت عند القاضى ولكن أننا رأينا الحراسة حوالى (تارودانت) تفتش كل الواردين ، فربما يكون ذلك على من حمل شيئا من الحوائج احتياطا على السرقة ، لذلك فيليق ان تستأذنوا الخليفة الخنبوبى ، فاذا كان فى الطريق عارض يعطيكم جوازا واذا لم يكن شيء فسيقول لكم احملوا حوائجكم ، فذهب عنده سيدى الحاج عبد الله ، وسيدى عبد السلام بن أحمد ، وسيدى المهدى ابن المرحوم ، فلما مثلوا عنده بينواله مقصودهم ، فقال لهم اتركوا حوائجكم لاتحملوها حتى تمضى أيام ، فرجعوا واخبرونا بذلك فنقلوها من الزاوية الى بيت عند المقدم، وبتنا فى (الدشيرة) الى صباح يوم الجمعة ، فقصدنا تيزنيت جميعا ، وقد كنت لما وصلت (انزكان) معى فى السيارة سيدى الحسين واكريم ، فقال لى لابد ان تذهب لترى هل يمكن لنا أن ناخذ الجواز ، لنحمل الحوائج من الدار فى (اكادير) فقصدنا (أنزكان) وسألنا عن الخليفة الخنبوبى والساعة هى التاسعة صباحا ، فقالوا لنا مازال فى الدار ، فقصدنا داره فطرقنا ، وخرج ودخلنا، فقلت له أريد مكالمة تليفونية مع الباشا ، فصار يدير الالة حتى أعيت يده ولا من يجيب من بريد (انزكان) فقلت له مرادنا ان تيسر لنا تسريحا نحمل به حوائجنا فى دارنا من (أكادير) وهى واقفة ولم يمت فيها أحد ، فقال انك

تطلب المحال ، فاخرج ذلك من عقلك الان فودعته وانصرفت ادور فى جهة مركز (انزكان) متحيرا فالتقيت مع الباشا ، فبينت له غرضى ، فقال ليس شىء فى يدى تماما ، والكل فى ايدى الجند ، فقلت له ياسيدى أنا ومثلى الذين حوائجهم على وجه الارض اذا لم تساعدوهم على نقل حوائجهم فانكم تسببتم لهم فى مصائب أخرى ، زيادة على ما حل بهم ، فهذا الذى نراه ليست فيه انسانية ولا عطف ولا رحمة ولا معرفة الخدمة الصالحة ، فهذا الجند هو الذى يذهب بالناقلة مع رب الحوائج ، فيجمعون له حوائجه ، وهى لاتحتاج الىعمل فاس ، ولاالى أى عمل، فمن كتبتم له ورقة يصل بها الى الضابط العسكرى يطبع له جوازا ، فقال نحن لايسمع منا كلام الان ، وعلى كل حال رايت مثلى كثيرين منالذين حوائجهم على وجه الارض ، فمنعوا من نقلها بانفسهم ، ولم يقم أحد بنقلها لهم ، ولا ندرى من أين ضاع المفتاح ؟ فتأثر سيدى الحسن الباشا تاثرا كبيرا ممايرى من مثل ماذكرنا ، وفى ءاخر الامر ناداني الى كاتب ، بعد ماقال قلت لسى صالح كاتب العمالة مع ممثل الداخلية ان كثيرا من الناس حوائجهم مهيأة ، وهم يطلبون المساعدة لنقلها ، ومنهم فلان اخو وزير التاج سيدى المختار السوسى ، فنهرنى سيدى صالح قائلا خلنا من الشخصيات يافلان فقلت له ليس هناك شخصيات انما ذكرت لك الناس كلهم ومنهم فلان ، فالحاصل تأثر جدا ، فقادني الى كاتب هناك ، فقيدت ماعندى فى الدار وأن الشارع الذى فيه المحل لم يمت فيه أحد ، ولم تسقط الدار وفتحت الى الخارج وفيها حوائجنا جميعا ، واردت ان أحملها ، فقيد الكاتب كل ذلك ، وقال : ان الورقة سنرسلها لمحلها ، ثم التقينا مع القائد الممتاز فقال متى سمعت النداء فتقدم بهذه الورقة ، فخرجت يائسا من كل شىء ، ورجعت الى تيزنيت ظهرا ، وكنا مع الاخوان سيدى الحاج عبد الله وسيدى عبد السلام وسيدى الحسن ، وسيدى المهدى ، وولدى سيدى مسعود ، وسيدى الحسين وكاك ، وسيدى أحمد البعمراني ، الى صباح يوم السبت

نعم قلنا ان الخنبوبى قال لسيدى الحاج عبد الله اتركوا حوائجكم فى (الدشيرة) ولما اتينا الى تيزنيت لم نر فى الطريق عارضا ولا مانعا ولا حارسا ففهمنا ان السيد الخنبوبى انما يتكلم احتياطا ويامر من غير ان يعلم ان هناك ما يخاف منه ٠

ثم ان الاخوان سافروا الى (تارودانت) سيدى الحاج عبد الله مع بنته وسيدى عبد السلام مع عياض ، واما فاطمة بنت عبد الرحمن فقد بقيت فى المستشفى لإباس عندها ٠

ظهر ان من السيد العامل الى اصغر موظفيه كلهم أمام المكاره والشدائد كالصفر ، ولو كان العامل عاملا حازما لانقذ نصف او ثلثى اكادير فى يوم

الثلاثاء والاربعاء باستدعاء جميع المجاورين لاكادير ، ولكن اين هو وهم ؟ وقد اسكرتهم المصيبة ، وقد اصيب العامل فى بعض عائلته ، ولكن يجب عليه أن ينسى نفسه ، لانه هو الراعى ، وهو المواسى ، واما رئيس الاقليمية سيدى محمد الاخصاصى ، فقد خربت عليه الدار ، وهو وبعض أولاده سالمون والبعض هالك • واماالحاج الحسن بوسكرى فان اهله واولاده وأخاه مبارك تحت الهدم، وقد اتى يوم الاربعاء ، ولم يصلهم احياء و (فونتى) مهدومة كلها و (القصبة) و (تالبرجت) المدينة الجديدية نصفها ، واما الحى الصناعى فخفيف الهدم ، ولا موت فيه و (احشاش) كلها تحت الهدم ، بدات الرجة يوم الاثنين قبل رمضان بستة أيام ، وكانت خفيفة ، ثم عادت يوم الاثنين ثانى رمضان نهارا ، وهى كذلك خفيفة ، وفى ليلة الثلاثاء ثالث رمضان حوالى ١٢ انفجر الزلزال ، وجعل عالى (أكادير) سافله ، بينما كان أكادير فى مساء يوم الاثنين ثانى رمضان زاهيا لاهيا رافلا فى حلل البهاء ، فاذا به اصبح يوم الثلاثاءثالثرمضان خرابا مغبرا ، لامنظر ولاماء ولانور ، فاينما مررت تسمع انات واهات تحت الانقاض ، ولا من يغيث فهذه صورة أكادير اجماليا وما وراء كمن سمع

* * *

تلقيت ركاما من الرسائل فى التعزية وغالبها عادى ، وهاك بعض الرسائل التى لفتت نظرى بعباراتها الرائقة التى لها نصيب من البلاغة من بعض تلاميذتنا وفرهم الله •

١ ــ حم القضاء ، وزلزلت الارض زلزالها ، وذابت النفوس حسرات واسى على فقد الاخلاء والاخوان وكنت واحدا ممن ابتلى بفقد اخ كريم عليه ، فعوضك الله عنه الصبر ، فقد كتب عنده سعيدا ، حينما توفاه شهيدا ، وانت من هانت عليه المصائب ، فاحرز ثوابها ، وتجمل باليقين ورضى بالمقدور ، واطمان للموعد لاسخنت لك عين ولا انكسر منك فؤاد بعدها

(ابن المعلم المراكشى)

٢ ــ بأى لسان اعزيكم عن مصاب عم الوطن اجمع ، ولم يدع مقلة لم تدمع ولا فؤادا لم يتوجع ، ولاكبدا لم تتقطع ، فقد استولى علينا الجزع ، وتملك قلبنا الفزع ، لفقد ان مدينة من اجمل المدن المغربية ، وفقدان من فيها من الاصدقاء والاخوان ، وبالاخص الفقيه الاخ سيدى عبد الرحمان برد الله ثراه وأكرم مثواه ، وجعله فى أعلى الجنان : بفضل الله ورحمته •

وفى مثل هذا امتحان الرجال ، وموطن الصبر والاحتمال ، والمرء باعز ما لديه يمتحن ، والصبر على مقدار الهمم والفطن ، اسأل الله سبحانه وتعالى أن يوليكم سعة الصدر ، ويمنحكم نعمة الصبر ، وجزيل الاجر ، ويكون لكم برد الرضا والتسليم ، وسبيلة للفوز للثواب العظيم ، ويجعل هذا المصاب خاتمة

الاحزان ، ويلهمكم جميل الصبر والسلوان ، ويفيض على الفقيد سحائب الرحمة والرضوان ٠ (قاضي زاكورة احمد العرفي)

٣ ـ كنت عزمت أن أهنيكم بشهر رمضان المعظم ، ولكن في هـذه الاونـة التاريخية أبت قدرة الله العزيز الجبار الا أن تفجانا وتنذرنا بالفاجعة المؤلمة كارثة مدينة (أكادير) الشهيدة ٠ وفي الصباح توجهت الى البريد فعجلـت بمكالمة تلفونية لدار الاذاعة المغربية طالبا ، منها ان تذيع سؤالنا عن حالة اخينا واستاذنا المسلم الغيور سيدى عبدالرحمان أخيكم وعائلته ، وفعلا سمعنـا ماطلبنا اذاعته ، ولكن هذا لايكفى لاطمئناننا ٠ بل لابد ان نعـجـل بمكالمة تلفونية نحوكم لنتمكن من الحقيقة ، وفي الحين اتصلنا بادارة البريد ، وسرعان مادق الجرس الهاتفي ، فاشرابت الاعناق ، واشخصت الابصار ، واصيغـت الاذان ، في صمت وهدوء ، لانها ستسمع كلمة الفصل ، كلمة اطمئنـان او افجاع ، فمن مكالمتي معكم في الهاتف بعد ان سلمها لي مولاى على الرحمانـي ولم أدر ما راج بينكما وانما رأيته لم يتمالك نفسه فشد راسه بيده ، ودموعه متدفقة مما زادني اضطرابا عنيفا ، وأنا اضع سماعة الهاتف على أذني (الوالو) فعرفت من كلمة واحدة كل شيء ، ولايعلم الا الله ما الم بي فلم اشعر أوضعت السماعة في مكانها ام لا ، فصار بعضنا ينظر الى بعض نظرة الحزن ، والاستسلام لقضاء الله وقدرته ، فلم أستطع أن أتطلع الى الخبر الذى كتمه عنا مولاى علي الا بعد نصف ساعة تقريبا ٠ فكانت صدمة في القلوب لاتستطاع ، ولكن ماذا يجدى البكاء امام هذا المصاب الجلل ، والانسان عبد مملوك للاقدار (كل نفس ذائقة الموت) (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الـجـلال والاكرام) ان القنطرة الاجبارية لابد ان يمر بها كل حي (فهنيئا لمن خاف مقام ربه ونهـى النفس عن الهوى)

وفي الختام يا استاذى لا يسعني الا أن أطاطيء الراس أمام هـذا المصاب العظيم ، فبالاصالة عن نفسي ، ونيابة عن أهل حومة باب دكالة نرفع تعازينا الحارة في أخيكم المغفور له : سيدى عبد الرحمان وعائلته ، أحسن الله اليكم فيما سامكم ، وأمطركم غيث احسانه ٠ واذاقكم برد رحمته ، وابقاكم ذخر للجميع ، فانتم ذ حر عظيم لنا ولجميع أخواننا ٠

وسدل على الفقيد وعائلته الرحمة والغفران ، وعلى جميع الشهداء الجنـة والرضوان ، وأن يشفي مرضى الكارثة شفاء لايغادر سقما ، وان يلطف بنـا لطفا يليق بكرمه ، وان يرزقنا واياكم وجميع المسلمين مقعد صدق عند مليك مقتدر ، انه على مايشاء قدير ، (محمد بن ادريس)

* *

ثم كان من بين ما وصلني ، تعزيتان عامتان لمنكوبي الزلزال ٠ احـداهما

نشرية من محل ولدنا الاستاذ احمد الاخصاصى كتبها من (مصر) وهى نشرية، والاخرى شعرية من الاديب العلامة سيدى الحاج احمد بن بلقاسم الزيانى ، فنص الاول

(ياللهول ٠٠ يالها من ماساة فى أكادير)

الى البقية الباقية من اخوانى فى ارجاء سوس ٠ الى هؤلاء أكتب بالدم الذى يبض به قلبى ، اكتب اليكم تعزيتى هذه ، والاسى والحزن والكمد والالام تنفطر به كبدى ، وتحتدم به احشائى ، وتتصدع به آمالى ومناى ، واخيرا يذوب بـه قلبى ثم جسمى ٠

(يا للهول ٠٠ يا لها من مأساة فى أكادير) ، اخوانى اننى رغم ما سمعته من اذاعات العالم كله ، ورغم ما قرأته فى صحف الشرق عن الزلزال فى اكادير رغم هذا كله ، فاننى لااستطيع ولن أستطيع ان اصدق او اتصور ان ءالافا من اخوانى قد ابتلعهم ذلك الزلزال الجبار الخاطف فى لحظة واحدة ، كانما كان الجميع على ميعاد ٠

وكيف أصدق هـذا ؟ وقـد كان اخوانى يسارعون الى الخيرات فى كـل ميادين الحياة ، مادية كانت أو معنوية ؟ وكيف اصدق هذا واخوانى فـى اكاديير هم الذين يؤسسون المعاهد الدينية والمدارس والمساجد من عرق جبينهم فى حين كان غيرهم يبنى العمارات الشاهقة للترفيه الفردى ، والقصور الضخمة للتنعم الشخصى ؟ وكيف اصدق هذا واخوانى فى أكادير كانوا ينفقون ملايين وملايين من الفرنكات على ءالاف التلاميذ الذيـن يتعلمون فـى تلك المعاهـد المنتشرة فى انحاء سوس ، ذلك كله لوجه الله والانسانية ؟

أيها القدر المحتوم

قل أيها القدر المحتوم لى بربك قل لى كيف أصدق خبر هذه الكارثة التى اودت بحياة ألوف من اخوانى الابرياء ؟ أليس هناك من يستـحـق هـذه الفاجعة الاليمة الا اخوانى الابرياء ؟ قل لى بربك قل لى ٠ ماجريمة اخوانى وما ذنبهم ؟ أليس هناك طغاة جبابرة فرنسيون ينكلون بالاطـفـال والنساء والصبيان فى بلاد الجزائر ؟

لماذا ـ لماذا لم تأخذ بثار اولئك الاطفال والعجزة والنساء مـن الطـغاة الجبابرة الفرنسيين بدل اخوانى الابرياء فى (أكادير) ؟

قل لى بربك قل لى ، كيف تجاهلت وتناسيت طغيان وجبروت الصهيونية فى تشريد ملايين العرب ، من النساء والصبيان والعجزة من ديارهم ؟ كيف تجاهلت هذا كله ، ومددت يدك الخفية متناسيا جبروت الطغاة فـى باريس وجبروت الجراثيم الصهيونية ، مددت يدك الخفية وخطفت بها اخوانى مـن (أكادير) وهم لم يقترفوا اثما ولاذنبا ، غير انهم يبذلون كل ما يملكون فـى

مشاريع البر والخير ؟

ماذنب اخواني ؟ هل ذنبهم انهم يجودون بكل نفس ونفيس في تشييد المعاهد والمدارس ، لنشر تعاليم الدين الحنيف ، ونشر الثقافة في ارجاء بلادهم سوس ؟

أليس هذا الذى كان أيها القدر الذى آمنا بخيره وشره ، قلبا للحقائق المعروفة في نواميس الحياة ؟ أم أن هناك حكمة ربانية خفية اختص بها القضاء والقدر دون غيره من البشر ؟ آمنا بالله ، وآمنا بقدره المحتوم ونستسلم لكل ما فعلت يا ربنا فلا تسأل عما تفعل وهم يسألون ، ومع هذا كله فانني لهول الكارثة لاأستطيع أن أتحمل آلام هذه الكارثة ، لانها طامة كبرى للمغرب عامة وسوس خاصة انها لقاصمة الظهر ، انها لاحدى الكبرى ٠

لمثل تلك يذوب القلب من كمد ان كان في القلب اسلام وايمان

أخوكم الذى تتلظى احشاؤه ، فاحترق قلبه بنار الكارثة وهو الفاجعة

٦ ـ ٣ ـ ١٩٦٠ م (أحمد بن محمد الاخصاصي)

القصيدة

ماذا دهاك أخيسة الاشبال أحصبت أم روعت بالزلزال
اين المباني الشامخات بأنفها ؟ أيـن القصور العادمات مثال ؟
أين المدارس في سمو علومها طلابها في عقـدهـا كلئـال ؟
أين المصانع زاحمت نجم السها عقدوا عليها الجم من ءامـال ؟
منها المشيد في السماك وبعضها كالطود في قمم هناك عوال
سام على هام الثريا رفعـة يزهو على الزهراء كالمختـال
أين الغواني الزاهيات بحسنها في كنها وكناسها كـغـزال ؟
بات الجميع عـلى فراش هناءة في مأمن في راحة من بال
الطفل في حضن يداعب أمـه كالطفلة الحسناء ذات جمال
والشيخ في أكناف سربه هادئا والعيش رغد في بنيه وءال
والتاجر المبروك في دكانه يرعى الصباح لصالـح الاعمال
والفالح الارض المثير ذخائر الغ ـلات ثم ثقائل الاحمال
ماكان يخطر ان تداعى فوقهم تلك الربا من حادثات لـيـال
وتصير بعد غضارة من عيشهـا كسراب قيعة او تلعلع ءال
حجراتها منقضة وقصورهـا خرب من الانقاض والاثـقـال
كانت تعـج عمارة وتفص بالر واد كانت مطـمـح الامال
والطرق مزدحم الخلائق كثرة طراقها الاجناس في أشكال
قدأصبحتهمس الشفاوفي الثرى ذابت وغاصت ثم في اوحال

والروض اخرس غيرنةلوعة!لمك ـــلوم ثـــم ممـزق الاوصال
قلب يذوب واعين تهمى كـمـا تهمى القراب بمائها وعـــزال
أبكى أسى وتفجعا لفجيعـــة فمصابها قد شط فى الايغال
لك ان تلوم على بكائى أو فدع قلبى عليهم قط ليس بسال
هى حرقة فى القلب فى كبدى لقد زاد العناء فزدت فى الاعوال
ولقد سرى للنفس فـى اعماقها ألم الم وجاء بالـبـلـبـال
هاج البلابل فجأة من حره حلت شغاف القلب دون زيال
فى ليلة ليلاء طـــال ظلامهـا لم تنحسر عن نجمها وهلال
وتطاولت حتى كأن صباحـهـا هو موعد للحشر يوم زوال
طال انتظار القوم مايبدو به الا صباح بالتفصيـل والاجمال
حتى اذا خيط الصباح بدا بدا عن محشر بالرعب من أهـــوال
أين العروس عروس سوس اذنت بالبين فى لمح وبالترحال
وغدت محاسنها البديعة ءايـــة ءايا من الانقاض والاطلال
يا للفواجع ، والفواجع جـمـة فى الشيخ فى الشبان فى الاطفال
ياللمصائب والمصائب جـمـلة جاءت على الارواح والاموال
ماكان أقساها ـأجل ـ وتتابعت فى المغرب الاقصى غدت بتوال
ياهل ترى افعالنا السوأى جنت أو جاء منها حاصب بوبال
اوذى بوادر طامة كبرى غـدت قابا لتنهى خاتم الاجـال
قم أيها الشعب الكريم مكفرا عن سوء مكتسب من الافعال
وانب الى المولى بمعتقد مـن الا يمان صاف لم يشب بضلال
وانهج شريعة احمد المثلى فمـا مثل الشريعة قط من منهال
فهى السنا وهى الهدى للسار بل والنور والمثل السمى العالى
وانهض غيورا غيرة الملك المفـــ ـدى الالمعى بل الاب المفضال
ماكاد يقرع اذنـــه ذاك النبـا حتى اعترته صولة الرئبـــال
لم يكتحل وسنا ولم يطبق لـــه جفنا على جفن من الاهوال
حتى استقل الطير فيه محلقا ويحثه فى السير باستعجال
حتى اناخ به على ارباضهـــا فراى بمرأى العين شبه محال
فراى أكادر يالها نهب الـبـلى وهى الهدى الرؤد ذات دلال
فرثـى لها ولناسهـا ومصابهم والدمع لم يرقا لرقة حـــــال
وهناك طاف الاريحيى (محمد) حلف الندى رب الجدى ونوال
يسلى وياسو جرحهم بتواضع وتواضع السلطان تاج جمـــال
فى رحمة بالقلب ـاى ـ وتخشع وتخشع السلطان اوج كمال
ويهيب بالحسن السرى لنجدة هو قدوة فيها وخير مثال
فى اسرة ملكية علويـــــة فى همة علياء ذات جلال

في رقة وحنان قلب مـــزده بجلائل الاخلاق والاعمال
يايها الشعب الوفى قم واقتده هدى الشمائل منه مثل لئال
واهرع لنجدة اخوة منكوبـــة هـــى اخوة الاسلام خير منـــال
وابذل جهودك جاهدا فى غوثها بسخاء كف بالجدى هطال
وانظر بعينى رحمة فى دمعة حراء من كبد وجد بوصال
ترضى الالاه غدا ، وفى هذى الدنا تبغى الثنا فابغ الثناء الـغـالى
ياأهـل سوس دونكم مرثـيـة فى الاسدفى اللبوات فى الاشبال
ياأهل سوس انها رمـز الوفـا ان الوفا فى الشعر خير خـلال
ياأهـل سوس انها من مخلص جهد المقل ولاك ليس بسال
يا أهل سوس انها لعزاؤكـــم فى الراحلين بروعة وجلال
شهداء عند الله جل جلاله فى مقعد الصدق المقام العالى
قد شيعوا بملائك الرحمان ا ن ملائك الرحمان خير مـــوال
ساروا بهم يحدوهم التعظيم با لتقديس والاكبار والاجـلال
نثروا عليهم من زهور جنانـــه وسقوهم بـالروح لا السلسال
رحماك رب لوافدين لبابـكـم رحماك ياذا الجود والافضال
رحماك رب بفتية من أمة المختـ ـار طـــه سيد الارسال
صلى عليه الله ما غيث همى أو جـاد بالابكار والاصال
والنخبة الابرار من اصحابـــه والصفوة الغر الكرام وءال

وادى زم ـ (احمد بن قاسم المنصور الزيانى)

هذه دمعات على (اكادير) التى هلك فيها من الانفس زهاء عشرين الفا ، ومن الاموال ما انهار به اقتصاد سوس ، ثم لايمكن ان ينجبر الا بجهود أخرى بعد سنين ، فالله يحفظنا من جميع الكوارث ظاهرا او باطنا ، انه سميع مجيب

أولاده

له من الذكور والاناث خمسة ، خديجة قرينة الاستاذ عبد السـلام ، وفاطمة العذراء ـ وهى الناجية من الهلاك ـ والمهدى ، والمختار الذى يتتـبـع دراسته فى الثانوى ، وهو من أنجب الناشئين ، ومن أثبتهم واهدئهم ، وهو الان يتتبع بعد الشهادة الثانوية ، وعياض الصغير ، واكبرهم المهدى ، وهاك عنه كلمة فقد ولد ٢٦ـ٩ـ١٣٥٦هـ وهنات والده به بقول :

هلال تبدى ساطع النور فى المهد هنيئا بما أوليته يا ابا المـهـدى
فبشرى ءال الشيخ قد زاد بينهم جديد رضيع المجد فى كنف السعد
تفصل من ابنائهم عقد جوهر فجئت ابا زيد بواسطة العقد
كأنى به فذا بغير مشابـــه وعذبا بلا رنق وعضبا بلا غمد
فيهدى الى العلياء من ضل سبلهـا ومن لم يكن يهدى فلم يك بالمهدى

متعلم للقرءان

كانت ولادته ومنشأه فى قرية زاوية سيدى احمد بن ابراهيم منالكرائمات فى الشياظمة ، فهناك اخذ القرءان اولا عن الاستاذ سيدى الحسين البعمرانى فى المدرسة هناك • حتى قارب أن يستتم الختمة ، ثم انتقل والده الى (الحمرا،) فأخذ ختمة اخرى عن عمه بلقاسم بن على أخينا وشقيقنا فى الزاوية بالرميلة، ثم انتقل هو وولداى عبد الله وسعيد الى (ابن كرير) فختم أيضا هناك ختمة أخرى عند الاستاذين سيدى محمد بن ناصر وسيدى ابراهيم بن أحمد الالفيين فهناك اخذ القرءان فى نحو ثلاث ختمات •

مآخذه للعلوم

افتتح العربية عند الاستاذ احمد الوفقاوى فى مدرسة (تمانار) بحاحة فاخذ عنه الجرومية والجمل والزواوى ولامية الافعال وابـن عاشر والسيرة النبوية ، والالفية الى جمع التكسير ، والفرائض والحساب ، بقى هناك عامين، ثم انتقل الى مدرسة (ابن كرير) بالرحامنة ، فاخذ النصف الاول من المختصر والتحفة ، النصف الاخير منها ، والجوهر المكنون ، والمقنع ، والالفية والدروس النحوية ومحاضرات الخضرى ، وأدبيات كثيرة ، والمقامات الحريرية ، بـقـى هناك عامين ثم انتقل الى مراكش ١٣٧٢هـ فانخرط فى كلية ابن يوسف فـى الرابعة من الثانوى ، فتتبع السنوات حتى أخذ الشهادة السادسة سنة ١٣٧٥هـ ثم انتقل الى (تطوان) حيث التحق بالنهائى الممتاز ، ثم التحق بالحى الجامعى فى (الرباط) وهو الان ١٣٧٩هـ فى السنة النهائية فيه ، وله نجابـة وشغوف وتحصيل • جعله الله خليفة والده بفضله وكرمه •

ثم انه حصل على الشهادة العالية من الحى الجامعـى ، فهاهـوذا الان يتوظف قاضيا ، وقد أملك باحدى كرائم عمه سيدى محمد ، وقد تحسنـت اخلاقه كثيرا ، وخصوصا بعدما أصيب بكارثة والده ، والمصائب افضل مشحذ لمن يريد الله به خيرا •

الاديب سيدى ابراهيم بن علي

مختتم ٧-١٣٢٨ هـ = حـــى

نسبـه :

ابراهيم بن علي بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد ٠

في أول رمضان ١٣٢٨هـ ، كنت بين يدى والدى امام السريجة على البغلة وقد رجع بنا الوالد أنا والاخوان : أحمد والحبيب من قرية (افريان) حيث كنا نقرأ القرءان اذذاك ، فبتنا فى دار الشيخ على الديلمى فى قرية (تيلقايد) انتشر الفقراء الذين مع الوالد فى الطريق ، ونحن متوجهون الى جهة (المعدر) ثم الى البلد ، فقال لى وهو يحدثنى محادثة الاطفال ، أتدرى أنه ازداد اخ لك ءاخر، فقلت له لا ياابتاه ، ومتى ؟ وما اسمه ؟ فواليت الاسئلة ، وانا جذل على عادة الصبيان فى العجلة الشديدة العنيفة اذا استفزهم فرح جديد ، فقال كان ذلك عند أول الشهر الماضى ، فكان الوالد أول من بشرنى ببروغ طلعة هذا الاديب الاستاذ الكبير الذى نترجمه اليوم ٠ ثم بعد يومين وصلنا البلد ، فتلقتنى أمى بما تلقى به كل والدة رؤوم ابنها الصغير الغائب عنها كثيرا يوم يدخل عليها، وكان وقت وصولنا أصيل يوم ، فاول ما صنعت أن هرولت الى مهد الاخ الصغير فاطللت عليه ، ولا أدرى هل رأيت من عينيه اذذاك هذا النبوغ والعبقريـــة اللذين ظهرا منه فيما بعد اولا

متعلمـــا

أخذ القرءان فى رفقة عبد الرحمان سواء بسواء عن السكتانى والالوكومى وسيدى أحمد الحاحى البيضاوى ، وسيدى موسى ، وسيدى عيسى ، ثم افتتحا معا كما ذكرناه فى ترجمة الاخ عبد الرحمان فى حاحة ، ولا ازال اذكر اننى حين جيئت بهما من الغ فى المحرم ١٣٤٢هـ وصلنا فى الطريق غابة (اكى افرنى) بين (أيت تامر) و (أورير) فكنت القن هذا الصنو هذه الابيات التى قلتها على لسانه فى تلك الغابة ، ونحن على البهائم وهو رديفى ، فقلت له كل من سالك من أنت ؟ فاجبه بهذه الابيات

انا سمى الخليل انا رشاد الضليل
أنا النمير فقد فـــ ـاز ان أتى ذو غليل
أنا طبيب ومن شـــ ـك ياتنى بالعليل

فصرت أمليها عليه حتى حفظها ، ولكنه لم يعرف معناها بعد ، ثم دارت دورات الزمان ، وذهبت وجاءت امور ، فاذا به مرشد الضالين الى مناهج العرفان ومروى غلة العطاش الى العلوم ، وطبيب بين هذا وذاك بحذقه وحسن تنظيمه ومعرفته كيف يضع الهناء مواضع النقب ٠

في ميدان المعارف

فى سنة ١٣٤٤هـ كنت فى قرية (دوملت) بحاحة حيث افتتحوا المبادىء على يد الاستاذ سيدى محمد بن احمد ابن العم فى دار القائد سعيد (رحمه الله) فامتحنتهم ، فسانى جدا اننى رأيت من المترجم تأخرا كثيرا عن أخيه سيدى عبد الرحمان ، حتى أنه لايفرق بين الجموع الثلاثة جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم ، وجمع التكسير ، فكان ذلك سبب ان ذهبت بهما معى الى فاس ، وكنت اذذاك فى تذبذب فكرى ، وانا كما اتصلت بالحياة الجديدة وكما ظهرت على أخبار العالم الحديث ، بأفكاره المزوجة المختلطة المتضاربة، فكنت معها اذذاك كريشة خفيفة لا تستقر على حال ، فربما اعقد عزيمتى اليوم على شيء ، ثم انقض غدا ما ابرمته أمس ، وانا مع ذلك اتطلب أن أصل الى الحقيقة حتى لا أقلد أحدا فيما آتى وما أذر ٠ وكان لهذا التذبذب وقع سيىء فى سيرنا أنا وصاحب الترجمة الذى نز معى ، فيسير بسيرى ، ثم لم ينجل عنا ذلك الا بعد زمن فاتنا فيه من علماء القرويين ما فات ، وفى أثناء ١٣٤٥هـ ، سرت اتبين الموقف ، وأدرك أن ذلك السير لايفضى بى الا الى تخطى معارف هى كل ما أمكن لى الاحراز عليها فى الوقت ، فاقبلت على النحو واللغة والادب والتاريخ أدرسها مع هذا الاخ وءاخرين ، فانتفع هو بذلك احسن انتفاع ، وقد أخذ هناك عن علماء ءاخرين ، منهم سيدى الطاهر الكتانى الذى اخذ عنه من الفقهيات والاستاذ سيدى العباس بنانى والشيخ سيدى محمد بن الحبيب الفلالى ، وكنت أعنى بتقويم لسانه فى العربية ، فأكببت معه على كتب المنفلوطى الادبية فبها تخرج ، يتلو غالبا ، خصوصا حين امتد فى مضجعى ـ على عادتى مع أمثاله ـ ثم يتلو لنفسه ، فتعلم من ذلك ان يعتمد على نفسه ٠ هذا وهو ياخذ الادبيات عن شيخنا المفكر الكبير سيدى محمد بن العربى العلوى فى (الكامل) و (المقامات) وغيرهما ، وقد اخذ عنى كثيرا من النحويات وبعض كتاب (الاحكام) للمعافرى ، ثم فى سنة ١٣٤٧هـ ، رأينا ان نحط رحالنا فى (الرباط) فمضت تلك السنة علينا سنة مباركة عظيمة الفائدة ، وقد واظب معنا الاستاذ شيخنا سيدى المدنى ابن الحسنى بدروس متعددة فى الحديث والفقه والبيان ، وما اليها من المباحثات القيمة فى المجالس التى لم تجعل للدراسة ، وءاخر ماأخذناه عنه (أرجوزة العراقى) فى الاصطلاح فى اسبوع ، بعدما اتممنا عليه (بلوغ المرام) وقد أخذنا أيضا ماشاء الله من (عمدة الاحكام) عن شيخنا سيدى محمد

السائح ، هذا ونحن دائما نحضر (التحفة) صباحا و (التفسير) بين العشاءين على شيخ الاسلام سيدى ابى شعيب الدكالى امام الجيل ، ومتى رجعنا من دروس هؤلاء الاساتذة أقبلنا على دروس اخرى خاصة أدرسها للمترجم ومن معه منها النصف الاخير من (القوانين) لابن جزى درسناه بتتبع ، فنفعنا جدا فى الفقه و (ارجوزة ابن عاصم) فى الاصول ، و (المقامات) و (المغنى) لابن هشام وانا بين ذلك مكب على المطالعات المختلفة ، حتى كان كل النهار معمورا بهذه الاعمال ، فكنا مغتبطين مغبوطين ، ونحن الى الان لاننسى (الرباط) وسنته الميمونة المباركة التى استطعنا ان نؤسس بها لاعمالنا المراكشية المشهورة ، ومتى أراد الله شيئا هيأ أسبابه ٠

وفى مفتتح ١٣٤٨هـ ، القينا الرحال بالحمراء بعد ، فاقبلت على المدارسة مع هذا الاخ ٠ وبضعة طلبة اتصلوا بنا اولا ، فمررنا بادئى بدء على (جمع الجوامع) و (الرسالة القيروانية) و (الزقاقية) و (الموطا) و (العمدة) فى احاديث الاحكام وأدبيات كثيرة ، ثم انه أخذ ايضا من الجامع اليوسفى عن شيخنا مولاى احمد العلمى ، وسيدى محمد بن عمر السرغينى فى الاصول والفقهيات ، كما أخذ ايضا هو وبضعة اقرانه عن الاستاذ سيدى عبد الجليل ابن القزيز التفسير وعن الاستاذ سيدى أحمد اكرام وعن سيدى احمد بن المحجوب الرجل العابد ، فهذا ما أخذه الشقيق قبل أن ألقى رسنه على كاهله ، ثم لما رأيت منه ما يبهجنى صرت أطلقه شيئا فشيئا حتى استقل بنفسه ، ويفعل ما يشاء ، وكان دائما منذ حللنا بالحمراء يتطلب الرجوع الى (القرويين) ولكن ذلك لم يتيسر ٠

فى ميدان التعليم

أقبل على التعليم فى مدرسة جديدة فتحناها بمراكش نحو عام ١٣٥٠هـ (وهى التى تطورت فى عدة اطوار فكانت بعد هذا الحين مدرسة (الحياة) ٠ المشهورة باستاذها الجليل سيدى بريك الفراس) فظهر من مقدرة المترجم وحسن تأنيه وصبره ، ودماثة اخلاقه ، وادارته وتنظيمه ، ماحمل الاستاذ سيدى محمد بن عثمان (رحمه الله) ان كان يقول دائما سبحان الله ، فشتان ما بين (فلان) وسيدى ابراهيم ، فبينما هو نجده لايزال بدويا صعب الاخلاق ، ذا مخاشنة فى الملمين به ، محتوشا لاموره بلا نظام ، اذا بسيدى ابراهيم حضرى الطبع ، لطيف المنزع ، دمث الشمائل ، ملمسه ألين من الحرير ٠ محب للنظام الموافق لهذا العصر ، فهذه قولة الاستاذ التى لاتزول عن لسانه فى كل مناسبة ، وانا انصف من نفسى فانزل عند هذا الحكم ، فلئن فاتتنى هذه الخصال فما حرمت مما فاز به أخى الشقيق ، فان كنت على جبلة غير محمودة فارجو الله أن لايفوتنى من ورائها الانصاف الذى هو بفضل الله جبل فى والحمد لله ٠

ظهرت مساعي الاخ في مدرسته غاية الظهور ، مع انه لامعين ولا منشط، الا انه يستمد من عزم بين جنبيه فولاذى ، لاينثنى دونالغاية المنشودة ، ولعل الذين درجوا به في الابتدائيات ، وحفظوا مع ذلك القرءان أو أشرفوا على حفظه يعدون بالعشرات (وقد أصبحوا بعد اساتذة كبارا ، كالاستاذ عبد النبى،والاستاذ الصديق الغراس وأقرانهما) ٠

فتحت (مدرسة جسوس) بالرباط على يد الاخ المجاهد الحاج احمد بلا فريج ، الذى هو أول من طلع على المغرب من بين الاهالى بتعليم جديد ، يماشى العصر الحديث باساليبه ، ويجمع بين الثقافة العصرية الغربية وبين المحافظة على الثقافة التى لايزال اثرها واضحا للعيان ، صار الحاج احمديتطلب الاساتذة المقتدرين العارفين كيف يكتشفون متجهات التلميذ حتى يقوموها على الصراط السوى ، فذكر له صاحب الترجمة ففاتحنى فى استخدامه استاذا عنده ، فكان ذلك سبب ان غادر المترجم الحمراء ، فترك ءاباء تلاميذ مدرسته فى حيرة ووله لو لم يجيء الاستاذ سيدى بريك الغراس ، فكان هناك خير خلف لخير سلف ، وكان هذا الانتقال فى مفتتح رمضان ١٣٥٤هـ فظهرت أعماله فى (مدرسة جسوس) فكان سعيه مشكورا بكل لسان ، وهو مع اشتغاله هكذا مكب على المطالعة ، حتى التهم عشرات فعشرات من الكتب الادبية والتاريخية والاجتماعية ، وقد كان فى الحمراء حيث لم يتم له النظام كما يشاء ، يلاقى صعوبات فى أن يجد فراغا للمطالعة التى أغرم بها ، فكان ذلك أحد الاسباب التى التحق بسببها الى هذه المدرسة التى هى فى النظام على أحدث اسلوب ، وقد كان بيته فى النزل فى (باب الاحد) مجتمع كثير من ادباء الرباط اذذاك ، بل مقصدا للواردين من غير أدباء الرباط ٠ فهذه هى حياة الشقيق ابراهيم وهكذا تدرج حتى وصل الى هذه المرتبة التى يتمتع فيها اليوم بما يتمتع به العاملون المجدون ، ومما تقدم تدرى العلوم التى يخوض فيها ، والاخلاقالهينة اللينة التى خصه الله بها ، وربما كان لما يراه منى أحيانا اذ يفلت زمامعواطفى من يدى ، هو الذى أراد أن يتحفظ جهده ، حتى لايقع فيما أقع فيه ، مع توفيق الله اياه واعانته ، ومعلوم ان من ساء اخلاقه تحسن اخلاق اصحابه ، ومن حسنت أخلاقه تسوء اخلاق اصحابه كما يقوله المامون ليحيا بن اكثم ٠

ءاثاره الاولى

لم يحضر عندى الان فى (الخ) من ءاثاره الاولى ما اتخير منه كما أريد ، وانما عندى هنا فى منفاى بعض ما وجدته بين الاوراق ، ولعل فى ذلك خيرا لنثبت له ما يتيسر من بواكير منتجاته ، مما يرسله عفو الخاطر ، فلا أدل على الانسان من هذه التى يرسلها على عواهنها ، ثم يكتب له الخلود بها ، وأما ما توفر عليه ، فربما يكون فوق مستواه العادى الذى يجول فيه

كتب الينا من الرباط الى الحمراء ـ٩ـ١٣٥٤هـ

(بعد تهنئتكم بعيدنا الوافى ، أبلغكم تحياتى وسلامى المصحوبين بكل اشتياق وتحنان ، الى زيارتكم وملاقاتكم التى لم يصدنى عنها الا امور نفسانية وعلائق ودية ، مع ءاخرين متشبثين بالاذيال ، لنقضى معهم أيام الافراح والمسرات فى هذا العيد ، علاوة على تهاطل الامطار ، واسترسال أنابيبها لغسل الاوحال العائقة عن الانتقال والترحال ، ولد حض الاتراح العالقة بالقلوب والنفوس وكان من أمر الاقدار أن ذهبت بنا مطية الامال الى بعض الادغال ، حيال الرباط برسم التجوال ، وترويح الخاطر من عناء الدرس والمطالعة ، بعد ماشاهدنا صفاء الاديم ، وبروز الغزالة من وراء الغيوم ، لتحيى الامال ، وتبعث الحياة فى النبات والحيوان • وقد أشعت على الفضاء بحرارتها الدافئة فترة من الزمان حقا اغتررنا بها واستهوتنا كما تستهوى سحابة الصيف قافلة من قوافل الصحراء ، فارسلنا للراحلة عنانها ، حتى استقرت بنا تحت خيمة تقلها دعامتان ، وتبسطها أطناب واوتاد ، يسكن فى زاوية منها خرفان صغار ، وفى اخرى هرة واولادها ، وفى ناحية نساء مع اطفالهن الذين لايفترون عن النحيب والعويل ، حين كانت الطاهيات يهيئن لنا الطعام ، وقد اوقدن جذورا لعلها رطبة فملات سماء البيت دخانا وظلاما ، وفى الوسط قافلتنا المتركبة من ثمانية فأكثر ، وقد استدرنا فيما بيننا ، ويطرقنا من النواحى غثاء الحملان ومواء السنانير ونباح الكلاب الخافرة للحى ، كان كل واحد ـ عند نفسه ـ شرطى فى معقله ، تشول باذنابها كما يشير بدبوسه ، وتكشر عن انيابها كما يصوب بنادقه ومسدساته ، وتملا الفضاء بنباحها ، كما يلقى أوامره وضوابطه وهناك القينا عصا التسيار ، لناخذ منه الى مرحلة ابعد ، فحمدنا مستقرنا ، وشكرنا مثوانا ، باعتناء أرباب البيت الرافع العماد ، الكثير الرماد ، فلئن كان المجازيون يتخيلون ذلك فنحن شاهدناه حقيقة لاخيالا ولامجازا ولا كناية، ثم أرادت الطبيعة ان تحاكى جود رب مثوانا ورباته ، فارسلت سحبها غيثا مدرارا ، لم ينقطع ليلا ولا نهارا ، حتى استحالت أرض المكان زرقاء (كان لون أرضها سماؤها) وقد ضعفت سماء البيت عن الاستمساك ، حتى جعل ابن‌امكم يتلقى الوكفات بكلتاالكفين ، بعدمائقل بالابتلال من أرديتنا كل ما خف ، فكان كل ما تشتغل به ألسنتنا ترديد قولنا (اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الظراب والاكام) اللهم استجب دعاء الابوصيرى فى قوله

(على الربا والهضاب انهل وانسجم)

وأصبح كل منانا أن نجد منقشعا من السواجم لنرجع الى بيوتنا ، وقد قنعنا من الغنيمة بالاياب ، واجتوينا رؤية هذه الروابى والهضاب ، فنترجى بعدما انستنا اسواط السماء ببروقها ورعودها ، ومنهمر مائها الدائم ، ماكنا خرجنا اليه ، ان نرجع كفافا ، لا لنا ولا علينا ، ولكن هيهات أن يصحوا أديم الجو ، وان يسفر بعد ان تقنع بسحب دكناء ، فان اسفر حينا وتراءت لنا لمع

منه ، كما تتراءى لمع المحيا الوسيم ، من تحت قناع خلق تتخلله شقوق الوصاوص (١) فما ذلك الا ليرجع كرة أخرى الى تجهم جديد ، وانهما رينسى ماتقدمه ، وهكذا دواليك ، الى أن استدار ليل ونهار ، فايقنا أن الحزم يقضى بالرجوع على ادراجنا ، لان أحسن المنتزهات فى الايام المطرة الغرف الدافئة ، وقد اتكأت على أريكتها تتمتع من هناك بالجو المكفهر من نافذتك ، فابنا يومنا هذا ، وقد حمدنا سلامة الاياب ، عاقدين العزائم على أن لانعود لمثلها ابدا ، ما دامت فى السماء قزعة ، وان لايغرنا من فصل الشتاء سحاب عارض

ذلك من اعذارى أيها الاخوان ، حتى لا اشاركم فى تعييدكم ، ولكن ان شاء الله سنخلف ما اضعنا بعد العيد بيومين او ثلاثة ، فنفوز بكلا الفرحين ، ونضيف انس (الرباط) لانس (الحمراء) فنجمع بين الحسنيين ، ويعود سلامى الاذكى على جميع الاخوان والطلبة ، وتكون منه للاديب البونعمانى نفحة تليق لمقامه السامى فى الادب ، ان كان الكتاب صادفه هناك ، وابث اليه من أشواقى)

* * *

أيام كنا بفاس كانت عندنا بالبيت هرة صغيرة ، ففرط منه وهو صغير، أنه أعطب احدى أرجلها ، وهو يلاعبها بموسى او بمثلها ، فخاف ان يناله منى بذلك ما يسوءه ، فكتب الى هذه البطاقة الصغيرة ٠

استاذى واخى الشقيق :

اننى لفى استحياء عظيم ، وفى خجل كدت منه اذوب حتى سبق منى لهذه الهرة المسكينة ما سبق ، فاننى اقدم اليك ياأخى الحنون ، واستاذى الشفوق اعتذارى ، واقسم لك ياسيدى اننى ما تعمدت ما فعلت ، وانما هى زلة من غير عمد ، وهى بنت الغلط ، فاتطلب من سيدى طلب المستحيى الخائف الوجل ، أن يسامحنى وان لايواخذنى ، وأن يقابلنى بما قابل به يوسف اخوته من عدم التثريب وبالمغفرة التامة ، والسلام الاتم على سيدى واخى واستاذى ورحمة الله ١٣-٢-١٣٤٦هـ ، أخوك وتلميذك الخجول الوجل ، ابراهيم

بهذه الرسالة استطاع ان ينسل من التقريع الذى يولع به المربون القساة (نظراءى) فى أمثال هذه المواقف ، وقد كان اذذاك يعانى صناعة الانشاء ، فوجد بركة هذه الصناعة فذهبت دماء الهرة المسكينة هدرا ، وليس بالاديب من لايرق قلبه لسحر البيان ، حتى يبدر به دما، كل الهررة والسنانير (٢)

---

١) الوصواص خرق فى الستر بمقدار ما تنظر منه العين ، قال الشاعر:
وشققن الوصاوص والعيونا

٢) كان شيخنا سيدى المدنى ابن الحسنى يقول ان كلمة الهر الالمانية جمعه هررة ، والسنيور الايطالى جمعه السنانير ، ومسيو الفرنسية جمعه المساوى فيقول عن جفلة أوربية جمعت الهررة والسنانير والمساوى ٠

في تطوان

رايت الان ابراهيم بن على الذى قضى ما قضى فى (الخ) ثم فى (حاحة) ثم فى (فاس) ثم فى (مراكش) ، ثم فى (الرباط) والان سترى ابراهيم ءاخر المسمى فى تطوان (ابراهيم الالغى) فان هذين الابراهيمين متباينان على خط مستقيم ، فعهدنا به وهو تلميذ ثم استاذ اولى ، وما بين هذين الا خيط رقيق، كما عهدنا فيه اريحيا فكها سهل الاكناف معاشرا ، ينسى ان له وجودا خاصا ـ كما هو ديدن ابناء البهجة من الانسجام مع المجالسين الموانسين فى مجالس الموانسة ـ عهدنا أنه احد الطلبة المتفوقين فى النكتة ، والاخذ والرد ، والاقبال بقلبه وجيبه وعهدنا به أيضا أن له قوة على هضم كل ما يلتهمه من كتب المطالعات التى يواليها ثم يوليها كل مافيه من قوة ، هكذا كنا عرفنا استاذنا ابراهيم أمس يوم فرق الدهر بيننا وبينه أواخر ١٣٥٥ هـ ، ثم دار الزمان دوراته دورة بعد دورة ، ثم لم اتصل به الا ببضع رسائل تعاطيناها ما بين(الخ) و (تطوان) ـ توجد فى كتاب (الالغيات) ـ ثم لما انحلت عقدة النفى عنى ، وراجعت الحمراء ، وتمكنت من زيارة (طنجة) تلقانى هناك سيد وقور عصرى على ءاخر طراز ، بشوش يجارى بمقدار مايسمح به وقاره التطوانى ، والعجيب انه لو لم يقدمه لى جليس لما استرجعت معرفة محياه ، فكانت لقيا ابتلت بها الجوانح مما كان يتلظى فيها قبل من اشواق لافحة تنشأ عن ذكريات طافحة، وقد ذكر لى اذذاك أنه على نية الاقتران بسيدة كانت يراعتها اعلنت مكانتها على صفحات الصحف قبل هذا الحين ، ثم بلغنى ان ذلك قد تم على احسن مايرام، وفوق ما يرام ، ثم تتابعت السنون ، فجاء الاستقلال ، فازيلت الحواجز بين المنطقتين ، فوقعت اتصالات متعددة منه الى فى (البيضاء) ومنى اليه فى (تطوان) حيث نزلت على اسرته الكريمة ليلة هى من ليالى العمر التى لاتنسى.

وبعد فكيف ابراهيم الثانى هذا التطوانى الذى نراه الان بين أيدينا ؟ انه ذلك الاستاذ العظيم الذى قضى زهاء عشرين سنة فى التعليم والتخريج ، فقد كان اولا فى (معهد مولاى الحسن) مع الاستاذ الكبير المكى الناصرى ، ثم كان فى مدرسة حكومية أخرى ، فامكن له باكبابه وحسن نظامه ان يمر بين يديه طبقات من كل الدين استنتموا بعده دراستهم فى (اسبانية) وفى (مصر) حتى أن كل من القاه من الشباب المثقف فى الشمال يفتخر بانه من تلاميذ الاستاذ (ابراهيم الالغى) حتى أن بعض المنكتين من بعض الحواضر قال فى مجمع يوما ، ان المختار واخاه ابراهيم ينتسب اليهم فى (مراكش) و (تطوان) كل من دب ودرج ، وقد كان ابراهيم الالغى استطاع اداء هذه المهمة بتباعده ظاهرا عن التحيز الى هيأة من الهيئات ، وان كان وطنيا فى قرارة نفسه ، فتفرغ لاداء مهمته ، ثم كان لانزوائه الغريب عن المجتمعات سنين طوالا ، اثر فى

زيادة انكماشه ، حتى كان ذلك مما طبع به من صغره ، مع ان ذلك انما حدث فيه منذ انزوى فى (تطوان) ثم استطابه فعض عليه بالنواجذ ، وقد عرف هناك بالتمكن فى الادب العربى العالى ، فيتحاكم الى ذوقه وينبه على السرقات فى قصائد الشعاريير ، بل أعلن يوما عن قصيدة مسروقة من (ديوان على جارم)، غفل عنها كثيرون من المصيخين لها ، وبهذا الاكباب على الادب العربى استطاع أن يخرج كتابا ادبيا مدرسيا فى جزءين وهو مطبوع ، كما كانت له مؤلفات أخرى عربية مطبوعة كسلسلة ، فقرر الجميع للدراسة الرسمية اذذاك .

زرت مولانا الملك محمدا الخامس يوم رجع من سفرة (طنجة) المعلومة ، فقال لى . عجبا ان شابا ألقى أمامى قصيدة فى الشمال فقيل لى انه اخوك ابراهيم ، فأعجبنى فوصيت عليه الخليفة مولاى الحسن ، قلت له انه من أسرة لها عندنا مقام عظيم . هكذا قال لى الملك ، فزادت تلك التوصية المترجم مقاما الى مقام ، فنال الشفوف فى البلاط الخليفى .

تلك كلمة صغيرة عن ابراهيم الالغى التطوانى ، الاستاذ العلامة الوقور الوديع، ألذى استطاع أن يرقى نفسه بنفسه بعدما فارقنا ، فكان مجمعا عليه بين التطوانيين أخلاقا ، وحسن معاملة ، ورفع همة وعزوفا ، حتى لو عرف أن فى شرب الماء القراح ثلما لمروءته لما شربه ، وقد حافظ على كثير من مزايا أسرته من ملازمة الصلاة والتزيى بمحاسن الاخلاق ، فلا تدخين ولا اسفاف ولا معاشرة تخل بمقامه ، وله المام باللغة الاسبانية ، ولعله تمكن فيها فى جولاته الكثيرة فى كل سنة فى ذلك (الفردوس المفقود)

فى المجلس الاعلى بالرباط

جاء الاستقلال . وصدمت (تطوان) بزوال أبهتها التى ألفتها فى عهودها الاخيرة فلم يمكن بعد للمترجم ان يبقى فيها ، لانه انما كان ملتجئا اليها يوم نفيت أنا الى (الغ) خوف أن يلحق بى ، وقد تسرب اليه ان ذلك يحبك حواليه فانسل الى (طنجة) ثم الى (تطوان) فحين عاد جميع الملتجئين يحق له هو أيضا أن يرجع ، فتهيأ له ان يكون فى المجلس الاعلى للنقض والابرام ، حيث هو الان ١٣٧٩هـ ، وقد اشترى دارا فى الرباط فاستقر به القرار .

اثاره الادبية فى تطوان

بين يدى الان سجل طافح بادبياته نثرا وشعرا ، مما كان ينشر له فى ظرف عشرين سنة ، فهناك من المقالات الطنانة ، والقصائد البديعة ، ومساجلات بينه وبين معاصريه . ووصفيات شتى يصف بها مناظر طبيعية خلبته ، أما فى (تطوان) واما فى غيرها ، زيادة على قصائد المناسبات التى يقضى عليه مقامه

ان يشارك فيها ، وان كان عزوفه وانكماشه المعهود قلما يسلسان لذلك ، الا اذا لم يجد منه مناصا ، كما أن هناك موشحات وانانشيد على غرار الموشحات الاندلسية القديمة ، او على غرار شعراء المهجر الذين يظهر ان لبعضهم فى قلبه مكانة مكينة ، حتى انه ليشتغل احيانا بدراسة شعر بعضهم ٠

ذلك جماع ما أراه الان أمامي اجمالا ، وحين لم يمكن لى ان اسطر الجميع ذكرت بعضه مما يستحق الذكر لئلا يغفل عنه التاريخ ، وناهيك بكونه فى (تطوان) معروفا بالعبقرية فى الادب ، حتى كان جل دراسته فى (الثانوى) هو الادب ، وقد حاز باعماله فى هذا الميدان جوائز مرات ، وناهيك به حين حاز كتابه المدرسى فى الادب (العربى) الجائزة الاولى فى (الرباط) بعد الاستقلال وهكذا كان اديب أمس الاستاذ ابراهيم الالغى ، نبراس الادب فى (تطوان) ذا ءاثار حية ممتازة تكون أكبر شاهد على أنه أديب اليوم أيضا ، فهاك الان من بعض مقالاته اولا التى تظهر مكانته كعلامة عربى اديب مفكر ، ثم نسوق لك ما أمكن لنا سوقه من القوافى ، حتى لا نخرج من ترجمته الا وقد أدركنا من هو ابراهيم الالغى التطوانى ثم الرباطى ٠ فان الآثار الادبية هى التى تعبر عن الاديب فكرا وبراعة وأسلوبا ٠

نثر ١

هاتان كلمتان اخترناهما كانموذج من نثر الاستاذ حفظه الله ، ولعل القارىء يعجب بهما كما أعجبت أنا بهما قبله ٠

النشأة الاولى للكتاب العربي في القرن العشرين قبل الميلاد

للكتاب العربى نشأتان اولى وثانية ، فالثانية هى التى أتاحها نزول القرءان الكريم ، وكان للامويين فيها بعض الفضل ، وللعباسيين فيها النصيب الاوفى ، والقدح المعلى ٠ فهم الذين اظهروا الكتاب العربى على شكله القشيب، الذى عرف به قديما وحديثا ، وجعلوه كتابا واعيا جامعا ناسخا لما سبق ، وناهجا لما لحق ٠

اما النشاة الاولى للكتاب العربى التى وددنا أن نتعرض لها بهذه المناسبة السعيدة فهى تتقدم وتسبق الثانية بنحو ثلاثين قرنا ، توغلت فى القدم وأمعنت فى الخفاء ، حتى كادت تنسيها وتطمسها ظلمات التاريخ ، وكرور الدهور والعصور ٠

والعجب أن مهد النشاة الثانية التى نعلمها ونعقلها ، هو نفس المهد للنشاة الاولى ، فالارض التى تدرج عليها الكتاب العربى فى عهد الرشيد والمامون ، هى التى درج عليها قبل ذلك بقرون وقرون ، ففى بلد الرافدين ، او فى العراق

البلد الطيب المبارك زرع العرب الاولون الحمورابيون نتاج عقولهم ، وثمار حضارتهم ، كما فعل اخلافهم واعقابهم من بعدهم ٠

فالتاريخ يعرف ان وادى الفرات كان أسبق البقاع فى قارة أسيا الى انتاج العلوم والفنون ، منذ اقدم عهود التاريخ ، ففيما بين النهرين دجلة والفرات اشتغل أقوام بالعلم والادب ، وضربوا فيها بسهم وافر ، وتمتعوا بما لم يتمتع به احد ، فضبطوا العلوم ، ورصدوا الكواكب ، وعرفوا مواقع النجوم ومسالكها ، وسموها باسمائها ، وساروا تحت انوارها واضوائها ، والعالم حولهم فى ظلام دامس ، وليل قاتم ، كما أن وادى النيل الخصيب المريع أسبق بلاد الشرق الى النضج الفكرى ، والنبوغ العلمى ، ظهرت فيه طائفة من كبار العلماء قبل فجر التاريخ ، اى منذ نحو ستة آلاف سنة ، ونذكر بهذه المناسبة ان الحفريات وقفت هناك على كتابة منقوشة فوق قبر ، يفخر فيها صاحب القبر بأنه كان يتولى ادارة الكتب المختصة بالدولة ، فى عهد الاسرة السادسة ، أى منذ نحو خمسة آلاف سنة ، فهذا يدل بطبيعة الحال على وجود الكتب بكثرة فى ذلك العهد السحيق فى ذلك الوادى المبارك

كما عثر النقابون بوادى الفرات على (قرميدة) بابلية ، عليها كتابة بالقلم المسمارى القديم ، فيها قائمة باسماء ملوك بابل ، ومن جملتهم ملك اسمه (شرجينا) يظهر انه سامى الاصل ، عربى العنصر ، كان محبا للعلم والعلماء، راغبا فى العمارة ٠ مولعا بالكتب ، أنشأ مكتبة فى مدينة (ورقة) من أعمال العراق ، سماها مدينة الكتب وعهد الى رجل من خاصته فى جمع الكتب من كل مكان ، وندب علماء أمته للتدوين والتأليف والشرح والتعليق ، كما استعان بالعلماء من سائر الاقطار ، لينقلوا له ويترجموا ما عندهم من العلوم والفنون مثل مافعل بطليموس فى مكتبة الاسكندرية بعد ذلك بمئات السنين ٠ وكما فعل كسرى انوشروان فى مكتبة (جند يسابور) وكما فعل هارون الرشيد والمامون فى مكتبة (بغداد) ، وعبد الرحمان الناصر والحكم فى مكتبة (قرطبة) فالملك (شرجينا) يعد أول من دون العلوم والفنون بشكل مرتب شامل ، وتعد مكتبته أول مكتبة فى العالم ، ومن حسن الحظ ان النقابيين عثروا على بقاياها بين النهرين ، فى حالة لاباس بها ، فنقلت الى المتحف البريطانى فى (لندن) فهى هنالك الى اليوم ، وحروفها منقوشة على الطين بالحرف المسمارى فى ألواح من الخزف او القراميد ، ولغتها سامية بابلية شقيقة العربية او أصلها الاول ، وتعرف هذه المكتبة عند مؤرخى الاثار بمكتبة (ورقة) او بالقراميد الاشورية ، فهى وان كانت بعض حروفها مطموسة ، وبعض الواحها محطمة يمكن الانتفاع بها والاستفادة منها ٠

الا أن أعظم أثر وصل الينا من أهل بابل أو العرب القدماء ، هو شريعة (حمور أبى) المدونة فى أواسط القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد ، فهى أقدم أثر علمى باق الى اليوم بل هى أقدم كتاب فى موضوعه وصل الينا سالما كاملا لم يلحقه عطب ، ولا ناله تغيير يذكر ، فهو أثمن ذخيرة علمية على الاطلاق ،فاذا صح ـ كما هو الراجح ـ ان الحمورابيين عرب كان أقدم اثر علمى عند العرب يرجع بتاريخه الى ما ينيف على أربعين قرنا او اربعة آلاف سنة ٠

عثر على هذا الاثر سنة ١٩٠١ م فى بلاد السوس ببلاد فارس ، وجد منقوشا على مسلة طولها سبع أقدام ، من الحجر الصلد الاسود ، كتب بالحرف المسمارى المستعمل عند البابليين والمعدود أصلا من أصول الخط العربى ، ولغته بابلية قريبة من اللغة العربية ، ولا يخفى ان ما نلاحظه من الفروق والتغيرات بين اللغة والخط العربيين فى عهدهما الاول ، وحالهما فى العهد الثانى زمن الاسلام ، ليس شيئا اذا قيس بمئات القرون ، وبما ياتى على الامة من صروف وظروف ، وما تتقلب فيه من أهوال واحوال ٠ فاذا قلنا ان شريعة (حمورابى) اثر عربى ، لانعنى أنها فى منزلة الشعر الجاهلى مثلا يستطيع كل عربى أن يقراها ويفهمها ، وانما نعنى أنها عربية الجنس ، عربية الصبغة ، عربية المبدا مثل عرب اليمن القدماء ، فلا يشك احد فى عروبتهم ، وان كان لهم لسان لايفهمه العرب المسلمون ، ولهم خطهم المعروف بالمسند ، لايقراه أحد من المتقدمين ، وهم الذين قال فيهم أبو عبيدة : وما لسانهم بلساننا ، ولا كلامهم بكلامنا ، فاذا جاز هذا على أهل اليمن على قرب ديارهم ، وأدراك الاسلام اياهم جاز على الحمورابيين بالاحرى ، وحكم الواقع ٠

فشريعة (حمورابى) اثر عربى ، نعدها النواة الاولى لنشأة الكتاب العربى ، وضعت فى ترتيب وتبويب عجيبين ، كما هو الشأن فى شرائع الامم الراقية ، ودساتير الدول العظيمة رتبت فى ٢٨٢ مادة ، تناولت جميع فروع الشريعة ومسائل الاحكام ، ولا سيما شروط الزواج والطلاق والتبنى والارث وأنواع المعاملات ، فهى فى تفصيلها وتدقيقها تدل على تقدم تلك الامة فى سلم الاجتماع الى أرقى ما بلغت اليه الامم فى تلك العصور ، فمن ذلك أنها قللت من التمايز بين طبقات الامة ، فالعبيد قد يتزوجون من بنات الاحرار ، والدماء تكاد تتساوى وتتقارب ، والزوجان متعادلان ، كل منهما مسئول عن الاخر ، والتسرى باطل الا عند عدم الزوجة او رضاها ، ولا امتياز فى الارث بين الذكر والانثى ، الا فيما تدعو اليه ضرورة القيام بحقوق الانثى ، وللمراة عندهم مكانتها وكامل حقوقها ، فهى فى البيت تتولى الرياسة وعليها المسئولية ، وفى المجتمع تتمتع بحريتها واستقلالها ، وتتعاطى المهن والاعمال الحرة ، وتنخرط فى خدمة الدواوين ، وتضطلع باعباء الدولة الى غير ذلك مما يثبته ذلك الاثر النفيس ، والكتاب القيم ٠

فالحمورابيون العرب ، سبقوا غيرهم فى ميدان العلم ، وقطعوا اشواطا فى مضمار الحضارة ، وكانوا يعلمون أولادهم نحو هذا الذى نعلمهم عليه نحن اليوم ، لم يسبقهم أحد فيما نعلم الى تاسيس المدارس وترتيبها على هذا الشكل ، وتعليم الاطفال والاحداث فيها ، فلقد كشفت الاثار حديثا فى انقاض (زيبار) عن آثار مدرسة لتعليم الاطفال الصغار ، فى أول مدرسة معروفة من نوعها منذ اربعة ءالاف سنة ، وجد فيها قرميدات (الواح) عليها دروس للاطفال فى الحساب والهجاء ، وجداول الضرب ، ومعجمات ومثلها ، كما اكتشفوا فيها كثيرا من الكتب والرسائل المنقوشة على الاحجار والقراميد ، واكثرها لحمورابى وفيها الصكوك والعقود والمسائل الرياضية ، والارصدة الفلكية والنصوص التاريخية والادعية الدينية ، مما يدل على شغف القوم بالعلوم وسبقهم الى التاليف ووضع الكتاب

ولكن • هل الحمورابيين عرب على التحقيق ؟ فهل لنا من الادلة ما تقوم به الحجة ؟ ويدعم دعوانا على أنهم أول من وضع الكتاب العربى ؟

وددنا أن لو وجدنا المجال فسيحا ، والوقت متسعا لنبسط الكلام فى هذه المسألة ، ونستعرض أقوال المؤخرين والاثريين فى هذا الصدد ، ولكننا لضيق المقام نجمل القول ، ونكتفى لاثبات دعوانا بالشواهد الاتية :

الشاهد الاول ـ اتفق اهل الانساب على أن دولة الحمورابيين سامية الاصل ، ثم اختلفوا فى نسبتها الى شعبة من شعب الساميين ، وكان ممن عدها فى العرب الكاهن الكلدانى (برسوس) مؤرخ الكلدان ، ودول العراق القديمة فقدعد الحمورابيين بين الدول التى حكمت بابل،واشار الى انهم عرب،و(برسوس) هذا خبير بتاريخ بلاده ، أدرى به من سواه ، هو مؤرخمحقق قديم ، من اهل القرن الرابع قبل الميلاد ، عاصر الاسكندر المقدونى ، وكان عالما باليونانية، وبها ألف تاريخه عن بلاده • وهو مرجع جميع المؤرخين لتلك الديار ولما جاءت الحفرية الحديثة وظهر علم السلالات وأصول الشعوب تبين ان(برسوس) مصيب ، وأن الحمورابيين عرب •

والشاهد الثانى ـ ان المؤرخين أطبقوا على ان الحمورابيين قدموا من غرب العراق ، وأنهم من البادية ، غلبوا السومريين على ملك العراق ، وورثوا حضارتهم وملكهم ، فهذا يشبه بطريق القياس والمقارنة ، ماكان عليه بنو لخم وغسان قبيل الاسلام ، اذ كانوا يعيشون على تخوم العراق والشام ، وينالون من ملك كسرى وقيصر شيئا فشيئا ، ولما سنحت لهم الفرصة بظهور الاسلام انقضوا على ملك فارس ، وأسسوا الدولة العباسية الشامخة البنيان الموطدة الاركان ، فلا يبعد أن يكون عملهم هذا سبقت له بادرة ، وكانت له أمثولة فى ذلك الزمن الغابر •

والشاهد الثالث أن لغة الحمورابيين التى خلفوها وكتبوا بها قرميداتهم وشريعتهم ، شديدة الشبه باللغة العربية ، قريب بعضها من بعض حتى لاتدرى أيهما أصل للاخر ، فأصول الكلمات ، وقواعد التركيب متماثلة متقاربة ، من ذلك أن حركات الاعراب الثلاث (الرفع والنصب والجر) توجد فيهما على حد سواء ، وكذلك التنوين ، فانه فى لغة بابل ميم ساكنة ، وفى العربية نون ساكنة • وهما تتبادلان وتتناوبان ، كما هو معروف ، وكذلك علامة الجمع فهى فى البابلية (ون) كما فى العربية وكذلك كلمة (ذو) فان البابليين يستعملونها للموصول بدل (الذى) فكذلك قبيلة طىء تستعملها وتقول (فلان ذو سمعت) اى الذى سمعت ، قال شاعرهم :

فان الماء ماء أبى وجدى وبيرى ذو حفرت وذوطويت

اى بيرى التى حفرتها وطويتها ، فهذه لغة اثرية ، تدل على شدة اواصر القرابة بين العرب والحمورابيين •

والشاهد الرابع ــ أن أسماء ملوكهم عربية التركيب والمعنى ، فأولهم يدعى (ساموابى) اى أبو سام وسادسهم يدعى (حمورابى) اى أبو حمور ، وهذا اعظمهم واليه ينتسبون ، وثامنهم يسمى (شمسوايلونا) اى الشمس الهنا ، ومعروف ان البابليين كانوا مقترنين بالاجرام السماوية فعبدوها ، وفيهم بعث الله سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ، وكذلك كشفت الحفريات عن أسماء اخرى تشبه الاعلام العربية تماما ، فهم كانوا يسمون عبدو ، وشمسو، خليلو • وأبو فلان وعم فلان • واخو فلان • وبلال • وسمعة • وأسماء أخرى• تشبهها لفظا ومعنى • ومعلوم ان الاسماء والاعلام تدل على جنسية أهلها ، وحقيقة مسمياتها •

وبالاجمال فان الادلة على عروبة الحمورابيين كثيرة وفى تزايد ، كلما تقدمت اعمال الحفريات ، وربما كشف لنا الغد القريب ما نجهله اليوم ، وربما ازاح الستار عن حقائق أخرى أعظم مما ذكرنا ، فما نعلمه من أخبار العرب القدماء لايعد شيئا اذا قيس بما نجهله ، ولاشىء أفيد فى هذا الباب من الاثريات فهى تاريخ القوم وسجلهم المكتوب الموثوق به ، فاذا تضافرت الادلة على عروبة الحمورابيين وثبتت بشكل اجماعى مقطوع به ، ثبت بالتالى ان النشأة الاولى للكتاب العربى ترجع لما قبل القرن العشرين من الميلاد ، فيكون هذا فخرا عظيما للامة العربية ، ولكتابها الخالد •

ولقد كان جرجى (زيدان) فى جميع ما كتبه عن العرب قبل الاسلام وعن ادابهم وتمدينهم يرجح ويؤيد ان الحمورابيين عرب ، وان كتبهم وشريعتهم تعد الاصل الاول ، او النشأة الاولى للكتاب العربى ، وهو حجتنا وكفى به حجة

تطوان ١٩ ابريل سنة ١٩٤٧ م

أزمــة أدبية خانقة فهل لها من نهاية ؟

ليس اشتداد الازمات والتشكى منها والتصدى لها ، هو مبعث الاسى والاسف منا ، فازمات الحياة لا تنقضى أبد الدهر ، تنفرج حينا ، وتشتد حينا • تبعا لتقلبات الزمن • ولمده وجزره المتعاقبين • وعسره ويسره المتناوبين

وانما الذى يبعث الالم حقيقة ، ويدعو الى مزيد الحسرة وعظيم الاسف، ان تقوم فى البلاد أزمة خانقة ، وتعظم بلواها ولأواها ، وتأخذ بالانفاس مـن سائر الناس ، وتسبب لهم كبدا ونكدا أينما ساروا وأينما حلوا ، فى الشمال والجنوب ، فى الحواضر والبوادى ، فى المداشر والمدائن ، فى الاسواق والطرقات فى البيوت وسائر المنتديات ، ثم لانجد من يتفطن للبلوى ، ويجأر بالشكوى ويرفع عقيرته مناديا لكشف الغمة ، وتفريج الازمة •

فاذا أصيب المرء بداهية ، وهو لايدرى من أين أصيب ، فهنالك الطامة الكبرى ، والفجيعة العظمى وكذلك الشخص الذى يحسب أنه معا فى سليم مع اصفرار لونه ، وتغير سحنته ، فهو لا محالة هالك ان لم يتفطن لما ينخـر جسمه ، وينهك قواه ، واذا طال البلاء بشخص دخل فى طبيعته واستطاع ان يتحمله مع مرور الزمان ، وقل أن يشكو منه ، ويابه له ، وقديما قال الشاعر العربى الحكيم ، وهو المتنبى

من يهن يسهل الـهـوان عليـه ما لجـرح بميت ايـلام

فالى هذا نرد هذه الاستكانة الظاهرة من حال شعبنا البئيس المحروم، فكأنها راحة الموت ، او رقدة على حسك السعدان استطابها من طول المران، الا انه ـ والحمد لله ـ بدا يتململ ويطرف ، ويريد القيام بعد هـذا السبات الطارئ ، والركود الفجائى

أصيب هذا الشعب بعلل شتى ، وأمراض كثيرة ، لم يتفطن لمعظمها، ولم يعمل للخلاص منها الى الان الا قليلا ، أشدها هولا فى نظرى هذه الحالة النفسية المنقبضة المتجهمة ، التى استولت عليه منذ زمن بعيد ، والتى يرجع سببها فيما أرى الى الفقر الادبى ، والعوز الروحى ، مما سميناه (الازمةالادبية) فلقد أصيب بها وسطنا ، واشتدت عليه وخنقت منه الانفاس ، وجعلته لايشعر الشعور الكافى ، ولا يحسن الاحساس القوى ، ولا يتاثر بما يحيط به مـن أحداث وكوارث •

فأية أزمة أضر بالامة من ان تعيش وهى محرومة مما ينمى فيها المدارك، ويحيى المشاعر ، ويؤجج العواطف ، ويحرك الوجدان ، وكوامن النفوس ؟

وأية أزمة أشد هولا من هذه الازمة الادبية التى ثقلـت علينا وطأتها ، وطال علينا أمدها حتى كان ليلها ليس له صباح ولا لمقامها براح ؟

فهل تستطيع أمة على ظهر الارض أن تحيا ـ ولو حياة سطحية مجردة ـ من غير ان تغذى عواطفها كما تغذى أبدانها وعقولها ؟

فالغذاء الادبى ضرورى للحياة البشرية ، لاغناء عنه أبدا ، فمن حرم منه حرم من زيت الحياة ، ومن اكسيرها وسرها اللدنى ، فالحياة الحق لاتاتى من شرايين الجسد ، ولامن لفائف الدماغ ، وانما تتفجر من ينبوع النفس ، وتتدفق من قرارة القلب ، ومن سريرة الوجدان ، فهذه الاسرار او الازرار على الاصح لايمكن ان تعمل بجد ونشاط ، وتفيض قوة واقتدارا ، وتنبض بالحياة الحارة، الا اذا تعهدت وتفقدت ، وأطعمت من قوتها الروحى ، ومما تشتهى من غذائها الادبى ، واذا أهملت وأسىء اليها تقلصت وتبلدت ، وشلت الجسد ، وعطلت الدماغ ٠

لاأدرى لم يكدح الناس عندنا طول يومهم ، وهم فى تعب ونصب لايوصفان حتى اذا عادوا الى بيوتهم جاءوا وفى أيديهم ما يملأ الموائد ، ويتخم البطون ، ويجعل أجسامهم وأنعامهم سواء ، وقل فيهم جدا من يتنبه لحاجاته النفسية عند عودته الى المنزل ، فيمر على المكاتب والنوادى والمراكز الادبية ، فيتزود منها ما يقضى به سحابة يومه ، ويروح به عن نفسه وأهله ، ويجدد به نشاط غده ، فهذا شأن الناس عندنا ، يعيشون فى أزمة أدبية ، وجوع نفسى دائم٠ وهم لايشعرون ٠

واذا أردت شاهدا آخر على ذلك فانظر الى بلدتنا هذه وهى ام المدن لدينا استعرض شوارعها وأزقتها ، وابحث عن مكتبة واحدة عربية عصرية ، تمد المواطنين بما يحتاجون اليه ، وتسهل لهم أخذ ما يريدون باثمان معتدلةمعقولة فانك لاتجد ولو مكتبة واحدة من هذا القبيل ٠ فى حين انك تجد متاجر لا تحصى ، كدست فيها البضائع من كل صنف ، المجلوبة من كل أرض ، حتى من الشرق الاقصى ٠ والجزر النائية ، ولو وقفت مليا بأبوابها تنظر الى الزبائن الذين يرتادونها ، لرأيت أن معظمهم من نسائنا ورجالنا ، وفيهم الجبليون والقبليون بكثرة ، فهم الذين يروجون البضائع على اختلافها ، ويستهلكون جميع المعروضات مهما غلت وارتفعت أثمانها ،الا ما كان من المكاتب وماأليها فلا يكاد أحد منهم يعرج عليها ، ويساوم ما فيها على قلته وندورته ٠

اليس هذا دليلا على فقرنا الادبى ٠ وهزالنا المعنوى ؟ أليس أن الناس يمتدون ونحن ننكمش ، وحياتهم تنمو وتعظم ، ونحن نتقلص ونتفانى ؟

كنتفى يوم قريب مع جماعة من أهل الفكر والنظر ، دار بينهم الحديث حول ارتفاع تكاليف المعيشة اليومية ، فصاروا يقدرونها ، ويضعون لها مقدارا وسطا ، وعدوا فى المصروف اليومى كل ما يمكن أن يشترى من السوق ، حتى الثقاب والمكنسة (الوقيد والشطابة) وعجبت حين لم أسمع احدا منهم ذكرثمن

صحيفة او رواية او كتاب أو قلم أو تذكرة سينما ، او اسطوانة وشبهها ، فقلت فى نفسى أين هؤلاء السادة من لوازم الحياة الحق ؟ ما بالهم يلبون جميع مطالب الجسم بسخاء واعتناء ، ولا يولون جانب النفس أية اهميـــة ، ولا يعيرونها أدنى التفات ؟ ألم يسمعوا بقول الشاعر النصوح :

عليك نفسك فاستكـمـل فضائلها فانت بالنفس لا بـالجسم انسان

ان سواد الناس بيننا لايلقون البال لحالتهم المعنوية ، وغريزتهم النفسية، فلا يمتعونها بما يصلحها ، ولا يرفهونها بما يدخل السرور عليها ، ولايهذبونها بما ينمى ملكة الخير والنزوع عن الشر فيها ، وهم فى هـذا الاهمال صنفان متباينان :

صنف متزمت رجعى متحجر ، يتجاهل طبيعته ، ويكبت عواطفه ، ويحاول أن يخنق أنفاس نفسه • ويقتلها شر قتلة لو استطاع ، يريد هذا الصنـف المتطرف ان يغير خلق الله ، ويحرم نفسه متعة الحياة وبهجتها ، فلا ينفك فى صراع عنيف معها طول حياته ، الى ان يسقط صريعا مخذولا ، ولو كان أرخى العنان لنفسه بمقدار ، وصرفها بحكمة وتبصر ، واسامها حيث يطيب لها المرعى وهو حذر يقظ ، لكان أنفع له وأقوم ، الا أن هذا الصنف جد قليل ، وفـــى تناقص مستمر •

والصنف الثانى هم الذين يفتحون الباب على مصراعيه ، ويندفـعـون كالحمر المستنفرة فرت من قسورة ، ويهيمون تحت تاثير عواطفهم الجامحة، وغرائزهم المشبوبة ، لاسلطة لهم عليها ، ولا يملكون معها نقضا ولا ابراما، فلجامها قد أفلت من أيديهم ، وزمامها قد تقطع بهم ، تسير بهم فى جموحهاالى الهاوية ، وتدفع بهم الى المصير المحتم ، فهؤلاء مع الاسف هم السواد الاعظـم، والكثرة المطلقة ، وهم أشبه بالحريق الهائل الذى يجتاح بلدا ، ويلتهم كل ما يلقى من حديد وحجارة •

واما الصنف الوسط الرشيد الذى يعرف كيف يصنع من الطين خزفا، ومن العجائن الكيماوية زجاجا شفافا ، ويتخذ من الغرائز البشرية قوام الحياة واسها المتين ، فهؤلاء هم الذين نبكيهم وننديهم ونتطلبهم ، فالحياة بدونهـم متعطلة ، والاعمال مختلة ، والقيم مفقودة ، فلا يرجى لامتنا كيان مالم يكونوا هم سادتها وكبراءها • ولاسبيل الى العمل المثمر ما أنكرناهم وتجهمنا لهم ، فالادب بمعناه الواسع ترياق النفوس ، ولقاح القلوب ، وغذاءالارواح ، ونور الحياة • فمن اخذ منه اخذ بحظ وافر ، ومن اهمله وجهل قيمته خسر خسرانا مبينا •

وعلى من ياترى تقع مسئولية هذا الاهمال ؟ أعلى أفرادنا وجماعاتنا ؟ ام على رؤسائنا وأولياء أمورنا ؟

الحق ان المسئولية تقع على الجميع ، يتحمل الكل منها نصيبا مفروضا، ولا سيما في الظروف الراهنة ، التي لايمكن للفرد ان يعمل عملا ما ، من دون جماعة تؤازره وتشد عضده ، كما ان الجماعة بدورها عاجزة لا محالة ، ان لم تكن تلقى المساعدة الفعالة من لدن الهيئات العليا ، ومن بيدهم زمام الامور، ودفة الحكم ، فلابد من التضافر والتعاون المشترك في مضمار رفع معنوية الشعب ، وتحسين حالته النفسية بالطرق المثلى ٠

فعلى الافراد ، وخصوصا المثقفين منهم ان ينشطوا لانارة سبل الحياة في وجوه مواطنيهم ، ويزيحوا عنهم كابوس السآمة واليأس ، ويعلموهم كيف يبتهجون ويستبشرون وكيف يستفيدون مما حولهم وكيف يكشفون معالم نفوسهم ودخائل سرائرهم ، ويعلموهم ان لكل شيء قيمته ان أحسن استعماله وانجز على الوجه الاكمل والافضل ، وللوصول الى هذه الغاية يتحتم عليهم ان يهبوا للكتابة على اعمدة الصحف باقلامهم الرشيقة ، واساليبهم الرقيقة ، متجنبين ـ ما أمكن ـ تلك الموضوعات السخيفة المبتذلة ، التي طال الكلام حولها وملها الناس وسئموها ،فيبتكروا للعامة والخاصة موضوعات طريفة ، تتصل بالحياة الواقعية ، وبميول الشخص الطبيعية ، وشعوره الصادق ومذهبه الذي يراه ، ولا باس بتقليد الغربيين وبعض الشرقيين ، في هذا النوع من الانشاء الحديث ، فلهم فيه ءايات بينات تفعل في النفوس ما لا يفعله (قفانبك) ولا (هاتها ياساقي) ، وعليهم ان يتخذوا الرواية ، واحسن القصص ، خير اداة لتهذيب الجمهور ، وتاديب العموم ٠ فهي خير ما ينبه المشاعر النائمة ، ويقرب اليها المثل العليا ٠

وعلى الجماعة ان تتقارب وتتعاون في هذا الصدد ، فتسعى لخلق نهضة أدبية كبرى في البلاد ، وذلك بمديد المساعدة الى الصحف ، والعطف على ذوي الاقلام ، وتشجيع الادباء والمؤلفين ، وعليها ان تنفق بسخاء ولا تبخل بالمال اللازم لتاسيس المطابع ، ودور النشر ، وفتح المكاتب وجلب الكتب وترويجها بين سائر الطبقات ، وفي ضمن ذلك جلب الافلام وعرضها في كل مكان ، واذاعة الاحاديث الادبية ، والاسطوانات الجميلة لاعظم الموسقيين ، فالموسيقى المؤثرة خير ما يبعث النفوس ، ويوقظ الاحساس ، وينبه المشاعر ، ويغذي الروح ، ويقوى الامل ٠ فعلى الجماعات ولاسيما الاغنياء منهم ـ واجبات أدبية كثيرة ، لايعذرون في القيام بها ٠

وبعد ذلك وقبل كل شيء يلقى الشطر الاكبر من المسئولية على كاهل أولياء الامر ، فعلى من ولاه الله أمرنا أن يهتموا بامورنا ، ويعملوا لاصلاح شئوننا من جميع الوجوه ، عليهم ان يمهدوا السبل لكل من يريد أن ياتي بعمل نافع ، لتاديب الشعب وتهذيبه ٠ فلا يرفضون طلبا يقدم اليهم فيه الخير العميم

ولا يعرقلون سعيا حميدا يصدر من فرد او من جماعة ، بل عليهم ان يحدبوا عليهم ، ويشجعوهم ويعينوهم ، ويكافئوهم احسن مكافاة ، فكما ان اولى الامر يرعوننا ويسهرون على سلامتنا ، وييسرون لنا الاوقات والحاجيات ، فعليهم كذلك أن يعتنوا بالبواطن ، كما اعتنوا بالبطون ، ويملئوا القلوب ، كما ملئوا الجيوب ، ويطعموا النفوس ، كما أطعموا الجسوم ، فالطفل عند تربيته وتقويمه لايحتاج الى حليب وشكلاطة وحلوى فحسب ، بل لابد من تانيسه وتهذيبه برسوم ولعب رمزية ، تقدم اليه فيها صلاحه وارشاده وتوجيهه ٠

نريد من أولياء أمورنا فى جميع المناطق ان ينفسوا عنا خناق هذه الازمة الادبية ، ويسهلوا لنا الغذاء الروحى ، كما سهلوا لنا الغذاء البدنى ، ويهتموا بحالة الشعب المعنوية ، كما اهتموا بحالته المادية ، ويخلقوا لشئونه الاجتماعية مصلحة ، او وزارة تعمل لانقاذه وبعثه من جديد فوق مسرح الحياة ٠

شعـر ٧

رأى القارىء من النثرين ما يتوسم به مكانة المترجم فى سماء النثر العربى ، علميا كما فى (المقالة الاولى) وأسلوبا وحرارة تفكير كما فى (المقالة الثانية) ، وهانحن اولاء سنعرض أيضا من قوافيه ما يجلو أمام المطالع أفلاما متنوعة ، مما يجول فيه خيال شاعرنا الموهوب ، مقتبسين من كل نوع طاقة وسنذكر ما نذكر بعناوينه ٠

مناجـاة القريض

ايه يا شعر أين أنت فما أهنـــ ـأ لما أراك عنى بعيـدا ؟
انت روحى وانت متعـة نفسى لا تذرنى فى الناس فردا وحيـدا
طالما طبت لى وكنـت سميرى وقضينا معا زمانـا سعيـدا
طالما صغت جوهرا من لآليـــ ـك فجاءت فى النظم عقدا فريدا
ولكم بت شاكيا لك بثـى نتعاطى الدموع والتسهيـدا
وخلونا عـن الانام فمـا نبصـ ـر من غيرنا رقيبا عتيدا
وهصرنا من الخيال افانيـ ـن كما تهصر الاصابع عودا
وعصرنا من القطائف أكـوا بـا كما يعصر الورى عنقودا
وشربنا ولم نـزل نترع الكـا س الى ان نملهـا ونعـودا
وغدونا ونحن فى حلل البشـ ـر كان قد كنا نقابل عيدا

* * *

حبذا انت متعة وحبـورا وسرورا لاينقضى وسعـودا
انت آنستنى وأوفدت نحوى من مغانيك كل يوم وفودا

انت امددتنى وآزرت ظهـرى بجنود تترى وتتلو جنـودا
أنت بوأتنى لـديـك مقـامـا لايدانى ولا يـرام حـمـيدا
فاذا شيئت خلتنى شاعر الـدهـ ـر ولو فندوا به تنفيـدا
وزعمت (الخليل) دونى و (شوقى) فرقد الشعر رفعة وصعـودا
ان هذا القريض يقبل دعوى الكـ ـل لا يقتضى عليها شهودا
فشهودى عدلان • قولى وفعـلـى وهيامى اذا أردت المزيـدا

* * *

ما عرفت القريض فى الكون الا ويداه تفيض بـرا وجـودا
من أتى بابه (خطيبا) يجبـه وينـل عنده خرائـد خـودا
قد سبانى وطاب لـى فيه رقـى من سباه الجمال امسى سعيدا
فاذا مـا أهاب بى ودعانـى لم أجد دون ما يريد محيـدا
انا عبد القريض ما دمت حيـا بين أهلـى وما عرفت الوجودا

تطوان فى ١٩ مارس ١٩٤٧

الهـلال الابيض

أنال الانام جميـل الادب هلال بدا فى سماء العـرب
هلال يـزيـنـه حاجـب يشير الينا بطرف خـلـب
فها القوم يرتقبـون سنا ه اكرم به من سنا مرتـقـب
اذا ما رأوا فى العلا قوسه علاهم هتاف الـرضا والطـرب
وتحدث فيهم أشعته أنـ ـتشا عجزت عنه بنت العنب
يصافح أيديهم بالـنـدى وينثر فيها ثـمـار الدأب
ويذكى بأنفسـهـم هـمـما تناوئى صرف العدا والنوب
ويبعث فيهم كمين الرجـا لكـى يعملوا ويوالوا الطلـب

* * *

كذلك يشرق هذا الهـلا ل فتشرق منه المنى والرغـب
فقـى كـل شهر تألـقـه يمد الحياة بأقوى سبـب
وفى كـل عام تـجـدده يفيض عليها الجدا ويهـب
فتمضى شهور ، وتمضى سنـو ن ، عجلى كطير بماء نغب
فتخلفهـا ذكـريـات كـمـا يدل على الحسن وشم ذهـب

* * *

يذكرنا بـقـرون خلـت وابقت لها ذكريات عجب
زمـان تألـق هـذا الهـلا ل فى الافق،فوق السها والشهب
وكان بـنـو يعرب هالـة لغرته فى ثنايا السحب

فشعشع نورهـــم فـي البـلا د ، جاب معالمها وغلب
وكانت لـهـم دولـة لايغيـــ ب عنها الهلال فيحرسهاعن كثب
وكان الهلال لـهـم شارة يرفرف فـوقهم ويجـب
ويرشدهم لسواء السبيـــ ـل يدفعهم لاكتساب الغلب

* * *

يذكرنا بخلاص النبـــ ـي من هول شرك عليه انقلب
غداة تـفيـاه المصطفى وهاجر فـي ظله واغتـرب
وصاحبه يفـتـديـه بما يعزه مـن نفسه والنشـب
فآوتهما (يثرب) بعد مـــا أبت (مكة) أن تكون رحب
ومن (يثرب) قد اشع الهـــلا ل ، سارت جحافله والركـب
فلله در الفـتـى عـمـر وما هو الا الفتى المنتخب
فارخ من هجرة نسخـت قرونا مضت قبلها فى حقـــب

* * *

أتانا المحرم مفـتـتـحا لعام جديـد عـدتـه الكرب
أطل بطلـعتـه كالبشيـ ـر ، تقرأ فى وجهه ما يجب
فنامل فيه انتشار السـلا م بين الانام ، ومحو الحرب (١)
ونسمو ، ونحيا حياة الرخـا ء فيه ، ونعلو سماء الرتـب

فيا كتبي . هنيئت . يومك باسم

الا ليت شعرى هل أنال امانيا ؟ تقضى زمان وهى منى كما هيـــا
لعمرى لقد ضاعت أمان كثيرة وفاتت ، فما أمسيت عنهن باكيا
وذكرنى عيد الكتاب • وانـه يذكر منـــى • لاخليا وناسيـــا
تمنيت فى الدنيا رجاء • وانـــه اذا شاء رب الناس ، يبدو مواتيا
أنال ثراء • لالانفـق ريـعـه متاعا وامتاعا • فذاك ورائيـــا
ولكن لاقنى مكتبا وخـزانـة تضاهـى اللواتى يشتهرن بواقيا
تضم من الاسفار ما لو وجدته لكـنـت به أزهـى وأنعم باليـا

* * *

تمن أخى الدنيا ضياعا واربعا وانفق لترضى شهوة ونوازيـــا
وأما المنى منى فلم تعد أننى أرى ما حييت للكتاب مناجيا
أناجيه تارات ، وطورا أبثه همومى واحزانى ، واشكو شكاتيا
فياليت أيامى جميعا بجنبـه يبادلنى منه حديثا حلاليـــا

---

١) الحرب محركا : النهب

هواى هواه والفـؤاد فـؤاده ... فما ان ترى منا لسانا مداجيا
الا حبذا من انسه ووصاله ... اصائـل مرت بيننا ولياليـا
وان زمانا قد قضيت ومؤنسى ... كتابى ، زمان طيب قد سبانيا
اذا ما جلسنـا مجلسا نستطيبـه ... ادانـى وايـاه سقيـا وساقيـا
ستبلى الليالى والسنون ودهرها ... ويبقى كتابى فى التجدد زاهيـا

* * *

اقول لاصحابى اليـكـم فما لكـم ... بقلبى مكان مثل مـا لكتابيـا
أرى خيرهم عنى بعيدا وخيره ... يتاح قريبا كالغصون دوانيا
لادنى من الكف اليمين واختهـا ... وأدنى من الحبل الوريد مجاريا
يكلفنى الناس الرياء ، وانـــه ... يكلفنى الود الصريح المصافيا
فاوليته منى ودادا ومـوثـقـا ... وأوليته فى المعضلات قياديـــا

* * *

فياكتبى ، هنئت يومك باسم ... اغر ، فلا زلت السحاب المغاديا
فهل أنت الا المزن يهمى بصوبـه ... يرد الصحارى جنة والفيافيا
وما أنت الا الروح والنور والشذى ... يبث الخزامى تارة والاقاحيا
أقول وقد القيت فى الكتب نظرة ... جزى الله كتبى خير ماكان جازيا
فتلك التى حيت بفكرى ميتا ... وتلك التى احيت عظامى البواليا
رهينة بيتى لا تغادر ركنها ... ولو كنت عنها رغـم انفى ، نائيا
فطورا اراها تحت ابطى رفيقة ... وطورا بجيبى او خلال ثيابيا

* * *

وانى لاهوى الكتب اذ قيل أنهـا ... لنعم المصطفى والخليل الموالیا
وما زلت ذا شوق الى ما هويته ... وقلبى مشغوف ، وان لا تلاقـيـا
ولا زلت استقى سحائب ودها ... واطمع نفسى أن أنال رجائيا

٢٣ ابريل سنة ١٩٥٠

دمعة على فقيد الاسلام سيدي احمد الزواق

(كان المترجم اخذ قليلا عن هذا الشيخ ، فكان للشيخ نحوه حنو ، وربما زاره فى بيته ، اظهارا لحنوه عليه ، ولذلك قام المترجم بالواجب عليه فرثاه بهذه القصيدة)

الا قدعوا دمعى الهتون يسيـــح ... دعوه فقلبى بالمصاب جريـح
بكاء لعمـــرى ما بكته (تماضر) ... على صخرها وما بكاه (ذريح)
تفجر حتى لم أجد له مدمعا ... يسـيـل ولا صدرا لدى ينـوح

فكيف وانا امة لم تـــزل بها صروف الليالى تعتدى وتبيح
أباحت حمانا اليوم فى حين غفلة فما احد الا وهو كسيـــح

* * *

وقفت أعـزى القوم ممـا أصابنا فألمنا ان العزاء قـروح
وان الفقيد ليس فردا من المـــلا ولكنه ركـــن الانام يطيـح
اراه مـــن الاسلام نفسا ومنطقـا وانسانه اللماح حيـث يلوح
أراه العلوم الراسخات وانـه شريعتنا المثـلـى عليه تصيـح
فذاك ابو العباس انسان عيننا بلى انه نور تلالا وروح
وذا أحمد الزواق خل مكانـــه وغيبه عنا المساء ضريـــح
مضت منه أجيال وعصر وامـــة وتاريخ عهد لايـزال يـفـوح
مضى العالم النفاع فالعلم بعده حزين الحشا مكلومه وطريـــح
مضى والقوانين اللواتى احبها وأفنى بها العمر الطويل تـنـوح

* * *

تبارك ربى عاش تسعين حجة وخمسا ، على الحالات وهو صحيح
صحيح الحجا والعقل والدين والتقى وسالمها هادى الجناب مريـــح
تازر بالتقـوى مديد حياتـه فلم يجترح ، والعاديات جروح
ومازل فى مضمار فتوى ، ولامشى الى شبهة تعدو الهدى وتشيح
لقد خاف أمر الله فى كل موقـف مخافة من بالدين كـز شحيـــح
وما كان الا الدين والعلم والرضا ثـلاثتها أس عـليـها صروح
قضاء (أياس) فى نزاهـة (أحمد) وصولة (فاروق) اذا ما يتيح
أقام على رغم البغاة شريعـة تؤول فيهم والكتاب صريـح
فكم حجة أصمى بها الجوروالهوى وأنصف مظلوما دهاه كلـوح
فلله ما أبـقـى ، ولله ما بـنـى بناء يدوم الدهر ليس يزوح

* * *

ولله جثمان مسـجـى تـحـوطـه ملائكة الرحمن تغدو ، تروح
ترحب بالشيخ الجليل حفية بمقدمه تهفو لـه وتبوح
وتدعو له بالبر والفضل والرضا وتنبئه ان الـثـواب ربـيـح
وان جنـانـا فتحت وتهيـأت بها مقعد صدق لـه وفسيـح
عليه من الرضوان منهل رحـمـة تسح على أجدائـه وتسـيـح

* * *

تهنئة وترحيب بجلالة الملك

(ألقيت أمام الملك الهمام محمد الخامس يوم تلقاه الخليفة مولاى الحسن في (أصيلا) حين مر الى (طنجة) التى صرح فيها تصريحه الذى منه ابتدات الازمة المشهورة) ٠

أى يوم وأى حفل ومشهد ... هو يوم مؤرخ ومخلد
ياله منظرا وروعة مرأى ... يحسر الطرف دونه وهو يشهد
منظر يبهر النفوس ويلقى ... هيبة فى الفؤاد مهما تجلد
مظهر الملك والمهابة والتا ... ج ، فاعظم به وبالخلق حشد
دونه مظهر الشموس اذا ما ... تترقى فى أفقها وتصعد
اين منه الخضم يزخر بالمو ... ج ، وفيه الدوى أرغى وأزبد
وضئيل لديه ما تبصر العي ... ن اذا أبرق الفضاء وارعد
منظر رائع ، وفيه جمال ... وجلال ، وهيبة تتزيد
محفل يخصب الخيال ، ويغرى ... كل فذ بنظم در منضد
كيف لى أن أكون أول من ابـ ... ـدع ، اوأحسن القريض وانشد
ليت شعرى بأى لفظ أؤدى ... ما بنفسى ، وما له العين تشهد
عشيت عين كل راء فما تبـ ... ـصر نورا بدا لها يتوقد

* * *

ما راينا حتى راينا بساطا ... لسليمان عصرنا يتمدد
مركب هائل يقل عليه ... موكب الملك والجلال وسؤدد
قد أحاطت به ملائكة اللـ ... ـه كما قد يحاط سيف مهند
ورعته من العناية أسرا ... ب تراءت من كل أروع أصعد
ضربت حوله نطاق قلوب ... له تهفو وتشرئب وتجهد
أحسب الخلق حوله مثل سمط ... لؤ لؤ حول لبة تتورد
هتفوا ، صفقوا ، وما ذاك الا ... بعض مافي النفوس فالشوق أزيد
موكب حافل عظيم ، ففيه ... سيد منذ كان ، كان يسود
فيه فرع من دوح ءال على ... فيه فخر الزمان ، فيه (محمد)
ملك تيم القلوب ، ففيها ... يتبوأ من حبها خير مقعد
بادل الناس بالمحبة أخرى ... كل شيء من نفسه يتولد
ملك مفرد فماله في الملـ ... ـك نظير فهو اوحد مفرد
ما رأى الناس مثل أيامه البيـ ... ـض ، تجلت للناس أهنا وأرغد
ما رأوا مثله مضاء وعزما ... وثباتا فى الخطب، والخطب اسود
فحبوه من الوفاء المصفى ... ومن الحب والولاء المؤكد
ملك مقسط همام جرىء ... خير من قد بنى وأعلى وشيد

البس (المغرب) الاشم لبوسا ضافيا حاكه التفانى واوجد
وكساه من المعارف حتما حللا لاترث ، بـــل تتجدد
همة تعشق الكمال وتسعى لاكتساب العلا وذكر مخلد
فاذا شاء غيره عرض الدنـــ ـيا تصدى يريد ما هو أفيـد
همة لو تقاس بالدهر يومـــا كانت الهمة التى هى ابعـد
صير الذل عـــزة وانتصارا واقام الانقاذ صرحا ممرد
حرر العلم من قيود ثقال ثم القى بالجهل فيها وقيد
كل يوم للعلم صرح جديد وبناء للمكرمات يشيـــد
قد أمد الاله فى عمر شعب كاد يفنى وكاد بالجهل يلحـد
وقضى فى الخمول دهرا طويلا فاقدا مطرفا لديه ومتـلد
كيف يبغى قوم مساومة المجـ ـد وسوق العلوم فيهم تكسد
قيض الله من يروم خلاصا ويفك الاغلال فكا مـــؤبد
عاهل حازم مطاع اميـــن أمره حـكـمة ورأى مسدد
ان رأى مغنما أتاه واغيا او رأى منكرا أقـام واقعد
عزز الدين كله مستقيمـا ومقيما فى الناس شرعة (احمد)
وعليه من التواضع تـاج ومن النسك عسجد او زبرجد
عود الخلق فضله ونـداه نعم مااختار ، نعم ماقد تعـود
وهب المال بالالوف ولم يحـــ ـسب حسابا لما يفوت وينفد
اشترى مـايدوم بالعرض الفـا نى ، فمرحى لصفقة هى ارشد
بالذى تملك اليدان وبالعقـــ ـل تساس أمور قوم ، وباليد

* * *

يا اجل الملوك شانا وقدرا طبت مسعى،وطبت مرمىومقصد
كم رجتك البلاد تنزل واديـــ ـها ، وتحيى بها موانا وجلمد
حييت تربة وطئت ثـراهـــا انت فى عبرها كغيث تعهد
انت روح البلاد ، أنت مناها انت قطب الانام ، انت المصمد
كم لبثنا ونحن نرتقب اليو م وبتنا لحلـه نـتـرصد
وقضينا الايام نحسبها باليـــ ـوم والامس قبله ثم بالغد
قد تمنت عيون شعبك تحظـى منك بالنظرة التى هى أسعد
أنت من مثل الحقيقة للعيـــ ـن ، وكنت لها مثالا ممجد
لم تزل رائد البلاد تفادى وتماسى أطرافها تتفـقـد
من يكن راعيا واخلد للرا حـة امسى قطيعه يتبدد
كنت فى الامر كالطبيب ، فلما عرف الداء والدواء تجرد
مدك الله بالاناة فـاحيـا بك شعبا قد كاد يمحى ويفقد
فتركت الوجوه تطفح بشرا وجميع الانام تثنى وتحمد

ما لسان الا وفيه ثنـاء وحديث معطر وممجـد
وسرى ذكره الى صحف الدنيـ ـا فصارت تعد ما لا يعدد

* * *

يا عظيم الـرجاء والامـل الضا في ، تمهل على الونى وتقصد
ان هذا الزمان من خير اعوانـ ـك ، لاياتلى ولا يتـردد
فحواليك امـة تتهيـا ما بها غير مقتد ومجنـد
هذه اوجه البلاد حواليـ ـك ، وهذا ابن عمك المتقلد
صاحب الامر والسمو ومن يبـ ـدو لعينى ككوكب او كفرقـد
مرتفاك الارضى ، خليفتك الاسـ ـنى ، ومن ذكره أغار وانجد
يقتفى منك ما تخط ، فايـا نتسر سيرة يسرها ، ويـزدد
ويدانيـك همـة ويبارى منك خلقا وشيمة تتوحد
فله فى حقل الثقافة كم غـر س وفى روضة المعارف كم يـد
لهج الكل بالـثناء عليـه وتمنوا له دواما يسرمـد

* * *

قر عينا مولاى ، عندك شعـب يقظ ، لايغره طيب مرقـد
صمم العزم ان يتيحك ما تصـ ـبو اليه ، وما له تتمهد
سدد الله من خطاك وأبقى شبلك البار من اليه المقلد
فهنيئا مولاى ، ثـم هنيـئا طبت ممسى وطبت مسعى ومقصد

(اصيلا) ١٨ جمادى الاولى ١٣٦٦ هـ موافق ٩ ابريـل ١٩٤٧ م

تهنئة الخليفة بمناسبة الذكرى الثالثة
لجلوسه على كرسي الخلافة
٨ نوفمبـر ١٩٤٨ م

ذكريات تمر عـامـا فعاما مثل مر الكؤوس جاما فجامـا
فيها مر ، وفيها حلو ، فبادر جانب الحلو خلسة واغتناما
ودع المران عداك ، فحاذر جانب الشر كله ان تضاما
واغتنم ما يتاح من ذكريات انها لا تزور الا لمامـا
توقظ النفس من سبات كما يه سمح نور الضحا الجفون النياما

* * *

هى ذكرى مفعولها يتلج الصد ر ويلقى بردا به وسلاما
قد ملأنا من دونها مترعات طفحت متعة وفاضت مداما

واديرت عـلى معاشر صدق ... خير من يجتبى وخير الندامى
فثملنا مما نلذ ونـهـوى ... وانتشينا أطيابا لاحـرامـا
ان ذكرى الجلوس تبعث فى النف ... س سرورا وتقتضيها هياما
ابتهجنا لـحلـها واقمنـا ... حـفـلات تـزيـدها اكراما
ونشرنا مما طوينا بـرودا ... ورفعنا الرؤوس والاعـلامـا
وانتدبنا الى الاشادة عنها ... وحملنا لوصـفهـا الاقلامـا
وقبسنا من نورها ما نظمنا ... ووضعنا من لحنها الانغاما

* *

هى ذكرى يطوى صداهاالفيافى ... جاوز الرافدين والاهرامـا
ذكرتنا (يوم الخلافة) فى ذا ... ليوم حل (المهدى) منهاالسناما
منذ صارت (تطوان) فرعالاصل ... راسخ بـ (الرباط) ثم دوامـا
ربطته بـه عـرى وأواخ ... موثقات ، فلا تريد انفصاما
ذكرتنا (يوم الخلافة) من يـو ... م اعتلاها (اميرنا) وتسامـى
يوم فازت (تطوان) منه بشبل ... فاق فيها الاخوال والاعماما

* * *

بعد عشرين حجة وثـلاث ... نقف اليوم ذاكرين المقامـا
منذ عشرين حجة وثـلاث ... ملكت راحة الامير الزماما
اصطفاء المليـك حارس مـلـك ... وارتضاه (خليفة) وامـامـا

* * *

بارك الله فى الخليفة عمرا ... ومقامـا وسدة ومقـامـا
نفتديه بما تضم قـلـوب ... وجيوب انعم بهن ذمامـا
حبه مازج السرائر مـنـا ... واسترق الارواح والاجساما
لا نغالى بحبه فهو فرض ... وعلينا قد كان حتما لزاما
اوجبته من محكم الذكر اى ... بينات لا تقبل الاوهامـا
كيف لا ، والنفوس تحمد من اسـ ... ـدى اليها صنائعا وادامـا
كيف لا يملك القلوب امير ... حل فيها سوادها واقـاما

* * *

(حسن) الاسم والصفاتفما تسـ ... ـمع عنه الا الذى يتسامى
حسن الذكر فى البلاد فسل عنـ ... ـه ثرى النيل والصفا والشاما
حسن فعله ، وأحسن منه ... حسنات يسرهـن احتشاما
هو كهف الحقوق حرز الامانى ... موئل المرتجى ، ثمال اليتامى
لست تغشى بلاط قصره الا ... منه تلقى بشاشة وابتساما
طالما راعنى بعاطر خلـق ... اين منه العرار ، أين الخزامـى

لين الطبع كالحرير ، ولكـــن عندما ينبرى تراه حساما
يركب الخطب لا يبالى وان كا ن جديـرا بالحزم ان يتحامى
له عزم كأنه عمل الدهـــ ـــر وراى تـخـاله الهاما
هذه سيرة الخليفة نرويـ ـــها قليلا تلذذا واهتماما

* * *

دام مولاى حارسا للمعالـــى واماما مـؤزرا وهمـامـا
وحباه الاله نصرا وآتـــا ه من السؤل غاية وتماما

إلى ضيف الخليفة مبعوث الجامعة العربية
الاستاذ صالح أبي رقيق

ضيف الخليفة مرحبا اهل لـقـيت واقـربـا
جل حيث شئت فلن ترى الا اخـا لـك او ابـا
ارض العروبـة لا تـجـد د مشرقا او مغـربـا
فهنـاك تـرسل نـورهـا وهـنـا تـبـدد غيـهـبـا
فـكـأن ايـام الـذى نصب اللـواء ودربـا
عادت ترفرف فى الربـو ع تـطـلـعـا وتـاهـبـا
تحدو بنى العرب الذيـ ـن بـدوا نجـومـا ثقبا
ان يبزغوا مثل الغزالـ ـة عندما تكسو الربـا

* * *

ضيف الخليفة والمغاربـ ـة الكرام ، الا اذابـا
اقبلت والايـام تـز جى فى طريقك موكبا
اقبلت فى حلل الربـ ـيع معطرا ومطيـبـا
وافيت فاستبقـت اليـ ـك المنطقات تـوثبا
كل يريدك ان تـكـو ن نزيـلـه المترقبـا
كل يرى فيك الكنـا نة والشئام ويثربـا

* *

انت السفير وخير مـن فينا يمـثـل يعربـا
بعثتك جامعة الالـى باتوا عـلـيـنـا نـوبا
نـدبتك باقعة ، وشا نك ان تناط وتندبا
قاضى السياسة انت فاحـ ـكم عادلا ومعـقـبـا
تاتى الحـوادث بالشها دة كى تجيب وتعربا
وتحـق حـقـا للعرو بة فى بلاد تجتبـى

في المغرب الاقصى البئيـ ـس اذا مضى واذا كبا
شاكي سلاح الصبر ليـ س وان تـقـاعس قلـبا
ما كان الا كالمهـ ـند في الوغى او اصلبا
ابناؤه جـم المـكـا رم حضرا أو غيبـا
مـن كل ماض في القـد يم كأنه عضب نبـا
من كل سفر في الخلو د فما أجل وأعجبا
كم خـدرت أعصابـه كاس تفيض تشـعبا
لا والذي خلـق البيا ن ألذ شيء أعذبـا
ما قـلـت الا بيـنا ما ان رأيت مكذبا

* *

ضيف الخليفة لاتـزا ل مـوفـقـا ومقربـا
انظر رعاك الله هـل هب الجميع ليذأبـا ؟
هل نستفيق على الـنـدا ء وهـل نحقق مطلبا ؟
وانظر افي طور الرجـو لة نحن ام طور الصبا ؟
واحكم كما حكم ابن داو د بحـكـم اعجـبـا
واشرب كؤوس الود صا فية دهاقا واطربـا ؟
واحمل الى أمـم الـعـرو بـة أننا قـوم الابـا

تطوان ٩ مارس ١٩٥١

إلى الاستاذ العبقري الفنان الموهوب أخي عبد القادر ابن موسي

لله ما أحـلى اللقاء بعد التباعـد والجفاء
شطـت ديار احـبتي يوما ، فما اجـدى بكـاء
فعل الهـوى بنفوسنا لما تجدد كيـف شاء
ذابت لبعدهـم الحشا شة ثم طارت كانهباء
الفيتـنـي فكـانـنـي بيني وبيـنـهم جـواء
تالله ما ذقـت النعيـ ـم وما وجدت لهم عزاء
منيـت نفسي عنـهـم بجميع افعال الرجـاء
وابيت ارقب نجمهـم متطلعـا نحـو السماء
حتى وفـونـي بالبشا رة انهم صوب الفناء
فحمدت ربي شاكـرا له في الصباح وفي المساء

* * *

جاء ابن موسى ما أحيـ ـس كيف عاد وكيف جاء
جاء الاديب ابن الاديـ ـب مجـيء انوار الضياء

من خلقه عندى يطيـــ ـــب ووده رمـــز الاخاء
تم السرور لنا بـرؤ يته وتم لنا (الهناء)
رنت لمـقـدمه المـثا نى والمثالث بالغنـاء
وتضمخت أيـدى القـــر يض بما يعطر من ثنـاء

* * *

قد جاء يخطر كالغزا لة ارسلت بين الظباء
مترديـا بـرد الشبـا ب وانه اغـلـى رداء
ويجـر ذيـل نشاطـه تيها على أهل العداء
تفديك نفسى يا ابن مـو سى ما أقل لك الفداء
ابقاك ربـى سالـمـا وازاح عنكم كل داء
واتـم نـعـمته عليـــ ـــك مسربلا ثوب الشفاء

إلى الشاعر الملهم الاستاذ البارع نجيب ملهم

لك قدوجدت من الكلام الجوهرى مالم أجده من (صحاح الجوهرى)
ضمنت فيه كـــل لفظ مشرق يزرى بمافى (المرتضى) والازهرى
ولطالما ود (الخليل) سياقـــه واراد حليته فطحـل (زمخشر)
قد غصت تلتمس اللئالى شرعـا وتخوض فى أعماق كل الابحـر
وسموت فى جو الخيال محلقـا تبغى مناط مجرة والمشترى
فاتيت تنشدنى وتعرض درة لم يبتذلها بائع او مشتر
وجلوتها فى حـلـة ادبيـة ليست لنعمان ولا للمنـذر
نعم الصنيع ، ونعم ما قلدتنـى فبه أتيه واعتلى فى معشرى
طوقتنى من حسن صنعك منة اربت على حمدى لها وتشكرى

دفـاع عن القديم

أيها الشاعر المجدد فى الشعـــ ـــر تسمع ، اليك منـى قصيدا
صغته كالدمى واودعت فيه منطقا صائبا وقولا سديدا
ما تكلفت فيه شيئا وانـــى امقت البهرجات مقـتـا شديدا
تقتضينى شعرا (جديدا) فمن لى به غضا ، ووفق ما قد اريدا
كيف لى أن أنال غاية ما تـــر مى اليه ، وكيف لى أن أجـيـدا
لاتعنف ، فما التجدد شانى ما اراه فى الحق الا قيودا
شغف الناس بالجديد وانسـا هم طريقا لديهم وتليـدا
ازدهاهم من جانبيه بريق مثلما يخدع السراب الشهودا
مسختهم يد التجدد حتى لا تراهم فى الشكل الا قـرودا

قلدوا غيرهم ، واقبح ما يـــا ... تى كلام اذا أتى تقليـدا
فلهم مذهب ، ولى مذهب الحـ ... ـق فكل يمضى رشيدا حميدا

* * *

من يكن يقتفى من الغرب قوما ... تيموه ، وان جفوه صدودا
فانا اقتفى مـن الشرق اقـــوا ... ما عرابا ، لا يبرحون البيدا
انبتتهم يـــد الطبيعة ازهـا ... را كما ينبـت الربيع الورودا
لو تاتى لامة خلـد اعما ... ر لنالوا مع الزمان الخلودا
أورثونا مـن البلاغة أسما ... طا ومن معـجـب البيان عقودا
لغة الضاد موردى ومعينى ... لست من غيرها اريد الـورودا

* * *

انجبت (حندج بن حجر)قديما ... و (زهيرا) و (جرولا) و (لبيدا)
ثم جاءت بـ (أخطل) و (جرير) ... و(النواسى) من يروق الرشيدا
وأتى بعدهم (حبيب بن اوس) ... و(المعرى) ومن يسمى(الوليدا)
ونبى القريض (احمد) من كـا ... ن فريدا وشاعرا صنديـــدا
فهم اسوتى اذا قلت شعرا ... نضدته يراعتـى تنضـيـدا

* * *

(عند مغيب الشمس)

يـا حسـن ما تتـجـلـى ... عند المـغـيـب السماء
تحكى مـحيـا جـمـيـلا ... أحمـر مـنـه الحـيـاء

* * *

رايـت صفـحـة نـور ... يـطـويـه فـيـهـا المسـاء
يـلـفـه فـى ظـلام ... كـمـا يـلـف الـرداء

* * *

أمسى الـظـلام مـغـيـرا ... وارتـد عـنـه الضياء
كـر وفـر أتـاحـا ... للـكـون مـا قـد يشاء

* * *

فـفـى الفـنـاء حـيـاة ... وفـى الحـيـاة الفـنـاء
وفـى الـخـفـاء ظـهـور ... وفـى الظـهـور الـخـفـاء

* * *

(عاصفتان)

عاصفة ريح
وعاصفة حب

ليس يعنينى رياح تعصف لا ، ولا رعد اذا ما يقصف
لا ولا برق اذا ما يخطف انما يعنينى أنى اقطف
قبلا من ثغرك العذب الزلال

أنا فى جنبك فى ظل الامان احتمى منك بعطف وحنان
بيتك المشرق مامون الكيان تتحامـاه عـوادى الحدثـان
نحن فيه فى نعيم ووصال

* * *

فدعى الريح تدوى فى الفضاء حيثما أظلم أفق او أضاء
فلنا فى البيت آيات الرضاء ما لها يوما على الدهر انقضاء
شمسها تشرق فيه كالاّل

* * *

لى من وجهك اشراق الصباح وعلى ثغرك ازهار الاقاح
أنت أنسيتن ازهار البطاح وصرفت القلب عن كل مباح
لم يعد ينظر شيئا من جمال

* * *

قدك المائس ارواه الشباب خيزران نبتت فوق الهضاب
لم يكن فى القلب الا كالحراب آه من لذة ذياك العذاب
خمرة لذعتها لذع النبال

* * *

(في مقهى أنيق)

قعدت بـ (سبتة) فى قهوة بها قبس من سناء الشهب
اذا ما نظرت باطرافها حسبتك تجلس فوق السحب
تحوطك شمس الضحى والثر يا ، وبدر الدجى مائل عن كثب
فهذى الكواكب مبثوثة تكاد تطلع لولا الحجب

وهذى الثريا مدللة عنا قيدها تزدرى بالذهب
وهذى فتاة تبادلنا كلام العيون بطرف عجب
سالت فما شانها ها هنا ؟ اجابت أبادل حبا بحب
فقلت كفاك فها انذا وقعت اسيرا بغير سبب

* * *

تذكار لايام جميلة بمدينة (شفشاون)

لست انسى مدينة الراشدية لا ، ولو نازعتن عنها المنية
فلئن كنت نائى الجسم يوما وتذكرت ما لها من مزية
فسابقى كادم حينما اخـ ـرج من جنة الخلود العلية
كيف انسى ربوعها وهى للعيـ ـن جمال ، وللقلوب روية
رسمتها يد الطبيعة لوحا تتجلى به الفنون البهية
وحبتها السماء من كل نور وكستها مطارفا سندسية
انعموا يا ءال (شفشون) بالا فهى لا شك جنة عدنية
انتم فى شيوخكم وشباب مثل زهر بدوحة سرمدية

* * *

(قلعة البرج)

(وهى محل مشهور فى مدينة (تطوان) متنزه من متنزهات المدينة)

ارفع الراس عاليا ترها جنة البلد
ضمها التل حانيا مثل ام على ولد
هى نسر تسلقت ذلك الشامخ الاشم
فلها ثم مربا ولها ثم معتصم
قلعة زاد سمكها شرفات من القمم
قد تسامت بمفرق تاجه نجمة العلم
وعلتها مدافع توقد العز والشمم
موقظات من بالحمى ان سها عنه او ينم
(برج) تطوان ، مابه يحفظ الدين والحرم
وترى القوم انها جعبة السيف والقلم

* * *

(ساحة الفدان)

(هي متسع وسط (تطوان) كانه (مربد) المدينة ، كانت له شهرة من عصور)

اسقنيه مشعشعا
صافي الطبع والمزاج
كاس شاي منعنعا
شف عن تبره الزجاج

تحت في بساحة وحديث مع الخليل
ساحة طاف حولها نفحة العابر البليل
والمقاهي تفيات ظلها الوارف الظليل
منتدى الشعب (مربد) للا حاديث والمقيل
ملتقاهم لدى الضحى والليالي وفي الاصيل
والاغاني بافقها تتهاوى و تستميل
زارها الفن زورة ساحبا ذيله الطويل
فاستوت منه باحة مثلت فننا الجميل

* * *

الموشحات

(كان فن الموشحات شائعا في الشعر العربي فقد قال فيه ابن سهل ثم ابن الخطيب وغيره ، وذاع كثيرا في السن شعراء (المغرب) الا أنه في العصور الاخيرة يكاد يهجر ، ولذلك نشكر للمترجم حين جعله منوالا لتتبع مناظر الطبيعة في موطنه الثاني (تطوان) وما اليها ، فقدم لنا ذلك في موشحات متعددة ، نختار منها ما ياتي) :

الموشح الاول

رياض العشاق

شرك

غاض منه ماء الشباب
والهوى فيه لم يغض
له فودان في خضاب
وفؤاد غض غرض

كيف يسعى لروضه كل شيء بها مريب ؟
للصبا يا وللمها فوق اعشابها دبيب
مرتع الحسن والصبا ومراح الهوى الخصيب
تحسب العين انها (شرك) حبه حبيب
لم يزرها اخو الهوى ثم يمضى ولا يئوب
سائلوها اتربها ينبت العشق والوجيب
واسألوها اماؤها سال من ذوبة القلوب
حسبها عندى أنها مسرح الشاعر الاريب

الموشح الثاني

منبع « التوريطا »

ثغر

يا نديمى ويا رفيق
صاحب النقل والشراب
هل لك اليوم فى غبوق
عصروه من السحاب

بمعين ، هيا بنا نكرع الماء من هناك
حيث لا كوب ما عدا راحة ترتوى وفاك
حوله البان ماثلا فى عناق وفى شتباك ؟
قلت لما رايته ها هما ، الثغر والسواك
ظللته شواهق تتعالى الى السماك
سالتها مطا محى هل سبيل لمرتقاك ؟
فاجابت اليس فى حضرة السفح ما كفاك ؟
ياجناحا فلا تزل (خضر) الريش فى حلاك

الموشح الثالث

ميادين (لاَ يُبِيكَا)

صراع

ويك ، خلى ، اراغب
انت عن لهوك المباح

فانا عنك ذاهب
مستجما ، ولا جناح

في ميادين نسقت واقيمت على كثب
مهدوها لارجل شأنها الركض والخبب
مرحات كانها ظبي تيماء ان وثب
وعدوها بمغنم وبكاس لمن كسب
فتراها لاجلها في صراع وفي نصب
تلك دنيا الورى ، فلا عيش الا لمن غلب
اقتحمها ولا تكل كل شيء له سبب
ذاك خلي مثالها رب جد من اللعب

الموشح الرابع

شاطئي « مرتين »

دو

اسرع الركب يلتهم
عرصات مد البصر
مثقل الظهر مزدحم
زمر بعدها زمر

تترامى بشاطئي خضل ناعم الرمال
يرسل الموج صدره زفرات على التوال
خلته خف نحوها لاهث الشوق ذا انفعال
لم يرعني بمتنه غير (در) من الغزال
يدرع الماء طافيا عن يمين وعن شمال
بثه البحر فوقه وهو نشوان في دلال
كيف هذا ؟ عهدي به قعره موضع اللآل
أتراه متيما ففدا يعشق الجمال

الموشح الخامس

مزج (كِيتان)

جنة

بابي منظر اراه
في صباحي وفي المساء

لوحة خطها الاله
بتهاويل من سماء

ما ربيع الدنا سوى واحد بالـــغ القصر
وربيعي بمنظري دائم العهد والصور
مرج (كيتان) جنة زخرفتها يد القدر
نمنمتها بسندس ودمقس من الزهر
كسوار خلالها نهرها الطيب الاثر
ينثر الحب حوله والرياحين والثمر
فتنة الكون ان كست متنه فضة القمر
سل سيفا قرابه ضفتان من الشجر

الموشح السادس

بساتين « ابو جراح »

وشاح
ذهبت تتبع الخطا
ذات نعلين تخفقان
مرفقاها تابطا
اى سرب من الحسان

أين تمضى نواعما هذه الغيد والملاح ؟
اسبتها مباهج وزهاها (أبو جراح)
روض (تطوان) ايكها هو فى صدرها وشاح
فى الروابى نجاده والحواشى على البطاح
قلدته تلك الربا ديم ربة الجناح
دأبه فى الربيع ان يتبارى مع (الجناح)
ذا بالو انه وذا ببساتين فى انشراح
طبت (تطوان) مغرسا أنت ثغر بين الاقاح

الموشح السابع

وهو موشح غنائى اندلسى عورضت به عشرات (١) من أمثالها بمناسبة

١) كان ابن الخطيب قال موشحه المشهور ثم عارضه كثيرون من المغاربة خصوصا شعراء عهد المنصور السعدى ثم هاهو ذا الاستاذ ابراهيم الالغى عارضه أيضا بما تراه

فصل الربيع المقامة فيه افراح عرس مولانا الخليفة المعظم (مولانا الحسن)

يا اخا البث كفاك الـمـا ... انت فى الناس حديث الجلس
كفكف الدمع مليا انـمـا ... لك من دنياك بعض الخلس

* * *

لاتضيع عمرك النزر اليسير ... من نواح واكتئاب ودموع
فدع القارب يجرى ويسير ... فى خضم بين أرياح تروع
ان من ينظـر فى عسر المسير ... خاب سعيا فى ذهاب ورجوع

* * *

فمتى عيشك ياتى حلمـا ... مثل طيف فى الكرى مختلس
فاذا ما سنح الدهر بما ... أنت تـهـواه فبادر واختلس

* * *

تتلاشى نـزوات الالـــم ... بين نبض البم او خفق الوتر
قلت للناى سليل النغـم ... أنت من صنع ملاك او بشر
فيك معنى لم يكن فى الكلم ... فيك القى الفن معنى مبتكر

* * *

فدع الناى ينزى نغما ... ويناجيه رنـيـن الجـرس
ربما يشفى نفوسا طـالما ... شفها فرط الغـنـى المنتكس

* * *

نزل الوادى حلم رائـع ... موقظ منه جفونا نائـمـة
وسرى منه جمـال ناصع ... ترك الالباب فيه هائـمـة
فجـمـال وخـيـال واسع ... اوجدا للشعر سوقا قائمة

* * *

كل نبت فتحت منه فما ... زهرة تـزهى بابـهـى ملبس
كل من يخطو اليها قدما ... لا حظته ثـم عين النرجس

* * *

والربا قد لبست برد الصبا ... نسجته معلما أيدى الربيع
فاتت تلبس منه عـجـبـا ... حلة تاخذ الباب الجميـع
وغدت تحمل تاجا مذهبـا ... فاق ما يحمل ذو التاج الرفيع

* * *

انظر الزهر تجده باسما ... ناشرا فى الروض عطر النفس
يمـلا الجو عبيرا مفعما ... خلته جاء بروح القـدس

انظر النحل اذا ما رشفا من رحيق الزهر صبحا او مسا
هل تراه غاصبا مختطفا حق غير ، أو تراه قد اسا
ان فى جولته شهد شفا يذهب الا كدارعنا والاسى

* * *

فدعوه يرتشف منها لمى شهى الثغر بهى اللعس
حائما من حولها مقتحما رغم ما تلحظ عين الحرس

* * *

ياربيع الدهر يافصل الشباب متعة انت عدتك الغير
ضحكت منك ثنيات عذاب بينها الورد ومنها اخر
قبل يصحبها رشف الرضاب هى شهد وعقار يسكر

* * *

أدرك ائمتعة من قد علما كيف يصطاد ظباء الكنس
ينثنى منخدعا مستسلما وهو يجنى ثمرات الكيس

* * *

قد أتى بالحب والحب معا فربا الارض كحقل الاضلع
لم يدع منهن شيئا بلقعا غير ان ليس له من موضع
اينما طفت تجده شعشعا بكؤوس مترعات شرع

* * *

ايها القلب رماك من رمى بسهام أرسلت فى الغلس
أرض بالسهم وما قد قسما لك من انعمه او ابؤس

* * *

هو حب خفقات فى الحشا فعلت فى النفس فعل السمر
ان للحب نعيما ان يشا واذا شاء فورد الخطر
الق من شئت ولا تلق رشا يخلب اللب بطرف البصر

* * *

من لقب يتنزى مثلما يتنزى وتر تحت قسى
عصف الحب به محتدما وسقاه أكؤسا فى اكؤس

* * *

عينه نامت على شوك القتاد لم يطب مضجعه فى مستقر
قد قضى الليل أنينا وسهاد يسأل النجم عن الصبح الاغر
هل له من خبر ينبىء الفؤاد عن صباح هو أدهى وامر

انه الحب اذا مـــا جثما لم يفد فيه منيع الترس
انج بالنفس وخـــل المغنـما ربما جر بـه ما قـد يسى

* * *

ياربيعا حفل الشعر بـــه وتغنى فيه حفل الشعـراء
لك من طيرك او من سربه صدحات اذهلت وجه العراء
عملوا بالشعر او من نخبـه شربوا نخب زفاف الامراء

* * *

كل ما فى الكـون ارضا وسماء من نجوم او زهور تكتسى
كلها جـــاءت تهادى حوما زينة او بـهـجـة للعرس

(هكذا علمنا كيف طبع الالغي ، ان وجد فى ارض الله الواسعة من ميادين الشعر ما لم يجده فى الغ القاحلة الفقيرة)

زوجـــه

آتاح الله للمترجم سيدة عالمة لانظير لها فى فتياتنا ، وهاك ترجمتها بقلم زوجها الكريم (ولالغ ان تشمخ بان اعلم ءانسة مغربية فى فجر نهضتنا اضيفت الى الغ او اضيفت الغ اليها)

عائلتهـا

انها من عائلة ريفية بشمال المغرب أبوها السيد عبد الكريم بن اللوه، من قبيلة (بقيوة) بالحسيمة ، وكان أبوه الحاج على رئيس قبيلته ، ذا كلمـة مسموعة ، ورجولة نادرة ، ولقد أسهم السيد عبد الكريم بسيفه وبماله ، وقلمه ولسانه فى الحروب الريفية ضد المستعمرين ، سواء فى عهد الزعيم محمـد (أمزيان) وفى عهد البطل محمد بن عبد الكريم الخطابى ، اذ كان احد اعوانه ومن مستشاريه والمقربين اليه ، فصاهره واسند اليه عدة مهمات جليلة ، منها تعيينه قائدا للثورة فى الناحية الجبلية ، وهى القبائل المجاورة لطنجة واصيلا وتطوان ، ومنها اعتماده فى طنجة ، ليتصل بنواب الدول ، وبالخارج • نظرا لكونه كان يتمتع بالحماية الانجليزية • ومنها بعثه الى فرنسة وانجلترة كسفير متكلم بلسان الثورة الريفية •• وبعد أن انتهت الحروب الريفية انخرط فى خدمة الحكومة المغربية بالشمال ، فعين باشا للحسيمة،ثم مديرا للتعليم بتطوان ثم مديرا للاسعاف الاجتماعى ، واخيرا احيل على المعاش ، وعمها السيد العربى اللوه من علماء الشمال ، تخرج من الزيتونة ، وشغل مناصب هامة منها رياسة الاستيناف المخزنى ، ووزارة الاحباس ، وهو الان أستاذ بالتعليم العالى الاصلى بتطوان ، وأما أمها السيدة رقية بنت احمد الخطابى فهى من عائلة عبد الكريم

الخطابى ، ومن قبيلة بنى ورياغل اعظم قبائل الريف ، وهى سيدة فاضلة دينية خيرة عالية الهمة بادية الشمم ، تمثل البيت الخطابى احسن تمثيل ، حفظها الله ، واطال عمرها • وهكذا السيدة معمة مخولة

دراساتها

تلقت السيدة (عامنة) مبادئها الاولى فى مكتب فى (الحسيمة) حيث حفظت ما تيسر من القرءان ومن أمهات الدين ، ولم يكن لها نظير فى ذلك اذذاك بتلك الجهة ، ثم انتقلت الى (تطوان) وهى طفلة صغيرة فى جملة عائلتها، وكان السبب ان الحكومة اسست لاول مرة بالشمال مدرسة ابتدائية خاصة بالبنات ، محل رقم (١) بتطوان ، فجاءت لتنخرط فيها ، وبعد ثلاث سنوات حصلت على الشهادة الابتدائية ضمن الفوج الاول من الفتيات ، وكانت هى الاولى فى ترتيب النجاح ، ثم التحقت بقسم ثانوى تكميلى ، ثم بمدرسة المعلمات ، فتخرجت منها بشهادة اجازة التدريس ضمن الفوج الاول وكانت الاولى فى الترتيب أيضا ثم شاركت بنجاح فى امتحان القبول بجامعة مدريد ، قسم التربية والفلسفة والادب ، فاستطاعت بمجهود جبار مثالى ان تتابع هناك الدراسة الجامعية من سنة الى سنة ـ والمدة ست سنوات ـ الى ان ظفرت اخيرا بشهادتها الجامعية (ليسانس) فى علوم التربية والفلسفة والادب • ثم انها شاركت فى المباراة التى اعلنت عنها وزارة التربية الوطنية بالرباط ٨ ماى ١٩٥٩ لتعيين مفتشى اللغة العربية فى انحاء المغرب ففازت منها بتفوق حين كانت الاولى فى الترتيب الكتابى ، والثالثة فى الترتيب الادارى ، واثرها عينت مفتشة للتعليم السنوى بالرباط ونواحيها • لولا أن وقع ماوقع لجميع من شاركوها فىذلك الامتحان (فظن خيرا ولا تسل عن الخبر)

الدرجات العلمية التي تحملها

وكنتيجة لذلك فانها تحمل الدرجات العلمية الاتية :

١ ـ الشهادة الابتدائية ٠٠٠بدرجة الاولى

٢ ـ شهادة اجازة التدريس ٠٠٠ بدرجة الاولى

٣ ـ شهادة الليسانس من جامعة مدريد المركزية ٠٠٠ الاولى من نوعها بالنسبة للفتاة المغربية

٤ ـ النجاح بتفوق فى مباراة التفتيش بالرباط • اول مفتشة مغربية ـ لو تم ذلك ـ وربما تعاد هذه المباراة

٥ ـ الفوز بجائزة المغرب للقصة • فى المباراة التى اجرتها الحكومة بتطوان لعام ١٩٥٤

الوظائف التي شغلتها

١ ـ معلمة في التعليم الابتدائي
٢ ـ استاذة في التعليم الثانوي
٣ ـ استاذة بمدرسة المعلمات
٤ ـ مديرة المدرسة الابتدائية رقم ١ بتطوان
٥ ـ مديرة المعهد الثانوي بتطوان
٦ ـ مديرة مدرسة المعلمات بتطوان
٧ ـ مديرة القسم الداخلي للبنات بتطوان
٨ ـ مفتشة التعليم النسوي بالرباط ونواحيها (ثم تاخرت عن ذلك الى الاستاذية)

الخدمات الاجتماعية

ـ نشرت مقالات شتى في موضوعات اجتماعية بمختلف الصحف
ـ وجهت سلسلة احاديث استنهاضية لبنات جنسها في الاذاعة
ـ اسهمت في معظم النشاط النسوي الاجتماعي ٠ وما زالت تسهم
ـ كانت عضوا في اللجنة الملكية لاصلاح التعليم
ـ كانت عضوا في الوفد النسوي برياسة الاميرة عائشة الى المؤتمر النسوي العربي المنعقد بدمشق دورة شتنبر ١٩٥٧

انتاجها

١ ـ مجموعة مقالات صحافية
٢ ـ سلسلة أحاديث اذاعية
٣ ـ نشرة مدرسية عن المدرسة الاولى التي كانت تديرها
٤ ـ قصة الملكة خناثة ، التي نالت بها جائزة المغرب لعام ١٩٥٤ والتي نشرت تباعا في جريدة (الصحراء) المغربية
٥ ـ كتاب الطفولة المغربية ، الذي نالت به الليسانس من جامعة مدريد
٦ ـ ابحاث اخرى ـ وخطب ٠ في موضوعات ومناسبات شتى
٧ ـ قطع شعرية ٠٠٠

زواجها

وفي شهر اكتوبر ١٩٤٨ تقدم ابراهيم (الالفي) لخطبتها ، فاعلن ذلك في محفل بهيج حضرته الشخصيات البارزة ، وفي مقدمتهم دولة الصدر الاعظم ٠٠

حيث قرئت الفاتحة على بركة الله ٠٠٠٠ وثم زفافها اليه يوم ١٠ ابريـــل ١٩٤٩ اسبغ الله عليهما حلل السعادة والبهاء ما غرد الكروانوتعاقب الملوان

مـن آثارهـا

يقول المؤلف قرأت لهذه السيدة ءاثارا قيمة أختار منها ما ياتى :

العام الجـديد

وقف الناس يرقبون مطلع العام الجديد ، وقد تخلصوا من عامهم المنصرم أو كادوا واضعين أيديهم على قلوبهم فى لهفة وفى فضول ، ينتظرون ما يخبؤه لهم المستقبل من ءامال وآلام ، وولوا ظهورهم لعامهم الذى عاشوه ، فأوصدوا دونه رتاج الماضى العاتى فى جلبة وفى قوة وفى ضيقة وكأنهم بهذا قد أزاحوا عن كواهلهم أعباء السنين ، فأسرعوا خفافا يستقبلون بالاحضان العام الجديد متفائلين مستبشرين ٠٠٠

ولودرى هؤلاء لعلموا أن الزمان لم يوقف سيره قط ولن يخلع عباءته أبدا وان قاربه لم يلق مرساته على شاطىء الحياة منذ ان كانت الحياة ٠ وان هذا انقارب منطلقلايلوى علىاحذ وهويرتطم بالصخوروالنتوءحينا ، وتتقاذفه الامواج أحيانا ٠٠٠ وتتلاعب به العواطف والانواء تارات أخرى ٠٠٠ وهو رغم كل هذا مندفع كالسيل يصدم ويقوض ويؤدى

هى قصة الزمان التى لا تنقضى ، وحكايته التى لا تنتهى !!

الزمان هو الزمان ! هو اللغز الذى سما عن الادراك ، وغمض عنالعقول وما المقاييس بالساعات والايام والشهور والاعوام والقرون الا من اختـــراع الانسان ليحتمى بها من الحقيقة المؤلمة ، انها من وحى خوفه على نفسه من طول الوحشة ومن الضلال ، أراد بها الانسان الاحتماء والاستجمام من طول زحفه، ليستانف المسير بعد ذلك ٠ الى الغاية الرهيبة التى يركض اليها ركضا مسوقا بهذه القوة الخارقة التى نسميها الزمان ٠

تشبث الانسان بالمقاييس فقسط الزمان والزمان بعـيـد عن التقسيط فخدع بذلك نفسه ، ووجد فى ذلك الخداع راحة نسبية تنسيه هول المصير، نظر الى الزمان نظرته الى كتاب نقلب صفحاته بارادتنا واحدة بـعـد الاخرى، والكتاب تكونه ذرات ، وربما هبت ريح داهمة فعبثت بهذه الصفحات فطارت هباء منثورا ، أما الزمان فهو كل أبدى لاتبديل فيه ولا اختلال ، يدفع بقوم الى الحياة ، ويلقى بآخرين الى الابدية ، لاتصل اليه أهات الشاكين ، ولا استغاثات الراحلين ، ولا انات المعذبين ٠٠ نظام عجيب وسر يرلاتعثر فيه منذ الازل

ما قيمة العام والقرون والاحقاب فى حساب الزمان ٠٠؟ وما قيمة حياة

الانسان ازاء هذا الزمان الذى ياتى بنا الى قاربه ليرمى بنا فى اعماقه الابدية بعد ذلك ، ويسدل علينا ستار الغموض ؟

هل درى اولئك الذين وقفوا فى أبهى حللهم ، وازهى حليهم ، يستقبلون العام الجديد ، انهم انما يحرصون على عمر نفيس انصرم من حياتهم ، وان جديدهم لاحق بقديمهم وان حياتهم تذوب من بين ايديهم وهم لايشعرون ...؟

مثل حياتنا مثل هذه الشمعة التى تسرى فى احشائها السنة اللهب ، فتذوب قطرات الى ان يطويها الفناء ...

لو رجعوا الى انفسهم لعلموا أن وقفتهم تلك لامكان لها فى قاموس الزمان ولا تغير من برنامجه شيئا .

أيها اللغز الابدى . هل لنا ان نعرف ما تحمله بين طياتك ؟ لتهدأ نفوسنا من حيرتها القاتلة ، ومن قنوطها الذى لايريم ...؟

أيتها القوة الجبارة الازلية ، هل لك ان تزيحى هذا الغموض الذى يكتنفك ؟ وهل لك ان تحيدى عن الغاية التى تحملين اليها الانسانية ؟ وهل لك ان تغيرى وجهتك فتتنكبى بنا عن طريق الابدية ؟ وتمنحى لنا الاستقرار ولا نبقى عابرى سبيل

انك لن تستطيع أيها الزمان ، فانت مسير بقوة علوية ، تدفع بك دفعا الى مصيرك أيضا .. وانت والانسان حقيقة واحدة تكون نهر الحياة الذى يجرى متدفقا جارفا ، ليصب فى الابدية ، حيث يتلاشى وينتهى ، كما تتلاشى وتنتهى المياه فى الصحراء ...

يقولون : العام الجديد ....؟ وهل هناك جديد فى هذا الوجود ؟

يسمونك العام الجديد . اما انا فسيان عندى قديمك وجديدك . فانت وحدة لاتتجزأ وقوة رهيبة تندفع بنا الى اعماق الابدية حيث تنتهى أسطورة الحياة .

مجالس النساء

سيداتى :

يقول المثل اهل مكة ادرى بشعابها . ومن أدرى باحوال النساء من النساء ؟ فاذا تناول حديثى اليوم مجالس النساء ، فانما هو حديث عن مجالس احضرها باستمرار وأدعى اليها كل حين ، مما جعلنى مستوعبة لنواحيها ، عارفة بما يدور فيها ، محيطة بحقائقها وخفاياها .

فكان الاجدر بهذه المجالس ان تكون مثال المروءة ، ومعرضا للاخلاق الحسنة

ومظهرا لائقا بآداب المرأة المغربية ، هذه المرأة العريقة في الاحساب والانساب الاصلية في الاخلاق والاداب ، المضروب بها المثل في المحافظة على تعاليم الدين القويم ، والتمسك بعادات حميدة ، وتقاليد عريقة ، زيادة على ان المرأةالمغربية اصبحت اليوم تضرب بسهم وافر في الحضارة القائمة ، ءاخذة في التثقيف والتهذيب ..

لكن الامر بخلاف هذا في معظم مجالس النساء عندنا ، اذا تلفت الى الماضي المجيد ، والى الحاضر المشرق ، ثم القيت نظرة فاحصة على أحوالمجتمعاتنا واستمعت الى الاحاديث التي تدور في محافلنا ، والى الموضوعات التي نملأ بها مجالسنا ، فانك ـ ولاشك ـ تحكم علينا بضيق الافق ، ونضوب المادة الخلقية وقصر النظر وتفاهة التفكير .

ليس في مجالسنا الاحاديث تافه ، لاطعم له ولا رونق ، لانضج في التفكير ولاسمو في المقاصد ـ وانما هو كلام نرسله على عواهنه ـ لايتناول الا أبسط المسائل ، ولايستغرق الوقت الا في القيل والقال ، والاكثار من السؤال عما يحمد وما لايحمد .

ولا أذكر أن المقام الاسمى في مجالسنا انما هو للغيبة والنميمة ، ولااريد أن أقول ان الاستهزاء بالغير هو أشهى المطعومات ، وأطيب الطيبات كلما اجتمعت واحدة بأخرى .

فهل ينتظر بعد هذا أن تكون هناك رابطة ، وان تكون بيننا كلمة جامعة وصلات ودية ، وغايات نبيلة ؟

قد اعذر اولئك النساء اللاتي تخلف بهن الركب ، وسحبت السنون الخوالي على عقولهن ذيل الغفلة ، وغطيت افكارهن بعنكبوت الاوهام والظنون السيئة ، ولكنني لااعذر فتيات اليوم ، بنات المدارس ، المتخرجات منهن وحاملات الشهادات ، فهؤلاء لاعذر لهن في البقاء وتحت انقاض الماضي ، وفي التخلق باخلاق الجاهلات القاصرات .

لاافهم كيف يسوغ لامرأة متعلمة تقرأ الصحف والمجلات ، وتتبع اخبار النهضة النسوية في العالم ، أقول . لاافهم كيف يسوغ لها ان تملأ فراغها وتقتل اوقاتها فيالمجالس بالكلام في فلانة . والاستهزاء بفلانة . واستنقاص قريناتها وصواحبها

فاذا كانت الغيبة والنميمة والاستهزاء اشياء ممقوتة في حق المرأة المتخلفة ، فهي في حق المرأة المتعلمة اقبح واشنع ، واحق باللوم . سواء في المجالس الخاصة ، او في المجالس العامة

رأيت اجتماعاتنا على هذه الحالة . فرجعت بألم يعصر مهجتي ، ويضني فؤادي ، نعم ورب الكعبة ، رجعت وفي نفسي حسرات ولوعات على ماتتصف به

حالتنا من سذاجة وقصور • هذه الحالة التى اكل الدهر عليها وشرب •

لقد كدت أنكر نفسي وزمني • هل حقيقة نعيش فى القرن العشرين عصر السرعة ، والحضارة المدهشة • عصر التقدم فى جميع الميادين •

اين هى هذه الاثار في مغربنا ؟ وهل يوجد بيننا قبس من ذلك الشعاع الاعظم ؟ وهل هبت علينا ريح مباركة من ذلك العالم الحالم • ام هبت علينا الزوابع والاعاصير فرمت بنا فى اعماق المحيط ؟

اتبقى المراةالمغربية اثرا منالآثار فيكلشيء ، حتىفيتفكيرها وحديثها ؟ امقد ر عليها ان تظل العقلية العميقة لاينفذ اليها النور ؟ وهل من الواجب ان تقف مكتوفات الايدى أمام هذه القصور الشامل ؟

جالست الكثيرات وسبرتهن عن قرب • فكانت النتيجة ماذكرت اليست لنا عبرة فى النساء الخالدات ، وفى نساء الشرق المعاصرات • لم لانقتفى اثرهن ونسير على نهجهن ؟

يحدثنا التاريخ ان النساء العربيات كن يتناشدن الاشعار ، ويتجاذبن الافكار ، ويشاركن فى الحياة العامة مما جعل عمر يقول : أصابت امراة واخطأ عمر

وهذه (هى زيادة) الاديبة الذائعة الصيت (لامارتين) العرب كما وصفها الادباء كان منزلها منتدى ادبيات جليلات •

وهؤلاء نساء مصر اللامعات ، يعقدن مجالس ثقافية على جانب كبير من الاهمية ، يبحثن فيها مشاكلهن الخاصة ، ومشاكل مصر العامة • انهن يقمن بدور هام فى الحركة الجديدة ، يعقدن اجتماعات وجلسات يبحثن فيها وضعية المراة • ويتبادلن الافكار ، والاراء فى شانها • الشيء الذى ابرز نشاطهن فثلن بذلك الاعجاب

فمتى نشبه نحن هذه الاجتماعات السخيفة ؟ الا انستطيع ان نطهر مجالسنا من هذه الجراثيم السامة • فنتنفسس فى جو يسمو بالروحانيات ؟ ألانستطيع ان نترك الماديات جانبا ؟

اعتقد ان عبء هذا يقع على الفتاة المثقفة وحدها لاغير • لنبدأ بانفسنا ، لتكن القدوة الصالحة لغيرنا ، ليكن حديثنا اذا اجتمعنا حديثا ثقافيا ناضجا نقصد به فى نفس الوقت استدراج السيدات الى المشاركة فى حديثنا ، وبذلك نكتسب نصيرات ، نصل بهن الى اعداد امراة مفكرة واسعة النظر سامية الاراء

ولست أريد هنا الحط من سيداتنا كلا • انما هى ظاهرة رايتها وقصور شاهدته اردت للمغربية استكماله •

لاتعتبن عن اخت لكن • واجهتكن بالحقيقة سافرة ، لاغبار عليها ولاحجاب

انى منكن واليكن ، وحياتى وقف على اصلاحكن بكل ما استطيع ، لاابتغى وراء ذلك الا الوصول الى مستوى لائق بحفيدات الابطال • فلننزع عنا ملاءة الخمول الطويل ، ولنغير هذه المجالس العتيقة ، ولننفخ فيها روحا جديدة تناسبَ القرن العشرين ، لنجد السير • فالقافلة سارت بعيدا ، هيا بنا لندركها ونتعلق بها

وبعد فذلك هو الاستاذ الكبير ابراهيم الالفي الذى لم يزل الله ينعم عليه بنعمة اثر نعمة ، حتى قارن بدره المشرق بهذه الشمس المشعة ، فنطلب الله ان تتكون بينهما نجوم تلمع انوارها فى سماء عائلتهما ، لتتم عليهما جميع النعم • وما ذلكعلى الله ببعيد ، والكريم اذا بدأ اتم •

الاستاذ الحسن بن احمد الالغى

نحو ١٣٥١ هـ = حـــى

نسبـــه :

الحسن بن احمد بن على بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد ابن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

انا الحسن السباق فى كل حلبة تجارت الى الغايات افراسها الجرد
خلقت لكل المكرمات احوزها وحيدا وهل مثلي يكون له نـد ؟
قد اشتهرت فى كل حفل نجابتى (وما قلت الا بالذى علمـت سعد)

هذا ماكان للمترجم فالاحسنا ، يوم كان ياخذ عنى المبادىء فى (الخ) قد قلت ذلك على لسانه كما كنت اقول على السنة اقرانه . بل هناك ديوان خاص مما قلته فى تلاميذى او عن السنتهم يسمى (الرميليات) نسبـة الى (الرميلة) من حومة (باب دكالة) حيث قضيت ما قضيت مع نشء غير قليلين من ذلك الجيل ، اذا الناس ناس والزمان زمان

متعلـــم

هو عين التعلم الذى سيذكر فى ترجمته اخيه عبد السلام الذى سيانى بعده . لانهما لم يفترقا قط منذ نشئا معا . الى ان فرقـت بينهما الشهادة العالمية . فقد كان عبد السلام نجح فى السادسة من كلية ابن يوسف . ولم ينجح المترجم . ثم اشتغلا معا فى المدارس الحديثة . الى ان تقدم عبدالسلام الى (العالمية) فادركها ، فصار استاذا فى المعهد الرودانى ، وبقى المترجم فى هذه المدارس الى الان ، وقد صار استاذا رسميا فى (مراكش)

من آثاره

ان للمترجم اقداما وقلما وفكرا . وجراءة وتطلعا الى الظهور . فصار يخوض مخاضات اقرانه . ويلقى المحاضرات امثالهم . وهذه احدى محاضراته ومنها يظهر اثر قلمه وتفكيره

أثر الحرية في التربية والتعليم

ان التربية القديمة التى اصبحت لاتساير تـطـورات العصر الحاضر

ـ عصر المساواة والديمقراطية ـ كانت تمتاز بالقسوة والضغط على الطفل. وكان المربون اذذاك لم يستطيعوا أن يفهموا الغاية المتوخاة من وراء التربية والتعليم . فضلا ان يصرفوا وقتا من اوقاتهم فى التعرف الى مشاكل الطفل والتفكير فى طرق علاجها . والمعاملة التى كان المربون القدماء يعاملون بها الاطفال ، سواء في المدارس او المنازل . كانت مستمدةمنالظروف الاجتماعية والاحوال السياسية . التى كانت تحيط اذذاك بالمدرسة او بالمنزل . فهناك امراء وسلاطين واقطاعيون هذه الطبقة يخيل اليها ان الطبقة الفقيرة ما خلقت الا لتنفيذ مراغبها وشهواتها بدون ملاحظة أو نقاش . زيادة على هذا ماكان عليه نظام العائلة بما كان يمتاز به الاب على افراد العائلة . فليس فى البيت من تسول له نفسه معارضة رب الاسرة .

فهذه العوامل كلها ـ لاشك ـ لها اثر فعال وكبير فى المدرسة . حيث نجد المربين لايعتنون بتربية الاطفال تربية صالحة . تستفيد من ورائها الامة والاسرة نتيجة ترجع عليهم بالنفع العميم . ولم يفكر هؤلاء المربون قط فى اعطاء الطفل ولوقسطا ضئيلا من الحرية .

فلما تقلبت الاحوال واصبحت الشعوب تقاوم الطغيان ـ بفضل الوعى المقدس ـ وتنسفالاقطاعوالطغيان . وتقلبالاوضاعوالانظمة فى مختلف البلاد . كان من البديهى ان يكون لهذا الانقلاب اثر محسوس فى جميعالميادين البشرية ، وبالاخص المدرسة . وفعلا قام المربون الكبار الذين كان لهم الفضل فى قيادة شعوبهم الى شاطئى النجاة ينادون باتجاه جديد فى التربية وطرقها يوافق روح العصر الجديد ويساير تطوراته ، وهو اعطاء الطفل قسطا من الحرية . مع احترام القوانين المدرسية المعقولة .

والواقع ان هؤلاء المربين لم ينادوا بوجوب اعطاء الحرية للطفل بمجرد ثورة على الانظمة البالية فحسب . وانما كانت مناداتهم بذلك نتيجة الابحاث التى اجروها فى التربية ، ودراساتهم الطويلة لمشاكل الطفولة التى اباحت لهم ان يطلعوا على غرائز الاطفال ، والعثور على ما يكمن فى نفوسهم من ميول ونزعات . فاهتدوا بعد ذلك الى ان المدرسة بنيت لاجل الطفل لا الطفل هو الذى خلق للمدرسة . فنظرا لهذايجب على المدرسة ان تبحث وتدرس ميول الطفل ونزعاته . لاالطفل هو الذى يجب عليه ان يخضع لوسائل تربوية عقيمة ، ولقوانين ماانزل الله بها من سلطان . ويجب على المدرسة ايضا ان تبحث عن كيفية معالجة جميع الاطفال ـ مع اختلاف ميولهم ـ الذين تحت كفالتها ـ معالجة تلائم كرامة الاطفال ككائنحى ـ حتى تهتدى بطريقةالتدريج الى تقويم سلوكهم . والقضاء على دواعى الشر الكامنة فى نفوسهم

ان اصحاب التربية الحديثة يدعمون ءاراءهم السالفة باسباب معقولة ،

فهم يقولون ان الناس ولدتهم امهاتهم احرارا ، فكيف تستعبدهم طائفة من بنى جنسهم ، تصدر الاوامر ، وتملى عليهم ارادتها فيتقبلونها صاغرين • فأى حجة تستند عليها تلك الطائفة ؟ فتحملهم على الخضوع لاوامرها واجتناب نواهيها •

ان لكل فرد كرامة يجب ان تحترم ، ولهذا يجب على المعلمين ان يعطوا للطفل قسطا وافرا من الحرية فى المدرسة ، فى حدود النظام واللياقة • فلا ينبغى للمعلم ان يتعرض لحرية الطفل ويغتصبها منه • فيخيل له ان شخصيته معدومة وغير معترف بها • ومن نتائج الابحاث التى اهتدى اليها ان القهر يقتل فى نفس الشخص روح الابتكار • وبما ان النظام الديمقراطى يفتح أبوابه لكل عامل مبتكر ويشجعه ويجعل افراد الشعب على حد سواء وفى منزلة واحدة ، حتى ينتفع من مجهودات الجميع فى ميدان الخلق والابتكار فان من الضرورى ان يعطى للاطفال قسط من الحرية يناسب المقام • واعطاء الحرية للطفل من الدواعى التى تحمل الطفل على الثقة بنفسه • والثقة بالنفس تحفزه على الخلق والابتكار والعمل المنتج • وفى ذلك تقدم سريع للمجتمع

أما من الناحية الخلقية • فيمكننا ان نقول بان الحرية تتيح للطفل ابراز شخصيته ، وتقوية ارادته ، نظرا لما قد يحصل عليه من تجارب وخبرات فى المدرسة ، وتلك التجارب هى التى وحدها تجعله يقدر المشاكل حقّ قدرها • وتجعله قادرا على تحسين سلوكه • والتخلق بالاخلاق الفاضلة حين يستنكف من تلقاء نفسه ان يقترف جريمة يلام عليها • وبهذه الطريقة يمكن للمعلم ان يظهر شخصية الطفل • لان الطفل اذا شب وهو يتلقى الاوامر من المعلم فى ناحية ، ومن الاب فى ناحية اخرى ، ولايتحرك الا بايعاز • فسرعان ما تضمحل شخصيته وتنعدم ويصبح عرضة لرياح الاغراض والاهواء والنزعات السيئة

وبديهى ان النظريات السابقة لايمكن ان تكون لها قيمة فى نظرنا الا اذا طبقت على أسهل الطرق • أما تطبيقها فقد شرع فيه فى مدارس نموذجية كالتى انشأتها المربية الايطالية الدكتورة (منتسورى) والتى ارادت أن تطبق فيها الدكتورة مبدأ الحرية بمعناه الواسع الشامل ، لامن ناحية دون اخرى • وهكذا القت الدكتورة النظام الذى يعرفه التلاميذ فى المقاعد الثقيلة المثبتة فى الارض • وجعلت مكانها مقاعد خفيفة ، يسهل على الطفل نقلها حيث يشاء ومتى شاء • وفعلت الدكتورة هذه الطريقة لئلا يشعر الطفل باية سلطة تضغط عليه ، كما اعطيت للطفل حرية فى الخروج والدخول دون ان يتعرض له أحد ، ولم تخصص مادة للطفل فى تلك المدرسة المثالية يتقيد بها دون أخرى • والمعلم ليس له اى تدخل فى هذه المسائل • فهو واقف بمثابة

المرشد ، ويلاحظ حركات الطفل واعماله • حتى يتربى فى الطفل الاستطاعة على العمل المفيد • ويتمكن من استخدام حواسه •

ومن الناحية الخلقية بالمدرسة النموذجية يسمح للطفل ان يتعاطى كل ما يروقه فى دائرة احترام اخوانه • وله الحرية التامة ان يعمل كل ماتسوله له نفسه • بشرط ان لايسيء الى زملائه

وهذا النوع من الحرية يوجد فى هذه المدارس المثالية ولايمكن انيطبق فى مدارسنا لاسباب قاهرة • واذا كنا نرحب بمبدأ الحرية فى المدرسة • فلا يسوغ لنا بأى حال أن نطلق لاطفالنا الاعنة ، يفعلون كل ما تملى عليهم ميولهم • لان ذلك يسبب الفوضى وعدم الاستقرار • ولو اسست فى بلادنا مدرسة نموذجية على هذا المنوال الذى انشاته المربية الايطالية • لوجد الطفل فى حياته اضطرابات لان نظام الحياة ونظام البيت عندنا يخالفان الروح التى تسود تلك المدارس النموذجية •

فبيننا يخرج الطفل الى وسط المجتمع ، فيجد نفسه أمام قوانين لايجوز له أن يتخطاها • وهذه القوانين يعرف تمام المعرفة انها ما وضعت الالمصلحته ولمصلحة ابناء جلدته • واذا كان يحس عندما يجد نفسه امام القانونبقليل من الضغط يقيد شيئا من حريته فان ذلك سيتعوده عن قريب ، كما انهنالك سلطة الابوين التى لا محيد للطفل عندنا من الانقياد لها ، والامتثالاوامرها ولاسيما ونحن امة اسلامية • والاسلام ــ كما هو معلوم ــ يعزز جانب سلطة الابوين • ولا سبيل الى نقض هذه السلطة التى يؤازرها ديننا الحنيف •

فهذا يجعلنا نومن بان ليس من المصلحة فى شيء ، ان نطلق عنان الحرية عندنا للطفل حتى لايخضع لاى نظام قار • فنحن حينما نطالب باعطاء الحرية للطفل انما نقصد بذلك اعطاء الحرية النسبية للطفل • اكثر من التى يتمتع بها فى الماضى واقل من الحرية التى ترمى اليها الدكتورة (منتسورى) فى مدارسها النموذجية المذكورة •

ونريد أيضا من الابوين ان يتيقنا ان الطفل هو كمثل سائر الكائنات الحية يجب ان يفهما ان له شخصية وكرامة • فيعاملانه معاملة تليق بكرامته وشخصيته ، ونريد من المعلم المربى ان يزيل على نفسه فكرة العقاب البدنى العقيم ويربى الطفل على استخدام مواهبه • ليتاتى له ان يخلق فى نفس الطفل روح التفكير السليم والابتكار ، وعلى هذا يجب على المعلم ان لاياتى للطفل بدرس يقدمه له الا على شكل يروقه ويحفزه علىالنشاط والعمل المنتج • ونشاط الطفل هو الذى يهدى المعلم الى النفوذ الى مواطن نزعاته وميوله • فيتعهدها اذذاك بالتهذيب والاصلاح • لان مهمة المعلم مهمة تربوية لاتعليمية فقط •

ومن ءاثار الحرية الظاهرة فى التعليم ، انها تجعل الطفل يحب العمل وتخلق فيه روح الابتكار ، والمثابرة على العمل ، والاعتماد على النفس · وتشجعه على المضى فى العمل · وهذه مسالة مسلمة · اذاقارنا التعليم فى مدارسنا العتيقة ، او الكتاتيب القرآنية مع التعليم فى مدارسنا الحديثة ومن هذه المقارنة يشعر الانسان الذى له خبرة كافية فى التعليم والتربية بالفرق الجلى بين تلاميذ المدارس العتيقة · وبين تلاميذ المدارس الحديثة وهذا الفرق يتجلى واضحا فى جميع مختلف نواحى الطبقتين الفكرية والعقلية والاخلاقية وغيرها · وهذا لايجحده الا من يحاول تغطية الشمس

ومبدأ الحرية هو الذى يضمن لنا ان يشعر الطفل بالمسؤولية التى تثقل كاهله ، فيقوم سلوكه رعيا لمصلحته الشخصية ومصلحة مواطنيه · وهذا مما يجعلنا نعتقد ان مبدأ الحرية · هو الذى يعينه على تقوية ارادته · بحيث يستطيع ان يسيطر على نزعاته وميوله · يتصرف فيها كيف شاء ومتى شاء· وهذا أيضا من الدواعى التى تجعل الطفل لاينقاد بدون وعى · ولا يخضع الا لتلك الارادة القوية ، وفى خضوعه لتلك الارادة تدريب على المكاره لان الحرية الصحيحة التى يقصد منها البناء لا التحطيم · هى ان لايطلق الانسان لشهواته واغراضه الاعنة · ولا يمتثل لما ترمى اليه غرائزه الشريرة ، ونزعاته المختلفة · واذا اردنا ان نفهم مبدأ الحرية هذا الفهم المعوج · نكون قد اولناها تأويلات مغرضة ، واستمعنا لغير ما وضعت له ، وبالتالى نكون قد أسأنا فهم معنى الحرية السامى · فبهذا نصبح ننزلق الى المستوى البهيمى شيئا فشيئا ، من حيث لانشعر · ونصبح عبيدا لشهواتنا واغراضنا · تسيرنا الشهوات والاغراض · والذى يجب علينا ان نعتقده ونومن به · هو ان يعرف كل واحد منا معرفة تامة · ويدرك تمام الادراك بدون تقليد او انسياق · ان الحرية الصحيحة · هو ان نعبىء طاقتنا ، ونوجهها بكل مافى استطاعتنا وعزيمتنا لاستيصال جذور الشر والفساد فى نفوسنا· فلنستقبل تعبئة هذه الطاقة فى تشجيع وتزكية ، بكل ما من شانه ان يرفع من مستوانا الخلقى والمادى من الخصال الحميدة ، والطبائع الفاضلة · حتى يتيح لنا ان نخلق مجتمعا مثاليا لجيلنا الجديد ، تغمره السعادة الصحية والكرامة السامية والله ولى التوفيق ·

الاستاذ

عبد السلام بن احمد الالغى

نحو ١٣٥٢ هـ = حـى

نسبه :

عبد السلام بن احمد بن على بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

عبد السلام نجيب بين اقرانه ... فهو يحوز بجد خصل ميدانه
فان يشم ويشاموا فى الندى يكن ... كالزهر يفتر من علياء اغصانه
عما قريب يرى ذا شهرة طفحت ... يوم يصول على جميع اقرانه

هذا احد الشباب السعيديين النابغين وشيكا فى هذا الجيل الجديد. وهو ابن أخى احمد الذى قرأت ترجمته فى (الفصل) الماضى . وأخو الحسن المذكور قبله . وقد غادره واخوته صغارا . فقام الله بكفالتهم فخر جواكما سيرى القارىء من امائل البارزين الان فى الميدان

متعلمـا

وجدته لما نفيت الى الغ هو واخاه الحسن يقفزان امام والدهما . وقد رزقهما بعد مارزء بعض اولاد ذكوراواناثا ءاخرين فكان لايفارقهما بعدما استطاعا ان يمشيا فكانا يحومان حواليه . فتقربهما اعينه. وهو يعانى مرضه المتواصل فكذلك تركهما يوم توفى . وقد كان ازارهما اخوالهما الايفشانيين . ولم يكد يرجع حتى سقط على الفراش ثم لحق بربه بعد ايام . فلم يشعر الصبيان بالصدمة . لانهما لم يستتما عقلهما بعد . فلم يدركا قدر من فقداه ، ولاما الم بهمامن اليتم . وقد كنت ملت بهما وابوهما يغسل ويجنز للعب معهما. مخافة ان يتصل بهما من يشعرهما بما هما فيه . فهكذا بقيت معهما . وانا متفرغ لهما . حتى اذا مر زمن قليل رأى لهما ابوهما الثانى اخونا سيدى محمد ان يفتتحا التعلم . فاتى بالاستاذ سيدى عيسى بن صالح الاكمارى . فتدرجا عنده ماشاء الله نحو سنة . فلم ينشب ان ذهب لحال سبيله فلزمانى أسابيع دربتهما على التهجى بكل سهولة . الى ان اتى بالاستاذ سيدى محمد التزنيتى فقام بتعليمهما خير قيام . ثم صارا ياخذان عنى بعض المبادىء العربية . فلم تصل سنة ١٣٦١ هـ . حتى ختما القرءان . ثم اعادا الختمات

مرة فمرة • حتى اتقنا حفظه على يد هذا الاستاذ المبارك ثم لما تيسر لى الانتقال الى مراكش اواخر ١٣٦٤هـ اتيت بهما الى مدرسة (تمانار) فى حاحة عند الاستاذ إبن العم سيدى ابراهيم بن احمد • فهناك افتتحا وتقدما اشواطا فى المبادىء • فاستتما متون الطور الابتدائى • ثم لما رجعت من الحجة١٣٦٦هـ اتيت بهما الى مراكش فصرت ادرس معهما فى طبقة امتازت بعد ذلك بالتحصيل فلم ينشبا ان اندغما فى السنة الرابعة من الثانوى فى الكلية اليوسفية • فحصلا على الشهادة فى تلك السنة ثم تقدما معا الى السنتيـن الخامسة فالسادسة • وهما يتفوقان مع المتفوقين • وفى الرعيل الاول من السابقين • ولكنهما حين تقدما الى شهادة السادسة نجح المترجم دون صنوه • ثـم انخرط فى النهائى ثم حدثت الازمة المغربية فانتقلت الى البيضاء • فكانا معى ماشاء الله متتبعين للدروس فيها على حسب ما تيسر • الى ان اعتقلتالى الصحراء • فقام المترجم فى الدار خير قيام • فكان يعلم ولدى سعيدا • ثـم انخرط فى مدرسة كاستاذ • فكانت المراسلات بينى وبين اهلى تمر على يده وهو الذى يجيبنى عما اكتبه وهكذا مثل دور الرجولة على صغره اذذاك• وهذه المراسلات محفوظة الى الان عندنا ثم لما وقع سراحى تمادى عـلى استاذيته الى أن جاء الاستقلال فجاءت فرصة للحائزين للشهادة الثانوية وهو منهم • فتقدم للشهادة العالمية • فلاحظه السعد هو وكل من مـعـه • فتعينوا فى (المعهد) الردانى اول ما افتتح • وهـكـذا اصبح عالما رسميا • واستاذا ممتازا • ثم ظهر منه فى المعهد شغوف بمعلوماته واقدامه وحسن اخلاقه • وعزوفه عن الدنايا ، ثم تزوج ببنت عمه عبد الرحمن • فصار رب عائلة • فلم ينشب ان ولد له ولد سماه (شكيبا) وما اختار هـذا الاسم الا لانه اديب • وقد تخصص لدراسة الادب فى (المعهد) وناسف حين لم يتيسر لنا من٭اثاره ما نقدمه للقراء على عادتنا فى أمثاله • على أنه لايزال شابـا فرهدا • فى وسعه ان شاء أن يظهر له ٭اثارا تقر بها العين • وينشرح بها الصدر • وقد كان والده رحمه الله يقول فيه دائما مايقول ، مما يدل علىهذا الشغوف فالله يحفظه ويفتح له باب المجد على مصراعيه لنرى فى كهولته ثم فى شيخوخته ماكان له مظهر شبيبته كفلق الصبح • فجدير بمن كانت له اسرة لاتذكر الا بالعلم والادب والدين والاخلاق ، ان يواخذ نفسه حتى يكون خير خلف لخير سلف فى العلم والادب والدين والاخلاق •

شيخنـــا

سيدى عبد الله بن ابراهيم ابن العم

١٥ ـ ٩ ـ ١٣٠٩ هـ = حى

نسبـــه :

عبد الله بن ابراهيم بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد ط

قرات فيما تقدم فى (الفصل الاول) ترجمة والده العم سيدى ابراهيم وترجمة جده سيدى احمد بن محمد الرجل الصالح • ورايت ان والده تزوج سنة ١٣٠٨هـ وكانت التى تزوج بها كريمة سيدى مولود الشقراى الافرانى وكان من أصحاب الشيخ سيدى سعيد المعدرى • وفى داره وقع للشيخ الالفى ماوقع • كما ذكرناه فى ترجمته حين تعرضنا للطور الذى تلاقى فيه مع شيخه هذا • كان الشيخ الالفى ساح سياحة طويلة انتهت به الى افران وهو مستدير الى (الغ) • وقد كان من بين الفقراء صنوه العم ابراهيم ، فخطب له تلـك السيدة • فعقد العقد فى الحين • فاتى بها الى الغ ، وفى السنة التالية ولد صاحب الترجمة حفظه الله ، وقد ذكر لى ان سيدى سعيدا التنانى هو الذى قيد يوم ولادته وعنه نقل

متعلمـــا

ابتدأ فى مسجد القرية السليمانية عند سيدى محمد ـ فتحا ـ بـن محمد اوباكى التانكرتى ، ثم الى سيدى محمد الاكميرى ، ثم سيدى مولـود الصوابى ، قال ان على يده ختمته الاولى سنة ١٣١٧هـ ثم سيدى محمد ـ فتحا ـ السملالى • فاتم عليه ختمتين ، وهؤلاء كلهم فى ذلك المسجد • سمعت والده يقول • ان الله قد هداه اذذاك فماعرفت له نبوة من المكتب ، ثم ضمه الشيخ الوالد مع ولده سيدى محمد أخينا الاكبر • فارسلهما الى ساحل ايت بعمران عند طالب هناك يسمى سيدى عمر فلم ينشب ان مات فجاة • ثم نقـلا الى قرية (تالات ووشن) بايت براييم عند طالب يسمى سيدى الحسن لايزال حيا الى الان ١٣٥٦هـ فبقى هناك نحو سنة ، حتى جود غاية التجويد • فالتحق بالمدرسة (الايغشانية) اواخر سنة ١٣٢٤هـ عند الاستاذ سيدى العـربـى الساموكنى ، فعلى يده افتتح المبادىء ، قال فكنت اتمشى تمشيا وئيدا• ولذلك انتقل سنة ١٣٢٥هـ الى المدرسة (الالفية) عند الاستاذ التاجارمونتى فتخطى

خطوات فى المتون الابتدائية وفى ١٣٢٦هـ التحق بالاستاذ شيخنا سيدى عبد الله بن محمد فى (اداى) فهناك تمكن فى المبادىء وخطا خطوات واسعة فى الدور الثانى • فلم يلبث الا سنتين حتى التحق بالدور الثالث • وذلك بالهمة التى يدير بها استاذه اذذاك كل من عنده ، فنجب غاية النجابة ثم صاحبه الى المدرسة (الايغشانية) حيث لازمه ايضا اربع سنوات • وقد كنت معه هناك فكنا نراه مع سيدى البشير بن الطيب • وطبقتهما فى السماوات العليا وكان ابن العم اذذاك يعين استاذنا فى المبتدئين • فكنت ممن مر تحت يده اخذت عنه بعض اللامية لابن مالك • فافرغ الجهد فى ان اتقنها فلزنى لزة الالغيين المشهورة ، فكان يستدعينى للاعادة عليه بين العشاءين • فكان ذلك بفضل الله ماجعل علم التصريف بارزا بين معلوماتى خصوصا ماذكر منه فى اللامية فهو ارسخ العلوم العربية فى ذهنى رغم اننى بعدما املصت بعد ذلك من هذه اللزة فخلعت الرسن وطلقت الاجتهاد • واعرضت عن الاكباب نحو عشر سنوات قضيتها كلها فى البطالة الا ماكان من كتب ادبية اتلوها ترويحا للنفس وتلذذا لاغير لم يزل علم التصريف عندى كماهو • فلما انقشع السحاب ورجع طور الندم • وقد نفخت فينا دروس الشيخ شعيب الدكالى رحمه الله روحا جديدة فى سنة ١٣٤٢هـ رجعت الى هذه القواعد التى اخذتها فى مبتدأى لاتفقدها وارم منها ما اندثر ، لعلى اتمكن من وضعها اسسا متينة لما عزمت عليه من تشييد بناء عال علمى جديد فلاحياة الا للعلماء ، ولا علم بالقواعد ، ولاقواعد للعربية الا هذه التى نأخذها فى طور الابتداء عن الاستاذ المترجم وامثاله ، فوجدتنى بعد ان لمست كل جوانبى افرغ من قلب ام موسى ، حتى الحدود التى حفظتاها • طارت كلها كما طار كل ماتشتمل عليه هذه المتون الا ماكان من علم التصريف وحده فهو الذى وجدته مصونا كما هو • وما ذلك الا بفضل جهود صاحب الترجمة حفظه الله وجزاه خيرا ، فكانت هى اول ما ذاكرت فيه بعض اخوانى فى سنة ١٣٤٢هـ فى مسجد صغير يضاف لسيدى البغدادى فى (الموقف) بتلك الحضرة المراكشية ، حياها الله وبياها • ثم لم ازل استرد مافى المتون بالمذاكرة حتى امكن لى أن تكون فى يدى هذه الصبابة القليلة التى يصلح بها قلمى • ويجول بها لسانى فى الدروس • فينتفع بها من يجلسون الى • وما استطردت هذا الا ليعلم التاريخ اننى ان زعم زاعم ان لى حسنة فى التصريف فاننى لاأعدو ان أكون من حسنات هذا الاستاذ المترجم فلا خير فيمن لايقر بالفضل لذويه •

اذا افادك انسان بفائدة من العلوم فادمن شكره ابدا
وقل فلان جزاه الله صالحة افادنيها وخل الكبر والحسدا

وعهدى بصاحب الترجمة اذذاك هو وقرينه سيدى البشير بن الطيب فرسا رهان ، وركبتا الراكب يتحاوران ويتناقشان عند مطالعة الانصبة او معاودتها بين العشاءين ، على ماهى العادة • فلايكاد احدهما يسلم للاخر لان

كل واحد منهما فحل لايقذع انفه ٠

ثم بعد ان تفرقنا عن تلك المدرسة نحو اواسط سنة ١٣٣١هـ ذهب فى رمضان السنة التالية الى المدرسة التانكرتية عند الاستاذ سيدى الطاهر ٠ فحضر عنده فى درس البخارى ٠ فكان بذلك من اشياخه وقد سمعت بعد ذلك ان بعض التالين للبخارى كان يتلو ، فوصل عبارة فيها اعجب بكذا ، فبينا للمعلوم فرده المترجم ، فقال له انه هنا مبنى للمجهول ، فانكر عليه من حضر فحين راجعوا وجدوا كلامه موافقا للحق ، وهكذا كان محققا للمسائل ومستحضرا غاية الاستحضار ٠ خلق اقتبسه من استاذه الذى به تخرج وهو شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ٠ وفى سنة ١٣٣٣هـ راجع ايضا مجلس استاذه هذا الذى راجع أيضا المدرسة (الايفشانية) الى ان دخلت سنة ١٣٣٤هـ

ودعه استاذه بكل رضا ، وقد تخرج وتعتقت راحته واستطاع ان يجول فى الميادين كيف شاء

مشارطاته

رأيت من ابن العم تحصيلا تاما ٠ وتفوقا كثيرا على اقرانه وقد ساعده الحظ حتى ادمن على الدراسة الى ان نال مايمكن ان ينال فى ذلك الوسط ، فلم يبق الا ان يجرب حظه فى ميدان التدريس ، وان يلقى دلوه بين الدلاء ثم على الله الكمال ، ولبعض الالغبين :

فما على المرء سوى ان يعملا ... وأن يمد دلوه بين الدلا
وان يثابر وان لا يضجرا ... اما النجاح فهو من رب الورى

التحق باستاذه فى المدرسة (السعيدية) بالاخصاص ، ينظر مدرسة او ماتيسر ٠ فلم يلبث ان اتصل بمدرسة (ميرغت) فبقى فيها سنتين ١٣٣٥هـ ١٣٣٦هـ ، ثم فارقها والتحق بالبلد فصادف ان شارط ايضا استاذه فى المدرسة (البومروانية) فاتصل به يعينه على بعض الدروس ، وفى سنة ١٣٣٧هـ كنت توجهت الى البلد لازور والدتى على عادتى فى حياتها كل عام فمررت بصاحبنا الشيخ سعيد التيكزيرينى الحاحى الذى كان بعد ذلك قائد حاحة الكبير ٠ فذاكرنى فى استاذ لمدرسة (ايت أمر) فنفضت ذلك لشيخنا سيدى سعيد التنانى ، ففاتحته فى ذلك عن اذنه فتوجه من الغ الى تلك القبيلة ٠ ولكن استاذا بتلك المدرسة لايزال فيها ٠ فشارط فى مسجد سيدى على بن محمد ـ فتحا ـ بايت خميس ريثما تخلو المدرسة ٠ وفى سنة ١٣٣٩هـ اتصل بمدرسة سيدى عبد الرحمن ، وكذلك تسمى ، فبقى فيها سنتين وهو رافع لراية التدريس ٠ وقد أقبل عليه الطلبة ، وعنده الاخوان سيدى عبد الله وسيدى عبدالحميد واخرون ياخذون عنه ٠ وهو مجد ٠ ثم فى سنة ١٣٤١هـ زار والده

تلك الجهة ، فامره بالانتقال الى البلد • فكان ذلك هو السبب ان انطفات منه جذوة مستنيرة من الاجتهاد فى التدريس ، ولم يساعف سيدى سعيد الذى اشار عليه أن لايفارق محله • ولكن اختار اشارة والده الذى كان سافر الى سيدى سعيد ، فالح عليه ان يساعفه فى ذلك ، فلم يجد مناصا للمساعفة فشارط فى مدرسة (اداى) تسع سنين • وقد انعدمت منه تلك الهمة • وقد وافق ذلك سنوات ١٣٤٥هـ التى فترت فيها همم الطلبة فخلت المدارس وطويت الكتب وجفت الاقلام والى الله المشتكى

ثم لازم البلد سنة او سنتين الى عام ١٣٥٢ فشارط فى المدرسة (الالغية) تحت يد استاذها سيدى المدنى ، وفى سنة ١٣٥٣هـ رجع الى حاحة فشارط فى مدرسة سيدى (حسين اوحسين) بقبيبة اداكيلول سنة واحدة • وقد برقت منه ثانيا بارقة من التدريس • ولكن لم تبطىء • فانطفات بسرعة ، وفى سنة ١٣٥٥هـ شارط فى مدرسة (ايمور) المبنية على مشهد جدنا سيدى عبد الله ابن سعيد ، فكان عنده بعض فتية يتعاطون • ولكن الهمم بكل أسف لاتزداد الا انحطاطا ورسوم العلم والدراسة فى عفاء مستمر

ان دام هذا ولم تحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولـود

ثم انه اب ثانيا الى (اداى) الذى تزوج فيه زوجة ثانية • وبنى فيه دارا اخرى واستطاب سكناه فاتخذ ذلك موطنه ، وقد الف سكانه والفوه • وقد يشارط فى مدرستهم فى بعض السنين ، وفى حين كان يتولى النظر فى الرسوم رسميا فى مركز (تاغاجيجت) فى زمن الاحتلال

الآخذون عليه

لم اعرف اليوم ١٣٥٧هـ فى الخ من لهم الشغوف العالى فى الافادة ولا من كانوا اليق الناس بها من اربعة • شيخنا سيدى عبد الله بن محمد • وسيدى المدنى ، وسيدى الطاهر صنوه وصاحب الترجمة ، ولكنهم مع ذلك نراهم فى قبوع وانزواء لامور يتوهمونها • والعلم يموت • ومظاهر العلم تضمحل فلا حول ولا قوة الا بالله ، ولكن ماذا عسى ان يعملوا لو ارادوا • والطلبة قدانعدموا والسؤال عن العلم ومسائله منقطع بهذا الاحتلال البغيض حتى ان من يبحث ليعد ممن اتى شيئا فريا ، ولبعض الالفيين من قصيدة :

فواكبد امن لوعـة مستطيرة احس بها بين الحشا تتحرق
على ماعزا العرفان فى سوس أنـه كفلك بامواج الغطمطم يغرق

رأيت ان صاحب الترجمة قد عانى التعليم ، فلا بد اذن ان تجد بعض اناس عليهم فضله • سواء اشادوا به كما اشيدانا ، او غمطوا حقه وماأكثر الغامطين لحقوق الاساتذة من التلاميذ فى هذا العصر ، فلنذكر من نستحضر أنهم اخذوا

عنه او اخبروا عن أنفسهم بذلك كسيدى الطاهر بن على الذى اخبرنى انه من الاخذين عنه ٠

١) محمد المختار جامع هذا الكتاب
٢) سيدى الطاهر بن على الالغى
٣) الاخ سيدى عبد الله
٤) سيدى عبلا بن الحسين البعمرانى القاضى (ذكر مع اهله فى القسم الرابع)
٥) سيدى محمد بن احمد السليمانى الالغى
٦) سيدى محمد بن محمد التانكرتى التنانى
٧) سيدى محمد بن مبارك البعمرانى
٨) سيدى الحسن بن صالح التانكرتى
٩) سيدى محمدا بن شيخنا عبد الله
١٠) سيدى احمد البناءى الايغشانى يذكر فى (القسم الثانى)
١١) سيدى الحسن بن المحفوظ الساموكنى البعمرانى
١٢) سيدى محمد بن ابراهيم الاركانى الحاحى
١٣) سيدى عبد السلام بن القضيب الحاحى التاغماوى
١٤) سيدى سعيد الحلمى التاغماوى الحاحى
١٥) سيدى الحسين بن الفاضل الحاحى

فهؤلاء من وفقنا عليهم ٠ ولابد ان يكون هناك ءاخرون لم نهتد لمعرفتهم

أخلاقه

ان فينا بعض الالغيين خصوصا ءال محمد بن سعيد بعض حزونة من الاخلاق ٠ ولكنها لاتصدر عن نفسية سوداء ولا عن احتقار للناس ٠ بل ذلك طبع وغريزة فينا الا من حفظه الله وقليل ماهم ٠ وكثيرا ماارى من اتسعت اخلاقهم ودمثت شمائلهم كاستاذنا سيدى سعيد التنانى فاتمنى لو اوتيت أنا وبعض اهلينا من ذلك ٠ ولكن من قسم الارزاق ٠ هو الذى قسم الاخلاق٠ وكان سعيد بن المسيب بن حزن احد الفقهاء السبعة يحكى ان جده حزنا قال لهالنبى صلى الله عليه وسلم حين اسلم : أتريد ان ابدل اسمك بسهل ٠ فقال له لاابغى باسم سمانى به والداى بديلا ٠ قال سعيد : ولاتزال فيناتلك الحزونة موروثة الى الان ، وهكذا ينصف الرجال ٠ جعلنا الله من اولئك الرجال وشيخنا صاحب الترجمة ممن له من هذا الخلق الذى منى وفى غيرى ٠ ولكننا ماذا نصنع ٠ ولو خيرنا لاخترنا ٠ على انا نعلن ثانيا ان ما صدر منا لايصدر الا عن طوية حسنة ٠ فرحم الله امرء اعذرنا فيما كان فينا خلقا جبليا وغريزة

متاصلة ، فلو قدرنا ان نميطه لامطناه فى الحين • ولكن ذلك فوق قوانا ، والله يهذب اخلاقنا جميعا • على ان هذا فى المترجم وفينا جميعا لا يـلازمنا دائما ، وانما هو كلمحة فيغيب

مداركـــه

جالست انـا كثيرين فى السنة الماضية من علمائنا ، ولكن استفاداتى انما كانت من ثلاثـة منهم واعظمهم فى ذلـك شيخنا سيدى عبد الله بن محمد • وقد ذكرنا فى هذا الكتاب فى ترجمته بعض ما استفدناه منه • وان كان اكثره مذكورا فى غير هذا الكتاب • ثم الاديب سيدى الطاهر بن على • ثم صاحب الترجمة الذى افادنى فوائد كثيرة لن انساها له • بعضها لغويـة ارشدنى اليها بعد ما كنت فيها على غلط ، وبعضها تاريخية مما يتعلق ببعض نواحى سوس أو يتعلق بالدين اخذوا من المدرسة (الالغية) • وكان ابن ابيه فى الاستحضار والنقـد • لا يغمض عن زلـة • ولا يعرف الا الاشادة بالحق • جلس الى يوما • فانشدتـه ابياتا ذكرت فيها العشايـا والابكار • فقال هل قصدك الابكار جمع بكرة فقلت لـه نعم فان ذلـك مـذكور فى القرآن • فتوقف مليا • ثم قال ان الذى ذكر فى القرآن الابكار بالكسر لا الابكار بالفتح الا فى جمع بكر فى اوصاف النساء • فتلا قـول الله تعالى (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار) فرجعت انا فى الحين الى قوله • ثم راجعت الكلمة فوجدت ان الابكار بالكسر اسم للبكرة لا الجمع • وهكـذا يفيد فى كل جلسة جلس الى فيها • وما كنت اعتنى بتقييد فوائده اذ ذاك ، والا لوصلت عشرات فى مختلف الفنون• واما فوائده عمن اخذوا عن المدرسة (الالغية) فمنه استقيت اسماء وتراجم كثيرين• ضلوا عن والده الذى هو ما هو • فقد قيدنا ذلك فى محله فى كتاب (من افواه الرجال) وسنقتبس منه عند ذكر نالهؤلاء انشاء الله • وهو مستحضرلمسائل العربية كلها • وللفرائض وضبط اللغويات • فهذه العلوم الثلاثة • اتقنها اتقانا • مع مشاركة حسنة فى الفقهيات • ولو كان مولعا بالادب والمطالعة • كنجباء الخ لكان منه رجل ءاخر ، أعلى وانفذ ، ولكن مداركه قلما تعدو هذه العلوم التى له فيها التفوق التام ، وله المام بالحديث والتفسير مما مربه فى دروسه التى حضرها ، فهذه مدارك استاذنا حفظه الله ونفع بعلمه

آثـــاره

شاهدت العلوم التى تمكن منها صاحب الترجمة غاية التمكن ، وهـى نحوية ولغوية وفرضية وفقهية • وان افاداته ومناظراته ومجالاته وتنقيباته على هذه العلوم تدور ، ومنها تتجلى المعيته ، ورقى فكره ، وسمعت مـن وراء

ذلك انه لايهتم كثيرا بالادب وما يتبعه من المطالعات فى مختلف كتبه التاريخية • وامثالها من الحوادث التى تدور حول الرجال فى مختلف الدهور فقد سمعته يقول انه غير معنى من قديم بذلك • لانه اعطى همته للعلوم المجدية النافعة الرائجة ، وقد صدق فى ذلك فانها شغله الشاغل • ولذلك حصل فيها غاية التحصيل • لذلك لانجد له من الاثار الادبية كثيرا كما نجده للالغيين وليس معنى ذلك أنه لايعرف الادب • ولا انه يغمطه حقه • بل قصده فيما قاله ان يخبر بالواقع ، والافله فى الادب أيضا ما يشارك فيه مشاركة ما • فقد راج فى السنة الماضية مع ادبائنا الالغيين • فى قصائد جاراهم فيها فى الميدان • ثم لم يسبقوه ، وتوجد فى (الالغيات) وكذلك وجدت له بعض ءاثار قديمة ، نكتفى منها بواحد نسوقه كدليل ناصع على أننا صادقون فى قولنا ان له أيضا فى طرق الادباء مسيرا لاينكر

زار الاديب سيدى محمد بن على المدرسة (الايغشانية) وهو اذذاك مجاور فى المدرسة (البومروانية) فرحب به من فى تلك المدرسة على عادتهم فى امثال تلك المواقف فخاطبهم بقوله

آتيت وبى من شوقكم جلة الورى ... الى ان ارى مغناكم جذوة حرى
وجبت القفار راكبا متن شوقكم ... فرؤيتكم لى منتهى القصد والسرا
صرمتم حبال العجز واللهو والكرى ... فكنتم شموس العلم تعلوعلى الشعرى
احبة قلبى ما رحمتم متيما ... فانتم نفاة الحزن عنى والضرا
أمولاى عبد الله ماالقصد منكم ... سوى دعوة ترقى لمرتبة غرا
عليكم سلام الله من عبدكم غدا ... يتابعه عنكم ومنكم له البشرى

فاجابه سيدى صالح بن احمد

مرحبا باخ وفى على ... خدمته العلا بحال شهى
كم أنا كاحل لعينى بدمع ... جريه قد غدا كسيل قوى
طار همى والحزن ساعة لاقيت ... ناك امرا من الاله العلى

وقال سيدى احمد بن مسعود:

مرحبا بك أهل ودى فقلبى ... ماله فى الورى انيس سواكا
مرحبا مرحبا بيوم سرور ... زدت فيه السرور حين اراكا
زدت افق السماك منك ضياء ... بيننا حين جيئتنا ببهاكا
ياسليل الكرام أنت الذى قد ... فقت كل الورى بمجد علاكا
فعليك السلام ياخير خال ... من شكور ماجاءنى من ثداكا

وقال صاحب الترجمة :

انت من اذهب الكروب عن القلـ ... ـب وحارت فى وصفه الافهام

صنونا ذو العلوم والمجد والفضـــل فهو الكريم وهـو الهمام
قد اتانا منه نظام بـلـيـغ يبهر المنشديـن ذاك النظام
ما سواه هـو الخيالات حقا ومرادى هو الـدعـا والسلام

والمقصود بهذه الخطابات انتكون نموذجا لما يتقدمه المتأدبون فى انخ فى مبادىء تعاطيهم للنظم ، والمؤرخ لايفرط فى اى شىء

هذا هو شيخنا سيدى عبد الله بن ابراهيم الذى كان والدى يقدمه دائما للمعالى وكثيرا ما أسمعه يقول لبعض اخوانى تحريضا له • ان عبد الله ابن عمك ان لم تجتهد سيكون أفضل منك وقد كان يعينه بكتب متى رجع من الحمراء وبامور اخرى كعادته مع كل من يقرأ • وقد حـكـى لى صاحب الترجمة ان الشيخ نزل مرة من عند الاستاذ على بن عبد الله • فصادفه هـو وقرينه سيدى البشير فى مستدار البير التى ازاء المسجد السليمانى • قال وكان سيدى البشير وضع على راسه عمامة تأنق فى وضعها ، وجعلها عمة (متوكية) فمر بنا الشيخ ونحن لم نشعر به ، فلمح العمامة فلما جالس الاستاذ سيدى عليا وءاخرين قال لهم اننى رأيت عبد الله بن ابراهيم بعمة حسنة • قـد عرف كيف يضعها على هامته فوصلنا خبر ذلك فاستحيينا • فكان ذلك سبب نزعنا للعمائم اذذاك متى كنا فى البلد ، لئلا نقع فى مخجل ءاخر امام أمثال الشيخ • وقد كان اقترن بابنة عمنا محمد • فولد معها اولادا ذكـورا واناثا • واسمه زينب من فضليات النساء توفيت شبه فجاة فى بيتها ولـم يحضرها أحد نحو ١٣٦٧هـ

أخبـار عنه أخيرا

كان كما قلنا يشارط فى (اداى) بعد ما غادر (ايمور) فيتولى احيـانا فيها ما تولى من الحضور فى المحكمة الرسمية فى (تاغجيجت) كفقيه لابد من حضوره لازم ذلك سنين كثيرة • وبعد ١٣٧٠هـ غادر (اداى) • ولم يطل به الزمان انالتحق ثانيا بحاحة فشارط فى مدرسة (تمانار) بعد الفقيـه سيدى احمد الوفقاوى ، ثم رجع الى(اداى) وبعدالاستقلال تولى العدالة هناك •

وكان أحد العمد الذين تعتمد عليهم المحكمة ، وقد كان اولى الناس بالقضاء هناك لو كانت الامور تجرى مجرى الاستحقاق ، وعلى هذا الحال لايزال الى الان رجب ١٣٨٠هـ • وربما ناب عن القضاة ولكنه ليس بنائب رسمى ، وفى (الالغيات) ماجرى بينى وبينه من القوافى

هذا وللمترجم ابن اخ يسمى محمد بن احمد أحد نجباء انخ الذين ظهروا فى ميدان المعارف من النشء الالغى ، وقد أهل هلاله ، وذلك مما يدل على انه

سيصير عن قريب ـ ان استتم ـ بدرا كاملا • وله الان نحو ٢٨ سنة •

افتتح القرءان عند الاستاذ سيدى محمد السملالى الملقب وزكن فى مسجد القرية السليمانية حتى وصل حزب (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ماخلقنا السموات والارض) ثم الاستاذ سيدى محمد البولخيرى الايفشانى ـ وهو لايزال حيا الان وكذلك المذكور قبله ـ ولديه ختم الختمة الاولى • ثم رجع السملالى المتقدم الى المسجد ، فاختتم عليه ثلاث ختمات• فهذان أساتيذه فى القرءان

وأما المعارف فقد افتتح فى المدرسة (الشيشاوية) من قبيلة (ايت بكو) فى هشتوكة ، عند ابن عمته العلامة سيدى محمد بن احمد المتقدم الذكر • فلازمه حتى أخذ عنه الجرومية والجمل والزواوى واللامية والالفية مرتين وابن عاشر والرسالة القيروانية والتحفة والرسموكية فى الفرائض • ومنظومة الحساب للسملالى ونصف مختصر خليل الاول • والمقامات الحريرية ولامية العجم والهمزية والبردة ونور اليقين فى السيرة • والبخارى البعض منه • وبعض القصائد الادبية للمعرى والمتنبى والصفى الحلى وغيرهم ، لازمه سنوات حتى شدا وظهرت نجابته • ثم لازم عمه الاستاذ الكبير سيدى عبد الله بن ابراهيم • فى مدرسة بالشياظمة فى الكريمات • فاخذ عنه فى شهور من الالفية ومن المختصر • والرسالة القيروانية ثم بعد اربعة شهور هناك انتقل معه الى مدرسة (افرض اوطاها) بحاحة • فيستتم عنده ما كان يأخذه قبل ، وزاد الفرائض ولامية ابن الوردى ، مكث معه هناك سنة ثم الى مدرسة (تمانار) • فياخذ عنه من الالفية والمقامات والمختصر والسلم • والهمزية والبردة ، وبعد عام ونصف فى (تمانار) فارقه

ثم أرسله استاذه وعمه هذا الى زاوية اخينا سيدى الحاج عبلا ليعلم ولديه جعفرا وحمزة ، فلازمهما اربعة عشر شهرا • كان فيها مثالا للاستاذ الحازم النزيه •

ثم وفد على فى الرباط • وهو متحفز ان يستتم ليتمكن • فاختير له ان يرجع الى سوس ليستتم معلوماته حتى تكون كمعلومات الالفيين التى لاتعرف التهدج ولا التلعثم ولعل الله يوفقه لما اختير له ليكون عالما الفيا كبيرا ءاخر • كتبت هذا فى المحرم ١٣٧٧هـ • ثم انه التحق بالاستاذ سيدى البشير فى مدرسة (تمانار) بحاحة حيث بقى الى شعبان ، ثم عين من كتاب محكمة القضاء الشرعى فى مركز (تاركانت) اعانه الله • ثم فى مركز (ايت عبلا) حيث هو الان ١٣٨٠ هـ

ولهذا الشاب اخلاق عجيبة لطيفة • كأنه ليس منا ءال محمد بن سعيد وفقه الله واعانه • ومن اكرمه الله بالاخلاق فقد أكرمه بأعظم كنز (لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم) حديث شريف

القـاضي

سيدي محمد بن احمد الصالحي

١٣١٣ هـ = ١٧ ـ ٤ ـ ١٣٧٩هـ

نسبـه :

محمد بن احمد بن الحاج صالح بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد ابن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا أحد علماء السعيدين البارزين من بين جيله • وله ولاخيه ابراهيم الاتى مكانة مكينة فى المعالى • وامه رقية بنت مبارك بن احمد بن محمد بـن سليمان بن محمدبن احمد بن سعيد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن سعيد وهو سعيدى منأبويه معا • وجده أحمد بن محمد بن سعيد هو المقبور فـى بويت من مقبرة الشيخ سيدى محمد ـ فتحا ـ بن ابراهيم فـى تامانارت ومما يذكر من حزمه أنه أقام اربعة اعراس فى يوم واحد • فقد زوج بنتين وزوج ولدا له • وتزوج هو بنفسه • وقد ذكرناه فى ترجمة سيدى الحسين ابن أحمد بن الحاج صالح فى (الفصل الاول) من القسم الاول • والحسين هذا هو أخو المترجم •

متلقاه للقرآن

أخذ القرآن اولا عن الاستاذ سيدى مولود الصوابى • وهو مـن ءال سيدى بلعيدالصوابى المتجرد ، وكان من أصحاب الشيخ الالغى ، ولم يتوف الابعد ١٣٥٦هـ وعن الاستاذ محمد ـ فتحا ـ السملالى • وهو اذذاك شيخ مسن قال المترجم كان رجلا مباركا يفتح على من يمر بين يديه • فلم انس كلمة مما أخذته عنه فى الختمة الاولى ولم ينشب ان توفى نحو ١٣٣٠هـ لازمه سنة ونصفا وعن الاستاذ سيدى محمد بن على الاكميرى الساموكنى • وهو رجل طوال نفى تقى • ويعمر الىنحو ١٣٤٠هـ وهو الذى جمع عليه القرءان فقد ختم عليه ثلاث ختمات • وعن الاستاذ على بن المدنى التاغجيجتى • واصله من ايشت • اخذ عنه الختمة الرابعة • وقد طال عمره الى ما بعد ١٣٥٦هـ وقد كان المترجم ياخذ فى مسجد القرية ولم يتجاوزه • ويحكى انه كان اذذاك يلبس دراعة صوف، وكثيرا ما ينمق ما فوق الصدر منها بخياطة الخيوط البيضاء وذلك اذذاك

علامة على اتساع ذات اليد في الاسرة • قال واتذكر ان محلنا في المكتب يسيل بالهوام والقمل فكثيرا ماتنزع عني جدتي قميصي لتزيل عنه ماعلق به من ذلك • ثم صار يتعجب كيف ينجون اذذاك من عدوى الجراثيم التي يرى الناس اليوم بعدما تحضروا ، يتوقنها كثيرا خوف الهلاك بها • ثم ذكر ماكان يقاسيه هو والتلاميذ من المدررين من التعذيب بسبب وبلا سبب • ووالدوهم يرضون بكل ذلك رجاء جمع القرءان الكريم

في مناغاة العلوم

قال افتتحنا في المدرسة (الالفية) اواسط ١٣٢٨هـ وكان معي يوم افتتحنا الجرومية سيدى المحفوظ بن الهاشم الايفشاني • وسيدى الحسين بن ابراهيم بن عبدالله بن صالح الالفي ، وسيدى محمد بن الحاج احمد اليزيدى وابن عمه الاعلى سيدى محمد بن احمد الواعظ • وسيدى محمد بن بلقاسم الاستاذ التاجارمونتي • وسيدى احمد بن محمد الاهريبي التاجارمونتي • في طائفة يبلغ افرادها اثنى عشر ، ولكن لم يستفد منهم الا هؤلاء (وهم مترجمون كلهم في امكنتهم من هذا الكتاب)

قال وقد بلغنا (باب الاستثناء) في الجرومية يوم توفي الشيخ الالفي ٢٨ ذى الحجة ١٣٢٨هـ وكان الاستاذ سيدى بلقاسم نفسه هو الذى يتولى تعليمنا لانه يحافظ على ولده • وكان الذى يعيد لنا الدروس هو الاستاذ سيدى أحمد بن محمد بن بلقاسم اليزيدى • ولم نزل على ذلك في كل متون المبادىء • وكنا لانغسل لوحة الحفظ في كل صباح حتى نعرضها على سيدى احمد اليزيدى ، واتذكر انني كنت احفظ الهمزية ، وفي راس اللوحة هذا البيت

أصبحت شولا عجافا وامست ما بها شائل ولا عجفاء

فدخلت على سيدى أحمد اليزيدى في بيته صباحا لاعرض عليه اللوحة قبل ان اغسلها • فوجدته يطبخ الحريرة في اناء فوق المجمر ويحركها بالمغرفة • فحين سمع البيت تطير من معناه • فنهرني فطردني • فقلت له هل أغسل لوحتي فقال بقلق اغسلها وابتعد عني • وكان الذى يعرب لنا الحزب على العادة بين العشاءين هو استاذنا سيدى بلقاسم نفسه • وقد ذكر عن سيدى بلقاسم من الصبر على اللاواء العجب العجاب • قال كثيرا ماتاتي اليه خادم المدرسة بكسكسو في صحفة عود • ولم يستتم الكسكسو النضج بعد وقد تراكم عليه ماتيسر من الخضر • لفتا او اوراقه او بصلا ، فلا يزيد على أن يتناول شيئا قليلا من اناء السمن الذى ترسله اليه زوجه من داره فيدهن به الخضرة فيتناول من ذلك قليلا ، ثم يخرج الباقي الى الطلبة•

فنرى ما اكل منه قليلا جدا • وقد كان من بين الطلبة من لهم اتساع فى الزاد فيستدعى الاستاذ فينة بعد فينة الى طعام يستطيبه له • كسيدى احمد اليزيدى وابن عمه محمد بن عابد (الكبير) اليزيدى وسيدى محمد ابن الحاج الحسين بوكارع البعمرانى ، وسيدى سعيد العنترى البليد ، وسيدى محمد ابن الاعسرى التملى ، ومحمد بن ابلوش وأخيه عمر • وسيدى ابراهيم القاسمى البعقيلى • ومحمد بن الحسين الكرامى المجاطى ، وهذا حال الاستاذ المتقشف الزاهد رحمه الله •

قال فبقيت هناك اتدرج فى الفنون • وقد صاحبت سيدى على بن صالح الاوذقيرى فاتعاون معه على المراجعة • فبقيت هناك الى ان وقع ماوقع بين الفقيه سيدى على بن عبد الله وجيرانه ، بعدما قتل ولده احمد • وقد كان والدى من المناوئين للفقيه فاحسست بان موقفى حرج ، فاردت ان اغادر المدرسة • وقد قلت بيدى لابيد عمرو ، فاستأذنت الاستاذ سيدى بلقاسم فقال بل أمكث حتى نعلم هل المدرسة لله او للوجهيات ؟ ثم طردنى الفقيه رحمه الله ، وقد فصل كيفية ذلك تفصيلا • كان والدى هو الذى امرنى ان أستأذن سيدى بلقاسم لما هممت أن أنتقل من المدرسة • فاذا به امرنى بملازمتها حتى يظهر ما يظهر • فبينما انا أحفظ لوحتى فى سطح المدرسة يوما اذا بالفقيه جاء الى المدرسة فنادانى فقال ما تصنع الان ؟ فقلت له احفظ لوحتى • فقال اجمع ثيابك من المدرسة • فان أباك يوقد الفران • وانت تجمع له الحطب يعنى اننى اعينه بالمشاورة فما زدت على ان انشدته •

لاتاخذنى باقوال الوشاة فلم اذنب وان كثرت فى الاقاويل

فأهويت لاقبل يده • فذهب عنى وتركنى معرضا ، فاتيت ببغلتنا ، فحملت متاعى • فذهبت بكتب كنت استعرتها من كتب زاوية الشيخ الالغى كان يعطيها لى سيدى سعيد التنانى • كما كان يعيننى ببعض دراهم فينة بعد فينة ثم قال لى لاتتأخر عن متابعة دراستك • فاذهب الى الاخصاص عند سيدى عبد الله ابن محمد • فقلت له اننى سأزور شيخى سيدى بلقاسم لاشاوره ، وكذلك فعلت • فقال لى الان نودع كلنا المدرسة • فكان ذلك اخر عهده ايضابها • وهذا الموقف من الفقيه ينبغى ان يحمل محامل حسنة • ربما يكون مقصوده قطع دابر الوشاة الذين يتقولون فى المترجم انه يعين اباه • فاراد ان يفصم العروة لئلا يجدوا ما يقولون بعد • وقد كان رحمه الله فى مثل ذلك ذامقاصد حسنة •

فى مدرسة سيدي علي بن سعيد

التحق المترجم بهذه المدرسة حيث بقى سنة تامة • فاخذ من هناك اواخر المختصر • كما اخذ عنه النحو واللغة وغيرهما • وقد كان الطلبة ازيد

من ستين • وقد قام الاخصاصيون بالطلبة خير قيام قال: كنا كثيرا ما نشاهد القصاع التى يوتى بها الينا تطفح بالادام • فمتى رفع احدنا لقمة تقطر باركان • وهمة سيدى عبدالله مشهورة فى التعليم •

في المدرسة الايغشانية

لم يبطىء سيدى بلقاسم فى داره بعد ما فارق المدرسة (الالفية) فشارط فى (الايغشانية) فالتحق به تلميذه هذا هو واخوه ابراهيم والحسين وابن عمه سيدى بلقاسم بن محمد بن بلقاسم • فصار يهتم بهم تهذيبا وتعليما حتى نجبوا على يديه • وقد كان هو الذى يزاول شئون الاستاذ سيدى بلقاسم وقد جعله امينه فى كل شىء واتخذه نجيبه • وحكى انه ذهب اليه ليتلقن منه الورد التيجانى ليذكره معه • فقال له وردك انت هو الاشتغال باخوتك هؤلاء ، فقلت له • ولماذا فعلت ذلك بفلان وفلان • فكان جوابه ان اولئك لاغرض لهم فى القراءة ثم صار يذكر من احوال سيدى بلقاسم الباطنية من التاله ، وتحرى الحق والاستقامة ، ما يقضى به الانسان العجب • انعرف بيئة الطلبة اذذاك • وقد سالته عما قاله حين ضرب الطلبة سيدى محمدا اولموش فى المدرسة (الالفية) فقال اننى كنت حاضرا وقد اطلع الاستاذ على أن المضروب يستحق اكثر من الضرب • ولذلك اغضى عن ضربه • مع أنه لايغضى عن الظلم • ثم ذكر من ذلك ما لاينبغى ان يسطر

في المدرسة الادوزية

قال المترجم كنا نريد ان نقرأ البيان فى (التلخيص) فلم تجد شراحا فأرسلنا الاستاذ حتى أتينا ببعضها من عند انسان ، وبعد ماقرأنا فى ذلك دروسا قال لى يوما بينى وبينه • يافلان اننى أريد ان أرسلك الى ادوز لتاخذ من هناك الاصول والبيان (من جمع الجوامع) و (التخليص) فاننا لانكذب على الله • فليس عندنا يد فى ذلك العلم • قال فابيت ان افارقه فقال لابد• فاشترى لى قميصا غليظا • واعطانى عشر ريالات حسنية وذلك حينئذ مال عظيم عندنا • فالتحقت بادوز عند سيدى المحفوظ فاتممنا التلخيص وثلاثة ارباع جمع الجوامع • قال : وقد كنا هناك فى أقلال شديد • والجوع ضارب اطنابه فى المدرسة • ولولا ما اعطانى الاستاذ لوقف حمارى فى العقبة • وقد كان عادة الطلبة ان يشترى كل من عنده النوبة فى المطالعة او الاعادة زيت القنديل فغطت تلك الريالات فقرى بين الطلبة ماشاء الله • فكذلك بقيت فى ادوز عشرة اشهر بين يدى علامة ادوز ، وقد اخذت عنه أيضا زيادة على الاصول والبيان النحو فى التسهيل ، والشمقمقية ، وبعض متون اللغة • وبعض المختصر

فبينما أنا غريق في هذا البحر الخضم اذا برسالة وردت على من ابن العم الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم الالغى • يحثنى فيها على أن ألم به في حاحة ، تنفيذ الاشارة سيدى سعيد التنانى ، لاسرد معهم البخارى فـى رمضان بدار الشيخ سعيد التيكزيرينى ـ الذى صار بعد ذلك قائدا ـ وقد كان الفقيه الذى يتولى ذلك ـ وهو سيدى محمد بن عبد الرحمن الدرقاوى ـ مريضا • فلبيت وأنا أمشى على رجلى ، فوصلت قبل رمضان بخمسة عشر يوما فنزلت في مدرسة سيدى عبد الرحمن بأيت أمر حيث شارط ابن العمالمذكور فأشار على ان التحق بالشيخ الحسن بوناكة • لانه أرسل اليه رسالة يتطلب منه أن ينظر له استاذا يشارطه في داره • فلم اجد بدا من اتباعه ، فذهبـت فبلغ ذلك سيدى سعيدا التنانى فتاثر • لانه انما ارادنى لدار الشيخ سعيد التيكزيرينى قال ثم كان العجب العجاب ان الاقدار ساقتنى الى سيدى سعيد فى (ازيار) حيث زاويته • من غير شعور منى • وانما غضبت من اجـل اننى لااجد من الكتب ما اريد • فقد طلبت من رب المثوى (نفح الطيب) فارسلالى كتاب (الطيبالفائح) فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم للنظيـفـى فادركت فى أية جهالات وقعت على امرأسى ، فغادرته بلا وداع • فتوجـهـت معتسفا الى (ازيار) فتلقانى سيدى سعيد بانبساط وبكل فرح • فسالنىمن أين أتيت ؟ فذكرت له (اغرى) حيث دار بوناكة • وافضيت اليه بكل شىء فغضب لما فعله بى ابنالعم ، حين لم يمتثل الامر • ثم امرنـى ان اغسل ثيابى ، وامر مؤذن الزاوية سيدى الحسن السكسيوى ان يعيننى • ثـم أمرنى ان اذهب فى رفقة سيدى الحسين الاسفاركيسى • وقد توجـه ليزور قبر والده المدفون عند مشهد سيدى ابراهيم بن محمد الولياضى فـى أيت خميس • ثم ذهب معى رفيق من هناك الى دار الشيخ سعيد فدخلـت داره ليلة رمضان • فسردنا الشفاء ، وذلك فى سنة ١٣٣٩هـ وقد كان ابن العم سيدى عبد الله بن ابراهيم حاضرا يرأس المجلس ومعنا الفقيه سيدى سعيد ابن محمد من ادالحاج التيماسينيني التامرى • قال اخا له من تلاميذ الشريف الكثيرى • وهو فقيه نوازل • وهو أحد فقهاء ذلك الوادى اذذاك • يذكر بالعلم الكثير ، وله ولد يسمى محمدا فقيه كابيه ، يذكر أيضا بعد والده • ويحضر أيضا الفقيه سيدى عمر بن ابراهيم بن يحيا من قرية تيكيكرت وهو احـد المفتين هناك اذذاك • اخذ أيضا من سوس فى مدرسة ايت يعزى بهشتوكة وهو حفيد مرابطى تافزا الركراكيين ، والفقيه الحسن بن احمد الـتـامرى القارىء وعلمه وسط • ونحوه قليل • وكان ممن يحضر تلاميذابن العمكسيدى عبد الله ، وسيدى عبد الحميد ، ولدى الشيخ الالغى • وهما اذذاك ياخذان

عن سيدى عبد الله بن ابراهيم ويحضر ءاخرون غيرهم نحو ١٥ كما ان الرئيس الشيخ سعيدا يحضر • وكان معتنيا بمئونتهم اعتناء لم يتكرر منه بعد مثله

ثم قلت لرب المثوى بعد رمضان اننى اريد ان تودعنى • وسازور سيدى سعيدا • فقال اذهب حتى ترجع من عنده • فارسل معى عونا مع بغل ركبت عليه • فكتب معه رسالة الى سيدى سعيد يطلب منه ان ابقى عنده • فذكر لى سيدى سعيد ذلك • فقلت له اننى اريد ان استتم معلوماتى ، وساذهب الى مصر ، حتى احرز على الكتب المطبوعة التى رايتها فى ادوز وقد كان سيدى عيسى بن المحفوظ ورفيقه سيدى الحسين الرخاوى يمنعانى منها ومن مطالعتها فقال لى باى شىء تدرك مصر ؟ فقلت له اننى سامشى برجلى هاتين كمايفعل طلبة ادوال حتى اصله • فمد الى بصره محملقا ساكتا • فزدت على ذلك ان قلت له انك الذى كنت تعيننى قبل اليوم فى الغ بالكتب وبالمال ، وانما أنا ولدك • فقال : اثبت فى مكانك فان من ثبت نبت • فقلت له : اننى لااتجاوز اشارتك • فامرنى ان ارجع الى دار الشيخ سعيد وان ابقى هناك • فتبعته فكان ذلك اليوم أول يوم فارقت فيه الاخذ ، واعتنقت فيه اشياء اخرى

ثم رجعت الى دار الشيخ سعيد • ثم لم ينشب ان توفى فقيهه سيدى محمد بن عبد الرحمن الدرقاوى على راس الاسبوع بعد عيد رمضان فى تلك السنة • وهو الذى كان كاتبه وملازمه • وقد فر اليه وسكن ازاءه منذ تنكر له القائد عبد الرحمن الكيلولى • من مبدا الاحتلال ، فصرت منذ ذلك الحين كاتبه الخاص • ثم معلم مسجد الدار • وقد التحق بى اولاد الشيخ عبدالله وعبد الحميد • وابراهيم وبلقاسم وعبد الرحمن • ثم التحق بهم اخى ابراهيم ثم ابن العم بلقاسم بن محمد بن بلقاسم فكونا هناك مدرسة • فكنت اقتنع بما تيسر منه • وانا لاازال اذذاك اطمع ان اتملص الى مصر • فكان كل مادخل يدى من عنده ذرة او قمحا او شعيرا ارسله الى زاوية سيدى سعيد • ثم حبب الى المكان حين رايت اولاد الشيخ يتقلبون فى بلهنية العيش من مكارم رب المثوى • فكذلك كنا الى مختتم ١٣٤٤هـ ثم لما انتقل اولاد الشيخ الى الحواضر بقيت وراءهم ، وقد توفى شيخنا سيدى سعيد فى أواخر ١٣٤٣هـ

زواجه

قال ثم ان رب المثوى الذى وجد منى مايريد • صار يراودنى على الزواج فكنت ءابى عليه ذلك اباء حتى يسر الله ما يسر

أقول كنت ارد اذذاك الى تلك الناحية • فامر بهم هناك لازور والدتى فكان القائدسعيد رحمه الله يعلى فضلا منه شانى ويتبعنى فى الذى اشير به عليه فذاكرنى فى امر زواج المترجم • فقلت له ان كان لابد لـه مـن زواج

فسانظر له احدى اخواتى وعلى ذلك تم الامر ومن العجيب ماحكاه المترجم قال : كان عندنا مرة فقراء من بينهم سيدى ابوبكر بن عمر المتجرد • فاخذته سنة يوما اثر مجلس الذكر صباحا فقال لى اننى رأيت الشيخ اعطاك احدى بناته ، ثم اتم الله ذلك، قال وكذلك رايت الشيخ ليلة اخرى فى المنام ورد علينا هنا راكبا على بغلة ، فقبلت رجله فى الركاب فاعطانى خبزة صغيرة تامة ، فقعدت حتى اكلتها كلها • فكان تاويل ذلك ما وقع ثم اتيته بالاخت السيدة امنة بنفسى على البغال • فقطن فى دار ازاء مشهد سيدى عبد الرحمن • وهبها له رب المثوى • ثم لما تحول القائد الحسن بن ابراهيم من ايت امر الى باشوية اكادير ، تعين الشيخ سعيد قائدا على ايت امر • بعد ان لم يكن الاشيخا على ايت يوسف • ثم خليفة القائد على الجميع ، ثم لمامات القائد الحاج الحسن الكلولى ١٣٥١هـ صار قائدا ايضا على اداكلول ثم على ايت عيسى • فاتسعت ايالته • فانتقل الى (تامانار) فانتقل معه المترجم فاسكنه فى دار ازاء داره • وقد رءاه بعضا لايتجزأ من كله • وقد هنأه استاذه سيدى بلقاسم التاجارمونتى حين تزوج بقصيدة نصها

بشرى بحب بدا فى قنن الكرم تسعى اليه وفود العز والنعم
بشرى له قد اتاه السعد فى منن كما أتى ربه موسى على كلم
حبيبنا من غدا فى كل مرتبة وكل فعل جميل راسخ القدم
محمد نجل احمد له نسب الى جدود لهم اعلى الفخار نمى
ما منهم غير من به يشار الى ما فيه من سودد كالشمس عن أمم[1]
لاسيما عرق ذاك الاصل ان له ترابطا بأصول كل ذى كرم
ليهنه ما حباه الله من صلة بالعقد للنسل من اقارب الرحم
فالحمد والشكر يا أخى عليك له لكى يزيد الذى عنده فى القسم
ياطرفة قد رءاها كل ذى بصر ونغمة قرعت من ليس ذا صمم
فلم يسع واسع الكونين خير نبا الى فؤادى من ذا المجذل العمم
لكن ماغاب وسط القلب ليس يرى لغير من اوجد الاشياء من عدم
فنحمد الله ربى ثم نشكره لما هدانا وكنا افضل الامم
نساله بالدوام ان يبارك فى شئونكم لا تعد ابدا بكم
ويكثر النسل والارزاق بينكما لمحو ما خط من ذنب ومن لمم(٢)
فهاك تهنئة من شيق لكم له صميم وداد غير منصرم
سلام شوق اليكم طيبا ارجا يطيب ناشقه من قبل مستلم
اوجبه ما عهدتموه من خلد منى يودكم من غير ما سام

---

١) امم محركا قريب
٢) اللمم محركا : الصغير من الذنوب

بجاه سيدنا النبى من شرفت به ظهور جدود قبل مـن قدم
عليه منى سلام اللـه ما لهـجـت بمدحكم وصلة الاشعار بالقلم

أبو المواريث وعدل

فى سنة ١٣٥٣هـ توصل بظهير ان يكون ابا المواريث • ثم صار عدلا سنة ١٣٥٤هـ فهكذا اجتمعت له كتابة القائد مع العدالة والقيام بعمل ابـى المواريث الى سنة ١٣٥٩هـ فرجع الحاج الحسن ابن ابن اخـى القائد فتولى الكتابة عنه • فبقى فى غيرها الى ان جاء الاستقلال •

فى خطة القضاء

جاء العهد الجديد بعد الاستقلال فكانت الوزارة تنظم القضاء فى جميع النواحى فكان ممن اختارتهم للقضاء فتولى فى (ايكودار) و (تافكولت) ثم طلبت منه الداخلية ان يقوم مع ذلك مقام القائد • فبقى كذلك فى الخطتين معا ستة اشهر ، الى ان تعين القائد ، فبقى فى القضاء وقد تكاثرت عليه الاعمال فبقى ثلاث سنين هناك الى اواسط شعبان ١٣٧٨هـ وهذا ظهيره فى هذا المكان

(يعلم من كتابنا هذا اسماه الله وأعز أمره • اننا بحول الله وقوته ولينا الفقيه محمد بن أحمد السوسى منصب القضاء بايكودار مـن الطبقة التاسعة مستندين اليه النظر فيما يحال عليه من القضايا • والفصل بيـن الخصوم حسبما هو معلوم او مشهور اوراجح فى المذهب المالكى ، فنأمره ان يقوم بما هو واجب عليه فى اداء مهمته القضائية احسن قيام وأكمله • ويتوخى أرشد المسالك وأوضحها ويراعى العدالة فى أحكامه • وذلك بـكـف الجائر ، وانصاف المظلوم ، والاخذ بيد المهضوم والتسوية بين القـوى والضعيف • وسلوك الجادة بين المشروف والشريف • سائرا بالمحكمة الشرعيـة سيرا نزيها مستقيما • قواما لله • شاهدا بالقسط • وفق ما يأمر به الله ويرضاه الوازع الدينى ، ويقتضيه الشرع الاسلامى • ويرمى الى تحقيقه جنابنا الشريف أعانه الله ووفقه • والى سبيل الحق هداه وأرشده • والسلام وحرر بالرباط فى ١٣ شعبان ١٣٧٥هـ الموافق ٢٦ مارس ١٩٥٦م)

ثم نقل الى (تاغاجيجت) حيث بقى أربعة اشهر • ثم اعفى من الخطـة بحجة أنه لا يحسن تمشية النظام الجديد فى المحاكم •

أخبار حواليه

أما أحوال المترجم فانه هين لين عارف كيف توكل الكتف ، يعرف كيف يحتال الامور ، جرىء فى محل الجراءة متمسكن فى محل المسكنة لبق

حاذق يستل الشعرة بلطف • وقد كانت حوله مواقف معتكرة الجو فاستطاع ان يضيء فيها وقد كان مع القضاة فى (تامانار) فى معاركة • لانه فرضى فقيه ، وهم دونه فى ذلك • فيخافون منه • فيدسون حوله ما يدسون ، فيناهضهم بساعد قوى • ولسان ذلق • وحجج دامغة ، حتى المراقبة لم يخل ما بينه وبينها من مثل ذلك • ولكن الفرنسيين يعرفون كيف يحتالون لامثاله حتى يظهروهم للناس انهم ممن انحازوا اليهم • وهذا ما وقع له حتى اساء فيه القائد رب نعمته ظنه • فكاد ينقطع ما بينهما بدسائس هؤلاء المراقبين وقد شكاه لى القائد مرارا • فاوصيه ان لايزور جانبه عن رب نعمته • وهكذا قضى ماشاء الله وكان كريما لايكاد يفضل شيئا مما يدخل يده • وانا أرى أن بركة شيخنا سيدى سعيد هى التى انسدلت عليه • والا فانه يومئذ يوشك ان ينهار به البنيان • وقد اخذ من الحاجيين دروسا اى دروس • فهاهو ذا الان بعد ما امضى ما امضى من الخدم • وبعد ما مر بيده مامر من الاموال لم يؤثل شيئا مذكورا • الا دارا فى (تامانار) والا ارضا قليلة للحرث هناك • وهو على كل حال فقير ان لم يغثه ربه بما يزجى به الايام وذلك دليل على نزاهته من الرشا • وعلى انه كريم

لقد علم الاقوام لو ان حاتما اراد ثراء المال كان له وفر

ومن احواله انه يحسن الظن فى أهل الله • ويرحم المساكين ، ويلبس دائما لباس المتواضعين • ولولا لسانه الذلق المشحوذ لكان خير رجل اخرجته الغ للناس • وحديثه ممتع فقد كان راوية للاخبار • خصوصا مامر به من الحوادث من عهد ان عقل الى الان • ولو جمع ذلك لكان سجلا مفعما مما يعجب المؤرخين

ومن احواله أنه محافظ على صلواته وعلى مراجعة الحديث • فلم يفلت قط الى الان المرور بالبخارى فى كل رمضان حتى فى ايام قضائه المملوء بالاشغال الرسمية •

وهاك نمطا من أخباره قال حضرت ماوقع حين قتل احمد ابن الفقيه سيدى على بن عبد الله فقد كان الوقت وقت الدراس فى الصيف • ففى ذلك الصباح صار الفقيه يرسل من اعشاره الى هرى المدرسة على العادة • فامر ولده احمد ان يقف على مايرسله حتى يصب فى الهرى • فوقف على الاحمال فاراد الطلبة انياخذوا شيئا من الحبوب يشترون بثمنه سكرا ، فابى عليهم ذلك • فعمد السيد احمد الوارحمانى السملالى ، فملأ من الشعير حجر ثوبه بنحو صاع من شعير • فذهب به مراغما لاحمد • فيه اشترينا سكرا • فاجتمعنا عليه نحن الطلبة فى المدرسة الالغية على عادتنا كلما وجدنا مانشترى به السكر ، فبينما نحن فى سطح المدرسة اذ سمعنا صوت رصاصة • ثم تبعه صراخ • فاذا بامراة صاحت بان احمد ابن الفقيه اصيب • وقد كان احمد

يتحاذب مع الذين كانوا عند سيدى محمد ابن الشيخ فى شىء (لايذكر) فى القرية • ولذلك ثار بينهم مائار ، فهدد بعضهم بعضا وكان لاحمد ابن الفقيه سلاح كالاخرين • فضربه اثنان منهم ، فاصابته رصاصة منهما قال : فخرجت من المدرسة متسللا فتنكبت الطريق المعتادة ، فذهبت تجاه المقبرة اولا• ثم استدرت الى ان وصلت وسط قرية (ايت سليمان) حيث سقط احمد • وقد اجتمع علىء الناس فاذا بالفقيه واخوانه قد وقفوا ، فقال قائل ان امعاءه قد تقطعت فخرج منها ماتعشى به • فهو هالك لامحالة ، فقال سيدى ابراهيم ابن عبدالله • واى شىء تنتظر بعد بهؤلاء الذين فعلوا بولدنا ما فعلوه • فصاح الفقيه وقال دعوا الفتنة ، دعوا الفتنة ، فالولد ولدى أنا لا ولد غيرى فاحملوه رحمه الله وقد كان الاستاذ سيدى الطاهر بن محمد الافرانى، وسيدى البشير الناصرى حاضرين فى دار الفقيه • قال فرأيت أهل قرية السليمانيين الذين وقع ما وقع بين ظهرانيهم قد دخلوا ديارهم ، وادخلوا جمالهم ، وتهياوا لما عسى ان يقع ، ولكن الفقيه اطفأ الفتنة فى الحين • فقد ذهب بولده ثم تتبع قضيته ، فتوارد المجاطيون والبعقيليون ، فبعضهم عند الفقيه ، وبعضهم عند سيدى محمد الذى قتل اعوانه الولد • فقام احمد الايغشانى بكل ما فى وسعه ، حتى انفصلت القضية ، ومكن الفقيه من الذين قتلوا ولده وهما اثنان • فقتل احدهما • وهرب الاخر • وهكذا اطفأ الله الفتنة بين المرابطين بفضله • قال والحقيقة اننى كنت اذذاك انفذ مايريده والدى ، فاكون رفيقا ليلا لبعض الرسل يرسلون حوالى هذه القضية ، فاعتسف بهم حتى يتجاوزوا الخ • وقد ذهب عمى ابراهيم بن الحاج صالح الى الفقيه فحكى له ما اقوم به • ولذلك كان محقا حين اخرجنى من المدرسة

هذا نمط من احاديث المترجم ، يستوعب به ما يحكيه بدلاقة وتفصيل حتى كان السامع حاضر لما يحكيه له • وهو ينصف فى الناس وفى نفسه ويتحرى الحق • وفى ذلك ناحية عظيمة من مناحى اخلاقه •

من انشاداته

كنت معه فى مجلس فكان مما انشده فيه بمناسبات ، وهذا المجلس اخر مجالسى معه فى الرباط •

تخلق الناس بالادناس واعتمدوا من الصفات الدها والمكر والحسدا
كرهت منظرهم من حسن مخبرهم انى تعاميت حتى لا أرى احدا

وانشد ايضا

تهفى على عمر مضى امضيته فى ملعب للترهات فسيح

وانشد ايضا

نصحت فلم افلح وغشوا فافلحوا فاوقعنى نصحى بدار هوان

وانشد ايضا

لاتقصد القاضى اذا ادبرت دنياك واقصد من جواد كريم
كيف ترجى الرزق من عند من يفتى بان الفلس مال عظيم

وانشد ايضا

من كان مردودا بعيب فقد ردنى العيد بعيبى
الراس واللحية شابا معا عاقبنى الدهر بشيبين

متوفاه

كان عندنا فى الرباط نحو اسبوع ، ثم اعتراه فى راسه دمل ، ففارقنا عشية الجمعة ٢٠ من ربيع الثانى • فظل يوم السبت فى البيضاء وفى يوم الاحد كان فى السويرة فظل مع الفقراء فى زاوية الفقراء الدرقاويين • فظهرت عليه أحوال • وقد كان ربما يعلن بان اجله قريب ، سمع منه ذلك كثيرون • وعند زوال الاثنين ذهب الى الحمام، قال حارسه انه خرج من الداخل ، فجلس فى محل الاستراحة فاذا به طلب شرابا باردا فشرب منه • فاذا به يقول اننى احسست بألم ، ثم طلب ماء ليجدد الوضوء ، فتوضأ ففرش ليصلى ، فاذا به لايطيق القيام • فمال الى جنبه • فاذا بروحه فارقته • فجرى الحاضرون الى الشرطة والى أبى المواريث • فعرفه الناس • فكثر التأسف عليه من جميع من يعرفه • فجهز ودفن فى الزاوية الدرقاوية ، فى قبر كان القاضى سيدى مسعود الشياظمى • هياه من سنين لنفسه ، هكذا ذهب هذا الفقيه الجليل الكريم ، فكان اول من توفى من اصحاب هذا (الفصل) الذى خصصناه للذين كانوا أحياء من الالفيين بعد ١٣٧٥هـ رحمه الله

سيدى أبراهيم بن احمد الالغى

نحو ١٣٢٤ هـ = حـــى

نسبـه :

ابراهيم بن احمد بن الحاج صالح بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد ابن احمد بن عبد الله بن سعيد

أخاف اذا أرسلت قلمي في صاحبي الترجمة الذي هو بمنزلة المهجة من جسدى ان اتجاوز حدود الحقيقة . وان البسه حلة باهرة تشع بالانوار. وتعشى الابصار . لانني هكذا أتصوره الان . حتى لاحس بعين بصيرتى كانما تعشيها أنواره .

حقيقة أننى ان قلت سيدى ابراهيم . فانما أقول هذا الذى اتمثله بقلبى روحا سامية عالية ، تتصل بروحى اتصال مصابيح الكهرباء بالاصل الـذى يتفجر منه تيارها ، وقد كانت روحانا روحا واحدة . تقسمها جسدان مفترقان لكل واحد منهما بصر خاص ، ينظر به من الوجه ، ولكن البصائر واحـدة متحدة النظر . كما يتحد نظر العينين دائما الى متجه واحد ، وان كانتا دائما اثنتين

في أعوام ١٣٢٩هـ كنت ارى سيدى ابراهيم يقفز بين صبية القرية ، ويتسابق معهم في العابهم المختلفة . ومن ذا يدرى في ذلك الحين ان ذلـك الصبي سيستحيل يوما الى استاذ كبير . ونحوى خطير ، ومهذب متيـن . بصيقله تجلى مناصل كثيرة . هي الان في المعارض لاتعرف منها نبوة ولايؤثر فيها صدى

في سنة ١٣٤١هـ رجعت من البلد الى الحمراء ، وقد زرت الوالـدة. وموسم زاويتنا فاتيت معي باخوتي الصغار الاستاذ ابراهيم والاخ عبدالرحمن والاخ أبي القاسم ، فالحقتهم هناك بالاخوين الاخرين : عبد الله وعبد الحميد فلاقيت في سيف البحر ازاء (تاغازوت) بين (اكادير) وبين (ايت أمر) ولداكما راهق ، راكبا على بغلة . ومعه المرحوم سيدى أحمد بن الحاج صالح والده فلم أكد القاهما حتى اقترحت على سيدى احمد ان يأذن لي برد ذلـك الولد ليصاحب اخوتي هؤلاء وليتانس معهم في (ايت أمر) حيث ينقطعون الى القراءة عند ولده الاخر الاستاذ سيدى محمد بن احمد (المتقدم) ، فاسعفني الوالد .

فكان ذلك لذلك الولد وهو المترجم الخطوة الاولى لانقطاعه عن الغ الى الجهة الاخرى ثم مازالت امواج الدهر تتمو ج حواليه وتتقاذفه حتى كشفت عن تلك الـدرة الثمينة التى يحملها الاستاذ سيدى ابراهيم بن احمد بين جنبيه ويضيء بها السبل فى الحمراء وما الى الحمراء للذين ساعدتهم الاقدار • فلازمـوا دروسه واستسقوا كؤوسه •

نزل على فى الزاوية فى (باب دكالة) حوالى ١٣٤٩هـ ضيف جاءنى من الجنوب ، وقد اسود مابين عينيه ، لنكبة من نكبات الدهر ، حامت حول اسرته وقد كان بعض اخوته اندمجوا فى مدينة من المدن • ليتطلبوا من فضل الله فى الاعمال الحرة ، شأن كل السوسيين ، فعزم ضيفى هذا أن يلتحق بهم • فما أدرى اى طالع سعيد طلع على اذذاك • فكان على بردا وسلاما فحلت بينه وبين ما يهم به من التطوح بين تلك الطوائح ، فاشرت عليه ان يلبث معى ، فاكون أنا وهو كنفس واحدة فى كل شيء شيء • وكانت هذه المحادثة التى افضت الى هذا الاتفاق فى أصيل يوم من الشهور الاخيرة من سنة ١٣٤٩هـ كما احسبه وأنا فى تلك الساعة ، أنبون عشية من جهة (الباب الجديد) وقد وصلنا غربى المقبرة التى كانت ازاء (دار البارود) فى (الكتبية) فهكذا يسر الله لى من ذلك الضيف لذى لم يعد نظرى فيه رجلا عالما كبير النفس • ثم صار يقوم بشئونى فى التعليم شيئا فشيئا حتى قام عنى باعمالى كلها ، ومن يكون هذا الرجل العالم الكبير النفس ، الذى قام عنى بادارة الدراسة حق القيام ست سنوات كاملة ، الا الاستاذ الذى هو شقيق روحى سيدى ابراهيم بـن احمد الـذى يعرفه معى كل واحد وهو الذى يمتد يراعى الان حواليه

قيل لعبد الملك بن مروان ان حاجبك يقدم أصحابه عند الاستيذان عليك وربما يترك من هم أشرف أواسن • فقال اننى لاالومه على ذلك • لان الجمل وان كان غير عاقل ليرى لصاحبه الذى يلازمه مالايرى لغيره • وان هاج وهدرت شقاشقه • فهاانذا أيضا اجيب بمثل ذلك من عسى ان يواخذنى فيما اشدت به لصاحب الترجمة ، مما هو دون مايستحقه منى بمراحل • ورحـم الله العلامة السخاوى المؤرخ الشهير الذى فسح فى تاريخه الشهير (المطبوع) لخدمه ولاصحابه مالعله لم يجده منه بعض الاعلين من معاصريه • فلاكان من لايشكر أعمال الرجال ، ولادامت نعمة من ينقلب على أصحابه • وينظر اليهم بنظر الشزر يوم يتاح له مقام من المقامات العليا • وهذه النعمة القلمية التى انعم الله بها على • فنال بها من لااعرفهم قبل ولا يعرفوننى حظا وافرا ، أفلا يكون منها لشقيق روحى سيدى ابراهيم نصيب كبير ؟ وهو ما هو علما وخلقا وهمة ، وصفاء نفس ، وطيب سريرة • وتحملا عظيما لاخلاقى التى اعرف منها أنا بنفسى ماأعرف ، قبل أن يعرف منها غيرى

دعونى دعونى فالعواطف قـدطمت بامواجها مـن قلبـى المتشكـر

على اننى ماتجاوزت فى المترجم بما قلته عين الحقيقة التى يعرفها عنه كل أحد ، ولا أعلنت الاكل مايعلنه من بالحمراء (وما قلت الا بالذى علمت سعد) فطالما قال الاستاذ سيدى محمد بن عثمان المسفيوى (رحمه الله) لولا سيدى ابراهيم بن احمد ماذهب فلان ولاجاء فى كل ما يقبل فيه اويدبر • فهاانذا أصدقه • وأقر على ذلك بنفسى

حياك الله ياسيدى ابراهيم وبياك ياشقيق الروح ، فمتى ياترى يسعدنى الله ثانيا فالقاك ، فالمس أيضا تلك السعادة التى المسها متى حاذيتك ياأخا كله لطف وبشاشة • وحلم وجودة رأى • وسراوة نفس • ودفن للسيئات • وتشييد للحسنات

دم للعلا ، دم للصفا ، دم للعلا ... فة دم لهاتيك الخلال السامية
أنى اوفيك الذى اديتـه ... لى من مساع خالدات باقية
قد كنت تعمل دائما فى رفعتى ... بجلائل الاعمال منك العاليـة
فيخالها من لم يكن يدرى الحقا ... ئـق أنها منـى ومـن اعماليه
لكننى فى اليوم اعلن ما علمـ ... ـت من الحقائق للقرون الاتية
لتتوج التاج الذى استحققتـه ... منى فترجـع باللئالى الغاليـة

متعلمـــا

ابتدأ القرءان على خاله سيدى موسى بن الطيب ، ثم التحق بعد ذلـك بالاستاذ سيدى بلقاسم الايسى فى مسجد (اكجكال) بادبنيران ، فلازمه سنة وعلى يده جود ، لانه يستتم تلاوة عليه كل يوم ختمة من القرءان ، ثم التحق بصنويه الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى فاكب على المتون الابتدائية هو وقرينه سيدى بلقاسم بن محمد السليمانى وكان المعتنى بالمبتدئين هنـاك اذذاك • صنوه سيدى محمد بن أحمد (المذكور ءانفا) ، فلزه كما ينبغى ماشاء الله • حتى توسط الدور الثانى ، فالتحق بدروس استاذ المدرسة • فاجتهد غاية الاجتهاد سنين، وقدكان أخوهو الذى يزاول مئونة الاستاذالتاجارمونتى فلما فارق تلك المدرسة خلفه صاحب الترجمة فى ذلك ، ففربت منزلته من الاستاذ • فنال بركة ذلك ، ومعهود عندهم ان من يخدم استاذه يفتح عليه اكثر من ءاخرين • بشرط ان لاينكف عن الطلب • هذا مايقولون انهم جربوه فصح واياكان فقدتفوق سيدى ابراهيم فى طبقته وسما سموا يذكره بءاقرانه ثم التحق بصنوه المذكور فى حاحة • كما ذكرناه ، فلبث هناك فى المدرسة ثماني سنين اخرى • انتخلوا فيها الفنون كلها • وهناك حفظ صاحبالترجمة المختصر كله • وقد كنت احثه على ذلك ، كلما زرتهم هناك ، كما اتقن النحو غاية الاتقان ، وشارك فى غيره مشاركة حسنة • وقـد درسوا هناك أيضا

البخارى مرات ، والشفاء والفرائض • وكان اخوه معنيا به • وهو اذذاك فارغ لماينط به من الاعمال مانيط بعد ذلك •

في الحمراء

رايت كيف اتصل بنا فى الحمراء ، وما هو السبب ، فاقبل بعد ما عرف متجه افكارنا على المشى الحسن فى المطالعة فى مختلف الكتب • وما اوجدها عندنا هناك • ثم اشرت عليه ان يفتتح المبادىء مع طبقة • فلا ازال اتذكر أنه كان يعتذر لى بأنه لايحسن العربية الدارجة • فقلت له اذن عليك بالعربية الفصحى • ثم لاعليك ، فعن قريب تفهم كل شيء • وكان الامر كذلك فلم تمض عليه الاسنة حتى تفوق فى عبارته • وظهرت مقدرته فى ميدان التدريس • وقد كان حصل تحصيلا فيما تقدم • فاقبل وادبر ، ونحن اذذاك ممعنون فى الاجتهاد • لما تشر الينا الاصابع (والويل لمن اشارت اليه الاصابع ولو بخير)

تكيفت طبقتان او ثلاث بكيفية فائقة فنسينا بهذا النجاح انفسنا وكل لذة تهم الناس حوالينا فاقبلت معه متساندين على التهذيب والتثقيف • ونحن نقاسى معا ما الله به اعلم ، عقبات حيوية تعترض فى طريقنا ولكننا بالصبر نقدر ان نجتازها جمعاء هذا والتلاميذ يتكاثرون والطبائع مختلفة وانا مبتلى بحرج فى الصدر وضيق فى النفس ، فيعترينى احيانا ما يعترينى فيفسد علينا امورا كثيرة • فكان بدماثة اخلاقه يراب كل صدع،ويرتق كل فتق على حين انه لايعد نفسه الا احد الطلبة • ثم انه جال فى الدراسة بجامع ابن يوسف فى التوضيح لابن هشام • فكان حذاق الاساتذة الجدد الذين يعرفون ماهو الانصاف ينصفونه ويقولونه انه انحى من رأينا من أهل جيله • واكثرهم استحضارا للشواهد • هذا وهو مع ذلك ياخذ من مجالسنا الدروس الحديثية والادبية التى تروج بيننا • فكانت له ايضا فيها درجات عليا وكذلك التاريخ ، والسيرة النبوية والجغرافية • وكان طبعه يحب النظام • كما احبه انا ايضا ، ولكن للنظام شروط تعوزنا ، منها اختيار الاساتذة • واين المال؟ ومنها الكتب المتحدة لجميع الطبقات ، التى تكون منها عندنا اكثر من عشرة ولكن أين المال ؟ هكذا وجدت العقبة التى لانقدر ان نوطئها الا وهى المال فصابرنا ورابطنا ، ونحن نستعين بكبار التلاميذ النجباء فى الطبقات الابتدائية وكثيرا ماكان بعضهم يسير سيرا غير محمود فيما يسند اليه • ولكن ما العمل؟ واين الاساتذة الاكفاء ؟ وكان صاحب الترجمة يحتمل من الدروس اكثر من طاقته • وهو صابر محتسب ، عارف للعقبة التى نجتازها • وقدر المهمة التى انتدبنا لادائها

ثم بعد سنة ١٣٥١هـ طلب منى القائد العيادى صاحبنا حفظه الله تنظيم

تعليم اولاده فلم أجد وقد وضع منى ثقته الا ان احمل صاحب الترجمة ضغثا على ابالة • فصبر على تحمل تلك المشقة • وهل خلق سيدى ابراهيم بن احمد الا من الصبر • فكان يسير على قدميه كل عشية من (باب دكالة) الى دارالقائد فى (باب الخميس) وقد تكون الحرارة شديدة الوقع ومن ذا يجهل حمارة القيظ فى (مراكش) وقد تكون صبارة البرد • وقد تكون الاوحال • ومادراك ماالوحال الحمراء حينئذ قبل ترصيف الازقة ذلك كله لايرده عن اداء مهمته حتى لقد كان فى ذلك كله عجبا

ثم درس فى جامع باب دكالة مع الطلبة الالفية مرتين او ثلاث ، والتحفة والرسالة والمرشد مرات ، والسيرة مرات • واما المتون الصغار والدروس الابتدائية والثانوية وما بعدها فهى هجيراه ، كما درس معهم ادبيات كثيرة وانقى دروس الانشاء وما الى ذلك من الدروس التاريخية والجغرافية وما اليها

هذا ولايشتكى الا من واحدة • وهى حرمانه من بعض فنون لايزال يحب التوفر عليها • حتى ياخذ منها حظه • وبسببه وبسبب نجباء اخرين درسنا (الاصول) وكان يقترح (البيان) وقد كنا درسناه فى المبادىء مرة او مرتين فاحب أن نعيده بالدراسة العليا • وبينما نحن نتهيأ لتنفيذ مقترحه • اذا به كتب الى رسالة صغيرة فيها ان صاحب الباشا الحاج التهامى ينتظرنى بالباب فقرأتها صبيحة ٢٨ ـ ١٢ ـ ١٣٥٥ هـ وانا لاأزال فى الفراش ، فخرجت فوجدته فى وسط الزاوية • فسلم على سلام الصباح • وخرجت • فكان ذلك اخر عهدى به الى الان (١) وقد فارقت الحمراء بعد خمس دقائق من مفارقتى اياه • فرميت هنا فى الخ حيث لاازال انتظر الفرج • وانتظار الفرج عبادة أكتب هذا الان اصيل يوم الجمعة ٢٣ من صفر ١٣٥٧هـ ونطلب الله ان تتلاقى وجوهنا أيضا حتى يانس بعضنا ببعض ، فهذا ما نتطلبه من الله فى هذا الوقت الذى هو مظنة الاستجابة

ثم أنه بعد نفيى انكف عن الزاوية فالتزم فيما يبلغنى دار القائد • وانقطع هناك حتى تدول الايام بما يشاء الله ان تدول به

وأخيرا

وقع الاتصال بالمترجم ، وقد زار سوس ١٣٦١هـ كما ذكرت ذلك فى الرحلة الثانية من (خلال جزولة) وقد كان استقر بفاس بعد مافارق الحمراء بعدى باكثر من سنة • فاخذ ماشاء الله من القرويين • وقد سكن فى المدرسة

١) كل هذا فى المنفى ـ لان كل الكتاب مكتوب هناك وليس فيه من غيره الازوائد قليلة او تتمات

المحمدية • ثم انقطع للتجارة ، ثم تزوج اخت صاحبنا الحاج محمد بن داود الفاسي ثم لما رجعت الى (الحمراء) سنة ١٣٦٤هـ كان في مدرسة (تمانار) سنة • ثم انقطع الينا ايضا بمراكش مع اهله فسكنا معا في دار واحدة ثم في سنة ١٣٦٨ هـ • صار عميد مدرسة ابن كرير التي بناها القائد العيادي ولايزال فيها الى الان ١٣٧٩هـ فهكذا تقلبت به الاحوال الى الان (وقد صابر ورابط في هذه المدرسة لايستميله عنها اى شيء • وقد عرضت عليه وظائف كالقضاء ، فابى من الخروج من مدرسته ، وهو على ذلك الان في رجب ١٣٨٠هـ)

آثـــار ه

من ذلك ماكتبه الى وانا في الغ (انني اكتب اليك وقد ضرب بيننا الدهر بسد عريض • وخندق عميق • وحاجز كثيف • ولاانهى اليك الا ماتعلمه من قلوب تذوب اسى وتفيض حزنا • وتتاجج لوعة وهذا الدهر لايفتر ذا تقلب وكدر • والانسان يعتوره بين امواجه ما لايتحمله الا اقوى الرجال عزائم ، وأشدهم ايمانا وغيرة • فنحن ابناءك في انتياع ، وكلنا مشتاقون الى رؤيتك وتقبيل ذلك الجبين ، والمثول أمام تلك الحضرة التي عهدنا منها ماعهدنا • فاذا كان الاجانب عنا في تململ بهذا الرزء الذي ثل عرشنا • وفض جمعنا فكيف نكون نحن ابناءك البررة ؟ فمتى يساعد الزمان فنتلاقى متعانقين متضامين؟ ثم لتقم القيامة اذذاك ، ولتات النفخة او الصعقة الاخيرة

لايعلم الا الله مافي الافئدة من الاحتراق ، وما في القلوب من الاشتياق وخصوصا اذا جرى ذكر تلك الايام التي كان لنا فيها ماكان مما رءاه الاعمى وسمعه الاصم • وشهد به حتى العدو الازرق • وكاد يرحم حالنا من بعده من كان يتمنى لنا الموت الاحمر

رباه انياس وأنت ارحم الراحمين ؟ ام نلوب أسفا وانت يامصرف القلوب من اعتدنا منه ان ينشر رحمته من بعد ان يقنط الكافرون بقدرتك • فكلنا رجاء يارب ان ترد المياه الى مجاريها • وان تضم قوادم الاجنحة الى خوافيها • ومنك يطلب الفرج القريب ، فمتى تنفرج هذه الازمة الشديدة يارباه ؟

ومن ذلك أيضا ما كتبه كوصية بايتام عن لسان بعضهم من رسالة

انني منعت ان احضر هناك ، ولكنك كاف في كل مايراد من كفالة اولئك الايتام الذين هم كالفراخ الزغب ضعفا • ومن الكلاءة التي تلقى عليهم ظلا ظليلا • وما غاب من كنت الحاضر وراءه وما يضيع من اليك رسن هدايته ان شاء الله

وكتب الى الاستاذ الشاعر البونعماني من فاس بعد ماغادر الحمراء يأخذ في القرويين نزيلا ببعض مدارسها وفي الرسالة دعابة لانها كتبت بقلم

الادباء الفكهين • وهى جزء من رسالة طويلة حذف منها مالاحاجة اليه للقارىء

الاخ المخلص الشاعر العبقرى سيدى الحسن بن أحمد البونعمانى تحية واشواقا

ان أخاكم لاينساكم ولن ينساكم • وان وقع بين العيون والوجنات رغم ما تبتديه الاولى من فتور اللحظات • والثانية من تورد تارة واحمرار تارة واصفرار كرة اخرى • هذا كله لايلهى اخاكم من أن ينصب شخصيتكم الفذة بين عينيه كل ثانية • فيرى فيها من الجلال مالايكون للحور وللكحل فى العيون ، ولا للتورد بالخجل فىالخدود • وشتان مابين متحل بالوان الجمال ومتحل باحسن الخلال • وبصفاء الصداقة وطيب السريرة • انامثالكم اليوم فى اخوتكم وفى صداقتكم لمما يعز أن نجد له ثانيا ، فالناس اليوم غير ماتعهد اغبرت ءافاق الصداقة • واقشعرت بلاد الاخلاص فى الود • فلم يبق لامثالى المغمورين ان تخطاكم الا ان يجعل راسه تحت جناحيه •• ويسد بالقطن اذنيه لئلا يرى اويسمع • والحقيقة ان كل من يرى اويسمع لايمكن له ان يتخذ (القرويين) قبلة فى هذا اليوم الذى كادت العلوم تكون فيه صفرا

تنازلنا عن كل شيء ، والقينا ظهريا كل ما كان فى أيدينا فابتدانا هنا فى المدرسة حياة ابتدائية • كاننا لم نعد بعد دور الطفولة او كاننا فى مفتتح حياتنا فى أخذ العلوم ، بعد ما اوضعنا فى ميادينها ماشاء الله • ءامنا بالله وءامنا بتصاريف الدهر •فهكذا اراد القدر منا ان نكون • فما العمل أمام ارادته ؟

عجبا انك تقول ان العلم اليوم يترقى • حقيقة انه يترقى • ولكن اين انعلم الذى يرقى اصحابه • أهو موجود اليوم فى (القرويين) يمثله اساتذة (القرويين) أهو هذا الذى تتموج ابحاثه الصحيحة بين اساطين (القرويين)

لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى

كيف لمثلى ان يتكل على شقشقة المدرس فى هذه الجامعة الهرمة • ثم ينتظر وراء اتكاله نجاحا او يرقب من بعد سعيه فيها فلاحا • مادام لم يدعم بجهوده • ويعتمد على فكره • ومباحثاته ومذاكراته مع الاقران ؟

زد على هذا ما انتشب فيه أخوك من جديد من الم الغربة • ومرارات العيش ، فى بويت احرج من صدر الحزين • كانه حجر ضب تفتك الهوام والوخم بالساكن فيه • فلا هواء ولا شمس ولا كهرباء فكانه سجن من السجون التى تذكر فى القرون الوسطى • أوليس ان السكنى فى مثل هذا الناووس مجلبة لبذور السل اعاذنا الله وأعجب من هذا ان هذا الرمس على عفونته وضيقه لايوجد الا بجريعة الذقن • والسعيد من وجده • لانه على كل حال افضل من لاشيء ولكن وجوده كيفما كان • ولا البيات فى العراء البارز

تحت النجوم ولهذالايلام من يعد مثل هذا الجحر قصرا كقصر امثالك من المترفين • ولو بليت كما ابتلى ممثلى لادركت كل هذا غاية الادراك • اليوم توصلت برسالتك التى احيت الموؤود وانعشت الفؤاد ، فوجدتنى مرتطما فى فنون شتى فتسرب الى روح الاستبصار ما احيا الامل • ونفى الملل ، وانسانى هذا القبر الذى اثوى فيه ، كأنى جان محكوم‌عليه بقعر السجون • وبالاشغال الشاقة •

ايه أيها الشاعر انك تتمتع فى شواطىء (أبى رقراق) بما تريد • وتتبختر غاديا رائحا فى شوارع فيحاء وقت اختلافك الى مدرستك التى تلقى فيها دروسك كموظف ، فاين أنت منا • ونحن هنا فى ازقة ضيقة مظلمة ذات هواء مسموم ، مانج بالجراثيم ، ثم لانستمتع باى شىء • فلانزور لا مولاى يعقوب • ولاسيدى حرازم • أفلا تشكر الله على ما أنت فيه • وتمعن فى الاستمتاع بتلك البهجة مادمت تتمتع بصفاء الدهر • واعراض نوائبه عنك

تتمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

قرأت فى رسالتك ما قرات • أتكون محفوفا بالظباء السوانح فى كل مسرح ، وتستهزىء بأخيك ؟ أم أنتم أيها الشعراء تعبثون بالناس • وتودون أنتم أن تسلموا من عبث العابثين • ام غركم ياشعراء الرباط ماتونسونه من ضعف الالسنة فى (القرويين) فعلى رسلكم فعما قليل ترون شعراء جددا يحلقون فى سماء فوق سمائكم (وان غدا لنا ظره قريب)

قال يخاطب احمد شوقى الدكالى ـ ينصحه ـ

ماذا يفيد شبابك الفتان يا احمد وشعورك الولهان
ما انتمل من الصبابة والهوى حتى تذيب ضلوعك النيران
يا أحمد هلا ارعويت عن‌الهوى ان الهوى لمذلة وهوان
ان الهوى بحر يموج عبابه وتهاب من أهواله الشجعان
كم من اعاظم قد ابادهم الهوى عقدت على هاماتهم تيجان
فغدوا بما ارتكبوه صرعى‌مالهم من منقذ فعراهم الخذلان

وله أيضا عشية واقعة مراكش فى الوطنيين برجب ١٣٥٦هـ (من‌قصيدة)

رزء عرا فاصاب كل فؤاد ودهى الورى فاضل كل رشاد
رزء تميل الراسيات لهوله ولوقعه ترتج كل بلاد

وله ايضا مطلع قصيدة

أرى هدى الدناتضع العظاما وتعلى فوق هامتها اللئاما

وقال‌مخاطبا للمحفوظ بن الحضرمى والبيت الاول قديم ـ من قصيدة ـ

(كن كما شئت فالزمان هناء ولك السعد خادم والقضاء)

انت ذاك الذى ينيه به الدهـ ـر ويشدو بذكره الشعراء
ان بدت منك وثبة للمعالـى فعظيم ءابـاؤه عظـمـاء

والم بالخ ١٣٦١هـ فلم يصادفنى هناك فقال

مـازرت الا بلـقـعا وقـفـارا ان زرت الخ ولم تر المختارا

وفى هذه السفرة خاطبه شيخنا سيدى عبد الله بن محمد الالغى بقولـه يستدعيه

أبا سالم انا انسنا بكم جـدا ونلنا بفضل اللهمن وصلكم جدا
أبا سالم يا أيها الندب من له مراتب ود فاقت الحصروالعدا
أبا سالم أما أتاك الرسول طر بشوق كثير زائد تنعش العبدا
لك الفضل لاله ولم لا وانتمن قرابتنا قدحزت دون السوى حمدا
عليكم سلام الله ما قال منشد (أبا سالم لقد انسنا بكم جدا)

ومن قوافى المترجم قوله اوائل قصيدة

هو الدهر يأبى ان أنال المعاليا ويبغى اعتسافا ان يشدوثافيا
أريد المعالى ثم يثنى عزيمتـى ويبتز ما قد عز عندى ومماليا
رمانى فاصمى القلب منى ولم يزل يسدد نحوى اسهما وعـواليا
هو الدهر يعلى فوق هامتهالالى تولوا ويبدى جهله لى مكانيـا
هو الدهر لايرعى الزمان وما بدت له حسناتى اليوم الا غزانيا
ولوعلم الدهر الغشوم بـانـه يز عزع طودا شامخاماد هانيا
اسامع انت يازمان فاننى عدتنى عن السماع منك عواديا
أيادهر لاتعجل فما انا بالذى يريد حياة فابـغ أنـت وفاتيا
فسيان عندى يازمانى ان أرى قرين معاشى او قرين مماتيا
فكيف يرجى العيش مثلى بعدما يرى مـن يعز عنده كان نائيا
وما انس ملاشيء لاانس قوله (وداعا) فكانت طعنة فى فؤاديا
فقدكان لى عونا على الدهر انسطا فلا يرعوى حتى يحـل وثاقيا
وأما وقد حم الـفـراق فانـه يكدر ما نلناه منه تصافيا

وقد كانت عندى مجموعة من قوافيه خباتها بين الكتب لمثل هذااليوم ولكن لما اقع عليها الان ، ولو وقعت عليها لذكرت كل ما اختاره منـهـا • وسيجدها ان شاء الله القارىء فى كتاب (جوف الفرا) ان وجدناها • وفيها ماكان يقوله فى مناسبات • والمقصود ان يعرف ان المترجم من ادباء الخ الكبار

سيدي بلقاسم بن محمد السليماني

١٣١٨ هـ = حـــي

نسبـه :

بلقاسم بن محمد بن بلقاسم بن احمد بن محمد بن سليمان بن محمد ابن احمد بن عبدالله بن سعيد

سيدى محمد بن بلقاسم والده كان من افاضل رجالات القرية جدا ونشاطا واقداما ، وتوفى سنة ١٣٤٥ هـ وهو ابن عمتنا رقية • وكانت هذه ممن ينحتن دائما الى دارنا • ويباشرن الخدمة والطبخ فى مطبخ الزاوية • وهى التى كانت حينا تخصص طعاما مستطابا للشيخ على حدة ، فينهاهاعن أن تطعمه الا مما يطعم منه الناس جميعا • وهى التى ربت صاحب الترجمة وعادت عليه بركتها حتى صار من الاساتذة اليوم •

وأمه من ءال (تيغشيت) بنت الحاج احمد من أصحاب الشيخ الكبـار وممن حج معه وتوفى سنة ١٣١٢هـ وهى أخت الفقير سيدى على التيغشيتى من أكابر أصحاب الشيخ أيضا المتجردين المذكورين فى (منية المتطلعين) •

متعلمـــا

أخذ سيدى بلقاسم القرءان عن سيدى بلقاسم بن احمد الايسى بمسجد القرية • ثم عن الاستاذ سيدى على بن همو بمسجد (اكنى ايديان) قال وذلك سنة ١٣٢٨هـ قال وهناك وصلنا خبروفاة الشيخ • ثم أتـم حفظ القرءان وتجويده على ابن خالته سيدى موسى بن الطيب • حين شارط فـى المسجد السليمانى فى سنوات ١٣٣١هـ ثم افتتح الاجرومية عند شيخنا سيدى عبد الله بن محمد فى المدرسة (السعيدية) بالاخصاص • وبعض متون المبتدئين ثم اتصل بالاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى فـى المدرسة (الايفشانية) من سنة ١٣٣٥ هـ الى ١٣٤٥ هـ فعليه وعلى يد معينه سيدى محمد بن احـمـد الصالحى تدرج فى المتون ، وتخطى مراتب الطورين الاولين • وقد تمكـن فى الطور الثالث ، فاتقن عليه العربية واللغة والفقه • والفرائض والحساب وقد أتى على المتون التى توخذ • فاستتم الالفية اربع مرات ، والمختصر ثلاث مرات او اربعا والمقامات مرات ومتون اللغة ، والادبيات التى تدرس • والمقنع والهمزية وبانت سعاد وأمثالها والبخارى على العادة • هذه كلها من المبتدا الى

المنتهى من غير ان تتخللها بطالة ، لانه متفرغ من كل الشواغل • وهو من أسرة مستورة • فرغته الى ماهو بصدده • وهو ايضا ساكن النامة • ذوهمة وطموح وفى سنة ١٣٤٥هـ افتتحوا التلخيص عند الاستاذ التاجارمونتى لكن عركة تلك السنة الشديدة • قد الجأتهم الى التفرق شغر بغر • فالتحق سنة ١٣٤٦ هـ بابن خاله الاستاذ سيدى محمد بن احمد فى دار القائد سعيد التيكزيرينى المتقدم الذكر ، وقد التحق بهذا القائد قبل هذا الوقت (كما ذكر ذلك فى ترجمته) وقد كان اخذ عنه المبادىء حين كان لايزال فى المدرسة (الايفشانية) يعين الاستاذ التاجارمونتى • فاخذ ايضا عنه هناك المختصر ودالية اليوسى ، والمعلقات والشفاء مرتين • فبقى هناك الى سنة ١٣٤٨هـ • فالم به خلل فى مزاجه كان نتيجة وقوفه يوما شديد الحرارة فى حمارة القيظ تحت الشمس فى (ايسافن) مرتبع الخ وهو يعين أهله فى الحصاد وما زال ذلك ينتابه بالضعف من سنوات حتى اثر عليه هذه المرة فاختل عقله لسبب جديد اعتراه هناك • ثم بعد ان ابل سافر الينا بالحمراء• فرأيته لاباس عنده • ثم ذهب الى (زطاط) فرجع الينا • وقدراجعه خلله فما شئت من مخاصمة وامور اخاف ان يفرط عنها مالاتحمد عقباه • فامرت به فوضع فى بيت صغير • ثم كسر بابه او دفعه بقوة نادرة • فتزايد امره حتى أمرت الطلبة فربطوه ، ولكنهم تشددوا فى احكام الرباط حتى اثر كثيرا فى اعضائه وذلك فى الحقيقة لايزيده الا هيجانا ، ولكننا راعينا جانبا • ونسينا جوانب ثم ظهر لنا منه برء فاطلقناه ، ففرحت بابلاله • ثم رجع من عندنا • وهوالى الان لم ينس ذلك الرباط • ولانزال نباسطه به الى الان • وهذا الاختلال يلازمه كثيرا خصوصا فى الصيف ، فكل من عرف مقدار علمه ومتانة دينه يرحمه متى رأى منه ذلك

مشارطاته

شارط فى مسجد (ادوز) من (تاسكا اودرار) بايت أمر • وبعد ستة اشهر راجعه الخلل ، فالتحق باهله اواخر ١٣٤٩هـ ثم شارط فى (تاوييت) فلم يبطىء فانقض عليه ايضا مايعتاده ثم شارط فى (ارحالن) من قبيلة كسيمة سنتين ثم فى مسجد (النجارين) فوق تركال من قبيلة ايت حامد ، فبعد ستة أشهر أمره الاخ سيدى محمد ان يشارط فى مسجد القرية فبقى فيه ثلاث سنوات من مفتتح ـ ٥٣ ـ الى رمضان ١٣٥٥ هـ فالتحق بالمدرسة (الايفشانية) معينا لاستاذها سيدى الطاهر ،فقام فيها بالتعليم لثلةمن الطلبة باجتهاد تام ونعم المدرس والمذاكر كلما فارقه الخلل

اظن اننى مارايت من طبقته التى نبغت معه افهم ولا اذكى منه ومن قرينه سيدى ابراهيم بن احمد ، ومن سيدى الطاهر بن على فقد تقدموا تقدما كبيرا وحصلوا ، فان كان الاستاذ سيدى ابراهيم فاقهم بنواح شتى ، فما ذلك الا ببركة رحلته • وانقطاعه عن هذا الوسط الميت الذى لاتزداد فيه المعلومات منذ عقد من السنين حتى ان الغ لولا اولاد الاستاذ على بن عبد الله وشيخنا سيدى عبد الله بن محمد لقلنا ان علم الغ اليوم ١٣٥٧هـ فى حشرجة الاحتضار لاقدر الله • وصاحب الترجمة اخذ كل الفنون المتداولة اخذا حسنا • ولو كان يروجها فى هذه السنوات الكثيرة لكان من المتفوقين وهو ذكى حريص على الاستفادة محاضر بمعلوماته ولكنه لعدم مال يجعل حوله هالة مرموقة ملقى فى زاوية الاهمال • فلا يبالى به • مع أنه من تتزين المجالس بافهامه وبمباحثاته • ولى معه فى السنة الماضية مجالس زاهية • وذلك كله مع حسن خلق وهدوء ، وتواضع حقيقى ، وديانة تامة ، وهويستحضر دعوات كثيرة كان يمليها على من الابيات كلما جالسته وقد استنشدته يومالارى كيف يختار انشاداته من بين محفوظاته الادبية فاذا به يحفظ احسن مايطالع ويذاكر فى المحافل باجود ما يحفظ فانشدنى

ان الغنى بالنفس يا هذه ليس الغنى بالجاه والدرهم

وكيف لايستحلى المترجم الفقير مثل هذا البيت معانه يرى ان الالغيين مانسوه الا لانه فقير

وانشدنى ايضا

لجلسة مع اديب فى مذاكرة انفى بها الهم او استجلب الطربا
اشهى الى من الدنيا وزخرفها وملئها فضة وملئها ذهبا

وانشدنى ايضا

ماذاترى فى محب ماذكرت له الابكى او شكا او حن او طربا
يرى خيالك فى الماء الزلال اذا رام الشراب فيروى وهوماشربا

وانشدنى ايضا

ماذا تقول فدتك النفس فى حالى مضى زمانى فى حل وترحال
كذا النفوس اللواتى العز يصحبها لاترتضى بمقام دون آمال

وانشدنى ايضا

اذا ما كنت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى امر حقير كطعم الموت فى امر جسيم

وانشدنى ايضا

وما انا من انيجمع الله شملنا على خير ماكنا عليه بئايس

وانشدنى ايضا

كفانى من اللذات ان لايروعنى وزير ولا يسطو على امير

حقيقة يابن العم فقد حرك منى هذا البيت عرقا كان دائما ينبض منى فلا احب الى من أن أكون مغمورا مستورا • مكفى المئونة مشغولا دائما بالعلوم والمدارسة فيها • من غير ان يتصل بى وزير فيروعنى • ولا امير فيسطو على وكان ذلك دائما منتهى امل • واقصىغايات منای ولارجاءل قط في ان أتعرف برئيس • أوان أكون ممن يشار اليهم في مقام باصبع • الا ذلك المقام الذى هو كل منای • ولكن الدهر يعامل الانسان دائما معاملة البركة الصافيـة للاشجار التى في حافتها اذ تقلب أعاليها اسافلها فتشاهد رأسك وانت مار بها ادون من رجليك

تلك زفرة ارسلها الان فىهذا المنفى بمناسبة هذا البيت • وحقيقة من حقائق ذات نفسى اسجلها هنا • والله تعالى وكل الذين يداخلوننى •ويتخللون من نفسيتى مسالكها الحقيقية • يعلمون هذا منى حق العلم • وان كان بعض الزملاء يزعمون اننى ممن لايتطلب بكل اعماله الا العلو • والاتصاف بالمراتب سامحهم الله ولا واخذهم بما يزعمون

ءاثـارء

لايكاد ينقضى عجبى كلما اجلت طرفى من هذا الفتور الذى يستولى على بعض الطلبة النجباء ، فتجدهم وقد مرت بهم سنوات فسنوات ، والحوافز تحثحثهم من كل جهة ، ليجهروا بما يخامرهم من فرح ، وحزن او رضا اوغضب أو اكرام أو اهانة ، باسلات اقلامهم التى ربضوا سنين متتابعة على شحذها وكيفية اعمالها • حتى عرفوا كيف يتلقون وحيها ماشاء الله حين ربضوا فى المدارس • ثملاتجد لهم ان توقف مؤرخ مثلى على بعض ءاثارهم ما تجمع عليه رؤوس اصابعك • كانهم لم يعرفوا كيف تجال الاقلام • ولم يدركوا من كتب الاداب التىمرت بين أيديهم كيف يكون لهم ظلال فى التاريخ • وكيف يرسلون صيحات الفرح فى اوقات الفرح • وكيف يطلقون صرخات الغضب فى ساعات الغضب • فصاحبنا هذا من اوليك ، فقد تطلبت جهدى لعلى اقـع على بعض نتف منه كيفما كانت ، فاعوزتنى الطلبة الا ما وقعت عليه فى أوراق أتانى بها • وهذا ما استخرجت منها ، نسوقه مكتفين به • وماذاعسى ان نصنع لو لم نكتف بالموجود

كان الاستاذ سيدى المدنى ارسل اليه قميصا يخيط، فبعد ما ابطأ عنده ارسله اليه فاذا به كما هو من غير خياطة فكتب اليه

ابا قاسم ازريت بالخلق الـــذى ... وسمت به فى الاقربا والاباعـد
رددت القميص لم يخط بعد بطئه ... لديك وما وفيت حسب المـواعـد
(لئن كان اياه لـقـد حال بعدنـا ... عن العهد فعـل الناكث المتوادد)
فدامت على مثواه ازكى تحية ... تؤم جناب الاقعس المتباعـد

فاجابه

الى العالم النحريـر والعلم الفرد ... واستاذنا الغطريف ذى الفضل والمجد
عليك اباعبد الالـه تـحـيـة ... يحاكى شذاها نفحة المسك والورد
رقيت مراقى العز عن رغـم حاسد ... وبلغت كل السؤل بالسعد والرغد
فقد جاء منك سيدى ما يريبـنـى ... قلبت به ظهر المجن على ودى
اتطلب ردا للقميص فتثنـى ... على بلوم اذ اطعتك فى الرد
تعاتب منى مـن يودك دائما ... وذو الوداهل الشكر لوشئت واحمد
عزمت على رفو القميص لو اننـى ... فرغت أ ألغى فيه امرك عن قصد؟
جهدت لكى القى الفراغ له وهـل ... يلام لدى شرع الهدى باذل الجهد
فقد كنت تدرى من أنا فى الوفاء لو ... تانيت أياما وانى لـذو عهد
فاسرعت لاسترداده قبل رفوه ... فساعفـت فيما قـد طلبته من رد
ولكن ستدرينى غـدا ان تعرضت ... حوائج اقضيها عـلى سرعة وجدى
فاغض وسامح واحملنى على الـذى ... عرفت فشم عنى عنابك فى الغمد
فلست ترى منى سوى ما تريـده ... فكل الذى تبغيه يوجد مـن عندى

وقال يخاطب سيدى محمد بن ابراهيم الحاحى سنة ١٣٥٦هـ . وهذا يتلقى اذذاك بالمدرسة (الايمورية) عن الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم

انى وحقك مشتاق بـلا فند ... الى لقائك شوق الام للولد
فحبكم فى فؤادى غير منتقل ... كنا على القرب او كنا عـلى البعد
فى كل حين ارجى ان أراك لكى ... ينزاح ماكان بالاشواق فى خلدى
فقد شجانى واضنانى البعاد فلو ... كان اقتراب هتكنا سجف ذاالنكد
عليك منى سلام الله ما التطمـت ... فى الابحر الزاخرات الموج بالزبد

هذا ما وجدناله . ويقول انه غير معنى بالقريض قبل اليوم وقـد صدرت منه نحوى فى السنة الماضية ١٣٥٦هـ قصائد وقطعات . اودعناها فى كتاب (الالفيات) وحين اعطانى القافيتين المتقدمتين ، قلت له لااثبتهما حتى تمر بهما ثانيا فتصلح او تبدل ما ظهر لك . ففعل ذلك بهما

أخبار عنه أخيرا

لم يزل ذلك المرض يلم به فينة بعد فينة • فيفارق تمييزه • ولايدرى مايقول ولا ما يفعل • وقد شارط حينا فى حاحة والشياظمة ثم فى مدرسة (ايمور)ثم فى بعض المساجد • ثم كان فى مسجد قرية (ايت سليمان)١٣٧٥هـ ثم كان فى اداوتنان ، ثم رجع الى البلد تحت مرضه الذى لايزال يعاوده فى كل صيف • واى عالم افسد فيه ذلك المرض المعضل • وهو رجل تقوىوعلم وتصوف واخلاق • ولله فى عبيده شئون • وقد تزوج فولد له • وهو الان ١٣٨٠هـ • يزجى الايام فى مساجد الغ وما اليها • يرحمه الناس • وقداصيب بموت زوجه اخيرا • فالله يلطف بنا وبه •

سيدي محمد بن احمد السليماني

ثم الهشتوكي

مختتم ذى القعدة ١٣٣٨هـ = حـــى

نســبــه :

محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبدالله بن سعيد

هذا احد علماء الخ الجدد . الذين احسنوا الاخذ ثم برزت شهرتهم فى ميدان المعارف . ثم انتصبوا لتعليم الطلبة . فامتدبهم حبل الخ فى هـذا الميدان . وهل الالفى الحقيقى الا من تعلم تعلما مكينا . ثم علم تعليما متينا

لادر درك يا الفى ان جنفت ... رجلاك عن سيرة عن الخ قد عرفت
فما الرياض سوىعرف الزهورمتى ... هب النسيم على اكمامهـا عرفت

متلقاه للقرآن

افتتح حروف الهجاء عند الاستاذ سيدى محمد اوملیل البوخيرى الايغشانى الرجل الصالح الصوفى ، وذلك فى مسجد القرية حين شارط فيه حوالى ١٣٤٤هـ وقد اخذ عنه الى حزب (ولا تجادلوا) ، فادركه الموت . وقد مرض وذهب الى أهله . فدفن هناك . ثم عن الاستاذ سيدى عبد الله بن احمد الوليلى السملالى المخرج لعشرات فعشرات من أبناء الخ ، ثم انقطع الان سنة ١٣٧٦هـ الى مسجد (ايشوكاك) من (اكادير ايزرى) (ولايزال الان ١٣٨٠هـ على عزيمته وهمته فى التعليم . وقدرايته قبل هذه السنة وهو شيخ هم عليه سيمى الخير) اخذعنه المترجم فى مسجد الزاوية العليا . فلازمه حتى ختم عليه ختمتين . ثم انتقل الى مسجد (الارجام) عند الاستاذ سيدى عبد الله بن بلعيد . وأبوه بلعيد من المتقنين لحفظ كتاب الله ومن التلائين له . وكانت فيه لوثة . فيقول اننى ملك . فلقبه الناس باكليد . وكان يقطن فى (اداوشقرا) بافران . وقد توفى حوالى ١٣٧٠هـ . وأما عبد الله بن بلعيد فانه الى الان لايزال حيا يشارط فى المساجد. ويشارط فى مسجد (ادعبد) فى أيت بريم التى كانت الاصل الاصيل لاسرتهم . ثم سكن هو فى قرية (الارجام) . وقد عرفته ورايته فى (الارجام)

حيث اصهارى الشرفاء • اخوال اولادى • ختم عليه المترجم ختمة واحدة • ثم عن الاستاذ سيدى على البودرارى العبلاوى ـ من أيت عبلا البعمرانيين وحياته مابين مشارطة فى المساجد وبين وظيفة العدالة ، وله نصيب من علم العربية ويظن المترجم أنه ممن مروا بمدرسة الخ • ولايزال حيا الى الان أخذ عنه المترجم فى مسجد اكادير من (ايت عبلا) لازمه نحو عامين • ثم عند الاستاذ سيدى احمد بن على اليعيشى البرايمى • من الاخذين عن شيخنا سيدى احمد ابن مسعود المعدرى فى بونعمان ولاباس بمعلوماته • ثم صار من القراء الالفيين ومن المسمعين المنشدين فى مجالس الذكر ، يحفظ كثيرا من القصائد وديدنه المشارطة فى المساجد ولايتخلف عن موسم الخ • وهو منذ سنين كثيرة فى مسجد (اكلميم) ثم انتقل اليوم الى مدرسة فى أيت بعمران ، وقد كان يعلم القرءان بالجد • أخذ عنه المترجم فى مسجد قرية الاستاذ (اديعيش) لازمه عامين • وهو خاتمة اساتذته فى القرءان • وقد استتم المترجم اخذه هذا سنة ١٣٥٥هـ •

فى المدارس العلمية

افتتح الجرومية عند الاستاذ سيدى بلقاسم السليمانى ـ المتقدم الترجمة ـ فى مسجد القرية (ءال سليمان) ثم التحق بالاستاذ عبد الله بن ابراهيم خاله ـ وقد مرت ترجمته ايضا ـ وهو اذذاك فى (مدرسة سيدى حسين اوحسين) من اداكيلول بحاحة • ثم صاحبه الى مدرسة (ايمور) • حيث صاحبه سنتين فاخذ عنه الجرومية والجمل والزواوى ولامية الافعال وابن عاشر • والبردة والهمزية • ولامية ابن الوردى • والالفية الى الابتداء والرسالة الى منتهاها

ثم الى مدرسة (تاكوشت) بأيت صواب • عند الاستاذ سيدى محمد بن أحمد الرسموكى الاصل التاكوشتى المنشأ الذى لايزال هناك الى الان ـ وسترى ترجمته ان شاء الله فى (القسم الثالث) ـ أخذ عنه الزقاقية ونظم الميراث للرسموكى • والالفية ومختصر خليل بنصابين احدهمافى اوله • والثانى فى الاواخر • فيستتمه دائما فى عامين • وورقات امام الحرمين • والبخارى فى الرمضانات (على العادة) ولم يبق المترجم هناك الا ما دون سنتين • ثم الى (مدرسة الخ) عند الاستاذ سيدى المدنى فكان مما اخذه المترجم هناك المنهج للزقاق • واعاد هناك المؤلفات الكبرى • وتوسع فى اللغة والادب فى المقامات ولامية العجم والمقنع والتحفة • ولم يزل يجول فى هذه المؤلفات وما اليها خمس سنين •

ثم تخلل اخذه عام لازم فيها القائد محمد بن البشير التامانارتى ككاتب

ولكن الله حفظه ، فلم يطل عنده • ومن لاحظته السعادة فان كل باب سوى ابواب الخير سرعان ما يسددونه • هذا ما اخذ المترجم فى مدارس سوس •

في الحمـــراء

فى سنة ١٣٦٥هـ اثر استقرارى بالرميلة ومراجعة الدراسة فى مسجدها الكبير • الم بنا المترجم • فصار يلازم ما ندرسه • من حديث وادب • ولغـة وكل مانجول فيه اذذاك ، اخذ النحو والسيرة النبوية والبخارى ورسالة ابن زيدان والسلم ومنظومة ابن عاصم فى الاصول والورقات • وكان استاذ طبقة يعلمها النحو والتصريف والتحفة • ولم يزل على ذلك الى سنة ١٣٦٨هـ فودعناه خير وداع مرضيا عن احواله كلها رضا تاما من أعماق القـلـوب • لحسن أدبه ولمكانته فيما اخذه

في مدرسة الشيشاوي الهشتوكية

أوى الى هذه المدرسة اثر تخرجه من الحمراء • فالقى فيها مراسيه • واستقبل التعليم بهمة الغية • وجد سليمانى • وعزيمة لاتكون الا لمن ذاق حلاوة المعارف حق الذوق • فقد اكب اكبابا اطار له شهرة ما فتئت ان عادت طنانة • فسالت اليه البطاح بالمتعطشين الى الاخذ فسرعان ما اتسعت هالته وعتقت راحته • فظهرت نجابة تلاميذه ظهورا يذكر فى كل النواحي السوسية فى مختلف العلوم ، مع حسن التهذيب والتخلق بالاخلاق الفاضلة

من آثاره

كانت عندى قواف متعددة للمترجم ولتلاميذه • ثم ضاعت بين الاضابير ولم اجدها الآن • ولم يكن أمامى الا ما كنت تعاطيته معه فى مبادئه •وهو لايزال فى (الخ) يتعاطى • فقد كتب الى اثر رجوعى من سفرة ٤ ـ ٦ ـ ١٣٦١هـ

الغنا فائز بخير فقيـــه ... ذى ذكاء فمالـه من شبيـه
هو نجل الكريم اكرم به من ... خير حبر قد فاق كل فقيـه
فتراهم ان عن حوليه ذكر ... قد صغوا ان ذاك لاغرو فيه
قد كفانى انى ببلدتكم نلـ ... ـت بذا مفخرا بلا تمويـه
فاض فينا احسانك الجم يامن ... كان بالفهم فاق كل نبيه
دمت فينا بدرا مبينا ونورا ... ساطعا رافلا بما التنزيـــه
كيف يلفى لكم لدى العلم ثان ... او شبيه يامن يفوق ذويـه
ومرامى هـو الدعاء وان لا ... يغفل السيد الرضا عن اخيه
فعليك السلام ما قيل فينـا ... (الغنا فائز بخير فقيه)

فاجبته بقول

اى شيء انا واى فقـيـه ؟ المـثـل يشاد بالتنـويـه ؟
انما كنت كالذنابى اذا ما ار تج حفل بكل حبر فقيـه
غير ان الظنون ان حسنتمن فاضل ظننى بما كان فيـه
مثل قطب النجابة السيدالند ب السليمانى العديم الشبيه
سابح فى الفهوم بالفكرحتى فاق منه الاقران خير نبيـه
ان بدا كالهلال فى اليوم فالمر جو منه الابدار بين ذويـه
يابنيى بل يا أخى وكفى أن يسمع المرء مسمعا من اخيه
اننى منك ذو ابتهاج لان حز ت شغوف العلا بلا تمويـه
دمت للعلم تجتنى منه زهرا بخـلال صينت وبالتنزيـه
واعذرن أيها المفوه من عمـ ـك هذا المختار اى فهيـه

وللمترجم اخ نجيب اسمه الحسين لازمه ماشاء الله حتى حصل كثيرا ثم التحق بكلية ابن يوسف حيث ربض فى الثانوى ، ثم بداله فانخرط فى التعليم الابتدائى حيث لايزال رسميا ، ولم اعرفه الى الان ، وقد رايت له اثارا لاباس بها، ولو يحضرنى منها شيء ، وهو على كل حال من افاضل النجباء فى جيله ، وقد تزوج وولدله

وأخيرا

انتقل سيدى محمد المترجم من مدرسته تلك الى (المعهد) فى تارودانت فكان فيه استاذا رسميا • ثم تقدم مرات الى الامتحان فى العالمية فلم يساعده القدر • مع ان من كانوا فى مرتبته تلاميذه قد نجحوا • وهو اليـوم يقـوم بفرع المعهد فى (سيدى بيبى) بهشتوكة • وهو أحد الاساتذة المتفوقين فى (المعهد) تحصيلا وتعليما واخلاقا وقد خطر له اخيرا ان يفارق التعليم الى القضاء • ولكن تابى ادارة (المعهد) ان تسامحه • لكونهـا لاتجـد له خلفـا ـ وحسنا فعلت ـ

وله اولاد مع احدى كرائم الفقيه سيدى الحسن العفيانى • لانه سلف اخينا الاكبر سيدى محمـد • ووالـد المترجم سيدى احمـد لايزال حيـا يتعاطى التجارة فى (تامانارت) وكثيرا ما يكون هو وزوجه عند ابنهما المترجم الذى قرت به اعينهما •

والمترجم محظوظ فى كثرة تلاميذه • وغالبهم لايـزالـون يستثمرن الآن • وبعضهم اساتذة فى المدارس الابتدائية • ولم نكن معتنين باحصائهم قبل • والا لرأى القارىء جدولا طويلا منهم •

الفقيـــه

ابراهيم بن الحسن السليمانى

نحو ١٣٥٠ هـ = حـــى

نســـبـــه :

ابراهيم بن الحسن بن محمد بن بلقاسم بن احمد بن سليمان بن محمد ابن أحمد بن عبد الله بن سعيد

هذا أحد الالفيين الناشئين • وقد ظهر فى ميدان المعارف اخيرا ، وكانت له مشاركة ما • ولا يزال يزداد •

متعلمـــه

افتتح القرءان عند ابن عمه الاستاذ سيدى بلقاسم السليمانى فى مسجد القرءان • ثم لازم الاستاذ سيدى محمدا السملالى المشهور بوزكن فى المسجد نفسه • وبه تخرج فى القرءان فقد ختم عليه خمس ختمات • ولـم يتجاوز هذين الاستاذين فى القرءان •

وأما فى العلوم فقد أخذ الاجرومية عند الاستاذ سيدى بلقاسم فـى (ايمور) حسين شارط فى المدرسة هناك • اخذ عنه الجمل والزواوى ومـا اشبههما من متون المبتدئين • كمنظوم الحساب ، ثم كان فى المدرسة(الالفية) بعد سنة ، فلازم استاذها سيدى المدنى سنة ، ثم توفى • ثم لازم اخويه سيدى الطاهر وسيدى الحسن • فاخذ هناك الرسالة القيروانية ثلاث مرات • والالفية مرتين ، والمختصر الى بيوع الاجال • والفرائض للرسموكى • وبعض المقامات الحريرية والتحفة • والاستعارات لابن كيران • والبخارى ولامية العجم وبانت سعاد • والهمزية والبردة والمقنع • بقى فى المدرسة ست سنوات • ثم الى المدرسة (الايغشانية) عند الاستاذ الكبير سيدى عبد الله بن محمد • حيـث بقى سنتين اعاد فيهما الالفية والنصف الاول من المختصر • والفرائض • وكذلك نزل اربعة اشهر فى المدرسة (الجشتيمية) عند سيدى محمد بـن الحاج احمد اليزيدى • هذه مئاخذه فتخرج وسطا بين اقرانه ، ملما بالفنون ولو أمكن له أن يثابر لكان من المتفوقين

بعد تخرجه

شارط في مسجد في (أداوكماض) فياحواز (تارودانت) فاستقر هناك اكثر من عام ونصف • ثم ارسلت اليه وانا فيالرباط • فوردعلينا في ربيع الثاني ١٣٧٦هـ فاتخذته اماما للصلاة ومعلما لبناتي • ثم تزوج من عنداصهارنا فالقى مراسيه الى الآن عندنا وفي دارنا ١٣٧٧ هـ

آثار حوله

كانت هفا هفوة فكتب الى اثناء رسالة اعتذاره • وبعد فانني اطلب المسامحة فيما وقع مني واقالة عثرتي

أحب من الاخوان كل مروات وكل غضيض الطرف عن هفواتي

فليسدل سيدي الستر عما وقع ، وليعذرني فان الله يمحو بعذر واحد الفي كبيرة • فاجبته بما كتبته ارتجالا صبيحة السبت ٥ المحرم ١٣٧٧هـ

مسامحة اذ تبت توبة نادم فاجدر بمن تابوا بكل المراحم
خلقت عطوفا ابتغي الخير كله لكل جليس حول ربعي حائم
اريد لهم دينا اريد لهم هدى اريد لهم للمجد حرز الدراهم(١)
اريد لهم نيل المعالي بهمة تطير خوافيها ازاء القوادم
اريد لهم ان يحرزوا كل خصلة تنال بأكباب المجد المداوم
اريد لهم فردا لفرد جميع ما أردت لنفسي من جميع المكارم
اريد لهم فضل التقي وشفوفه وطهر ذيول من دنايا المئاثم
أريد لهم ان يستغلوا شبابهم باعمال افذاذ الرجال المقادم
وبعد فان (المين) هيهات ان يرى ذووه نجاحا في جميع المخادم
وصدق الفتى نعم الملاك لخلقه ومن يعر منه فهو صنو السوائم

ثم ساقته الاقدار سنة ١٣٧٨هـ فكان احد الاستاذة في المعهد ، ثم ارسل من (تارودانت) الى فرع المعهد الكائن في (تيزنيت) حيث هو الآن ١٣٨٠ هـ وقد تقدم الى الشهادة العالمية ، فنطلب الله ان يساعده الحظ في الدورةالاخرى حين لم يساعده في هذه الدورة الاولى ، انه سميع مجيب

١) كنت اوصى المترجم دائما ان يقتصد ولذلك ذكرت الدراهم هنا

الفقيـــه سيـــدي

عبد الله بن مسعود التيوتى

نحو ١٣٠٨ هـ = حـــى

نســـبـــه :

عبد الله بن مسعود بن عبد الله بن احمد بن بلقاسم بن على بن احمد ابن عبد الله بن سعيد ٠

احمد بن بلقاسم ووالده بلقاسم بن على المذكوران فى هذه السلسلة هما اللذان مرت ترجمتهما فى (الفصل السابق)

ثم ان اسرة ءال مسعود بن عبد الله لها اتصال باسرة ءال صالح ، وقد اقترن مسعود أبوهم بعائشة اخت الاستاذين سيدى محمد بـن عبد الله ، وسيدى على المتوفاة سنة ١٣٥٩هـ كما تزوج من عنده ايضا شيخنا سيدى عبد الله بن محمد بنته فهذا الاختلاط مع العلماء ، هو السبب حتى امالوا اولادهم للوجهة العلمية ، فكان صاحب الترجمة أول من تعلم العلوم ، وبرز فى الميدان

كنت أعرف هذا الاستاذ سنة ١٣٢٩هـ وانا بالمدرسة (الابغشانيـة) فقد كان اذذاك اتم دراسته ٠ وانما يرد احيانا لوصلة استاذه شيخنا سيدى عبد الله فكان بسمته وهيئته ورونق ملبسه يأخذ بابصارنا نحن الصغار هناك ٠ والشباب كما افاض عليه سجله الفائض وشارتـه الاخاذة بالعيون وله لحية سوداء كثة جميلة ، ننظر اليها باكبار واجلال ٠ ثم تفرقنا عن تلك المدرسة ٠ فكان ذلك ءاخر عهدى به ، فلم اره بعد ٠ وقد تقلبت بنا معاالاحوال ربع قرن ، وفى السنة الماضية ١٣٥٦هـ وقد الهبتنى الغربة بما الهبتنـى ٠ فجعلت لى من هذا التاريخ شغلا املابه فراغ وقتى ٠ فصرت ابحث عمن لـم اعرفهم من أهلنا ومن غيرهم من العلماء ، ومن عرفتهم كنت اكتفيت بما لى عنهم مما وقرفى صدرى منذ صغرى ٠ فكنت ارى أن ذلك يكفينى فى التعريف بهم يوم ارجع وجهتى لتحرير تراجمهم ٠ ولم ادرك مقدار مالذلك من الخطأ والخطل ، الافى جلسة جلستها مع ابن العم سيدى عبد الله بن ابراهيم وقد جرى ذكر صاحب الترجمة ، فذكر عنه تطورات وتقلبات له شتى ، كانت بعيدة عن دائرة علمى كل البعد٠ بل لم تطرق قط اذنى ، ولا افترضت بذهنى انه ذلك الرجل المقتدر الخواض لكل بحر غطمطم٠ الولاج الخراج٠ اللابس لكل حالة لبوسها

أخذ أولا عن الاستاذ صالح الساموكني • ثم سيدى محمد السملالى ، ثم سيدى محمد الاكمارى • فعليهم جود فى مسجد القرية • ثم التحق بالمدرسة (الالغية) فكان يأخذ باذن الاستاذين على بن عبد الله وبلقاسم التاجارمونتى عن سيدى محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن الحسن الماسى متون المبادىء • ثم عن احمد بن صالح الافرانى ، ثم لازم التاجارمونتى ، ثم أخذ عن الاستاذ سيدى الطيب بن ابراهيم الاكمارى الحساب فى (المخصب) ثم عن سيدى عبد الله ابن محمد فى (ايفشان) وفى (أداى) وعن الاستاذ على بن عبد الله ، فكان من الطبقة العليا التى تشذبت حينئذ • وفى مصاحبة الذين تقدمت تراجمهم قبل هذه وبعدها • فحصل غاية التحصيل • ونال الشفوف على اقرانه فى مختلف الفنون • واخاله أعلى من طبقته كلهم فيما أخذه • وانه فى درجة الاستاذ سيدى عبد الله ابن العم • وسيدى البشير ابن العمة • ثم كان ذلك الحين اخر وقت اخذه ، فاننى رأيته فى سنة ١٣٢٩هـ قد اوكأ المزادة وكان من الفقهاء الذين يشار اليهم وقد كان فى (اداى) قبل ان يتصل بئال ماء العينين ست سنين • ومن هناك عرفهم وقد مر به الهيبة سنة ١٣٢٩هـ من (تامانارت) فى ثلاثين على جمالهم ، فاوصوه على بغلة جيدة رزمت لهم قبل (اداى) فاعتنى بها ثم أوصلها اليهم بعد شفائها ، فالتحم مابينه وبينهم بذلك ، وحين تموجت (تيزنيت) بالمبايعين للشيخ احمد الهيبة كان صاحب الترجمة ممن مثل هناك وكانت له جرءة ومخالقة وانقياد ، حتى انه لايخالف جليسه لافى حديث ولافى غيره • بل يدورمعه كيفما دار • فسرعان ماانصل بالشيخ احمد الهيبة، فانتظم فى كتابه ، وقدذكر لى عنه ان له ترسلا حسنا فكانت كتابته سبب اتصاله بهذا الشيخ الامين ، فسار فى ركابه الى (الحمراء) ثم كان ممن اغبرت قدماه يوم الهزيمة من الحمراء ، فكان بتارودانت فاسرسيف فتيمكر بايت وادريم فكردوس • وهو فى كل ذلك مداخل لمخدوميه مداخلة من اعتنق كل اخلاقهم وهيئتهم حتى فى اللبـاس الاسود الفضفاض المجرور الاذيـال • وارسال الشعر وغيرهما ، كما اعتنق اذكارهم يجاريها كما يجارون ، فدل ذلك على انه ممن يفون لمن افضلوا عليه ، وقليل من الناس من يفون ، وانه ممن يمازجون ومن لايمازج لاتصح منه المخالة

وفى حوالى ١٣٣٢هـ فارقهم وقد رأى أن لابد من ذلك ، وقد ظهر له ماظهر من أمرهم فاسترجع هيأة اهله ، فلبس البياض وحلق رأسه فاتصل بـ (اداى) فشارط فيه أيضا سنوات • ثم لما فارقها شارط فى مسجد (اكرض) بتامانارت وهو فى كل تلك السنوات يتردد احيانا على من فى (كردوس) فيصلونـه ويكتبون له مراسيم فى الصيف ، يأخذ بها بعض اعشار • وكثيرا مايتوصل

باعشار ءال قرية (مستالات) من قبيلة ايت وفقا • ولم يزل الامر على ذلك ، الىأن طويت صحف (كردوس) ءاخر سنة ١٣٥٢هـ وفى يده رسائل منهم متعددة مطبوعة بطوابعهم

هذا طرف من تقلباته الاولى اجمالا ، لاننى لم اتصل بما فى ذلك تفصيلا وقد رزق الاعتناء بالتدريس حينا • وهو اهل له لتحصيله • وذلك كل ما ظهرت فيه أعماله • مع ميدان النوازل ، فله فيه جولات ، خصوصا حين كان فى (أداى) ڤ (أكرض) كما رأيت فقد صار هناك عالم ذلك الوادى • هو والحاج عبد الله اليزيدى الذى سترى ترجمته ان شاء الله فى (القسم الرابع) ثم بعد الاحتلال كان من الذين يحررون ايضا هناك بالقلم العربى رسوما وماأليها وقد الم ببعض اللغة الفرنسية ، اخذها عن بعض التراجمة هناك • فدل ذلك على همته • ثم طلق سوس ، فكان فى (ابزو) ماشاء الله قبل ١٣٧٠هـ ثم رجع الى مسكنه فى (تامانارت) وبعد الاستقلال صار معلما فى احدى المدارس الابتدائية حيث لايزال الى الان ١٣٨٠ هـ

آثاره الادبية

رأيت أن بعضهم ذكر لى ان له ترسلا حسنا • وقد كنت أرسلت اليه فلم يتيسر لى ان أتصل منه بما أريد ، وهو غير مدفوع عن الكتابة العليا ، لانه انجب طبقته فى الادب وغيره • ولذلك ننكب عن نشره حتى ييسر الله ان شاء اتصالنا به ، فنثبته ان وجدنا ما عنده فى محل ءاخر ڪ (جوف الفرا) •

وأما ءاثاره النظمية فقد سقط الى بعض نتف مما قاله فى اول شبيبته تشبها بالقائلين • وذلك سداد من عوز • كتب الى اخوان له من الطلبة بعد مافارقهم يتشوق اليهم

عيون العبيد بعد بعد احبتى تسيل بدمع بالاسى يترقرق
فصرت اذا ما جبت كل تنوفة تشاممت ريار بعكم للتنشق
اعرض وجهى للصبا من تجاهكم ليبرد ما فى اضلعى من تحرق
ولكننى ما كنت ازداد بالصبا سوى حرقة من أخمصى لمفرقى
سقى الله يوم الوصل صوب سحابة فزهر امانيى به فى تفتق
فهل ذلك اليوم السعيد يعود لى فينكف دمع لم يزل فى ترقرق؟

وقال أيضا يخاطب صاحبيه سيدى صالحا وسيدى محمد بن على المتقدمين:

على اصحابنا زهر السماء وزهر الروض من بعد الحياء
تحية من يشوقه اليهم من الصبح المنير الى المساء
فؤاد لم يكن ينسى صحابا كمزج الخندريس بعذب ماء

تذكر صالح ومحمدا ابن الـــــ ـدى فاق الخلائـق بالعلاء
ابى لى ان انام بوسط ليل اذا مانام من تحت السماء
فزورا كى تزورا اصاحبا لـــم يكن يحيـا عـلى هذا التناءى

وكتب الى قرينه شيخنا سيدى محمد بن الطاهر

محبتى لك ياخذنى مـروقـة ياليت عينى فى ممشاك والفرش
صفا لك الود من قلبى فلو فتقوا قلبى لالفوه من صافى هواك حشى
عليك منى السلام ماتـهـب صبا على شيح فغدا فى روح منتعش

فاجابه شيخنا المذكور

أحبك الله ياعبد الاله كما احببتنى ففؤادى من هـواك حشى
لا زال فكرك فكاكـا مغاليق اسـ ـرار العلوم بلاعى ولا دهش
عليك منى سلام الله ما طلعـت شمس النهار فزالت ظلمة الغبش

اخبرنى صاحب الترجمة ان هذه الابيات اصلها انه كتب الى سيدى الطاهر بن محمد وسيدى القرشى الناصرى بهذا البيت فى (اداى)

فى حبة القلب حب الطاهر العلم الـ ـسيد المنير المضى والسيد القرشى

فاجابه سيدى الطاهر بقوله :

احبك الله يا عبد الالـه كما احببتنا ففؤادى من هواك حشى

وبعـد ذلك خاطب سيدى محمد بن الطاهر بما تقـدم . فاخذ سيـدى محمد بيت أبيه وبنى عليه جوابه .

هذه النتف الثلاث كل ما امكن لى ان اتوصل به الان من اقواله والذنب كله له لانه تباطا فى جوابى مع أن ءاثار يده كثيرة وان كان لاينقح ما يقول.

وقد وقفت على بعض مخاطبات يخاطبه بها معاصروه .فربما كانتأجوبة لمقطعات له لم نجدها . فمن ذلك قطعة لشيخنا سيدى الطاهر الافرانى يجيبه عن قطعة فى رويها .

العلم فى المحل كنز للذىالتمسا وفى الظلام ضياء للذى اقتبسا
فجدعنساق جديا ابنمسعودان أردت مجـدا سما بناؤه ورسا
لماأتى نظمك الزاهى ببهجتـه وسال ماء البيان منـه وانبجسا
أدار لفظك كاسا لى مشعشعـة سكرت حين رشفت راحهالسلسا
عليكازكى سلام ياهلال سما ء العلم يكشفليلالجهل انمسا

ووفد صاحب الترجمة ورفيقاه سيدى صالح وسيدى محمد بن عـلى على الاستاذ سيدى الطاهر الافرانى ، فخاطبهم بقوله :

مرحبا بالثلاثة الاقمار اطلعتها بروج افق الفخار
صالح ومحمد وعبيد الله هم انجم الهدى للسارى
قدموا زائرين يا لك من غلـ ـة وجد قد اطفاوا واوار
شرفونا بوصلهم فجزاهم بمنال المنى الكريم البارى
فهم سادة اتوا منزل العبـ ـد فيزهى اذ شرفوا بمزار
وصل الله مجدهم وادام العـ ـز فيهم ورفعة المقدار
بالنبى الشفيع صلى عليه اللـ ـه دأبا وءاله الاخيار
وسلام عليكم سادتى مـا ضحك الروض من بكا الامطار

ثم وقفت اخيرا على قطعة ميمية لصاحب الترجمة يخاطب بها هذا الاستاذ الافرانى فى بعض زياراته اياه نصها

أيا من نحوه انقاد الكرام ويتبعه لخدمته الانام
ويامن فى الوجود به عيانا تجلى الحق وانكشف الغمام
ويامن للمفاخر والمعالى يقود الناس وهو لهم امام
اتيتك للزيارة فادعون لى بخير دام • معه لااضام

فاجابه الاستاذ

أعبد الله هل هذا نظام سكرنا منه او هذا مدام
بعثت باربع كالزهر تحكى خرائد زال عنهن اللثام
فبورك فيك من ندب تسامى الى نيل السيادة والسلام

وزار مرة هو ورفقة من الطلبة الاديب سيدى محمد بن على بالمدرسة (الايغشانية) فقال الاديب سيدى محمد بن على يرحب بهم

أيا مرحبا بمن اتونا بغسان وفوا بعهود الوصل من غير نسيان
فكم لكم من حسن ذكر معطر واحدوثة ازرت بمنظوم عقيان
لقد قمتم بحق ما بيننا وقد قطعتم موامى يا أفاضل اخدان

وذيلها بعض ادباء الخ

كذاك يكون الودان كان صافيا ممتنة اسبابه بين اخوان
فان كنت ذا ود ولم تك زائرا اخاك فدعوى لم تؤيد ببرهان

وللشاعر الفحل محمد الامام ابن الشيخ ماء العينين يخاطب صاحب الترجمة :

أيا صاعدا للمجد اسنى العزائم وليس جهول الشىء يلفى كعالم
ويا صاحبا لم انس دهرى وده اقاسى الهوى من حبه المتقادم

١) الموامى جمع موماة الفلاة

اغص بريقى كلما غبت مثل مـــا تغص البرى فـى زندريا المعاصم
واصبوا لى سلسال وصلك دائما صبو من استعبته غر المباسم
فلا تلتفت يوما عن العهد اننا على العهد ماغنت شوادى الحمائم

وقد كان الشيخ الهيبة اجازه بهذه الاجازة

(أما بعد فليعلم من سيقف عليه اننا اعطينا الاذن التام لمريدنا وولدنا ولد الروح • والابر النصوح ، السيد عبد الله بن مسعود المرابط التيييوتى فى الاسماء العربية ، والايات القرانية ، فى الاستعمال فى خاصة نفسه ونفع من شاء بماشاء من ذلك ، واعطاء الاوراد لمن أراد النفع من العباد ، ونرجو الله ان ينفعه به وعلى يديه • وانى أوصيه كنفسى بتقوى الله العظيم ، لانه هو العروةالوثقى • والمسلك الاقوى • والله يوقر من وقره ، ويعظم من عظمه • ويجازى الجميع بكمال المرام بجاه نبيه عليه افضل الصلاة والسلام فى ١٤ ـ رجب عام ١٣٣٠ ﻫ وعليه طابعه الصغير

ثم وقفت على ما قال شيخنا سيدى محمد بن الطاهر يرحب بالمترجم وبرفيقه سيدى محمد بن على وبسيدى صالح وبآخر يسمى ابابكر بن عبد الرحمن ، وقد وردوا عليه سنة ١٣٢٧ﻫ والجميع اذذاك تلاميذ

يامرحبا باناس كشفوا الكربـــا عن قلب صب غدا بالبين مكتئبـا
اهلا بوصلكم يا سادة شرفت بهم منازل عبد بهم طربـا
نجل الشيوخ الكرام الصيد سيدنا محمد من له فخرا ذا انتسبا
الفكر سيفه يمناه ندى واذى غيث وليث وطود الحلم ان عـزبا
والماجد الخير رالصنديد صالح من حاز المكارم والعلياء والادبـــا
خلق كما هب نفح الروض صابحه من النسيم عليل ذيله سحبا
والسيد الندب عبد الله حائزسبـ ـق فى ميادين نصح والندى نصبا
سامى النجوم مقاما فعلا شرفا فيالها رتبة فاتت به الرتبا
واختم بواسطة العقد النفيس ابى بكر بن عبد لرحمان بهم اربا
دوموا ادامكم الرحمان فى دعـــة منعمين على رغم العدا أدبا
سلام عبدكـم معطرا ارجـــا عليكم مثـل ودق الغيم ان سكبا

واذذاك خاطبهم سيدى الطاهر بالرائية المتقدمة

(مرحبا بالثلاثة الاقمار) وفى احدى وفدات سيدى الطاهر الى الغ خاطبه كل واحد من هؤلاء بقطعة مرحبا فاجاب كل واحد منهم فقال لسيدى محمد بن على

على الاخ الندب الرفيع الشان مقدى العدو ومغيظ الشانـى
محمد نجم سما البيـان للسودد المشـهـود بـالعيان
نجل على الشيخ ذى العرفان مرشد كـل حائر لـهـفـان
ازكـــى سلام عطـر الاردن ما سر صب بحبـيـب دان
هذا وانت فارس الميـدان مالك مـن نـد ومـن مدان

فجد كل الجد فالتواني يفضي بمن يهواه للهوان
لازلت في كلاءة الرحمان ممتعا باليمن والامان
ونيل ما ترجو من الامانى والحفظ من حوادث الزمان
بجاه سيد الورى العدنانى صلى عليه الله كل آن

وقال لصالح

سلام كما قد فاح غب الحيا العد نسيم ذكت انفاسه بشذا الورد
على بدر افق المجد والعلم صالح بـ ـن احمد من قد لاح فى افق السعد
فلازال يسعى فى اقتناء شوارد الـ ـعلوم الى ان يرتقى ذروة المجد

وقال للمترجم ـ وقد تقدمت ـ

أحبك الله ياعبد الاله كما احببتنا ففؤادى بهواك حشى

(على أنك عرفت فيما تقدم متى قيلت هذه الشينية)

فوائد وإنشادات :

قال يوما اثناء محادثة هذا المثل العربى (مفوز علق شنا باليا) ومعناه دخل فى المفازة ـ القفر ـ مع انه لم يستعد بالماء لها

وقال يوما ءاخر (من غربل الناس نخلوه) اى من عرف بالتفتيش عن عيوب الناس كافئوه بالتفتيش عن عيوبه اكثر منه

وقال ايضا (صبابتى تروى وليست غيلة) معناه ماءى قليل ، ولكنه يروى ان لم يكن كثيرا ، والغيلة بفتح الغين • الماء الكثير

وقال ايضا (لايلام هارب من حتفه)

وقال ايضا (تلبدى تصيدى) وتلبد : التصق بالارض وسكن • اى اذا اردت حاجتك فالبس لطلبها لبوسها بالتمسكن لمن تطلبها منه

وقال ايضا (رب حثيث مكيث)أى رب انسان يسرع ، فكان الاسراع نفسه سبب عدم وصوله للذى يريده

وقال ايضا (ليس عليك نسجه فاسحبى وجدى) أى انك ياهذه لم تلاقى فى نسج ما البسته مشقة فابتدليه كما تشائين

وقال ايضا (بالاعتراف يهدم الاقتراف)

وقال ايضا (من يزرع الشوك لايحصد به عنبا) شطر بيت

وقال أيضا (ان كذب نجى فصدق اخلق) شطر بيت من الرجز

وقال ايضا (لاتقعن البحر الا سابحا) شطر أيضا

وقال أيضا (جاء العيان فالوى بالاسانيد) شطر أيضا

وقال أيضا (حظ جزيل بين شدقى ضيغم) شطر بيت أيضا

وقال أيضا (دمث لجنبك قبل النوم مضطجعا) شطر بيت أيضا

وقال ايضا (كان كراعا فصار ذراعا)
وقال ايضا (من الحبة تنشأ الشجرة)
وقال ايضا (ما فى الحجر مبغى) اى مطلب
وقال ايضا (لست من احلاسها) اى لست من الذين يليقون لهذه الحالة
وقال ايضا (خروف يتقلب على الصوف)
وقال ايضا (ليس فلان بخل ولا خمر)
وقال ايضا (يعد لكلب السوء كلب يعادله)
وقال ايضا (ودع ما لا مودعه)
وقال ايضا (النزائع لا القرائب) والمقصود بالنزائع النساء البعيدات عن المتزوج ، ومعناه تفضيل تزوج غير القرائب
وقال ايضا (ما اهون الحرب على النظارة)
وقال ايضا (اقصر لما ابصر)
وقال ايضا (وعد بلا وفاء ٠ عداوة بلا سبب)
وقال ايضا (الذبان ، تعرف وجه اللبان)
وقال ايضا (شر ايام الديك يوم تغسل رجله)
وقال ايضا (ان ذهب عير فعير فى الرباط)
وانشد بمناسبة

رايت الناس تكره ما لديها وتطلب كل ممتنع عليها

وقال (لاتكن رطبا فتعصر ٠ ولايابسا فتكسر) فانشد له فى هذا المعنى

لا تكن سكرا فياكلك النا س ولا حنظلا تذاق فترمى

وانشد ايضا :

اولئك اخوانى الذين رايتهم وما الكف الا اصبع ثم اصبع

وانشد ايضا :

الناس تكلف بالدنيا وقد علمت ان السلامة فيها ترك ما فيها

وانشد ايضا

ولربما اعتضد الحليم بجاهل لا خير فى اليمنى بغير يسار

وانشد ايضا

ان النجوم على علو محلها لترى صغار الجرم وهى كبار

وانشد ايضا :

تان ولا تعجل بلومك صاحبا لعل له عذر او انت تلوم

ذلك هو الاستاذ سيدى عبد الله بن مسعود الذى طلق سكنى بلده فقطن فى (تامانارت) الى الان ٠ وقد رزق هناك ما لم يرزق فى مسقط راسه والمرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت

احمد بن مسعود التييوتي

نحو ١٣١٤ هـ = حـــى

نسـبـه :

احمد بن مسعود بن عبد الله بن على بن أحمد بن بلقاسم بن على بن احمد ابن‌عبد الله بن سعيد

هذا أخو الفقيه سيدى عبد الله بن مسعود المتقدم • وهما معا ابنـاء عائشة بنت الحاج عبد الله بن صالح الزاوى • وهى الوحيدة من الاناث عند أبيها • فاقترن بها سيدى مسعود بن عبدالله • فاورثت العلم ابناءها • وقد تزوج أيضا بنت سيدى مسعود هذا وشقيقة هذين الفقيهين عبد الله واحمد شيخنا عبد الله بن محمد بن عبدالله بن صالح ـ كما تقدم ـ وهى ام ولـده سيدى محمد بن عبد الله ، وام اخته نفيسة التى تزوج بها سيدى محمد بن احمد بن الحاج ابراهيم الغشانى الى ان ماتت عنده وام فاطمة التى تـزوجهـا سيدى الهاشم ابن سيدى الطاهر بن عبد السلام القصبى التامانارتى • وقـد توفيت زوجة شيخنا هذه منذ عقد من السنين • فتزوج بعدها بسملالية • هى أم صالح واولاده الجدد • استدركنا هذا وقد فاتنا فى ترجمته بمناسبة هذا الذى التفتنا به اليه • وانا حريص على تبيين مثل هذا الان ولهذا بعد أزمـان فائدة جليلة عند أهالينا الاتين الذين نكتب لهم اولا مانكتب • واما المعاصرون فهم حاضرون •

اخذ سيدى احمد بن مسعود بتييوت عن سيدى صالح الساموكنى• وبقرية الزاوية عند أخواله عن سيدى محمد بن ابراهيم الاكمارى • وعـن بلديه سيدى احمد الاكمارى وعن سيدى ابراهيم القاسمى • ثم افتتح المبادىء العلمية فى المدرسة (الالفية) على يد الاستاذ التاجارمونتى ، وعن خاله الاستاذ على بن عبدالله • ثم لازم شيخنا سيدى عبد الله بن محمد بالمدرسة (الايغشانية) و (الادائية) و (السعيدية) بالاخصاص • وقد كنت معه بالمدرسة (الايغشانية) أعوام ١٣٣٠هـ واخذ ايضا عن صنوه سيدى عبد الله بن مسعود • فاتم المختصر والالفية مرات فضلا عن‌غيرها • ولكنه مع هذا الاخذ المتسع انما حصل تحصيلا وسطا مع أننى كنت اراه • وهو معنا اذذاك يعد من الرعيل الاول فى‌المدرسة واخا له قصر بنفسه بعد ذلك • والعلم اذا هجر هجر صاحبه

وقد مضى فى‌ترجمة الاستاذ عبد الله بن ابراهيم نتفة من قوله • ولكنها بيضة الديك • فلم‌ارله غيرها • وقد سالت عنه ايكثر المطالعة • ويـذاكر

بعلومه التى اخذها ؟ فذكر لى عنه مايدل على انه دب اليه مـادب الى كـثـير من الطلبة الذين تبسم لهم الدهر • وهمى عليهم شؤبوب من المعارف •ولكنهم اعرضوا فاشتغلوا بالكد وراء المعاش • وقصروا جهودهم على ذلك • وكسلوا عن الجولان فى المعلومات بما امكن من المطالعة والمذاكرة والمباحثة • ومسائل العلم انفر من الابل غير المروضة اذا تفلتت من عقلها فى أيام الربيع متى بدت لهاقطائع من النياق ، وهاك رسالة كتبها الى بعد ما رجعت الى البلد • وقـد بلغه اننى سألت عنه

الى الاخ الاكرم والفقيه المحترم ، سيدى محمد المختار وبعد فقد بلغنى أننى جريت على لسان ذكرك • فحمدت الله على ذلك • فالله يبقـى ذكرك جاريا على السنة الناس بالخير مجرى الايام والليالى • وكم مرة عولت عـلى زيارتك ولكن

(ارى علل الدنيا على كثيرة)

وكم مرة اصبح عليها • او امسى (أقول افعل والايام كاذبة)

والان ادع لى وسامح لى

اطلب الراحة فى دار العنا خاب من يطلب شيئا لايكون

والسلام

وله اخلاق هينة لينة دمثة • وقد شرفنى بزيارته مرارا بعد هذه الرسالة فرايته محافظا على اخلاقه هذه • وهو اليوم يشارط فى المساجد • فمضت له ثلاث سنوات فى (تاركااوخضير) من سنة ١٣٤٥هـ وسنة فى (تاكـنـزا) وسنتان فى (ادعلىاوباها) وثلاث فى (انفك) ثم فى (امتضى) ثم فـى السنة الماضية شارط فى (ايغير) بوادى (تامانارت) ولايزال فيه سنوات • وهكذا لايزال يتنقل بين المساجد ويعلم القرءان

وكان اهدى الىشيخنا سيدى عبد الله بن محمد سراويل فاجابه شيخنا بقوله :

كسانى سربا لايقىالبرد والشمسا كساه الاهى ما يوقى بـه البأسا
اخونا الاديب نجل مسعوداحمدالة سـيوتى من قد حاز كل العلا رأسا
بجد وحزم واجتهاد وهـمـة ونفس عـن الدنيا الدنية لاتأسى
كفاك قدم ياصاح حتى ترى عـلى بساطالعلا يسقيكرب الورىكأسا
ومن يصطبر يظفر قريبا بحاجـه وحيط من الشيطان لم يغشهبأسا

أخبار عنه أخيرا

كان كما ذكرنا ربما شارط فى بعض مساجد مشارطات يزجى بهاالايام لاتسمن ولاتغنى من جوع • والدهر عنه مزور • وعيشه مفتـر الى ان بدا للدهر فاذا به التفت اليه التفاتة فاذا به من المقربين الى (المحكمة) • كفقيه ثان ازاء سيدى الطاهر بن على • فأمكن له ان يتنعش وان يذوق حلاوة للحياة • وذلك نحو ١٣٧٢هـ وهو على ذلك الى ان جاء الاستقلال فراجع المشارطة فـى المساجد وهو الان فى مسجد قريته (تافراوت) الالغية اعانه الله وسدده الحقت هذا اواسط ١٣٧٩ هـ

سيدى عبد الحميد ابن الشيخ

١٣٢٢ هـ = حـــى

نسبـه :

عبد الحميد بن على بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن سعيد

شقيق الاخ الاكبر سيدى محمد • وامهما فاطمـة • وهما الذكران الشقيقان اللذان أدركا مدرك الرجال كان عبد الحميد قرين سيدى الحاج عبلا المتقدم منذ نشئا • فأخذا القرءان معا فى محلات متحدة ، واساتيذ متحدين ثم افتتحا أيضا العلوم معا ، فكانا اولا فى (ايغشان) عنـد سيدى بلقاسم التاجارمونتى ، ثم عند الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم فى (ايت امر) ثم عند الاستاذ سيدى محمد بن احمد بن الحاج صالح هناك • ثم انقطع المترجم عن قرينه • فذهب الى (بونعمان) حيث ربض ماشاء الله • ثم الم حينابادوز عند سيدى المحفوظ

هذه هى المدارس التى زارها • ولكنه لم يستفد ما يعد به بين الطلبة الالفيين الا ما يخرج به من الامية ، ويستطيع به ان يكتب رسائل ساذجة بخط لاباس به • ثم لازم دارهم ، فصار يعين شقيقه الاكبر فـى شئون الدار الى أن تولى شقيقه رياسة المرابطين بعد الاحتلال • فكان عضده ثم نائبه الرسمى بعد الاخ أحمد • ثم لما نفت الحكومة الاخ الكبير الى (اكلو) ابعاده له تعين هو رئيسا على المرابطين فى محله فبقى فى هذه الرياسة نحو عشر سنين اجتهد أن يتمشى فيها على حسب خطة اخيه • وقد لاقى من المراقبة اخيرا فـى أيام الازمة شدة وعنتا وتوبيخات رسمية • رأيت بعضها • ثم لما جاء الاستقلال أراحه الله من تعب تلك الرياسة • فاقام بالدار • فاصبح وحده عميدها فيحاول ما استطاع أن يقوم بالعبء وان كان العبء ثقيلا • فهاهو ذا الان يصاير لأواء (الخ) فى الوقت الذى لايجد فيه معينا ولا عاملا ، ولامن يستجيب لندائه فنطلب الله ان يكون فى عونه •

ونحن نذكره هنا لرياسته التى مضت فى (الخ) • على ماكنا شرطناه فى الكتاب والرجل محافظ على صلاته فى اوقاتها • وفيه نفحة من نفـحـات الفقراء • فالله يوفقنا واياه • ولم يرزق من الاولاد الا ولدا واحدا اسمه عبد الرحمن ثم سمى عبده • وهو الان يعمل مع الجند • وقد كان المترجم تزوج باحدى كرائم الشيخ سيدى احمد الفقيه الركنى رضى الله عنه • وهى حية الان ١٣٨٠هـ

سيدى عبد الله بن اليزيد الالغى

نحو ١٣٢٥ هـ = حـــى

نسبـه :

عبد الله بن اليزيد بن محمد ـ فتحا ـ بن احمد بن عبد اللهبن سليمان بنعبدالله بن أحمد بن عبدالله بن سعيد

هذا هو الرئيس على المرابطين السعيديين الان • وله معلومات لاباس بها مع حفظ القرءان فى بلده ، فقد اخذ القرءان عن الاستاذ محمد ـ فتحا ـ ابن محمدالسملالى فىمسجد القرية • ولعله استاذه الوحيد وقد نشأ تحت نظر والد لميكن يفارق العلامة على بن عبد الله فى وقت يتمنى فيه كل الغى انيكون عالماعربيا مبينا • لما يرونه من شغوف العلماء الالغيين وسعادتهم رأى العين وذلك فى عهد محمد بن عبد الله وفى عهد العليين: على بنعبد الله وعلىبن احمد

ثم انقطع الى المدرسة (الالغية) وفيها اذذاك الاستاذ احمد ابن الحاج محمد اليزيدى • فعنده افتتح المبادىء • ويحضر احيانا فى دروس يلقيـها العلامة على بن عبدالله • ومن عند هذين اخذ ماتيسر له اخذه • ثم دفعهوالده للقيام بشئون الاسرة • فحال ذلك بينه وبين اتمام دراسته • ولعل فى ذلك خيرا • حين غادر هذه المدارس بسرعة • لأن عهدنا بها اذذاك تفسد من اخلاق التلاميذمالاتكاد تصلحه بوساطة المعلومات

ثم اشتهر المترجم بالتجارة فلحظته السعادة فيها لحسن معاملته • ولكونه كريما ولبقا فيماشى كلالون من ألوان الحياة التى مرت فى (الـغ) قبل الاحتلال وبعده • وقد ازدهرت تجارته فى حين حتى صار من المغبوطين بينأهل حرفته • فتوسع فى تاثيل الاملاك • فزاد كثيرا الىماكان والده اثله وهو يملك منالمشترين القلوب قبل ان يملك ماعندهم من الجيوب • ولاتكاد ترىاحدا رأى منه مايسوء فى وقت تجارته الواسعة • ثم لما جاء الاستقلال اختارته السعادة للمرابطين بعد الاخ عبدالحميد • فأداه اشتغاله بمهامهوظيفته الى ان فترت همة التجارة فى نفسه • فها هوذا بعد خمس سنين مشكور بكل لسان الامنلايريد الاستقامة وافضل مافيه انه يراعى الحرم وذوى البيوتات الكبرى • ولايتعالى على أحد • ويصبر على كلماعسى ان يلاقيه ممن لايقدرونه قدره وفقه الله واعانه وقد اعتنى بغرس الزيت حـول داره •

فاقتدى به ءاخرون • فحفروا ءابارا خاصة لهم يستقون منها بالمضخات ولم يكن هذا بمجموعه معروفا عند المرابطين الالغيين قبل • وانما هى ءابارمشتركة

وقد كان الله اكرمه بسيدة عالميةالهمة وهى فاطمة بنت سيدى عبد الرحمن بن محمدبنالحاج عبدالله بنصالح • فعمرتداره • ورفعت من شان مائدته • الى ان توفيت نحو ١٣٧٨هـ فخلفت له اولادا نجباء فى مقدمتهمالسيد احمد الحافظ لكتاب الله • والمحصل على معلومات حسنة من المدرسة (الالغية) ومن المدرسة (الشيشاوية) عند الاستاذ سيدى محمد بن احمد المتقدم ثم تقلبت به الاحوال الى ان تعين كاتب الضبط بعد الاستقلال فى (تافـراوت) ثم أخاهابراهيم الذى التحق أيضا بعد ما حفظ القرءان بسيدى محمد بن احمد فاخذعنه كثيرا ثم التحق بالثانوى من كلية ابن يوسف حيث هو الى الانيتتبع ولهما اخ يسمى عبدالرحمن لايزال كذلك فى الثانوى فى مدرسة عصرية • فى (تيزنيت) وهكذا رزق المترجم من اولاده قرة عينه • ويرجومنهم ان يدركوا مالم يدركه هو من العلوم •

خـاتـــمـــــة

انتهى القسم الاول بفصليه • وقد اجتهدت ان اذكر فيه كل من لهشان من المرابطين السعيديين • فاعتنيت اولا بالصالحين منهم قبل ان ينبثق منهم العلم • ثملما رفرفت على الغ راية علومهم حرصت على ان اذكركل من لهمن المعلومات • وان لم تتسع كثيرا • مادام مارا بالفنون • وءاخذا للمتون ويقدر ان يحرر بالعربية • وان يقرأ كتبها قراءة يفهمها • او كانله فيالفقه يد • واخالني استوعبت الجميع منالاموات ومن الاحياء • ولم يفتني الاالاستاذ سيدىمحمد ابناخيصاحبناالكريم الحسنبنبلامن اكاديرايزرى وهواستاذحسنربما كان افضل من بعض منذكرت • ولكن أرسلت اليه مرارا ليوافيني بترجمته فلم يجبني فكان ذلك هو السبب علىان لم اذكره • علىان اعماله ستذكره فيما بعد • وقد كنت عرفته اذ انا في البيضاء • وقد جاور عندى حينا واخذ عنىقليلا وقد رأيت له همة وفهما وتحصيلا • وحبا للاستتمام • ثـم فرق الدهربيننا • وقد سمعت انه شارط في مدرسة (للاماماس) في (امانوز) ثم في مدرسة (تازموت) بسملالةومثله من تعمر به المدارس • وفقه الله كماانني ذكرت من كانوا رؤساء المرابطين لان الشغوف كما يكون بالعلم والصلاح يكون أيضا بالرياسة • فما ينبغي لنا ان ننساهم • مع انهم قاموا بأدارة شئون المرابطين احقابا

فياخواني المرابطين • هذا تاريخكم سجلت منه ماامكن في هذا (القسم) وقد رأيتم انكم من البشر • وأنكم ماامتزتم عن الحربيليين والمجاطيين وأمثالهم الابالدين المتين والعلم الصحيح • فبماذا ظهر جدكم عبدالله بن سعيد حتى نال شأنا عظيما في عهده الا بالدين المتين ؟ وبماذا ساد سليمان بنمحمد • وابنه ابراهيم ، ومحمد بن بلقاسم ومحمد بن عبدالله وعلي بن عبد الله وعليبن احمد الا بالدين المتين ، وبالعلم الصحيح ؟ فقد كان مجد الصالحين الاولين من اجدادكم مجدا اقليميا لايعد وتلك الناحية ثم لما كان مجد العلـمـاء الصالحين منكم مجد الصلاح والعلم معا طارت لكم الشهرة حتى عمت الخافقين وشرق ذكر (الغ) وغرب • وسمع انباءه حتى الصم • ورأى سناه وسناءه حتى العمى افيقدر هذا الجيل الذى نراه الان يدرج بين ايدينا قدر هذا المجد العظيم • ليعض بالنواجذ على الدين المتين • وعلى العلم الصحيح • فيسلسل الى الاحفاد ماساد به الاجداد

ان أولادنا اليوم مضطرون ان يشاركوا في كل ميدان من ميادين المعرفة وان يحاولوا كما يحاول اهل جيلهم ان يتفنوا من لغات اخرى غير العربية • ولكن ايحملهم ذلك على الاعراض عن اتقان العربية التى هى مفخرةاجدادهم واسس مجدهم الشامخ ؟

لااكذب قومى ـ والرائد لايكذب اهله ـ ان الزمان قد استدار • وان مجد اليوم غير مجد أمس وأن الافراس فى المغرب اليوم لتجرى ملء فروجها اطلاقا • فان شمرتم يا أهل (الخ)شاركتم بكلعزيمة • وبذلتم من الجهود ما عرف به من قديم (الالغيون) فان مكانتكم لاتزال لكم محفوظة بين الماجدين وما ذلك الابالاقبال التام على التهام العلوم كيفما كانت • مع الحرص علىاتقان اللغة العربية • وعلى المحافظة على الدين المتين • فلئن قمتم بهذه المساعى لياتين مؤرخ ءاخر يسجل عنكم علماء ءاخرين كبارا فى كل علم • ودكاترة عظاما فى ميادين شتى • واما اذا تكاسلتم وتواكلتم وجركم احتقار العربية او تناسيها • ودب اليكم ضعف العقيدة الاسلامية الحق • وتهاونتم فى القيام بشعائر دينكم • فعلى الخ منذ الان السلام • وسيكـــون هذا الكتاب ءاخر من سجل لمن يستحقون الذكر من بنيه (لاقدر الله)

تـم الجزء الثـانى
ويليه الجزء الثالث
بعـون الله وقوتـه

الفهارس ستة

١) فهرس المترجمين

٢) الفهرس العام لعناوين ما فى الكتاب

٣) فهرس القوافى

٤] «الرسائل والمقالات والمحاضرات والاجازات

٥] « الخطأ والصواب

٦] « الالفاظ الشلحية التي فيها حرف مشدد

الفهرس الاول للمترجمين

٥ الفقيه سيدى الحسن بن احمد التياسيتنى الالغى
١١ الفقيه سيدى صالح الاوفقيرى
١٣ الحاج بلقاسم الزاوى الانغى
١٨ سيدى عبد الله باولا الالغى
٢٠ سيدى احمد بن محمد بن عبدالله النجيب المعتبط
٢٤ سيدى البشير بن الطيب السليمانى
٣٣ الفقيه سيدى موسى بن الطيب السليمانى
٥٠ النجيب سيدى الحسين بن أحمد بن الحاج صالح
٥٤ السيدة تاكدا بنت سعيد
٥٨ سيدى ابراهيم بن أحمد الطالبى السعيدى
٦٦ سيدى أحمد ابو الفدام
٦٨ سيدى على بن صالح الاوفقيرى
٧٥ النجيب سيدى الحسين بن ابراهيم الصالحى

٨١ النجيب سيدى عبد الله بن احمد الصالحى
٨٥ سيدى صالح بن أحمد الصالحى
٩٠ سيدى أحمد بن محمد التاهالى
٩٢ سيدى أحمد ابن الشيخ الالغى
١١٦سيدى عبد الرحمن بن محمد الصالحى
١١٩النجيب سيدى محمد بن عبد الله بن محمد الصالحى
١٢١النجيب سيدى عبد الحى الصالحى
١٢٤العلامة سيدى المدنى بن على الصالحى
١٥٥الفصل الثانى
١٥٦شيخنا العلامة سيدى عبد الله بن محمد الصالحى
١٩١الاديب سيدى محمد بن على الصالحى
٢٠٤الاديب الماهر سيدى الطاهر بن على الصالحى
٢١٣الاستاذ سيدى الحسن بن على الصالحى
٢١٨الاستاذ سيدى صالح بن عبد الله الصالحى
٢٢٣النجيب سيدى أحمد بن عمر الصالحى
٢٢٦الاستاذ سيدى محمد بن نصر الزاوى
٢٢٩سيدى محمد بن الحاج بلقاسم الزاوى
٢٣١سيدى محمد المدعو بـ (الشيخ موح)
٢٣٣سيدى محمد الخليفة ابن الشيخ الالغى
٢٦٥سيدى عبدالله ابن الشيخ الالغى
٢٦٨القاضى سيدى عبدالرحمن ابن الشيخ الالغى
٢٨٢العلامة الاديب سيدى ابراهيم ابن الشيخ الالغى
٣٢٨الاستاذ سيدى الحسن بن أحمد الالغى
٣٣٣الاستاذ سيدى عبد السلام بن احمد الالغى
٣٣٥شيخنا سيدى عبدالله بن ابراهيم الصالحى السعيدى
٣٤٤القاضى سيدى محمد بن احمد ابن الحاج صالح
٣٥٥الاستاذ سيدى ابراهيم بن احمد بن الحاج صالح
٣٦٤الفقيه سيدى بلقاسم بن محمد السليمانى
٣٧٠الاستاذ سيدى محمد بن أحمد السليمانى
٣٧٤الفقيه سيدى ابراهيم بن الحسن السليمانى
٣٧٦الفقيه الاستاذ سيدى عبدالله بن مسعود التيييوتى
٣٨٤سيدى احمد بن مسعود التيييوتى
٣٨٧سيدى عبد الحميد ابن الشيخ الالغى
٣٨٨سيدى عبد الله بن اليزيد الالغى

الفهرس الثاني في البرنامج العام للعناوين

٣ تبيين المترجمين فى الجزء
٥ الفقيه سيدى الحسن التياسينتى
٥ نسبه ـ منشأه ومتعلمه
٦ مشارطاته
٦ نبذة من أحواله
٨ آثـاره
٩ الاخذون عنه
١٠ رثاؤه
١١ الفقيه سيدى صالح الاوفقيرى
١٣ الحاج بلقاسم الزاوى
١٤ مكانته العلمية
١٥ أخلاقـه
١٨ سيدى عبلا باولا
٢٠ سيدى احمد بن محمد بن عبد الله الصالحى
٢٤ سيدى البشير بن الطيب السليمانى
٢٤ نسبه ـ مداركه
٢٦ أخلاقـه ـ تقلباته
٢٧ آثـاره
٣٢ رثـاؤه
٣٣ الفقيه سيدى موسى بن الطيب السليمانى
٣٣ نسبه ـ متعلمه
٣٤ بعض تقلباته فى الحياة
٣٧ مشارطاته
٣٨ الاخذون عنه
٣٨ مقياس معلوماته
٣٩ أخـلاقه
٤١ آثـاره
٥٠ النجيب سيدى الحسين بن أحمد بن الحاج صالح
٥٤ تاكدا بنت سعيد
٥٨ سيدى ابراهيم بن أحمد السعيدى الطالبى
٦٣ آثار تتعلق به
٦٤ اولاده ـ وفاته
٦٥ تعزية فيه

٦٦ سيدى أحمد أبو الفدام
٦٨ الاستاذ سيدى على بن صالح الاوفقيرى
٦٨ مؤاخذه
٦٩ مشارطاته ـ أخلاقه
٧٠ آثاره
٧٥ سيدى الحسين بن ابراهيم الصالحى
٧٦ متعلمه
٧٨ آثاره
٨١ سيدى عبدالله بن أحمد الصالحى
٨٢ رسالتان ـ الاولى ـ الثانية
٨٥ سيدى صالح بن أحمد الصالحى
٨٦ آثاره
٩٠ سيدى أحمد بن محمد التهالى
٩٢ سيدى أحمد بن الشيخ الالفى
٩٤ متقلبه ابان التعلم
٩٥ يغادر التعلم الى مكافحة الاستعمار
١٠٦ من أخلاقه
١٠٨ صفاء عقيدته
١٠٩ صراحته وصدقه وكيف يصف الناس
١١١ مرضه الذى توفى فيه
١١٣ مراثيه
١١٤ حكم من مقيداته
١١٦ سيدى عبد الرحمن بن محمد الصالحى
١١٩ سيدى محمد بن عبد الله بن محمد الصالحى
١٢١ سيدى عبد الحى الصالحى
١٢٤ العلامة سيدى المدنى بن على الصالحى
١٢٥ متعلمه للقرءان
١٢٦ فى مناغاة المعارف
١٢٧ يشارط فى مدرسة بالاخصاص
١٢٧ يتزوج
١٢٨ بعد رجوعه من الاخصاص
١٢٨ والده يستخلفه فى المدرسة الالفية
١٢٩ فى القيام بالمدرسة
١٢٩ ما بينى وبينه
١٣٠ ناحية من اخلاقه

١٣١آثاره وما اليها
١٤١أدبيات بيني وبينه وانا في الحمراء
١٤٥أخبار أخرى عن المترجم
١٤٧الاخذون عنه
١٥٠وفاته ومراثيه
١٥٣قولة ابن الحبيب فيه
١٥٥(الفصل الثاني) وفيه أسماء المترجمين فيه
١٥٦شيخنا سيدى عبدالله بن محمد الالغي
١٥٧مبتدأه
١٥٨في مناغاة العلوم
١٥٩يقوم بنفسه فيتزوج
١٦٠في اولى مشارطاته في ايغشان
١٦٠يأخذ عن اكيك وعن سيدى الطاهر الافراني
١٦٠في مدرسة اداى
١٦١في مدرسة ايغشان أيضا
١٦١فيها أيضا
١٦٣فيها أيضا
١٦٣في مدرسة سيدى على بن سعيد الاخصاصية
١٦٣فيالمدرسة البومروانية
١٦٣في مدرسة اداى ثانيا
١٦٤في المدرسة الامسرائية
١٦٤في مدرسة سيدى على بن سعيد ثانيا
١٦٤في المدرسة الامسرائية أيضا
١٦٤في المدرسة الايمورية
١٦٤هل هذا عذر مقبول ؟
١٦٥بعض أحوال الاستاذ
١٧١من فوائد المترجم
١٧٣تلاميذه
١٧٥ءاثاره ــ رسالة خالدة
١٨٩أخبار عنه اخيرة
١٨٩واخيرا
١٩٠اولاده
١٩١الاديب سيدى محمد بن على الصالحى
١٩٢متلقاه للقرءان وللعلوم
١٩٣نبذ عنه ــ آثاره

٢٠٢أخبار عنه أخيرة
٢٠٢في مدرسة اكشتيم
٢٠٤الاديب سيدى الطاهر بن على الصالحى
٢٠٦في الاخذ للقرءان
٢٠٦في مواخذ العلوم
٢٠٧في المشارطات
٢٠٧في المدرسة الايمورية
٢٠٧في المدرسة الايغشانية
٢٠٧في مزاولة الشرعيات
٢٠٨آثاره
٢١٠واخيرا
٢١٠من انشاداته
٢١٢من فوائده
٢١٣النجيب سيدى الحسن بن على الصالحى
٢١٥متعلمه ـ أدبياته
٢١٧واخيرا ـ مستملحة
٢١٨ سيدى صالح بن عبد الله الصالحى
٢١٨ متعلمه ـ ميدان تعليمه
٢١٩ أخلاقه ـ مقدار غوره ـ منشداته
٢٢٠ من ءاثاره
٢٢٣ سيدى أحمد بن عمر الصالحى
٢٢٣ متعلمه ـ من ءاثاره
٢٢٥ وظيفته
٢٢٦ الاستاذ سيدى محمد بن نصر الالغى
٢٢٦ متلقان ثلقرءان ـ فى مدارس العلوم
٢٢٧ فى المشارطة ـ فى مراكش ـ فى المدرسة البنكريرية
٢٢٨ يؤسس اسرته ـ نتف من أخلاقه
٢٢٩ سيدى محمد بن الحاج بلقاسم الزاوى
٢٣٠ ءاثار قلمه ـ اخبار عنه اخيرا
٢٣١ سيدى محمد (الشيخ موح)
٢٣١ مؤاخذه
٢٣٣ سيدى محمد الخليفة ابن الشيخ الالغى
٢٣٤ تقلباته بين يدى والده
٢٣٥ بعد وفاة والده
٢٣٧ عند ءال ماء العينين

٢٤١ يقترن بزوجه الاولى
٢٤١ الاخ والقبائل الجزولية قبل الاحتلال النهائي
٢٤٥ بعد الاحتلال
٢٤٧ المترجم رئيس لاخوانه المرابطين
٢٤٨ مداركه
٢٥٢ أخلاقــه
٢٥٤ نبذة من ءاثار منه واليه
٢٦٠ أخبار عنه أخرى بعد ذلك
٢٦٢ حجته
٢٦٣ الخاتمة
٢٦٤ ولده علي
٢٦٤ ولده الاخر فيصل
٢٦٥ الاخ سيدى عبد الله ابن الشيخ الالغى
٢٦٥ مؤاخذه
٢٦٦ مفارقته للاخذ
٢٦٨ القاضى سيدى عبد الرحمن ابن الشيخ الالغى
٢٦٨ متعلمه
٢٦٩ اخبار عنه اخيرا
٢٧٠ توليه للقضاء
٢٧٠ استشهاده رسالة فى كيفية ذلك وتعازفيه ٠ وقصيدة
٢٨٠ اولاده
٢٨٠ المهدى بن عبد الرحمن
٢٨١ متعلمه للقرءان ــ مثاخذه للعلوم
٢٨٢ الاديب سيدى ابراهيم ابن الشيخ الالغى
٢٨٢ متعلمه للقرءان
٢٨٣ فى ميدان المعارف
٢٨٤ فى ميدان التعليم
٢٨٥ ءاثاره الاولى
٢٨٨ فى تطوان
٢٨٩ فى المجلس الاعلى فى الرباط
٢٨٩ ءاثاره الادبية فى تطوان
٢٩٠ نثره (يضم مقالين عاليين)
٢٩٩ شعره (يضم قوافى لابد من الاطلاع عليها)
٣٢٠ زوجه السيد ءامنة الاديبة
٣٢٠ عائلتها

٣٢١ دراساتها
٣٢١ المدرجات العلمية التى حصلت عليها
٣٢٢ الوظائف التى شغلتها
٣٢٢ الخدمات الاجتماعية
٣٢٢ انتاجها فى التاليف
٣٢٢ يوم زواجها
٣٢٣ من ءاثارها (نشرا)
٣٢٨ الاستاذ الحسن بن أحمد الالغى
٣٢٨ متعلمه ـ من ءاثاره
٣٣٣ الاستاذ عبد السلام بن أحمد الالغى
٣٣٣ متعلمه
٣٣٥ شيخنا سيدى عبد الله بن ابراهيم الالغى
٣٣٥ متعلمه
٣٣٧ مشارطاته
٣٣٨ الاخذون عنه
٣٣٩ أخلاقه
٣٤٠ مداركه ـ ءاثاره
٣٤٢ أخبار عنه أخيرا
٣٤٤ القاضى سيدى محمد بن احمد بن الحاج صالح
٣٤٤ متلقاه للقرءان
٣٤٥ فى مناغاة العلوم
٣٤٦ فى مدرسة سيدى على بن سعيد
٣٤٧ فى المدرسة الايغشانية
٣٤٧ فى المدرسة الادوزية
٣٤٧ فى المدرسة الادوزيـة
٣٤٨ فى حاحة
٣٤٩ زواجه
٣٥١ أبو المواريث وعدل
٣٥١ فى خطة القضاء
٣٥١ أخبار حواليه
٣٥٣ من انشاداته
٣٥٤ متوفاه
٣٥٥ سيدى ابراهيم بن أحمد بن الحاج صالح الاستاذ
٣٥٧ متعلمه
٣٥٨ فى الحمراء

٣٥٩ واخيرا
٣٦٠ ءاثـاره
٣٦٤ الاستاذ سيدى بلقاسم بن محمد السليمانى
٣٦٤ متعلمه
٣٦٥ مشارطاته
٣٦٦ مداركـه
٣٦٧ ءاثـاره
٣٦٩ أخبار عنه اخيرا
٣٧٠ الاستاذ سيدى محمد بن أحمد السليمانى
٣٧٠ متلقاه للقرءان
٣٧١ فى المدرسة العلمية
٣٧٢ فى الحمراء
٣٧٢ فى مدرسة الشيشاوى الهشتوكية
٣٧٢ من ءاثاره
٣٧٣ واخيرا
٣٧٤ الفقيه سيدى ابراهيم بن الحسن السليمانى
٣٧٤ متعلمه
٣٧٥ بعد تخرجه
٣٧٥ ءاثار حوله
٣٧٦ الفقيه سيدى عبد الله بن مسعود التيييوتى
٣٧٧ مناخذه للقرءان والعلم
٣٧٨ ءاثاره الادبية
٣٨٢ فوائد وانشادات
٣٨٤ سيدى أحمد بن مسعود التيييوتى
٣٨٦ أخبار عنه اخيرا
٣٨٧ سيدى عبد الحميد ابن الشيخ الالغى
٣٨٨ سيدى عبد الله بن اليزيد التهالى الالغى
٣٩٠ خاتـمـة

الفهرس الثالث فى القوافى التى يقولها المترجمون ونكتفى بالشطر الاول ان كان المطلع مصرعا والا فناتى أيضا بالكلمة الاخيرة من الشطرالثانى

الهمزة

٧٨ الحسين بن ابراهيم مسك النوافج فاح ام روض الربا ـ سماء
١٨٤ الطاهر بن محمد فصلوا الفقير لدى الغروب بداره ـ ارجاؤه

١٨٤ عبد الله بن محمد — لبيك يامولاى يامن دابه ـ ارجاؤه
١٩٤ محمد بن على — غنى الحمام بروضة غناء
١٩٥ الطاهر بن محمد — برزت فى الحجال بنت ذكاء
٣٠٩ ابراهيم الالغى — لله ما احلى اللقاء
٣١١ له ايضا — ياحسن ما تتجلى ـ السماء
٣٧٨ عبدالله بن مسعود — على اصحابه زهر السماء

البـاء

٤٢ موسى بن الطيب — جاء البشير فطار القلب من طرب
٤٥ عبدالله بن محمد — قد اجابت من الجواب نجابة
٧٧ أبو الحسن الالغى — خطب الم فجل الزرء والكرب
٨٨ صالح بن أحمد — اهلا بمن سعدوا ونالوا رفعة ـ الارب
٨٨ الطاهر بن محمد — ياصالح يابدر افلاك الادب
١٣٢ المدنى بن على — أقرت أشت عيون الشامتين بها ـ ارتقبوا
١٣٦ له أيضا — شيخ العلا وامام العلم والادب
٢٥٨ المؤلف — مسامحة انى الى التائب
١٨٠ الطاهر بن محمـد — دعوى المحبة والحبيب على كثب
١٨١ عبد الله بن محمد — ماذا الجفاء وذا الاعراض ياعربى
٣٠٠ ابراهيم الالغى — أنال الانام جميل الارب
٣٠٨ له أيضا — ضيف الخليفة مرحبا
٣١٢ له أيضا — قعدت بسبتة فى قهوة ـ الشهب
٣١٤ له أيضا (موشح) — غاض عنه ماء الشباب
٣١٥ له أيضا (موشح) — يانديمى ويا رفيقى ـ والشراب
٣٨١ محمد بن الطاهر — يامرحبا باناس كشفوا الكربا

التـاء

٢٨ البشير بن الطيب — يامرحبا بمن ازدهت وترنمت
٤٦ مساجلة — غصن المسرة يانع الثمرات
١٤١ أبو الحسن الالغى — السر فى الصباح من نامه ـ فاته
١٨٦ عبد الله بن محمد — أرى الناس غيرى يلبسون ملابسا ـ كشيبتى

الجـيـم

٧٣ على الاوفقيرى — طلع الصباح فنوره يتبلج
١٤٣ المؤلف — عصر بتيجان البهاء متوج

٢٥٨ له ايضا — بشرى بتلك الزهرة الارجة
٣١٤ ابراهيم الالغى — اسقنيه مشعشعا ـ والمزاج

الحـــاء

٢٠١ مساجلة — خامرتنى الرحيق من كاس خمر ـ الاتراح
٣٠٢ ابراهيم الالغى — الا فدعوا دمعى الهتون يسيح
٣١٥ له أيضا (موشح) — ويك خلى أراغب ـ المباح

الـدال

٨ الحسن التياسينى — شوقى لاخوانى وشيخ مشايخ ـ لاتخمد
٤٢ موسى بن الطيب — قف بى على روض يحاط بلابلا ـ موحد
٤٣ محمد بن مسعود — درتنا سق فى نحور الخرد
٨٤ بعض الالغيين — لكنها كصرخة الوادى
٨٦ صالح بن أحمد — أيا من هو الغوث المهيؤ عدة ـ بلا عد
٢٨٢ محمد بن على — سلام كما قد فاح غب الحيا العد
٨٩ الطاهر بن محمد — ماروضة صافحتها الريح غب ندى
١١٣ المدنى بن على — هوى النجم السعد من افق المجد
١٣١ له أيضا — أيا ملكا أربت علاه على العد
١٣٦ له أيضا — تألق وهنا من حماهم واسهدا
١٥١ محمد بن على — بانوا وما ودعوا فخلفوا كمدا
١٦١ المؤلف — فثاونة بالضغط ان عاين الونى ـ الجدا
١٨٣ عبد الله بن محمد — لبيك لبيك ياخير اللدات ندى
١٨٥ له أيضا — أهلا وسهلا بالامام ـ وفدا
١٨٥ محمدالامام اوابن‌العتيق — أمن لاركان الندى شيدا
١٨٧ أبو الحسن الالغى — على الحبر عبد الله نجل محمد
١٩١ الطاهر بن محمد — هنيئا بدا للفضل من فلك المجد
١٩٦ محمد بن على — أمرغ خدى فى مشاهد سيدى
١٩٧ لـــه — بدران قد طلعا بافق سعود
١٩٧ الطاهر بن محمد — أمحمد يا ابن الكرام الصيد
١٩٧ محمد بن على — ياأيها العقد الفريد وغرة ـ المرتاد
٢٠٠ أبو الحسن الالغى — الى فلن ترى نظيرى فى الورى ـ الرشد
٢٠١ محمد بن على — أضاء بنور نير فلك الهدى
٢٠٨ الطاهر بن على — ابر ق‌بدا من نحو برقة ثهمد
٢٣٢ محمد بن على — زففت الى يا أخى محمدا

٢٣٢ له أيضا — أيها الشيخ من محضت ودادى
٢٥٤ محمد بن على — هنيئا مريئا أيها الخال بالذى ـ والمجد
٢٥٥ له ايضا — انى شغفت بنفح الطيب ياسندى
٢٨٠ المؤلف — هلال تبدى ساطع النور فى المهد
٢٩٩ ابراهيم الالغى — ايه ياشعر أين أنت فما أهنا ـ بعيدا
٣٠٤ له أيضا — أى يوم واى حفل ومشهد
٣١٠ له أيضا — أيها الشاعر المجدد فى الشعر ـ قصيدا
٣١٣ له أيضا — أرفع الرأس عاليا ـ البلد
٣٢٨ المؤلف — أنا الحسن السباق فى كل حلبة ـ الجرد
٣٦٢ ابراهيم بن أحمد — رزء عمرا فأصاب كل فؤاد
٣٦٣ عبد الله بن محمد — أبا سالم أنا انسنا بكم جدا
٣٦٨ المدنى بن على — أبا قاسم أزريت بالخلق الذى ـ الاباعد
٣٦٨ بلقاسم السليمانى — الى العالم النحرير والعلم الفرد
٣٦٨ له أيضا — انى وحقك مشتاق بلا فند
٣٨٢ الطاهر بن محمد — سلام كما قد فاح غب الحيا الغد

الراء

٣٢ موسى بن الطيب — برحى فقد اتى النذير البشير
٣٦ بعض الالغيين — ما حسنت حال من أى فتى ـ البصرا
٤٧ مساجلة — أنشق من هيبات موسى حينما ـ الفاخرة
٤٨ بعض الالغيين — سقى الله هاتيك الليالى انها ـ غرر
٦٥ بعضهم — عزاءك فى العم الذى وورى القبرا
٧٩ الحسين بن ابراهيم — نام الورى كلهم وأنا ـ الجمرا
٨٨ صالح بن أحمد — أهلا بمن بخطاهم فرح البشر
٩١ بعض الالغيين — الخط حلى العالم النحرير
١١٣ الطاهر بن على — هو الدهر فاصبر للذى صنع الدهر
١١٣ عبدالله بن ابراهيم — هل الدهر الا هكذا ليس يرعوى ـ فخر
١١٣ موسى بن الطيب — فصبرا يابنى الاخوال صبرا
١٢٢ الطاهر بن على — رمتنا صروف الدهر بالحادث النكر
١٤٥ المدنى بن على — ألا أيها المولى الامام ومن له ـ نكر
١٨٤ عبد الله بن محمد — جرت الصبا فتضوع النشر
١٨٥ له أيضا — اتى فازدهت انسا صدور المنابر
١٨٦ المدنى بن على — اتى فاطبانى مزريا بالازاهر
١٩٦ محمد بن على — لله درك يامبارك طالما ـ الاختيار

١٩٦ له أيضا — أتاى احمر الخدين فانظر
٢٠٥ بعض الالغيين — يظنون انى من يشيد تزلفا ـ تزوير
٢٠٨ الطاهر بن على — تألق من نحو العذيب وعرعرا
٢٢٨ المؤلف — كفانى كفانى اهل الخ ابـن ناصر
٢٥٤ محمد الخليفة — اننى ان ارد مقاما لشعر
٢٥٥ بعضهم — جزيت كفاك الله غائلة الدهر
٢٥٩ المؤلـف — فى كل يوم كوكب نير
٣١٠ ابراهيم الالغى — نك قد وجدت من الكلام الجوهرى
٣١٦ له أيضا (موشح) — أسرع الركب يلتهم ـ البصر
٣٨٠ الطاهر بن محمد — مرحبا بالثلاثة الاقمار

السيـن

١٨٢ عبد الله بن محمد — محمد بن على جرى القراطيس
١٩٠ عبدالحق بن عبد الله — يكفى لسوس اذا ما الغير فاخره ـ السوسى
٢٣٣ الطاهر بن محمد — اتى نبأ دالت به دولة الانس
٣١٨ ابراهيم الالغى(موشح) — يا أخا البث كفاك الما ـ الجلس
٣٧٩ الطاهر بن محمد — العلم فى المحل كنز للذى التمسا
٣٨٨ عبد الله بن محمد — كسانى سر بالا يقى البرد والشمسا

الشيـن

١٨٤ عبد الله بن محمد — (أماالعين) بلىانور انسانها الذى ـ النقش
١٨٥ ابن العتيق — انخنا بكم لله در ابيكم ـ والهش
١٨٥ عبد الله بن محمد — عروس غدت فوق الارائك والعرش
٣٧٩ عبدالله بن مسعود — محبتى لك ياخدنى مروقة ـ والفرش
٣٧٩ محمد بن الطاهر — أحبك الله ياعبد الاله كما ـ حشى

الصـاد

٣١ البشير بن الطيب — أبدت لنا خاتمة التلخيص

الضـاد

١١٣ احمد البناءى — قضى نحبه السيد المرتضى
١٥٣ المؤلف — اتفقد الخ خير افذاذها أيضا
١٥٦ له أيضا — بنو صالح بنو المعالى وفضلهم ـ الغض

الطـاء

١٨١ عبد الله بن محمد — ان لى بكتاب شرح الرباطى

العيـن

٣١ محمد بن على — أبرق بدا من نحو تلك المرابع
٨٧ له أيضا — أياصالح ماذا فعلت الم اكن ـ لدفعه
٨٧ صالح بن أحمد — فلاتنسبنى للجناية اننى ـ طبعه
١٣٣ المؤلف — تلك ضياع يالها من ضياع
١٨٤ عبد الله بن محمد — اذا كنت تبغى دوام الشبع
٢٠٠ أبو الحسن الانغى — الم يان للنجل الرضى اقترابه ـ اسماعى

الـفـاء

١٤١ المؤلف — سلام من النسرين اذكر واعرف
٣٧٠ له أيضا — لادر درك يالغى ان جنفت

الـقـاف

٤٠ بعض الالغيين — رأيت هذا الدهر لايرعوى ـ يرق
٧٩ الحسين بن ابراهيم — تحرشت بى يانذل والله عالم ـ محلق
٨٩ الطاهر بن محمد — حسان العلا يهوى اللبيب عناقها
١٨١ عبد الله بن محمد — برح بى الوجد من ذكراى بحراقا
١٩٥ محمد بن على — فرح القلب سادتى بانتلاقى
١٩٥ الطاهر بن محمد — نسمت من قريحة مغداق
٢٥٩ المؤلف — أتاك يافيصل فاروق
٣٣٧ له أيضا — فواكبدا من لوعة مستطيرة ـ تتحرق
٣٧٨ عبد الله بن مسعود — عيون العبيد بعد بعد احبتى ـ بترقرق

الكـاف

٣٤١ احمد بن مسعود — مرحبا بك أهل ودى فقلبى ـ سواكا

الـــلام

٤٤ موسى بن الطيب — سلام كما فاح الهوا بغوال
٤٤ عبد الله بن محمد — ازهر بدالى ام عقود لئال
٦٩ بعض الالغيين — اذا الجد لم يلحظ فتى عند سعيه ـ فى العمل

٧١ محمد بن الحاج اليزيدى — قد طار من ذكر الموى بلبالى
٧١ على الاوفقيرى — أمن الحمى يسرى نسيم شمال
٨٨ صالح بن أحمد — قد لاح وافد منزل السعد الذى ـ فضله
٨٨ الطاهر بن محمد — ياصالح يامن اقر بفضله
٨٩ صالح بن أحمد — وكل رزء اذا لاقيته جلل
١١٣ الحسن بن على — فؤادى حزين ودمعى يسيل
١٦٧ بعض الالغيين — لخوض الثلج والاوحال اولى
١٨٤ البشير الناصرى — لبيك يا عقد جيد المكرمات ومن ـ وكل
٢٠٤ الطاهر بن محمد — قالت وقد نظرت فى السجف بالمقل
٢٦٤ المؤلف — اذا عن فى الميدان مجد مؤثل
٢٧٨ الاديب الزيانى — ماذا دهاك أخيسة الاشبال
٢٨٢ المؤلف — أناسمى الخليل
٣١٢ ابراهيم الالغى — ليس يعنينى رياح تعصف ـ وصال

الميم

٣١ مساجلة — قد لاح سر الختم عند الخاتمة
٧٠ بعض الالغيين — والمرء لايسمو سوى ان عزم
٨٧ صالح بن أحمد — أياطالعا على الاحبة كالنجم
٨٩ الطاهر بن محمد — أبرق لاح كالثغر البسيم
٨٩ بعض الالغيين — ومن لم يذاكر بالعلوم فانها ـ غطمطم
١٢٢ محمد بن على — أمن بعد ما اودى الهمام الذى سما
١٣٥ ابو الحسن الالغى — الم يان للاعداء ان يتمزقوا ـ الظلم
١٣٥ المؤرخ الاكرارى — الى سيد حاز الكمال بدينه ـ بالعلم
١٨٢ عبد الله بن محمد — حفظت من كل هامة
٣٠٦ ابراهيم الالغى — ذكريات تمر عاما فعاما
٣٤١ عبدالله بن ابراهيم — أنت من أذهب الكروب عن القلب ـ الافهام
٣٥٠ بلقاسم التاجارمونتى — بشرى بحب بدا فى قنن الكرم
٣٦٢ ابراهيم بن أحمد — ارى هذى الدنا تضع العظاما
٣٧٥ المؤلف — مسامحة اذ تبت توبة نادم
٣٨٠ عبدالله بن مسعود — أيا من نحوه انقاد الكرام
٣٨٠ الطاهر بن محمد — أعبد الله هل هذا نظام
٣٨٠ محمد الامام — أيا صاعدا للمجد اسنى العزائم

النون

١٠ المؤلف — يرحمك الرحمن ياحسن

٢١ الطاهر الافراني — الهوا وما طرف الخطوب بوسنان
٦٤ محمد بن مسعود — سقى الله الحمى من (تحت حصن)
١١٣ بلقاسم السليماني — الم بنا خطب شجانى يا حزان
١١٣ أحمد بن زكرياء — خطب الم فاضنانى وانحلنى
١١٧ المؤلف — سبق القضاء بما يكون فكانا
١٣٨ الطاهر بن محمد — مولاى آوفدت فضلا شبلك المدنى
١٣٨ محمد بن الطاهر — بدر الكمال ببرج السعد قد بانا
١٤٠ المدنى بن على — أيها السيد الامام عبيد الله ـ بيان
١٤٤ المؤلف — أبنى على ان ما اوتيتم ـ تبينه
١٥٢ عبد الله بن محمد — لقد أصبنا بموت السيد المدنى
١٥٢ الحسن بن على — ما للمجادة بعد السيد المدنى
١٥٢ احمد البناءى — الدهر ذو عجب اما ترى فرحا ـ حزن
٢٠١ محمد بن على — بشرى الفؤاد ومطمع العين
٢٥٩ بلقاسم السليمانى — انعم صباحا أطيب الازمان
٢٦٤ المؤلف — أنا على ولم اسم به ـ الاقران
٢١٧ ابراهيم الالغى (موشح) — ذهبت تتبع الخطا ـ تخفقان
٣٣٣ المؤلف — عبد السلام نجيب بين اقرانه
٣٦٢ ابراهيم بن أحمد — ماذا يفيد شبابك الفتان
٣٨٠ محمد بن على — أيا مرحبا بمن أتانا بغشان

الهاء

١٧٩ عبد الله بن محمد — يا أيها السيد الترضى سجاياه
١٨٠ الطاهر بن محمد — بيك من ولد أحيا محياه
٢٢٨ محمد بن على — أهلا بمن قد أتى والقلب يرعاه
٣٧٢ محمد بن أحمد — الغنا فائز بخير فقيه
٣٧٣ المؤلف — اى شيء أنا وأى فقيه

الواو

١٣٤ ابو الحسن الالغى — أقول لمن أحيا الفتوة والندى ـ بغوا

الياء

٥٣ بعض الالغيين — فكم من نفوس طلبن نفيسا ـ منايا
١٥١ عبد الله بن محمد — ياعين جودى بدمع ـ القرى
١٧٩ الطاهر بن محمد — اجب عبد الاله وقيت عيا

٣٠١	ابراهيم الالغى	الا ليت شعرى هل أنال امانيا
٣١٣	له أيضا	لست أنسى مدينة الراشدية
٣٤١	صالح بن أحمد	مرحبا باخ وفى على
٣٥٧	المؤلف	دم للعلا دم للصفا دوم للطافة ـ السامية
٣٦٣	ابراهيم بن احمد	هو الدهر يابى ان أنال المعاليا

الالف المقصورة

٣٤٤	محمد بن على	اتيت وبى من شوقكم جلة الورى
٤٥	عبد الله بن محمد	يا أيها النخل موسى

الرجـز

٨٧	صالح بن أحمد	أهلا بمن قد شرفوا حصن العلا
٨٧	الطاهر بن محمد	هذا نظام رق معنى وحلا
٨٨	صالح بن أحمد	المرء لابد له من الوفا
١٧٥	المؤلف	كيف يخيب من على الله اتكل
١٨٦	عبد الله بن محمد	لابد للمدير من نظافة
٢٢٥	المؤلف	الفوز كل الفوز ان يكونا
٣٣٧	بعض الالغيين	فما على المرء سوى ان يعملا
٣٨١	الطاهر بن محمد	على الاخ الندب المرفيع الشان

الفهرس الرابع

في المنثورات من الرسائل والمقالات والمحاضرات والاجازات

وقد تكرر الارقام لتكرر المرقوم لها

سيدى الطاهر بن محمد ـ ٢٢ ـ ٨٢ ـ ١٣٨ ـ ١٣٩ ـ ١٨٨ ـ ١٨٨ ـ ١٩٨ ـ ١٩٩ ـ ٢٠٤ ـ ٢٢٩ ـ
سيدى البشير بن الطيب ـ ٢٧ ـ ٢٧ ـ ٢٨
سيدى موسى بن الطيب ـ ٢٨ ـ ٤٢
المؤلف ـ ٣٠ ـ ١٤١ ـ ١٤٣
الشيخ الالغى ـ ٣٤ ـ ٣٦ ـ ١٣٧
محمد بن مسعود ـ ٤٣ ـ ٦٣ ـ ٢٥٧
ابو الحسن الاغى ـ ٢٢

محمد بن عبدالله بن محمد الصالحي ـ ١١٩ ـ ١٢٠
المدني بن علي الصالحي ـ ١٤٠
عبدالله بن محمد ـ ١٧٥
عبد الحق بن عبد الله ـ ١٩٠
صالح بن عبدالله ـ ٢٢٠
الشيخ موح ـ ٢٢٨
محمد بن علي الصالحي ـ ٢٥٥ ـ ٢٥٥
محمد الخليفة ـ ٢٧٠
ابن المعلم المراكشي ـ ٢٧٥
أحمد العوفي القاضي ـ ٢٧٥
ابن ادريس المراكشي ـ ٢٧٦
أحمد الاخصاصي نزيل مصر ـ ٢٧٧
ابراهيم الالغي ـ ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ـ ٢٩٠ ـ ٢٩٥
امنة اللوه ـ ٣٢٣ ـ ٣٢٤
ابراهيم بن أحمد الالغي ـ ٣٦١
الحسن التياسينتي ـ ٨
الحاج بلقاسم الزاوي ـ ١٥
الحسن بن أحمد ـ ٣٢٨
أحمد الهيبة ـ ٣٨١

الفهرس الخامس في الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطا	صواب
٣	٦	التاسينتى	التياسينتى
٣	١٦	الافقيرى	الاوفقيرى
٥	١٧	تجاوروا	تجاروا
٥	٣٠	مودبين	مؤدبين
٧	١	فلما يستقر	قلما يستقر
٧	٢٧	نخلا	نغلا
٨	١	لم يلبت	لم يلبث
٨	١٨	الباذج	الباذخ
٩	٩	تكلف كما	تكلف ما
٩	٣١	ترجمتها	ترجمتهما
١١	١	الافقيرى	الاوفقيرى

١٤	٣١	من العملوم	من العلوم
١٦	١٨	خائف فزع	صارخ فزع
١٩	٢١	ابن قريتى	ابن قريتى
٢٢	٢٢	وكم منحة فى طى منحة	وكم منحة فى طى محنة
٢٣	٨	الفوض	الفرض
٢٩	١٣	يججبك	يحجبك
٣٠	٢	لان افضحك	لا ان افضحك
٣٤	٢٠	الاستاذ	الى الاستاذ
٣٦	١٤	قبلك	قلبك
٣٨	١٣	مرور ما	مرور اما
٣٨	٢٧	بضائر	بضائر
٣٩	٢٩	سلامـة	سلاسة
٤٣	٣٣	ذلك	ذاك
٤٤	٤	رضى الله	رضى الله عنه
٤٤	٢١	لنالى	لنال
٤٥	١٠	الغموسى	الغموسا
٤٥	٢٥	المعشعشة	المشعشعة
٥٠	١٧	وكذلك	كذلك
٥١	٢٥	سيدى	لسيدى
٥٢	٢٥	ثم توفى سنة	ثم فى سنة
٥٤	٤	ورقت	رزقت
٥٦	١٨	المتقدمين	المتقدمتين
٥٨	٢	الطالبى السليمانى	الطالبى السعيدى
٦٤	١٣	من تحت الحصن	من تحت حصن
٦٤	٢٣	الشديد	السديد
٦٥	٣	ووورى	ووورى
٦٦	٩	البعيقلى	البعقيل
٦٦	١٢	ما اخبره به	ما اخبر به
٦٧	٧	والقول منك	والفعل مبك
٧٠	١١	واعترم	واعتزم
٧١	١٠	ذلك	ذاك
٧١	١٢	ان اجشاك	ان اشجاك
٧٨	١٩	منه	منها
٨٦	٢٨	فى اقناء	فى اقتناء
٩٠	٢٤	فليجعل	فليجل

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٠٦	١٢	ولنكه	ولكنه
١٠٧	٢	دراهم	دارهم
١١٠	١١	الصالحين	الصالحيين
١١٢	١	فى الحمراء	من الحمراء
١١٤	٢١	لاتزدر	لاتزدرن
١١٤	٢٣	فى تقلبه	فى معاملة
١١٥	١١	استمام	استتمام
١٢١	٨	ويغرس الا فى منابته النخل	وتنبت الا فى منابتها النخل
١٢٥	٢١	ومن يك راحما	ومن يك حازما
١٣٠	٧	اقلت	افلت
١٣٣	١٣	بينين	بيتين
١٣٧	٦	بهزة	فهـزه
١٣٧	١٧	بدار	بـدرا
١٤٠	٢٩	والداركة	والدراكة
١٤٢	٢٦	هذا لمقام	هذا المقام
١٤٣	٢	لاصحاب	لاصحابى
١٤٣	١٤	مدبج	مدبـج
١٤٤	١٥	لا بجرد	لا بمجرد
١٤٥	٢	اذا طالما	اذ طالما
١٥١	١٩	كالقرى	كالقرى
١٥٢	١٥	ودى بدن	وذى بـدن
١٥٢	١٧	فلا مقر	فلا مفر
١٥٣	٢	بفعله	يفعله
١٥٣	٦	بجثته	بجنته
١٥٣	١١	مرثيه	مرثية
١٥٧	١٢	بلاطفة	بملاطفة
١٥٨	٢٣	نقص	نقض
١٦٤	١٧	مسالمة	مسالمة
١٦٥	٢٩	فى بحبوجة	فى بحبوحة
١٦٦	٢٦	واخوتنا	واخواتنا
١٦٧	١٤	فمن ذالذى	فمن ذا الذى
١٧٠	١٣	من والد	من ولد
١٧٠	١٥	رباه	ريـــاه

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٨٢	٦	ميادين	ميادن
١٨٣	٦	سلامة	سلامه
١٨٤	٢٩	بالمرة	بالمبرة
١٨٦	١٥	وتعاظ	واتعاظ
١٨٧	٣١	ومن تحطه فعلته	ومن يحطه فعله
١٩١	١٦	العصاء	العصماء
١٩٣	٣١	ثم نتفرع	ثم نتفرغ
١٩٥	٦	رمدته	ومدته
١٩٥	٢٠	فذ المنى نرياقى	فذى المنى ترياقى
١٩٥	٢١	لحيه	لحبه
١٩٦	٢٢	قد حسها	قد جسها
١٩٨	٤	سيدى	سيد
١٩٨	١٠	بـد	يـد
٢٠٢	١٩	جلاد	جلاذ

٢٠٦ سقط بعد السطر ١٨ سطر برمته وهو

اليه والده الاستاذ سيدى عبدالله بن ابراهيم فدخل هذا الاستاذ أذذاك ٠

٢٠٦	٣١	منهر	منهمر
٢٠٩	٢٥	غيب	غـب
٢١٠	٧	التعارف	المتعارف
٢١١	١٨	منازل الكرام	منازل الكرماء
٢١٤	١٠	من دوج	مـن دوح
٢١٥	١٩	لفث	لفتت
٢١٥	٢١	نفسية	نفيسة
٢١٦	٤	(كرر البيت الثالث)	
٢٢٢	١٣	بين مهاده	يبنى مهاده
٢٢٢	١٤	ويستهل	ويستسهل
٢٢٥	٥	الخطيئة	الحطيئة
٢٢٥	١٣	بالابيضاء	بالبيضاء
٢٢٦	٥	لكثرين	لكثيرين
٢٢٨	١٩	سراه	مسراه
٢٢٩	١	الزواوى	الزاوى
٢٣٧	١٥	الى أنه الان	الى الان
٢٣٨	١	قسطاطا	فسطاطا

صفحة	سطر	خطا	صواب
٢٤٠	١٤	لما اراد ان	لما ارادا ان
٢٤١	١	وسلاة	وسلامة
٢٤١	٢٠	وتبة	رتبة
٢٤١	٢٤	فبل	قبل
٢٤٣	١١	الوقحيين	الوقحين
٢٥٩	١٠	العم	انعم
٢٦٠	١٥	امده اله	امده الله
٢٦٥	١٠	مااستتر	ما استتر
٢٦٨	١٠	ثم التحقوا	ثم التحق
٢٦٩	٢	التى لازم	الذى لازم
٢٦٩	٣٠	والاستعارت	والاستعارات
٢٦٩	٣٠	وهو الذى اليوم	وهو اليوم
٢٧٠	١٣	تاردانت	تارودانت
٢٧٥	٥	مبارك	مباركا
٢٧٥	١٢	ررافلا	رافـلا
٢٧٥	١٤	وماوراء	وما راء
٢٧٥	٣٢	للثواب	بالثواب
٢٧٥	١٦	تلاميدتنا	تلامذتنا
٢٧٦	١٠	واصيغت	واصفيت
٢٧٦	٢٧	ذخر	ذخـر
٢٧٧	٦	يبض	ينبض
٢٧٧	٧	به (فى الجميع)	بها
٢٧٨	١٢	وهو الفاجعة	وهول الفاجعة
٢٧٩	٣٢	أى	اى
٢٨٠	٢٢	او باطنا	وباطنا
٢٨٤	١٠	بالحمراء بعد	بالحمراء
٢٨٥	٢٦	ساء	سماءت
٢٨٦	٣٣	ان يصحوا	أن يصحو
٢٨٧	٢٧	حتى يبدر	حتى يهدر
٢٨٧	٤	(فى الحاشية) جفلة	حفلة
٢٩١	٢٦	النقابيين	النقابين
٢٩٣	١٥	المؤخرين	المؤرخين
٣٠٢	١٥	حيت بفكرى	احيت بفكرى

صفحة	سطر	خطا	صواب
٣٠٢	١٨	المصطفى	المصافى
٣٠٧	٢	اطيابا	أطايبا
٣٠٨	٩	اهـل	اهـلا
٣١٥	١٨	وفى شتباك	وفى اشتباك
٣١٦	٢٤	اللال	اللئال
٣٢٣	١	وثـم	وتـم
٣٢٣	١٤	على اخذ	على احـد
٣٢٥	١١	الاحاديث	الاحديث
٣٢٦	٢٣	الا انستطيع	الا نستطيع
٣٢٦	٢٧	لئكن	لنكن
٣٢٨	١٣	فى ترجمته	فى ترجمة
٣٣٢	١٨	واستمعنا	واستعملناها
٣٣٥	٦	الشقراى	الشقراوى
٣٤٢	١٨	واسمه	واسمها
٣٤٤	١	الصالحى	ابن الحاج صالح
٣٤٥	٤	يتوقنها	يتوقونها
٣٥١	١٠	تافكولت	تافنكولت
٣٥٥	٤	فى صاحبى	فى صاحب
٣٥٨	٢١	ويقولونه	ويقولون
٣٦٢	١٣	تتمتع	تمتع
٣٧٠	٢٢	ايت بريم	أيت برابيم
٣٧٢	٧	ابن زيدان	ابن زيدون
٣٧٣	٢٠	فى مرتبته	فى مرتبة
٣٧٣	٢٩	يستتمرن	يستتمون
٣٧٦	١١	الابفشانية	الايغشانية
٣٧٧	٢٢	الامين	الامير
٣٧٨	٢٢	يترقرق	بترقرق
٣٧٩	١	ومحمدا ابن	ومحمد ابن
٣٧٩	٣	تزورا اصاحبا	تزور اصاحبا
٣٧٩	٥	ياخذنى	ياخذنى
٣٨٢	٢٤	وجدى	وجـرى

(الفهرس السادس) فـى الكلمات الشلحية التى فيها تشديد فـى بعض الحروف ولاينسين القارىء ماكنا ذكرناه فى مطلع (الجزء الاول) من أننا نجعل امام الحرف المفتوح الفا • والمكسور ياء • والمضموم واوا • فى الكلمات الشلحية • واما اذا كان بعض الحروف مشددا من بعض الكلمات فاننـا سنفردها آخر الجزء • ولهذا جعلنا امام القارىء فى هذه الصفحة مايراه

أَمَازْر	إِيدْبِنِّيرانْ	اِيكِّي أُو فرنِي
أَمْلْن	إِيسِيلْ أُو زُّوزْ	بَاوْلَّا
أَكِمَّاضْ أُوسَاكَا	إِيداوْ كِمَّاضْ	تَازُّورت
أَنَامزْ	إِيزْحَّالْنْ	تَالَات غِزِّيفْنْ
أَكِنِي إِيدْيَانْ	اِيغِير وِّيلُّولْنْ	تَالَات وُّوشْنْ
أَيْت أُوحَامُّو	اِيغِير مَلُّولْنْ	تِيبُوزْكِ
أَكَبَادِير زْكَّاغْنْ	اِيسَافْنْ	تِيِّيبُوت
أَيْنْت أُومْرِّى	اِيزُونِّيضْنْ	دُّومْلْت
أَمْسْرا	اِيدْواوْسَّارْ	مُّومْتُّولْ
أَكِلِّيد	اِيسِكْ	وَالْكُوتْ
إِيغْشَّانْ	اِيدَاكِّيلُّولْ	وِيجَّانْ

طبع بمطبعة النجاح ـ الهاتف ٠٧ـ٣٠١
الدار البيضاء ـ المغرب الاقصى
عام ١٣٨٠ هـ = الموافق سنة ١٩٦١